
رسالات إسلامية
السيد عادل العلوي
الجزء الثامن
أخلاق
فضيلة العلم
حقيقة القلوب
الياقوت الثمين
المؤمن مرآة





رسالات إسلامية

السيد عادل العلوي

الجزء الثامن

أخلاق





هوية الكتاب

الكتاب: .... رسالات إسلامية (موسوعة)

المؤلف: .... السيّد عادل العلوي

المجلّد: .... الثامن

الموضوع: .... أخلاق

الصفحات: .... ٦٥٤ صفحة

المطبعة: .... النهضة ـ قم

الطبعة: .... الأولى

سنة الطبع: .... ١٤٢٣ هق = ١٣٨١ هش = ٢٠٠٢ م

نشر: .... المؤسسة الإسلامية العامة للتبليغ والإرشاد

السعر: .... ٢٥٠٠ تومان

الشابك: .... شابك x ـ ١٨ ـ ٥٩١٥ ـ ٩٦٤ (دورة ١٠٠ جلد)

يحتوي المجلّد الثامن على الرسائل والكتب التالية :



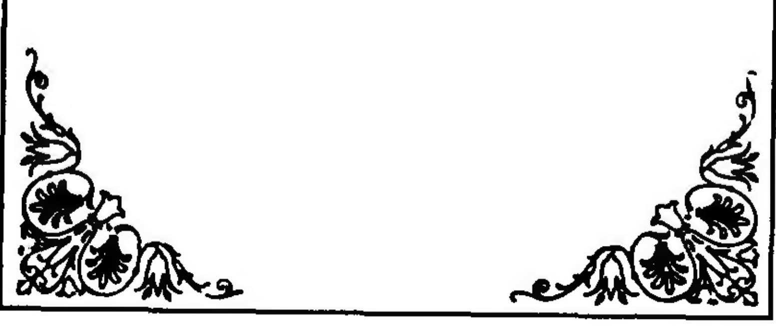
فضيلة العلم والعلماء



رسالات إسلامية



السيد عادل العلوي



العلوی، عادل، ۱۹۵۵ ـــ
فضيلة العلم والعلماء / تأليف السيّد عادل العلوي. ـــ قم: المؤسسة الإسلامية العامة للتبليغ والإرشاد، ۱۳۸۰.
٥٤ ص. ـــ (موسوعة رسالات إسلامية)
ISBN 964 - 5915 - 55 - 4 . ISBN 964 - 5915 - 18 - X (دوره)
فهرستنویسی بر اساس اطلاعات فیپا.
عربی.
کتابنامه به صورت زیرنویس.
۱. مجتهدان و علما ـــ أحادیث. الف. عنوان.
۶ ف ۸۵ ع / ۲ / BP ۵۵ — ۲۹۷ / ۹۹۶
کتابخانهٔ ملی ایران
محل نگهداری: — ۸۰ ـــ ۵۳۲۷ م

موسوعة

رسالات إسلامية

رسالة

فضيلة العلم والعلماء

تأليف ـ السيّد عادل العلوي

نشر ـ المؤسسة الإسلامية العامة للتبليغ والإرشاد
إيران، قم، ص. ب ٣٦٣٤
الطبعة الأولى ـ ١٤٢٣ هجري قمري
التنضيد والإخراج الكومبيوتري ـ حكمت، قم
المطبعة ـ النهضة، قم

شابك ٤ ـ ٥٥ ـ ٥٩١٥ ـ ٩٦٤ — ISBN 964 - 5915 - 55 - 4
ای. ای. ان. ٩٧٨٩٦٤٥٩١٥٥٥٩ — EAN 9789645915559
شابك X ـ ١٨ ـ ٥٩١٥ ـ ٩٦٤ (دورة ١٠٠ جلد) — 964 - 5915 - 18 - X (100 - Vol. Set)

بسم الله الرحمن الرحيم

فضيلة العلم والعلماء[1]

القسم الأوّل

الحمد لله الذي علّم القرآن خلق الإنسان علّمه البيان، والصلاة والسلام على أشرف خلقه وسيّد رسله محمّد الأمين وعلى آله الطاهرين الأئمة المعصومين.

الإسلام والدعوة إلى العلم:

قال الله تعالى في محكم كتابه ومبرم خطابه:

﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الإِسْلامُ ﴾[2].

وقال سبحانه:

﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾[3].

فالإسلام هو دين الله القويم والصراط المستقيم من يبتغ غيره فقد ضلّ وأضلّ، ولا يقبل منه، فخسر الدنيا والآخرة وذلك هو الخسران المبين.

---

(١) محاضرتان لسماحة السيّد العلوي ألقاها لمؤسسة (السلام) الإسلامية (برنامج الحوزة العلمية العالمية على الكومبيوتر). «الناشر»

(٢) آل عمران: ١٩.

(٣) آل عمران: ٨٥.

واعلم أنّ مصدر التشريع الإسلامي هو القرآن الكريم والسنّة الشريفة المتمثّلة بقول المعصوم عليه السلام وفعله وتقريره وهو النبيّ الأعظم محمّد صلى الله عليه وآله وعترته الأئمة الأطهار عليهم السلام.

فالمعارف الإسلامية الغنيّة إنّما نأخذها من هذين المصدرين الثقلين كما ورد في حديث الثقلين المتّفق عليه عند الفريقين السنّة والشيعة. إنّ الرسول الأعظم قال في مواطن كثيرة :

«إنّي تاركٌ فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا بعْدي وإنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض».

وحينما نرجع إلى الآيات الكريمة والروايات الشريفة نجد الاهتمام البالغ والحثّ الأكيد على العلم والعلماء وفضلهما، فما أعظم العلم والعلماء منزلةً ورفعةً في الإسلام وفي قاموسه وثقافته.

قال الله تعالى :

﴿ يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾[1].

﴿ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ وَ فَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾[2].

وقال عزّ وجلّ :

﴿ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ ﴾[3].

---

(١) المجادلة : ١١.

(٢) يوسف : ٧٦.

(٣) الزمر : ٩.

وإنّه سبحانه قارن بينه وبين أُولي العلم في مقام الشهادة على توحيده فقال سبحانه :

﴿ شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالمَلائِكَةُ وَأُوْلُوا العِلْمِ ﴾[١].

وقد أمر نبيّه الأكرم ﷺ أن يسأل ربّه في زيادة العلم بقوله تعالى :

﴿ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً ﴾[٢].

وقال في وصف عبد من عباده :

﴿ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي العِلْمِ ﴾[٣].

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْماً وَقَالا الحَمْدُ للهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ ﴾[٤].

﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْماً وَعِلْماً ﴾[٥].

وقال :

﴿ أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الأَلْبَابِ ﴾[٦].

فغير العالم يكون من العميان.

﴿ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾[٧].

---

(١) آل عمران : ١٨.

(٢) طه : ١١٤.

(٣) البقرة : ٢٤٧.

(٤) النمل : ١٥.

(٥) يوسف : ٢٢.

(٦) الرعد : ١٩.

(٧) الأعراف : ٣٢.

﴿ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ أَنَّهُ الحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ ﴾[١].

﴿ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا العَالِمُونَ ﴾[٢].

﴿ بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ ﴾[٣].

﴿ وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الحَقَّ ﴾[٤].

﴿ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالقَلَمِ ﴾[٥].

عن الإمام الصادق عليه السلام أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال:

«أعلم الناس من جمع علم الناس إلى علمه»[٦].

«وأكثر الناس قيمةً أكثرهم علماً، وأقلّ الناس قيمةً أقلّهم علماً».

وعنه عن أبيه عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«من سلك طريقاً يطلب فيه علماً سلك الله به طريقاً إلى الجنّة».

و «إنّ الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضاً به، وإنّه ليستغفر لطالب العلم من في السماء ومن في الأرض حتّى الحوت في البحر».

و «فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر النجوم ليلة البدر».

---

(١) الحجّ: ٥٤.

(٢) العنكبوت: ٤٣.

(٣) العنكبوت: ٤٩.

(٤) سبأ: ٦.

(٥) العلق: ٣ ـ ٤.

(٦) نقلنا هذه الروايات كلّها من بحار الأنوار المجلّد الأوّل، والكافي المجلّد الأوّل، وميزان الحكمة كلمة (العلم)، فراجع.

و «إنّ العلماء ورثة الأنبياء، إنّ الأنبياء لم يورّثوا ديناراً ولا درهماً ولكن ورثوا العلم، فمن أخذ منه أخذ بحظٍّ وافر».

وقال أمير المؤمنين عليّ عليه السلام:

«ولا كنز أنفع من العلم».

«قيمة كلّ امرئ ما يحسنه».

قال الخليل بن أحمد: هذه أحثّ كلمةٍ على طلب العلم، فهي من غُرر الحِكَم وجوامع الكَلِم، وطوبى لمن عرف قدر نفسه.

قال عليه السلام:

«تعلّموا العلم فإنّ تعلّمه حسنة، ومدارسته تسبيح، والبحث عنه جهاد، وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة، وهو أنيس في الوحشة، وصاحب في الوحدة، وسلاح على الأعداء، وزين الأخلّاء، يرفع الله به أقواماً يجعلهم في الخير أئمة يُقتدى بهم، تُرمق أعمالهم، وتقتبس آثارهم، ترغب الملائكة في خلّتهم، يمسحونهم بأجنحتهم في صلاتهم، لأنّ العلم حياة القلوب ونور الأبصار من العمى وقوّة الأبدان من الضعف، وينزل الله حامله منازل الأبرار، ويمنحه مجالسة الأخيار في الدنيا والآخرة، بالعلم يُطاع الله ويُعبد، وبالعلم يُعرف الله ويوحّد، وبالعلم توصل الأرحام، وبه يعرف الحلال والحرام، والعلم إمام العقل والعقل تابعه، يلهمه الله السعداء ويحرّمه الأشقياء».

فالسعيد من يلهمه الله العلم، والشقيّ من يحرم من ذلك العلم، والعلم هو الأساس لكلّ عمل.

قال أمير المؤمنين عليّ عليه السلام:

«رأس الفضائل العلم».

و «غاية الفضائل العلم».

و «إنّه يتفاضل الناس بالعلوم والعقول لا بالأموال والأُصول».

و «معرفة العلم دين يدان به، به يكسب الإنسان الطاعة في حياته، وجميل الأُحدوثة بعد وفاته».

قال الإمام الصادق عليه السلام:

«إنّ خير ما ورّث الآباء لأبنائهم الأدب لا المال، فإنّ المال يذهب والأدب يبقى».

قال مسعدة: يعني بالأدب العلم.

فخير وريث العلم، وفي الأحاديث الشريفة:

«خير منجدٍ في الحياة العلم».

وإنّه «حجاب من الآفات».

و «مصباح العقل».

و «أفضل هداية».

فهو «جمال لا يخفى، ونسيب لا يجفى».

«زين الأغنياء وغنى الفقراء».

و «أفضل شرف من لا قديم له».

«أشرف الأحساب، يرفع الوضيع، كما أنّ ترك العلم يضع الرفيع».

«فالعلم ضالّة المؤمن».

و «لا كنز أنفع من العلم».

و «كفى به شرفاً أن يدّعيه من لا يُحسنه، ويفرح به إذا نسب إليه، وكفى بالجهل ذمّاً يبرأ منه من هو فيه».

و «من كساه العلم ثوبه اختفى عن الناس عيبه».

«فلا شرف كالعلم، فإنّ الشريف كلّ الشريف من شرّفه علمه».

و «إنّ قلباً ليس فيه شيء من العلم كالبيت الخراب الذي لا عامر له».

«فتعلّموا وعلّموا وتفقّهوا ولا تموتوا جهّالاً، فإنّ الله لا يُعذِرُ على الجهل».

فإنّ «العلم يهدي إلى الحقّ».

فما أعظم العلم:

فإنّ «كلّ وعاء يضيق بما جُعل فيه إلّا وعاء العلم فإنّه يتّسع به».

وهذا يعني طلب العلم دائماً، فقد قال رسول الله ﷺ:

«إذا أتى علَيَّ يومٌ لا أزداد فيه علماً يقرّبني إلى الله تعالى فلا بورك لي في طلوع شمس ذلك اليوم».

«فمن قاتل جهله بعلمه، فقد فاز بالحظّ الأسعد».

و «ذنب العالم واحد، وذنب الجاهل ذنبان، العالم يُعذّب على ركوب الذنب، والجاهل يُعذّب على ركوب الذنب وتركه العلم».

فهلمّوا إلى طلب العلم النافع والعمل الصالح:

«فما استرذل الله تعالى عبداً إلّا حُرم العلم، من علامة بُغض الله تعالى للعبد أن يبغض إليه العلم».

أجل:

«العلم رأس الخير كلّه، والجهل رأس الشرّ كلّه».

«فهو أصل كلّ حالٍ سَنيّ، ومنتهى كلّ منزلةٍ رفيعة».

قال الشهيد الثاني قدّس سرّه الشريف في كتابه القيّم الأخلاقي الذي لا بدّ لكلّ طالب علم أن يقرأه، بل في كلّ عام مرّة، قال: إعلم أنّ الله سبحانه جعل العلم

هو السبب الكلّي لخلق هذا العالم العِلوي والسفلي طرّاً، وكفى بذلك جلالة وفخراً، قال الله تعالى في محكم الكتاب، تذكرةً وتبصرةً لأُولي الألباب :

﴿ اللهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً ﴾[١].

وكفى بهذه الآية دليلاً على شرف العلم، لا سيّما علم التوحيد الذي هو أساس كلّ علم ومدار كلّ معرفة. وجعل سبحانه العلم أعلى شرف وأوّل منّة امتنّ بها على ابن آدم بعد خلقه وإبرازه من ظلمة العدم إلى ضياء الوجود، فقال سبحانه في أوّل سورة أنزلها على نبيّه محمّد ﷺ :

﴿ اقْرَأْ بِسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾[٢].

فتأمّل كيف افتتح كتابه الكريم المجيد الذي :

﴿ لا يَأْتِيهِ البَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾[٣]، بنعمة الإيجاد، ثمّ أردفها بنعمة العلم. فلو كان ثمّة منّة أو توجد نعمة بعد نعمة الإيجاد هي أعلى من العلم لما خصّه الله تعالى بذلك[٤]. انتهى كلامه رفع الله مقامه.

هذا، والله سبحانه خلق الإنسان من جسد وروح، وكان الجسد من تراب فهو أرضي الوجود، يفنى وإنّه ضيّق الحدود جدّاً، فإنّه الذرّة في أبعادها الثلاث

---

(١) الطلاق : ١٢.

(٢) العلق : ١ ـ ٥.

(٣) فصّلت : ٤٢.

(٤) منية المريد : ٩٣.

قبال الكوكب الذي يعيش فيه، والكوكب الأرضي يعدّ ذرّة في مجرّة التبانة، وهي ذرّة في المجرّات المليونية، وإنّها الذرّة في الفضاء الذي لا يتناهى، وإنّه الذرّة في علم الله السرمدي الأبدي، هذا حال جسد الإنسان في خلقته العناصريّة، وأمّا روحه فإنّها من العالم الملكوتي، من الله سبحانه:

﴿ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي ﴾[1].

وإنّها باقية، ولها سعة وجوديّة ينطوي فيها العالم الأكبر، فلا يقاس بها شيء، استخلفت الله في أسمائه وصفاته.

ولكن من العجب العجاب أنّ الإنسان يعتني بجسده غاية الاعتناء في مأكله ومشربه ولباسه وكلّ لوازم حياته المادّية، مع علمه بالموت وبفناء الجسد، فإنّه يأكل في اليوم مرّات ومرّات، ويتغذّى بألوان من الأطعمة والأشربة ليبقى حيّاً ولو لأيام معدودات، ويتلذّذ بالمأكولات والمشروبات، إلّا أنّه قد غفل عن روحه وإطعامها وغذائها وحياتها، وطعام الروح وحياتها إنّما هو بالعلوم والفنون، فكيف يتغذّى كلّ يوم لا أقلّ ثلاث مرّات صباحاً وظهراً ومساءً، ولا يتغذّى لروحه ولو لساعة في كلّ يوم بكسبها العلم؟! أليس العلم طعاماً كما ورد عن الإمام الباقر عليه السلام في قوله: ﴿ فَلْيَنْظُرِ الإِنسَانُ إِلَى طَعَامِهِ ﴾[2]؛ قال عليه السلام: «إلى علمه ممّن يأخذ».

قال أمير المؤمنين عليّ عليه السلام:

«العلم حياة».

---

(١) الحجر: ٢٩.

(٢) عبس: ٢٤.

وقال :

« العلم حياة الإسلام وعماد الدين والإيمان ».

وإنّه « محيي النفس ومنير العقل ومميت الجهل ».

« حياة القلوب ونور الأبصار من العمى وقوّة الأبدان من الضعف ».

و « ما مات من أحيى علماً، فإنّ الناس هلكى إلّا العلماء، اكتسبوا العلم يكسبكم الحياة ».

وبهذا أصبح طلب العلم من أهمّ الواجبات العقلية والدينية الشرعية، إذ به حياة الأرواح والقلوب.

قال رسول الله ﷺ :

« طلب العلم فريضة على كلّ مسلم ومسلمة ».

« به يطاع الربّ ويُعبد، وبه توصل الأرحام، ويعرف الحلال من الحرام... ».

« فتعلموا العلم فإنّ تعلّمه حسنة، وإنّه خيرٌ من المال، فإنّه العلم يحرسك وأنت تحرس المال، والمال تنقصه النفقة، والعلم يزكو على الإنفاق، وصنيع المال يزول بزواله ».

فهو « ميراث الأنبياء ».

و « لا يحصل عليه إلّا المؤمن ».

و « يقوّي الرجل على المرور على الصراط ».

« فأكثر الناس قيمة أكثرهم علماً، وأقلّ الناس قيمة أقلّهم علماً ».

« فالعلم والأدب ثمن نفسك فاجتهد في تعلّمهما، فما يزيد من علمك وأدبك يزيد في ثمنك وقدرك ».

« فإنّه بالعلم تهتدي إلى ربّك، وبالأدب تحسن خدمة ربّك، وبأدب الخدمة يستوجب العبد ولايته وقربه، فاقبل النصيحة كي تنجو عن العذاب ».

« فأقرب الناس من درجة النبوّة أهل العلم والجهاد ».

« فطالب العلم ركن الإسلام ويُعطى أجره مع النبيّين ».

« فالعلماء كأنبياء بني إسرائيل ».

فهم « مصابيح الأرض وخلفاء الأنبياء ».

« فتفقّه في الدين، فإنّ الفقهاء ورثة الأنبياء ».

و « إنّ مداد العلماء أفضل من دماء الشهداء ».

و « قد هلك خزّان الأموال وهم أحياء، والعلماء باقون ما بقي الدهر، أعيانهم مفقودة وأمثالهم في القلوب موجودة ».

« فالعالم حيّ وإن كان ميّتاً، والجاهل ميّت وإن كان حيّاً ».

و « العلم أفضل من العبادة ».

« من خرج يطلب باباً من علم ليردّ به باطلاً إلى حقّ، أو ضلالةً إلى هدى كان علمه ذلك كعبادة متعبّد أربعين عاماً ».

« فقليل العلم خيرٌ من كثير العبادة ».

و « كلمة من الحكمة والعلم يسمعها الرجل فيقول أو يعمل بها خير من عبادة سنة ».

و « تذاكر العلم ساعة خيرٌ من قيام ليلة ».

و « نوم مع علم خيرٌ من صلاة على جهل ».

و « قليل العمل مع كثير العلم، خيرٌ من كثير العمل مع قليل العلم والشكّ والشبهة ».

«فطلب العلم أفضل عند الله من الصلاة والصيام والحجّ والجهاد في سبيل الله تعالى».

ومن هذا المنطلق العظيم في فضل العلم والعلماء نجد التركيز البالغ من قبل الأئمة الأطهار عترة النبيّ المختار آل محمّد الأبرار عليهم‌السلام على طلب العلم وفضله، وإنّ الشيعي والمتابع لهم لا يكون ولا يغدو ولا يمسي إلّا عالماً ربّانياً أو متعلّماً على سبيل النجاة، ولا يكون من الناس ومن الغثاء الهالك، بل الإمام الصادق عليه‌السلام يقول:

«ليت السياط على رؤوس أصحابي حتّى يتفقّهوا في الدين».

قال الإمام الباقر عليه‌السلام لابنه الإمام الصادق عليه‌السلام:

«يا بنيّ، اعرف منازل الشيعة على قدر روايتهم ومعرفتهم، فإنّ المعرفة هي الدراية للرواية، وبالدرايات للروايات يعلو المؤمن إلى أقصى درجات الإيمان، إنّي نظرت في كتاب لعليّ عليه‌السلام فوجدت في الكتاب: أنّ قيمة كلّ امرئ وقدره معرفته».

قال الإمام الصادق عليه‌السلام:

«اعرفوا منازل شيعتنا بقدر ما يحسنون من رواياتهم عنّا، فإنّا لا نعدّ الفقيه منهم فقيهاً حتّى يكون محدّثاً، فقيل له: أوَ يكون المؤمن محدّثاً؟ قال: يكون مفهّماً والمفهّم محدّث».

لا يخفى أنّه في دراية هذه الرواية الشريفة قيل: المحدّث تارة يقرأ بالكسر، أي يكون من اسم الفاعل، ويعني به أنّه يحدّث الناس بأحاديث الله ورسوله وأهل بيته عليهم‌السلام، وأُخرى بالفتح أي اسم مفعول بمعنى أنّ الملائكة تحدّثه بالعلم الإلهامي، كما ورد في الدعاء: «وارزقني إلهام الملائكة المقرّبين»، أي

إلهام جبرئيل وميكائيل وأمثالهما من الملائكة المقرّبين، وهذا من العلم النوراني الذي يقذفه الله سبحانه في قلب من يشاء أن يهديه إلى الصراط المستقيم:

«ليس العلم بكثرة التعلّم، إنّما العلم نور يقذفه الله في قلب من يشاء أن يهديه».

فالمؤمن ملهم ومفهّم ومحدّث، يناجيه ربّه في سرّه، ويؤدّبه بأدبه، ويخلّقه بأخلاقه، ويعلّمه من علمه.

فضل العلم على العبادة:

وبمثل هذا ورد في الأحاديث الشريفة:

«عالم ينتفع بعلمه أفضل من سبعين ألف عابد».

و «فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر النجوم ليلة البدر».

و «إنّ فضله على العابد كفضل الشمس على الكواكب، وفضل العابد على غير العابد كفضل القمر على الكواكب».

و «إنّ الركعة من عالم بالله خيرٌ من ألف ركعة من متجاهل بالله».

«فعالم واحد أفضل من ألف عابد وألف زاهد».

و «ساعة من عالم يتّكئ على فراشه ينظر في علمه، خير من عبادة العابد سبعين عاماً».

وأمّا فلسفة تقديم العالم على العابد، فمنها:

قال رسول الله ﷺ:

«فضل العالم على العابد بسبعين درجة، بين كلّ درجتين حضر ـ أي عدو ـ الفرس سبعين عاماً، وذلك إنّ الشيطان يضع البدعة للناس فيبصرها العالم فينهى

عنها، والعابد مقبل على عبادته لا يتوجّه لها ولا يعرفها».

قال الإمام الرضا عليه السلام:

«يقال للعابد يوم القيامة: نِعمَ الرجل كفت همّتك ذات نفسك، وكفيت الناس مؤونتك فادخل الجنّة، ألا إنّ الفقيه من أفاض على الناس خيره، وأنقذهم من أعدائهم... يقال له: يا أيّها الكافل لأيتام آل محمّد، الهادي لضعفاء محبّيهم ومواليهم قف حتّى تشفع لكلّ من أخذ عنك أو تعلّم منك».

قال الإمام الصادق عليه السلام:

«إذا كان يوم القيامة بعث الله عزّ وجلّ العالم والعابد، فإذا وقفا بين يدي الله عزّ وجلّ قيل للعابد: انطلق إلى الجنّة، وقيل للعالم: قف تشفّع للناس بحسن تأديبك لهم».

قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«والذي نفس محمّدٍ بيده لَعالمٌ واحدٌ أشدّ على إبليس من ألف عابد، لأنّ العابد لنفسه والعالم لغيره».

فهلمّوا لطلب العلم:

و«اطلبوه ولو كان بالصين».

يدلّ على بعد المسافة حين صدور الرواية،

ولو علم الناس ما في العلم من البركات والنور «لطلبوه ولو بخوض اللجج وسفك المُهج»، فهو «السبب بين العبد وربّه».

وما أروع نصيحة لقمان لولده:

«بنيّ، اجعل في أيّامك ولياليك وساعاتك نصيباً لك في طلب العلم، فإنّك لن تجد لك تضييعاً مثل تركه».

« فالعلم أثمن من كلّ ثمين، وأنفس من كلّ نفيس، ولا ضياع كضياعه».

« فطلبه واجب في كلّ حال».

« ألا إنّ الله يحبّ بغاة العلم وطلّابه».

وهيهات أن يشبع الإنسان من طلب العلم، فإنّه يطلبه:

« من المهد إلى اللحد».

« منهومان لا يشبع طالبهما: طالب العلم وطالب الدنيا، إلّا أنّ طالب الدنيا يقتله طلبه، وطالب العلم يحيى في طلبه، فيزداد رضى الرحمن، أمّا طالب المال والدنيا فيتمادى في الطغيان».

﴿ لَيَطْغَى * أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى ﴾[1].

« فالشاخص في طلب العلم كالمجاهد في سبيل الله».

و « إذا جاءه الموت وهو على طلب العلم مات وهو شهيد».

و « ما من عبد يغدو في طلب العلم أو يروح إلّا خاض الرحمة الإلهيّة».

وإنّها قريبة من المحسنين.

« فطالب العلم له عزّة الدنيا وفوز الآخرة».

وذلك هو الفوز العظيم.

« فمن طلب العلم فهو كالصائم نهاره والقائم ليله، وإنّ باباً من العلم يتعلّمه الرجل خيرٌ له من أن يكون أبو قبيس ـ جبل كبير في مكّة المكرّمة ـ ذهباً فأنفقه في سبيل الله».

و « من طلب العلم تكفّل الله برزقه».

---

(١) العلق: ٦ ـ ٧.

و «من تفقّه في الدين كفاه الله همّه ورزقه من حيث لا يحتسب».

و «من جاء أجله وهو يطلب العلم ليحيي به الإسلام لم يفضله النبيّون إلّا بدرجة»، أي يكون دون النبيّين بدرجة واحدة.

فما أعظم منزلة طالب العلم.

«فإنّه تبسط له الملائكة أجنحتها رضىً بما يطلب، وتستغفر له، وبورك في معيشته، ولم ينقص من رزقه».

قال رسول الله ﷺ:

«من سلك طريقاً يطلب فيه علماً سلك الله به طريقاً من طرق الجنّة، ويفتح له باب إلى الجنّة، بل كانت الجنّة في طلبه، ويستغفر له كلّ شيء حتّى الحيتان في البحر»، فإنّ حياتهم ببقائه، وبقاؤه بتوفيقه وطاعته وطهارته وغفران ذنوبه وآثامه، فجميع دوابّ الأرض لتصلّي على طالب العلم حتّى الحيتان في البحر، و «من خرج من بيته يطلب علماً شيّعه سبعون ألف ملك يستغفرون له، وكانت الملاطكة معه يحفظونه».

فضل معلّم الخير:

عن عيسى بن مريم عليه السلام:

«من عَلِمَ وَعمِلَ وعَلَّم، عُدَّ في الملكوت الأعظم عظيماً».

فإنّ طالب العلم والعالم ربما يستضعفه الناس ويعدّ في الأرض من المستضعفين، إلّا أنّه في السماء يعدّ عظيماً، و «زكاة العلم وأفضل الصدقة تعليمه من لا يعلمه».

وما أروع ما يقوله الإمام الرضا عليه السلام:

« رحم الله عبداً أحيى أمرنا. فقال الهروي له: فكيف يُحيي أمركم؟ قال: يتعلّم علومنا ويعلّمها الناس، فإنّ الناس لو علموا محاسن كلامنا لاتّبعونا».

و «ما أخذ الله سبحانه على الجاهل أن يتعلّم حتّى أخذ على العالم أن يُعلّم».

قال رسول الله ﷺ:

«يجيء الرجل يوم القيامة وله من الحسنات كالسحاب الركام أو كالجبال الرواسي، فيقول: يا ربّ، أنّى لي هذا ولم أعملها؟ فيقول: هذا علمك الذي علّمته الناس يعمل به من بعدك. فمن علّم باب هدىً فله مثل أجر من عمل به، ولا ينقص أُولئك من أُجورهم شيئاً، وكلّ شيء ينقص على الإنفاق إلّا العلم».

قال الإمام الحسن عليه السلام:

«علّم الناس، وتعلّم علم غيرك، فتكون قد أتقنت علمك وعلمت ما لم تعلم».

قال رسول الله ﷺ:

«إنّ الله وملائكته حتّى النملة في جُحرها وحتّى الحوت في البحر يصلّون على معلّم الناس الخير. إنّ معلّم الخير يستغفر له دوابّ الأرض وحيتان البحر وكلّ ذي روح في الهواء وجميع أهل السماء والأرض، ولا يستخفّ بحقّ معلّم الخير إلّا المنافق».

قال رسول الله ﷺ:

«ألا أُخبركم عن الأجود والأجود؟ الله الأجود الأجود، وأنا أجود ولد آدم، وأجودكم بعدي رجل علّم علماً فنشر علمه، يبعث يوم القيامة أُمّةً وحده».

فيكون مثل خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام، فإنّه كان أُمّة.

شرائط تعلّم العلم :

فلا بدّ لطالب العلم من الصبر على طلبه وتحمّل الأذى والمتاعب من أجله، فلا يضجر ولا يكسل.

قال رسول الله ﷺ :

«من لم يصبر على ذلّ التعلّم ساعة بقي في ذلّ الجهل أبداً. وما من متعلّم يختلف إلى باب العالم إلّا كتب الله له بكلّ قدم عبادة سنة. ومن صفات المتّقين : إنّك ترى لهم قوّة في دين وحزماً في لين وإيماناً في يقين وحرصاً في علم، وعلماً في حلم. ولا بدّ لطالب العلم من النيّة الصادقة والإخلاص في طلب العلم».

قال الإمام الصادق عليه السلام :

«من تعلّم لله وعمل لله وعلّم لله دُعي في ملكوت السماوات عظمياً، فقيل : تعلّم لله وعمل لله وعلّم لله».

وقال رسول الله ﷺ :

«العالم إذا أراد بعلمه وجه الله تعالى هابه كلّ شيء، وإذا أراد أن يكنز به الكنوز هاب من كلّ شيء».

قال أمير المؤمنين عليّ عليه السلام :

«لو أنّ حملة العلم حملوه بحقّه لأحبّهم الله وملائكته وأهل طاعته من خلقه، ولكنّهم حملوه لطلب الدنيا فمقتهم الله وهانوا على الناس».

قال رسول الله ﷺ :

«علماء هذه الأمّة رجلان : رجل آتاه الله علماً فطلب به وجه الله والدار الآخرة وبذله للناس ولم يأخذ عليه طمعاً، وعلم يشترِ به ثمناً قليلاً، وذلك يستغفر

له من في البحور، ودوابّ البرّ والبحر والطير في جوّ السماء، ويُقدم على الله سيّداً شريفاً، ورجلٌ آتاه الله علماً فبخل به على عباد الله، وأخذ عليه طمعاً، واشترى به ثمناً قليلاً، فذلك يلجم يوم القيامة بلجامٍ من نار».

علائم طلّاب العلم وأصنافهم:

فطالب العلم إنّما يتقرّب بعلمه إلى الله ويكون مهاباً وعزيزاً عند الناس فيما لو طلب وتعلّم لله سبحانه، ولكلّ شيء علامة وخصيصة، فمن علائم طلب العلم لله عزّ وجلّ وخصائص المتعلّم لله:

عن رسول الله ﷺ، قال:

«من طلب العلم لله لم يصب منه باباً إلّا ازداد به في نفسه ذلاً، وفي الناس تواضعاً، ولله خوفاً، وفي الدين اجتهاداً، وذلك الذي ينتفع بالعلم فليتعلّمه، ومن طلب العلم للدنيا والمنزلة عند الناس والحظوة عند السلطان ـ أي يتقرّب به إلى الدولة والحكومة ـ لم يصب منه باباً إلّا ازداد في نفسه عظمةً وعلى الناس استطاعةً وبالله اغتراراً، ومن الدين جفاءً، فذلك الذي لا ينتفع بالعم فليكفّ وليمسك عن الحجّة على نفسه، والندامة والخزي يوم القيامة».

«فمن أخذ العلم من أهله وعمل به نجا، ومن أراد به الدنيا فهو حظّه».

و «من ابتغى العلم ليخدع به الناس لم يجد ريح الجنّة».

و «من تعلّم العلم رياءً وسمعة يريد به الدنيا نزع الله بركته، وضيّق عليه معيشته، ووكله الله إلى نفسه، ومن وكله الله إليه نفسه فقد هلك».

«فمن تعلّم العلم لغير الله تعالى فليتبوّأ مقعده من نار».

و «من طلب العلم لغير العمل فهو كالمستهزئ بربّه عزّ وجلّ».

«أوحى الله إلى بعض أنبيائه: قل للذين يتفقّهون لغير الدين، ويتعلّمون لغير العمل، ويطلبون الدنيا لغير الآخرة، يلبسون للناس مسوك الكبائش وقلوبهم كقلوب الذئاب، ألسنتهم أحلى من العسل وأعمالهم أمرّ من الصبر: إيّاي يخادعون؟! ولأُتيحنّ لكم فتنة تذر الحكيم حيراناً».

فإنّه سبحانه يبتليه ببلاء صعب يتحيّر منه أُولي الألباب.

قال أمير المؤمنين عليّ عليه السلام:

«خذوا من العلم ما بدا لكم، وإيّاكم أن تطلبوه لخصالٍ أربع: لتباهوا به العلماء، أو تماروا به السفهاء، أو تراؤوا به في المجالس، أو تصرفوا وجوه الناس إليكم للترؤّس».

فمن الناس من يطلب العلم بأمل الرئاسة على الناس، فلا بدّ أن يهذّب نفسه من اليوم الأوّل بأن يطلب العلم لله وللعمل لا رياءً وسمعةً وحبّاً للرئاسة.

«ومن طلب العلم لأربع دخل النار: ليباهي به العلماء، أو يماري به السفهاء، أو ليصرف به وجوه الناس إليه، أو يأخذ به من الأُمراء».

أ يّها الأحبّة والأعزّاء، يا إخوان الصفا وأخلّاء الوفا، إنّ طلبة العلم أصناف، فلينظر طالب العلم إلى نفسه وطلبه للعلم حتّى يعرف أنّه من أيّ صنفٍ هو؟

قال أمير المؤمنين عليّ عليه السلام:

«طلبة العلم على ثلاثة أصناف، ألا فاعرفهم بصفاتهم وأعيانهم: صنف منهم يتعلّمون للمراء والجدل (الجهل)، تراه مؤذياً ممارياً للرجال في أندية المقال، قد تسربل بالتخشّع، وتخلّى من الورع، فدقّ الله من هذا خيزومه وقطع منه خيشومه، وأمّا صاحب الاستطالة والختل فإنّه يستطيل على أشباهه من أشكاله ويتواضع للأغنياء من دونهم، فهو لحلوائهم هاضم ولدينه حاطم، فأعمى

الله من هذا بصره، وقطع من آثار العلماء أثره، وأمّا صاحب الفقه والعمل تراه ذا كآبةٍ وحزن، قد قام الليل في حندسه وقد انحنى في بُرنسه، يعمل ويخشى، خائفاً وجلاً من كلّ أحد إلّا من كلّ ثقة من إخوانه، فشدّ الله من هذا أركانه وأعطاه يوم القيامة أمانه».

قال رسول الله ﷺ:

«العلماء ثلاثة: رجل عاش به الناس وعاش بعلمه، ورجل عاش به الناس وأهلك نفسه ـ إذ لم يعمل بعلمه ـ ورجل عاش بعلمه ولم يعش به أحد غيره ـ فلم يعلّم الناس من علمه ـ».

اختيار المعلّم الصالح:

ثمّ لا بدّ في طلب العلم من اختيار المعلّم الصالح والأُستاذ النافع، فإذا رأيتم العالم مقبلاً على دنياه يدخل في زمرة السلاطين وعلى موائد الأغنياء فاتّهموه في دينه، فلا يؤخذ منه الفقه والدين، وقد ورد عن الإمام الباقر عليه السلام في قوله تعالى: ﴿ فَلْيَنْظُرِ الإنسَانُ إلَى طَعَامِهِ ﴾[1]، قال: «فلينظر إلى علمه الذي يأخذه ممّن يأخذه».

«فلا تتعلّم العلم ممّن لم ينتفع به، فإنّ من لم ينفعه علمه لا ينفعك».

«فلا علم إلّا من عالم ربّاني، ومعرفة العلم بالعقل».

فمن آثاره وصُنعه وأعماله تعرف علمه وعمله.

«وعجباً لمن يتفكّر في مأكوله كيف لا يتفكّر في معقوله، فيجنّب بطنه ما

---

(١) عبس: ٢٤.

يؤذيه، ويودع صدره ما يزكّيه».

«فتعلّم علم من يعلم، وعلّم علمك من يجهل».

حقوق العلم وحدوده :

ولا يخفى أنّ للعلم حدوداً وحقوقاً، لا بدّ من مراعاتها حتّى يتمّ المطلوب ونصل إلى المراد والمقصود، فإنّه لمّا سئل رسول الله عن العلم ؟ قال : الإنصات، قال : ثمّ مه ؟ قال : الاستماع له، قال : ثمّ مه ؟ قال : الحفظ له، قال : ثمّ مه ؟ قال : العمل به، قال : ثمّ مه ؟ قال : ثمّ نشره.

وقال أمير المؤمنين عليه‌السلام : تواضعوا لمن تتعلّمون منه العلم ولمن تعلّمونه، ولا تكونوا من جبابرة العلماء فلا يقوم جهلكم بعلمكم.

وقال الإمام الصادق عليه‌السلام : تواضعوا لمن تعلّمونه العلم، وتواضعوا لمن طلبتم منه العلم، ولا تكونوا علماء جبّارين فيذهب باطلكم بحقّكم.

وقال عليه‌السلام في قوله تعالى : ﴿ وَلا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ ﴾[1] : «ليكن الناس عندك في العلم سواء».

فالتواضع من الأُصول الأساسية في طلب العلم عالماً أو متعلّماً.

وعن الإمام زين العابدين عليه‌السلام في رسالة الحقوق المرويّة عنه في حقوق المتعلّم على المعلّم قال :

«أمّا حقّ رعيّتك بالعلم : فأن تعلم أنّ الله عزّ وجلّ إنّما جعلك قيّماً لهم فيما آتاك من العلم، وفتح لك من خزائنه، فإذا أحسنت في تعليم الناس ولم تخرق بهم

---

(١) لقمان : ١٨.

ولم تضجر عليهم زادك الله من فضله، وإن أنت منعت الناس علمك أو خرقت بهم عند طلبهم العلم كان حقّاً على الله عزّ وجلّ أن يسلبك العلم وبهاءه ويسقط من القلوب محلّك».

وأمّا في حقوق المعلّم على المتعلّم، فقال:

«حقّ سائسك بالعلم: التعظيم له، والتوقير لمجلسه، وحسن الاستماع إليه، والإقبال عليه، وأن لا ترفع عليه صوتك، وأن لا تجيب أحداً يسأله عن شيء حتّى يكون هو يجيب، ولا تحدّث في مجلسه أحداً، ولا تغتاب عنده أحداً، وأن تدفع عنه إذا ذكر عندك بسوء، وأن تستر عيوبه به، وتظهر مناقبه، ولا تجالس له عدوّاً، ولا تعادي له وليّاً، فإذا فعلت ذاك شهد لك ملائكة الله بأنّك قصدته وتعلّمت علمه لله جلّ اسمه لا للناس».

قال الإمام الباقر عليه السلام:

«إذا جلست إلى عالم فكن على أنّ تسمع أحرص منك على أن تقول، وتعلّم حسن الاستماع كما تتعلّم حسن القول، ولا تقطع على أحد حديثه».

قال أمير المؤمنين عليّ عليه السلام:

«من حقّ العالم عليك أن تسلّم على القوم عامّة وتخصّه دونهم بالتحيّة، وأن تجلس أمامه، ولا تشيرنّ عنده بيدك، ولا تغمزن بعينيك، ولا تقولن (قال فلان) خلافاً لقوله، ولا تغتابنّ عنده أحداً، ولا تسارّ في مجلسه، ولا تأخذ بثوبه، ولا تلحّ عليه إذا أملّ، ولا تعرض من طول صحبته، فإنّما هو بمنزلة النخلة تنتظر متى يسقط عليك منها شيء، فإنّ المؤمن العالم لأعظم أجراً من الصائم القائم الغازي في سبيل الله، فإذا مات العالم انثلمت في الإسلام ثلمة لا يسدّها شيء إلى يوم القيامة».

و «ليس من أخلاق المؤمن التملّق ولا الحسد إلّا في طلب العلم».

و «إذا رأيت عالماً فكن له خادماً».

«فمن وقّر عالماً فقد وقّر ربّه».

و «من استقبل العلماء فقد استقبل رسول الله، ومن زارهم فقد زاره، ومن جالسهم فقد جالسه، ومن جالس رسول الله فكأنّه جالس الله سبحانه».

قال رسول الله ﷺ:

«من علّم شخصاً مسألةً فقد ملك رقبته، فقيل له: يا رسول الله، أيبيعه؟ فقال: لا ولكن يأمره وينهاه».

وهذا من قولهم: (من علّمني حرفاً فقد صيّرني عبداً).

فينبغي:

«عل المتعلّم أن يدأب نفسه في طلب العلم، ولا يملّ من تعلّمه ولا يستكثر ما علم».

«ولا يحرز العلم إلّا من يطيل درسه».

و «من أكثر الفكر فيما تعلّم أتقن علمه، وفهم ما لم يكن يفهم».

«فلا فقه لمن لا يديم الدرس».

«فاطلب العلم تزدد علماً».

و «تفرّغ للعلم إن كنت تريده، فإنّ العلم لمن تفرّغ».

«فلا تسأم من طلب العلم طول عمرك».

وإليكم هذا الحديث الجامع في طلب العلم:

العلّامة المجلسي بسنده عن عنوان البصري ـ وكان شيخاً كبيراً قد أتى عليه أربع وتسعون سنة ـ قال: كنت أختلف إلى مالك بن أنس سنين، فلمّا قدم جعفر

الصادق المدينة اختلفت إليه، وأحببت أن آخذ عنه كما أخذت عن مالك، فقال لي يوماً: إنّي رجل مطلوب ومع ذلك لي أوراد في كلّ ساعة من آناء الليل والنهار، فلا تشغلني عن وردي، وخذ عن مالك واختلف إليه كما كنت تختلف إليه، فاغتممت من ذلك وخرجت من عنده وقلت في نفسي: لو تفرّس فيّ خيراً لما زجرني عن الاختلاف إليه والأخذ عنه، فدخلت مسجد رسول الله ﷺ وسلّمت عليه ثمّ رجعت من الغد إلى الروضة وصلّيت فيها ركعتين وقلت: أسألك الله يا الله أن تعطف عليّ قلب جعفر وترزقني من علمه ما أهتدي به إلى صراطك المستقيم، ورجعت إلى داري مغتمّاً ولم أختلف إلى مالك بن أنس لما أُشرب قلبي من حبّ جعفر، فما خرجت من داري إلّا إلى الصلاة المكتوبة حتّى عيل صبري، فلمّا ضاق صدري تنعّلت وتردّيت وقصدت جعفراً وكان بعدما صلّيت العصر، فلمّا حضرت باب داره واستأذنت عليه فخرج خادم له فقال: ما حاجتك؟ فقلت: السلام على الشريف، فقال: هو قائم في مصلّاه، فجلست بحذاء بابه، فما لبثت إلّا يسيراً إذ خرج خادم فقال: ادخل على بركة الله، فدخلت وسلّمت عليه، فردّ السلام وقال: إجلس غفر الله لك، فجلست، فأطرق مليّاً ثمّ رفع رأسه، وقال: أبو من؟ قلت: أبو عبد الله. قال: ثبّت الله كنيتك ووفّقك يا أبا عبد الله، ما مسألتك؟ فقلت في نفسي: لو لم يكن لي من زيارته والتسليم غير هذا الدعاء لكان كثيراً، ثمّ رفع رأسه ثمّ قال: ما مسألتك؟ فقلت: سألت الله أن يعطف قلبك عليّ ويرزقني من علمك وأرجو أنّ الله تعالى أجابني في الشريف ما سألته، فقال: يا أبا عبد الله ليس العلم بالتعلّم، إنّما هو نور يقع في قلب من يريد الله تعالى أن يهديه، فإن أردت العلم فاطلب أوّلاً في نفسك حقيقة العبوديّة، واطلب العلم باستعماله، واستفهم الله يفهمك، فقلت: يا شريف، فقال: قل يا أبا عبد الله، قلت:

يا أبا عبد الله، ما حقيقة العبوديّة ؟ قال : ثلاثة أشياء : أن لا يرى العبد لنفسه فيما خوّله الله ملكاً، لأنّ العبيد لا يكون لهم ملك، يرون المال مال الله يضعونه حيث أمرهم الله به، ولا يدبّر العبد لنفسه تدبيراً، وجملة اشتغاله فيما أمره تعالى ونهاه عنه، فإذا لم يرَ العبد لنفسه فيما خوّله الله تعالى ملكاً هان عليه الإنفاق فيما أمره الله تعالى أن ينفق فيه، وإذا فوّض العبد تدبير نفسه على مدبّره هان عليه مصائب الدنيا، وإذا اشتغل العبد بما أمره الله تعالى ونهاه لا يتفرّغ منهما إلى المراء والمباهاة مع الناس، فإذا أكرم الله العبد بهذه الثلاثة هان عليه الدنيا وإبليس والخلق، ولا يطلب الدنيا تكاثراً وتفاخراً، ولا يطلب ما عند الناس عزّاً وعلوّاً، ولا يدع أيامه باطلاً، فهذا أوّل درجة التقى، قال الله تبارك وتعالى : ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي الأَرْضِ وَلا فَسَاداً وَالعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾[١]، قلت : يا أبا عبد الله أوصني، قال : أُوصيك بتسعة أشياء فإنّها وصيّتي لمريدي الطريق إلى الله تعالى، والله أسأل أن يوفّقك لاستعماله، ثلاثة منها في رياضة النفس، وثلاثة منها في الحلم، وثلاثة منها في العلم، فاحفظها وإيّاك والتهاون بها. قال عنوان : ففرّغت قلبي له.

فقال :

أمّا اللواتي في الرياضة :

ـ فإيّاك أن تأكل ما لا تشتهيه، فإنّه يورث الحماقة والبله.

ـ ولا تأكل إلّا عند الجوع.

ـ وإذا أكلت فكل حلالاً وسمّ الله واذكر حديث الرسول ﷺ : ما ملأ آدمي

---

(١) القصص : ٨٣.

وعاءً شرّاً من بطنه، فإذا كان ولا بدّ فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه.

وأمّا اللواتي في الحلم:

ـ فمن قال لك: إن قلت واحدةً سمعت عشراً، فقل: إن قلت عشراً لم تسمع واحدة.

ـ ومن شتمك فقل له: إن كنت صادقاً فيما تقول فأسأل الله أن يغفر لي، وإن كنت كاذباً فيما تقول فالله أسأل أن يغفر لك.

ـ ومن وعدك بالخنى ـ الفحش في الكلام ـ فعده بالنصيحة والدعاء.

وأمّا اللواتي في العلم:

ـ فاسأل العلماء ما جهلت، وإيّاك أن تسألهم تعنّتاً وتجربة.

ـ وإيّاك أن تعمل برأيك شيئاً، وخذ بالاحتياط في جميع ما تجد إليه سبيلاً.

ـ واهرب من الفتيا هربك من الأسد، ولا تجعل رقبتك للناس جسراً.

قم عنّي يا أبا عبد الله فقد نصحت لك ولا تفسد عليّ وردي، فإنّي امرؤٌ ضنين بنفسي، والسلام على من اتّبع الهدى[1].

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

---

(١) البحار ١ : ٢٢٤.

بسم الله الرحمن الرحيم

فضيلة العلم والعلماء

القسم الثاني

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على أشرف خلقه محمّد وآله.

لا يخفى على ذوي النهى أنّ الإسلام بمصدره الغني في علومه ومعارفه ـ القرآن الكريم والسنّة الشريفة ـ ليحثّ معتنقيه حثيثاً بالغاً على طلب العلم النافع والعمل الصالح ويامر بذلك، وإنّ الإنسان لفي خسر إلّا الذين آمنوا وعملوا الصالحات.

وأساس الإيمان العلم، وإنّه النور الذي يسعى بين يدي المؤمن في حياته الدنيوية والأُخرويّة، وما أكثر النصوص الدينية من الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة الصادرة عن النبيّ المصطفى محمّد ﷺ وعن أهل بيته وعترته الأطهار الأئمة الأبرار عليهم السلام التي تذكر فضائل العلم والعلماء، وإنّ السعادة الأبدية تتبلور في حمل العلم الإلهي المقارن بالنوايا الصادقة والأعمال الصالحة.

وقد ذكرنا جملة منها في القسم الأوّل وكان المحور الأساس هو فضيلة العلم وبركاته وآثاره في الدنيا والآخرة، وشمّة من آدابه ولوازمه.

والمقصود من هذا القسم بيان جوانب أُخرى من مكارمه ومعالمه، ليزداد طالب العلم بصيرةً وشوقاً وعشقاً وهمّةً عالية وصبراً وحلماً في طلبه وتحمّله،

فإنّ العلم إذا أعطيته كلّك أعطاك بعضه. ومن طلب العُلى سهر الليالي، لا سيّما في أيام الشباب، فإنّ من أتعب نفسه في شبابه استراح في شيبته، وتعرف أواخر الأشياء بأوائلها، فمن كان في بدايته مستقيماً وخالصاً يتعلّم لله ويعمل لله ويعلّم لله، سيكون على خير في عاقبة الأُمور، فما كان لله ينمو، وما عند الله فهو الباق.

«فاغتنم خمساً قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وحياتك قبل مماتك، وصحّتك قبل مرضك، وفراغك قبل شغلك...».

شموخ مقام العلماء:

هذا وقد بيّن القرآن الكريم والرسول الأعظم والأئمة الأطهار عليهم السلام عظمة العلم وشموخ مقام العلماء.

قال الإمام الصادق عليه السلام:

«علماء شيعتنا مرابطون بالثغر الذي يلي إبليس وعفاريته، يمنعونهم عن الخروج على ضعفاء شيعتنا، وعن أن يتسلّط عليهم إبليس وشيعته».

«فالعلماء أُمناء والأتقياء حصون والأوصياء سادة».

«العلماء قادة».

و «الملوك حكّام على الناس والعلماء حكّام على الملوك».

«العلماء حكّام على الناس».

يقول الإمام الهادي عليه السلام:

«لولا من يبقى بعد غيبة قائمنا عليه السلام من العلماء الداعين إليه، والدالّين عليه، والذّابّين عن دينه بحجج الله، والمنقذين لضعفاء عباد الله من شباك إبليس ومردته، ومن فخاخ النواصب، لما بقي أحد إلّا ارتدّ عن دين الله».

«فالعلماء أطهر الناس أخلاقاً، وأقلّهم في المطامع أعراقاً».

«فهم أُمناء الله على خلقه».

«العلم وديعة الله في أرضه، والعلماء أُمناؤه عليه، فمن عمل بعلمه أدّى أمانته، ومن لم يعمل بعلمه كتب في ديوان الخائنين».

«فالعلماء أُمناء الرسل ما لم يخالطوا السلطان».

قال رسول الله ﷺ:

«فضل العالم على غيره كفضل النبيّ على أُمّته».

وَ «العالم يعرف الجاهل لأنّه كان قبلُ جاهلاً، والجاهل لا يعرف العالم لأنّه لم يكن قبلُ عالماً».

و «إنّه ينظر بقلبه وخاطره، والجاهل ينظر بعينه وناظره».

قال أمير المؤمنين عليّ عليه السلام:

«إنّما العالم من دعاه علمه إلى الورع والتقى، والزهد في عالم الفناء، والتولّه بجنّة المأوى».

«فلا يكون العالم عالماً حتّى لا يحسد من فوقه، ولا يحتقر من دونه، ولا يأخذ على علمه شيئاً من حُطام الدنيا».

و «لا يعظ إلّا من يقبل عظته، ولا ينصح معجباً برأيه، ولا يخبر بما يخاف إذاعته».

«ألا أُنبّئكم بالعالم كلّ العالم؟ من لم يزيّن لعباد الله معاصي الله، ولم يؤمّنهم مكر الله، ولم يؤيّسهم من رَوحه».

و «للعالم ثلاث علامات: العلم والحلم والصمت».

و «العالم من عرف قدره، وكفى بالمرء جهلاً ألّا يعرف قدره».

«فالعالم الذي لا يملّ من تعلّم العلم».

و «من قال: أنا عالم، فهو جاهل».

«فلا تجعلوا علمكم جهلاً، ويقينكم شكّاً، إذا علمتم فاعملوا، وإذا تيقّنتم فأقدموا».

«فإنّ ثمرة العلم العمل به، وإخلاص العمل والعبادة».

ثمرات العلم:

ومن ثمراته:

«التقوى واجتناب الهوى واتّباع الحقّ ومجانبة الذنوب ومودّة الإخوان والاستماع من العلماء والقبول منهم، ترك الانتقام عند القدرة، واستقباح مقاربة الباطل، واستحسان متابعة الحقّ، وقول الصدق والتجافي عن سرور في غفلة، وعن فعل ما يعقّب ندامة، والعلم يزيد العاقل عقلاً، ويورث متعلّمه صفات حمد، فيجعل الحليم أميراً، وذا المشورة وزيراً، ويقمع الحرص ويخلع المكر، ويميت البخل، ويجعل مطلق الفحش مأسوراً ـ أي كلّ مصاديق الأعمال والأقوال الفاحشة يجعلها أسيرةً لعقله وعلمه ـ ويعيد السدّاد قريباً».

فالعلم النافع المقرون بالعمل يورث الخشية والخوف من الله سبحانه:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ سُجَّداً * وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولاً * وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعاً ﴾[1].

---

(١) الإسراء: ١٠٧ ـ ١٠٩.

«فالخشية ميراث العلم، والعلم شعاع المعرفة وقلب الإيمان، ومن حُرم الخشية لا يكون عالماً وإن شقّ الشعر بمتشابهات العلم».

قال الله تعالى:

﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ العُلَمَاءُ ﴾[1].

«ويعني بالعلماء من صدّق فعله قوله، ومن لم يصدّق فعله قوله فليس بعالم».

«فأعلم الناس بالله أخوفهم لله، وأخوفهم له أعلمهم به، وأعلمهم به أزهدهم في الدنيا».

فمن ثمرة العلم وعلائمه الزهد في هذه الدنيا بأن لا تملكه الدنيا ولا يفرح بما هو آت ولا يحزن على ما فات ويغتنم الساعة التي هو فيها، كما ورد جمع الزهد كلّه في قوله تعالى:

﴿ لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ﴾[2].

و «من أُوتي من العلم ما لا يبكيه لحقيقٌ أن يكون قد أُوتي علماً لا ينفعه، لأنّ الله نعت العلماء فقال عزّ وجلّ ﴿ إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ سُجَّداً * وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولاً * وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعاً ﴾[3]».

«فمن خشي الله كمل علمه».

---

(١) فاطر: ٢٨.

(٢) الحديد: ٢٣.

(٣) الإسراء: ١٠٧ ـ ١٠٩.

«أعلمكم أخوفكم».

قال رسول الله ﷺ:

«لو تعلمون ما أعلم لبكيتم كثيراً ولضحكتم قليلاً ولخرجتم إلى الصُّعُدات تجأرون إلى الله لا تدرون تنجون أو لا تنجون».

أجل: للعلم النافع علامات وشعب وأشعّة نورانية تضيء العالم وتضفي عليه وعلى حامله جمالاً، ويحضى بالبركات والخيرات الفردية والاجتماعية.

قال رسول الله ﷺ:

«أمّا العلم فيتشعّب منه الغنى وإن كان فقيراً، والجود وإن كان بخيلاً، والمهابة وإن كان هيّناً، والسلامة وإن كان سقيماً، والقرب وإن كان قصيّاً، والحياء وإن كان صلفاً، والرفعة وإن كان وضيعاً، والشرف وإن كان رَذلاً، والحكمة والحظوة، فهذا ما يتشعّب للعاقل بعلمه».

العلم مقرون بالعمل:

نعم، إنّ مقام العلم لمقام عظيم وشامخ في الدنيا والآخرة، إلّا أنّه بشرطها وشروطها، وأوّل شرط هو العمل بالعلم، فإنّ:

«العامل على غير بصيرة كالسائر على غير الطريق، ولا يزيده سرعة السير من الطريق إلّا بعداً».

و «من عمل على غير علم كان ما يفسد أكثر ممّا يصلح».

و «المتعبّد بغير فقه كالحمار في الطاحون يدور ولا يبرح».

و «مثل العابد الذي لا يتفقّه كمثل الذي يبني بالليل ويهدم بالنهار».

بل قال أمير المؤمنين عليه السلام:

«قصم ظهري اثنان عالم متهتّك لا يعمل بعلمه وجاهل متنسّك يعبد من غير علم».

«فالعلم مقرون إلى العمل، فمن علم عمل، ومن عمل علم، والعلم يـهتف بالعمل فإن أجابه وإلّا ارتحل».

«فيا حملة القرآن اعملوا به، فإنّ العالم من علم ثمّ عمل بما علم ووافـق عمله علمه».

«فليس بنافعك أن تعلم ما لم تعمل، إنّ كثرة العلم لا يزيدك إلّا جهلاً إذا لم تعمل به».

«فما علم من لم يعمل بعلمه».

و «ما زكا العلم بمثل العمل به».

«فالعلم رشد لمن عمل به».

«وما أكثر من يعلم العلم ولا يتّبعه».

«فالعلم الذي لا يصلحك ضلال، كما أنّ المال الذي لا ينفعك وبال».

و «من لم يتعاهد علمه في الخلأ ـ أي لا يراعي علمه في الخلوات ـ فضحه في الملأ، فإنّه يفتضح بعلمه ويكون عليه نقمة ولا خير في علم لا ينفع».

كان الرسول الأعظم يتعوّذ بالله من علم لا ينفع، وهو العـلم الذي يـضادّ العمل بالإخلاص:

«فالعلم الذي لا يعمل به كالكنز الذي لا ينفق منه، أتعب صاحبه نفسه في جمعه، ولم يصل إلى نفعه».

و «ربّ عالمٍ قد قتله جهله وعلمه معه لا ينفعه».

«فعلم لا ينفع كدواء لا ينجع».

ويصف أمير المؤمنين عليّ عليه السلام زمانه بقوله :

« أيّها الناس إنّا قد أصبحنا في دهر عنود وزمن كنود (شديد) يُعدّ فيه المحسن مسيئاً ، ويزداد الظالم فيه عتوّاً ، لا ننتفع بما علمنا ، ولا نسأل عمّا جهلنا » .

سيّدي ومولاي ، إذا كان زمانك هكذا فكيف بعصرنا الراهن .

و « الدنيا كلّها جهل إلّا مواضع العلم والعلم كلّه حجّة إلّا ما عمل به » .

« قال رجل : يا رسول الله ، ما ينفي عنه حجّة الجهل ؟ قال : العلم ، قال : فما ينفي عنّي حجّة العلم ؟ ـ أي كيف أتخلّص من حجّة العلم فإنّ الله يحتجّ عليّ بعلمي ـ فقال : العمل » .

و « إنّ العالم العامل بغير علمه كالجاهل الحائر الذي لا يستفيق من جهله ، بل الحجّة عليه أعظم ، والحسرة له ألزم ، وهو عند الله ألوم » .

و « كلّ علمٍ وبال على صاحبه يوم القيامة إلّا من عمل به » .

« فالعلم بلا عمل ضلال » .

والعالم غير العامل فتنة للناس .

قال أمير المؤمنين عليّ عليه السلام :

« إيّاكم والجهّال من المتعبّدين ، والفجّار من العلماء ، فإنّهم فتنة كلّ مفتون ، قطع ظهري رجلان من الدنيا : رجل عليم اللسان فاسق ، ورجل جاهل القلب ناسك ، هذا يصدّ بلسانه عن فسقه ، وهذا بنسكه عن جهله ، فاتّقوا الفاسق من العلماء ، والجاهل من المتعبّدين ، أُولئك فتنة كلّ مفتون ، فإنّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : يا عليّ ، هلاك أُمّتي على يدي كلّ منافق عليم اللسان » .

« فالجاهل يغشّ الناس بتنسّكه ، والعالم ينفّرهم بتهتّكه » .

«فتناصحوا في العلم ـ أي ينصح بعضكم بعضاً ـ فإنّ خيانة أحدكم في علمه أشدّ من خيانته في ماله، وإنّ الله سائلكم يوم القيامة».

تأديب النفس بالعلم :

وينبغي للعالم في مقام الوعظ والإرشاد والنصيحة والتعليم أن يبدأ بنفسه أوّلاً، فإنّ الكلام إذا خرج من القلب دخل في القلب، وإذا خرج من اللسان، فإنّه لم يتجاوز الآذان.

قال أمير المؤمنين عليّ عليه السلام :

«من نصب نفسه للناس إماماً فعليه أن يبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره، وليكن تأديبه بسيرته قبل تأديبه بلسانه، ومعلّم نفسه ومؤدّبها أحقّ بالإجلال من معلّم الناس ومؤدّبهم».

و «على العالم أن يعمل بما علم، ثمّ يطلب تعلّم ما لم يعلم».

و «إنّكم إلى العمل بما علمتم أحوج منكم إلى تعلّم ما لم تكونوا تعلمون».

و «على العالم إذا علّم أن لا يعنف ـ أي يستعمل العنف مع المتعلّمين من الناس أو التلامذة ـ وإذا عُلّم أن لا يأنف ـ ممّن ذكّره بشيء لا يستنكف من ذلك ـ».

قال رسول الله صلى الله عليه وآله :

«ينبغي للعالم أن يكون قليل الضحك، كثير البكاء، لا يمازح ولا يصاخب ولا يماري ولا يجادل، إن تكلّم تكلّم بحقّ، وإن صمت صمت عن الباطل، وإن دخل دخل برفق، وإن خرج خرج بحلم».

«فاعقلوا الخبر إذا سمعتموه عقل رعاية، لا عقل رواية، فإنّ رواة العلم

كثير ورعاته قليل».

و «تعلّموا ما شئتم أن تعلّموا، فلن ينفعكم الله بالعلم حتّى تعملوا به، لأنّ العلماء همّتهم الرعاية والسفهاء همّتهم الرواية».

«فكونوا للعلم وعاةً ولا تكونوا رواةً».

«فإنّ همّة العلماء الوعاية، وهمّة السفهاء الرواية».

و «علم المنافق في لسانه، وعلم المؤمن في عمله».

«فتعلّم ما تعلّم لتعمل به، ولا تعلّمه لتحدّث به، فيكون عليك بوره، ويكون على غيرك نوره».

و «إنّ أشدّ الناس حسرةً يوم القيامة الذين وصفوا العدل ثمّ خالفوه، وهو قول الله تعالى: ﴿ أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللهِ ﴾[1]».

وهل هذا إلّا من الجهل، ولا بدّ من طرده ورفعه بكلّ ما اُوتي الإنسان من قوّة ومثابرة.

منابع العلم:

وإذا كان العلم خزائن وكنوز فإنّ مفتاحه السؤال، وإنّما نسأل من أهل الذكر أي من العلماء الصالحين ومن ساداتهم محمّد وآل محمّد، فإنّ العلم الصافي والآيات البيّنات في صدور الذين اُوتوا العلم، ولا يوجد هذا العلم إلّا من منابعه النورانية ومناهله العذبة، فشرّق أو غرّب لا تجد ما يشفي الغليل ويروي الظمآن، إلّا في القرآن وسنّة النبيّ وعترته الأطهار عليهم السلام.

---

(١) الزمر: ٥٦.

ولا شيء أفضل ـ بعد المعرفة ـ من الصلاة، وهذا يعني تقدّم العلم والمعرفة على الصلاة التي هي عمود الدين وإنّها أفضل الأعمال، ركعتان يصلّيهما العالم خيرٌ من قيام الجاهل طيلة ليله بالعبادة، وذلك فإنّ الجاهل ربما يتزلزل في عقائده وعبادته بورود شبهة عليه أو وسواس من الشيطان، أو أوهام وانحرافات يترك بها العبادة، ولكنّ العالم على علم ويقين في عبادته، وأنّه كالجبل الراسخ لا تحرّكه العواصف من التيّارات الفكرية المنحرفة والشبهات العارمة، فبالعلم يُعبد الله ويوحَّد، فإنّ الخوارج في حرب أمير المؤمنين عليّ عليه السلام كانوا يقيمون الصلاة وإنّهم أصحاب الجباه السود من كثرة السجود، إلّا أنّهم لم يكن عندهم المعرفة التامّة والعلم النافع، فحاربوا إمام زمانهم وخرجوا عليه.

ورد في التاريخ كان أحد أصحاب أمير المؤمنين في إحدى الليالي يمشي معه في إحدى أزقّة الكوفة فسمع من يقرأ القرآن بصوتٍ حزين قوله تعالى: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِداً وَقَائِماً ﴾[1] فخطر على باله منزلة الرجل وقربه من الله، فقال له أمير المؤمنين: «لا يغرّنك الرجل إنّه من أهل النار»، ومرّت الأيّام، وإذا بقارئ القرآن مع قتلى الخوارج.

وفضل العالم بعلمه ما دام يقترن بعمله الصالح، ويتخلّق بأخلاق الله ويخشى الله:

﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾[2].

وعنى بالعلماء من صدق قوله فعله، وبمثل هذا إذا صلح العالِم صلح العالَم،

---

(١) الزمر: ٩.

(٢) فاطر: ٢٨.

وبمثل هذا العالم الصالح تكون البركة، ويكون مباركاً على الخلق، فينقذ عباد الله من الجهل والشبهات والانحراف ويهدي الناس والمستضعفين إلى معرفة الله ورسوله وإمام زمانهم حتّى تكون حياتهم ومماتهم على الحقّ والعلم.

«فمن لم يعرف إمام زمانه مات ميتة الجاهلية».

وإنّ الله ليرفع العذاب عن اُمّة بحضور عالم ربّاني، ولمثل هذا إذا فقد العالم ثلم في الإسلام ثلمة لا يسدّها شيء إلّا بعالم آخر.

علماء الخير وعلماء السوء:

ولا ينال ما عند الله من القرب والثواب إلّا بالعلم النافع والعمل الصالح.

قال الإمام الباقر عليه السلام لخيثمة:

«أبلغ شيعتنا أنّه لا ينال ما عند الله إلّا بالعمل، وأبلغ شيعتنا أنّ أعظم الناس حسرة يوم القيامة من وصف عدلاً ثمّ خالفه إلى غيره».

قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«إنّ أشدّ أهل النار ندامةً وحسرةً رجل دعا عبداً إلى الله عزّ وجلّ فاستحاب له، وقبِل منه وأطاع الله عزّ وجلّ فأدخله الله الجنّة، وأدخل الداعي النار بتركه علمه واتّباعه الهوى».

«أعظم الناس وزراً العلماء المفرّطون».

«أشقى من هو معروف عند الناس بعلمه مجهول بعمله».

و «من تعلّم العلم ولم يعمل بما فيه حشره الله يوم القيامة أعمى».

«يؤتى بعلماء السوء يوم القيامة فيقذفون في نار جهنّم، فيدور أحدهم في جهنّم بقصبة كما يدور الحمار بالرحى، فيقال له: يا ويلك، بك اهتدينا، فما بالك؟

قال: إنّي كنت أُخالف ما كنت أنهاكم».

قال رسول الله ﷺ:

« يطّلع قوم من أهل الجنّة على قوم من أهل النار فيقولون: ما أدخلكم النار وقد دخلنا الجنّة لفضل تأديبكم وتعليمكم؟ فيقولون: إنّا كنّا نأمر بالخير ولا نفعله».

وعنه ﷺ قال:

«أتيت ليلة أُسري بي على قوم تُقرض شفاههم بمقاريض من نار، كلّما قُرضت وَفَت ـ أي تمّت وطالت ـ فقلت: يا جبرئيل، من هؤلاء؟ قال: خطباء أُمّتك الذين يقولون ما لا يفعلون، ويقرأون كتاب الله ولا يعملون به».

وقال ﷺ:

«الزبانية أسرع إلى فسقة حملة القرآن منهم إلى عبدة الأوثان، فيقولون: يُبدأ بنا قبل عبدة الأوثان؟ فيقال لهم: ليس من يعلم كمن لا يعلم».

«إنّه يغفر للجاهل سبعون ذنباً قبل أن يغفر للعالم ذنب واحد».

لأنّه يعلم وبما أنّ مقامه عظيم وله درجات العلى في الجنّات ويزيد على العابد بألف، فكذلك ذنبه بألف:

«لا يستوي عند الله في العقوبة الذين يعلمون والذين لا يعلمون، نفعنا الله وإيّاكم بما علمنا وجعله لوجهه خالصاً إنّه سميع مجيب».

«فأشدّ الناس عذاباً عالم لا ينتفع من علمه بشيء».

«إنّ أهل النار ليتأذّون من ريح العالم التارك لعلمه».

و «وقود النار يوم القيامة كلّ غنيّ بخل بماله على الفقراء، وكلّ عالم باع الدين بالدنيا».

«إنّ في جهنّم رحىً تطحن علماء السوء طحناً».

قال الإمام الكاظم عليه السلام:

«أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام: قل لعبادي لا يجعلوا بيني وبينهم عالماً مفتوناً بالدنيا، فيصدّهم عن ذكري وعن طريق محبّتي ومناجاتي، أُولئك قطّاع الطريق من عبادي، إنّ أدنى ما أنا صانع بهم أن أنزع حلاوة محبّتي ومناجاتي من قلوبهم».

فالعمدة في الحياة ومن أهمّ فلسفتها أن يتعلّم الإنسان أوّلاً، ثمّ يعمل بعلمه ويصون نفسه من الخطأ والزلل.

قال أمير المؤمنين عليّ عليه السلام:

«زلّة العالم كانكسار السفينة تَغرق وتُغرق».

«زلّة العالم تفسد عوالم».

«إنّ كلام الحكماء إذا كان صواباً كان دواءً، وإذا كان خطأً كان داءً».

«احذروا زلّة العالم، فإنّ زلّته تكبكبه في النار».

«ألا إنّ شرّ الشرّ شرار العلماء، وإنّ خير الخير خيار العلماء».

«فشرّ الناس العلماء إذا فسدوا».

ولمّا سئل أمير المؤمنين عليّ عليه السلام عن خير الخلق بعد الأئمة عليهم السلام قال: «العلماء إذا صلحوا»، قيل: فمن شرار خلق الله بعد إبليس وفرعون ونمرود وبعد المتسمّين بأسمائكم؟ قال: «العلماء إذا فسدوا هم المظهرون للأباطيل الكاتمون للحقائق».

فالعالم الفاسد ينضح بما فيه من الفساد، فيظهر الأُباطيل بين آونة وأُخرى باسم التجدّد والمدنيّة وما شابه ذلك ويكتم الحقائق.

عن الإمام العسكري عليه السلام في صفة علماء السوء، قال:

«وهم أضرّ على ضعفاء شيعتنا من جيش يزيد على الحسين بن عليّ عليه السلام وأصحابه، فإنّهم يسلبونهم الأرواح والأموال، وهؤلاء علماء السوء... يدخلون الشكّ والشبهة على ضعفاء شيعتنا فيضلّونهم».

قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«أشرار علماء أُمّتنا المضلّون عنّا، القاطعون للطرق إلينا، المسمّون أضدادنا بأسمائنا، الملقّبون أندادنا بألقابنا، يصلّون عليهم وهم للّعن مستحقّون».

«ويل لأُمّتي من علماء السوء».

و «من ازداد علماً ولم يزدد هدىً لم يزدد من الله إلّا بُعداً».

و «من أحبّ الدنيا ذهب خوف الآخرة من قلبه، وما آتى الله عبداً علماً فازداد للدنيا حبّاً إلّا ازداد من الله تعالى بُعداً وازداد تعالى عليه غضباً».

فالمقصود هو العلم النافع والعمل الصالح والتقرّب من الله لزيادة الهداية وحبّه والزهد في الدنيا وزخارفها وزبرجها ومظاهرها، وعندئذٍ يكون عالماً وفقيهاً حقّاً، وخليفة الله وأمينه في أرضه.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«الفقهاء أُمناء الرسل ما لم يدخلوا في الدنيا ويتّبعوا السلطان، فإذا فعلوا ذلك فاحذروهم على أديانكم».

و «إذا رأيتم العالم محبّاً للدنيا فاتّهموه على دينكم، فإنّ كلّ محبّ يحوط بما أحبّ».

فطوبى لمن عرف قدر نفسه، وعرف قدر الحياة، وطوبى لطالب العلوم النافعة والعامل بالأعمال الصالحة، فإنّه قد سعد في دنياه وفي آخرته، ونال الحظّ

الأوفر من حياته.

أنواع العلوم وخيرها :

هذا وفي نهاية المطاف لا بدّ أن نعرف أيّ علم هو المراد والمقصود، فهل المقصود كلّ العلوم والفنون، وهذا من العسر والحرج بمكان، بل خارج عن طاقة الإنسان، فإنّه كما قال أمير المؤمنين عليّ عليه السلام :

«العلم لا ينتهي».

فليس له غاية، وإنّ :

«العلم أكثر من أن يحاط به».

«شيئان لا تبلغ غايتهما : العلم والعقل».

و «من ادّعى من العلم غايته فقد أظهر من جهله نهايته».

فلا بدّ أن يؤخذ من كلّ علم وفنّ لبّه ولبابه :

«فخذوا من كلّ علمٍ أحسنه».

قال رسول الله صلى الله عليه وآله :

«العلم أكثر من أن يحصى، فخذ من كلّ شيء أحسنه».

«فإنّ النحل يأكل من كلّ زهر أزيَنه، فيتولّد منه جوهران نفيسان : أحدهما فيه شفاء للناس، والآخر يستضاء به ـ أي الشمع ـ فخذ من كلّ علمٍ خيره».

قال رسول الله صلى الله عليه وآله :

«خير العلم ما نفع».

«خير العلم ما أصلحت به رشادك، وشرّه ما أفسدت به معادك».

«خير العلوم ما أصلحك».

«العلم بالله أفضل العلمَين».

«أنفع العلم ما عمل به».

و «كلّ علم لا يؤيّده عقل مضلّة».

فالعلم النافع الذي يعمل به وما يؤيّده العقل السليم والفطرة السليمة.

«فرُبَّ علمٍ أدّى إلى مضلّتك».

و «اعلم أنّه لا علم كطلب السلامة، ولا سلامة كسلامة القلب».

فالعلم النافع ما فيه سلامه قلبك من الذنوب والآثام والصفات الذميمة والأخلاق السيّئة.

قال الإمام الكاظم عليه السلام:

«أولى العلم بك ما لا يصلح لك العلم إلّا به، وأوجب العمل عليك ما أنت مسؤول عن العمل به، والزم العلم لك ما دلّك على صلاح قلبك وأظهر لك فساده، وأحمد العلم عاقبةً ما زاد في عملك العاجل، فلا تشتغلنّ بعلم ما لا يضرّك جهله، ولا تغفلنّ عن علم ما يزيد في جهلك تركه».

و «من عرف نفسه فقد عرف ربّه، ثمّ عليك من العلم بما لا يصحّ العمل إلّا به وهو الإخلاص».

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله لمّا سأله رجل عن أفضل الأعمال؟ فقال صلى الله عليه وآله: «العلم بالله والفقه في دينه»، وكرّرهما عليه، فقال: يا رسول الله، أسألك عن العمل فتخبرني عن العلم؟ فقال: «إنّ العلم ينفعك معه قليل العمل، وإنّ الجهل لا ينفعك معه كثير العمل».

وما أروع ما يقوله أمير المؤمنين عليّ عليه السلام لمّا سئل عن العلم؟ فقال: هو أربع كلمات: «أن تعبد الله بقدر حاجتك إليه، وأن تعصيه بقدر صبرك على النار،

وأن تعمل لدنياك بقدر عمرك فيها، وأن تعمل لآخرتك بقدر بقائك فيها».

وفي هذا المضمار يقول الإمام الصادق عليه السلام:

«جمع علم الأوّلين والآخرين في أربع كلمات: أن تعلم من أين؟ وإلى أين؟ وماذا يراد منك؟ وما الذي يخرجك عن ذنبك؟».

«فتفقّهوا في دينكم وإلّا أنتم أعراب».

وإنّ الأعراب أشدّ كفراً ونفاقاً ومردةً على الحقّ.

ولا بدّ لكلّ مسلم ومؤمن أن يعرف ربّه ويتعلّم أحكام دينه من الحلال والحرام في كتاب الله وسنّة نبيّه.

قال أمير المؤمنين عليّ عليه السلام في وصيّته لابنه الحسن عليه السلام:

«إنّ ابتداءك بتعليم كتاب الله عزّ وجلّ وتأويله، وشرائع الإسلام وأحكامه، وحلاله وحرامه، لا أُجاوز ذلك بك إلى غيره».

قال الإمام الصادق عليه السلام:

«حديث في حلال وحرام تأخذه من صادق خيرٌ من الدنيا وما فيها من ذهب أو فضّة».

وعنه عليه السلام:

«ليت السياط على رؤوس أصحابي حتّى يتفقّهوا في الحلال والحرام».

و «هل يسأل الناس عن شيء أفضل من الحلال والحرام؟».

فالعلم وإن كان أكثر من أن يحصى إلّا أنّ أُمّهات العلوم أربعة: (الفقه للأديان، والطبّ للأبدان، والنحو للّسان، والنجوم لمعرفة الأزمان).

و «العلم علمان: مطبوع ومسموع، ولا ينفع المسموع إذا لم يكن المطبوع» في القلوب الذي يكون بإلهام من الله سبحانه، وذلك بالتقوى والإيمان الكامل.

«فالعلم علمان: علم في القلب، وذلك العلم النافع، وعلم على اللسان، فذلك حجّة الله على ابن آدم».

و «اعلم أنّه لا خير في علم لا ينفع، ولا ينتفع بعلم لا يحقّ تعلّمه».

و «ليس العلم بكثرة التعلّم إنّما هو نور يقع في قلب من يريد الله تبارك وتعالى أن يهديه، فإن أردت العلم فاطلب أوّلاً من نفسك حقيقة العبودية، واطلب العلم باستعماله واستفهم الله يفهمك».

«فأشعِر قلبك بالتقوى تنل العلم».

و «من اعتبر أبصر، ومن أبصر فهم، ومن فهم عَلِم».

«فالعلم يرشدك إلى ما أمرك الله به، والزهد يسهّل لك الطريق إليه».

قال رسول الله ﷺ:

«لو خفتم الله حقّ خيفته لعلمتم العلم الذي لا جهل معه».

و «من عمل بما يعلم علّمه الله علم ما لا يعلم».

«فمن تعلّم فعمل علّمه الله ما لم يعلم».

و «من عمل بما علم كُفي ما لم يعلم».

و «علم الباطن سرّ من أسرار الله عزّ وجلّ، وحكم من حُكم الله، يقذفه في قلوب من شاء من عباده».

وكلّ هذا يكون بالتخلّق بأخلاق الروحانيين، كما ورد عن عيسى بن مريم:

«ليس العلم في السماء فينزل إليكم، ولا في الأرض فيخرج إليكم، إنّما العلم فيكم، تخلّقوا بأخلاق الروحانيّين يظهر لكم».

وعن رسول الله ﷺ لمّا قيل له: لأحبّ أن أكون أعلم الناس، قال:

«اتّق الله تكن أعلم الناس».

و «لا يدرك العلم براحة الجسم».

بل لا بدّ من التعب والنصب وأخذ العلم الصافي من كلّ منبع طاهر:

«خذوا العلم من أفواه الرجال».

وفي الإنجيل:

«لا تقولوا: نخاف أن نعلم فلا نعمل، ولكن قولوا: نرجوا أن نعلم ونعمل».

عن الإمام الباقر عليه‌السلام:

«رحم الله عبداً أحيى الأمر، فقيل: وما إحياؤه؟ قال: أن يذاكر به أهل الدين والورع».

و «واضع العلم عند غير أهله كمقلّد الخنازير الجوهر واللؤلؤ والذهب».

و «آفة العلم النسيان، وإضاعته أن تحدّث به غير أهله».

و «يسير العلم ينفي كثير الجهل».

فيا إخوان الصفا، أيّها المؤمنون، يا شباب الأُمّة الإسلامية، هلمّ لنكون من أهل العلم، ولنطلبه من ينابيعه الصافية ومناهله الرويّة، من كتاب الله الكريم وسنّة نبيّه المصطفى محمّد صلى‌الله‌عليه‌وآله، ومنهاج عترته الأطهار الأئمة الأبرار عليهم‌السلام، فهم أُصول العلم ومهبط الوحي، وفي أبياتهم نزل الكتاب، فعندهم العلم الصحيح.

قال الإمام الباقر عليه‌السلام لسلمة بن كهيل والحكم بن عُتيبة:

«شرّقا وغرّبا لن تجدا علماً صحيحاً إلّا شيئاً يخرج من عندنا أهل البيت».

وعنه عليه‌السلام:

«أما إنّه ليس عندنا لأحدٍ من الناس حقّ ولا صواب إلّا من شيء أخذوه منّا أهل البيت».

وقال أمير المؤمنين عليّ عليه‌السلام:

«إنّ العلم الذي هبط به آدم وجميع ما فضّلت به النبيّون إلى خاتم النبيّين في عترة محمّد ﷺ».

وعنه عليه السلام :

«لو اقتبستم العلم من معدنه، وشربتم الماء بعذوبته، وادّخرتم الخير في موضعه، وأخذتم الطريق من واضحه، وسلكتم من الحقّ نهجه، لنهجت بكم السبل، وبدت لكم الأعلام».

فالحقّ مع محمّد وعترته وفيهم ومنهم وإليهم، وإنّما ينجو المرء لو ركب سفينتهم، أمّا من تخلّف فقد غرق وهوى، وكان حطب جهنّم ووقودها.

وختاماً عن الإمام الكاظم عليه السلام :

«وجدت علم الناس في أربع : أوّلها : أن تعرف ربّك، والثانية : أن تعرف ما صنع بك، والثالثة : أن تعرف ما أراد منك، والرابعة : أن تعرف ما يخرجك من دينك».

وقال الإمام الصادق عليه السلام يوماً لأحد تلامذته : «أيّ شيء تعلّمت منّي ؟» قال له : يا مولاي ثمان مسائل، قال له عليه السلام : «قصّها عليّ لأعرفها»، قال :

الأُولى : رأيت كلّ محبوب يفارق عند الموت حبيبه، فصرفت همّتي إلى ما لا يفارقني بل يونسني في وحدتي، وهو فعل الخير، فقال : «أحسنت والله».

الثانية : قال : رأيت قوماً يفخرون بالحسب وآخرين بالمال والولد، وإذا ذلك لا فخر، ورأيت الفخر العظيم في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ ﴾[1]، فاجتهدت أن أكون عنده كريماً. قال : «أحسنت والله».

الثالثة : قال : رأيت لهو الناس وطربهم، وسمعت قوله تعالى : ﴿ وَأَمَّا مَنْ

---

(١) الحجرات : ١٣.

خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الهَوَى * فَإِنَّ الجَنَّةَ هِيَ المَأْوَى ﴾[1]، فاجتهدت في صرف الهوى عن نفسي حتّى استقرّت على طاعة الله تعالى. قال: «أحسنت والله».

الرابعة: قال: رأيت كلّ من وجد شيئاً يُكرم عنده اجتهد في حفظه، وسمعت قوله سبحانه يقول: ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴾[2]، فأحببت المضاعفة، ولم أرَ أحفظ ممّا يكون عنده، فكلّما وجدت شيئاً يكرم عندي وجّهت به إليه ليكون لي ذخراً إلى وقت حاجتي إليه. قال: «أحسنت والله».

الخامسة: قال: رأيت حسد الناس بعضهم للبعض في الرزق وسمعت قوله تعالى: ﴿ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً سُخْرِيّاً وَرَحْمَةُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴾[3]، فما حسدت أحداً ولا أسفت على ما فاتني. قال: «أحسنت والله».

السادسة: قال: رأيت عداوة بعضهم لبعض في دار الدنيا والحزازات في صدورهم وسمعت قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوّاً ﴾[4]، فاشتغلت بعداوة الشيطان عن عداوة غيره. قال: «أحسنت والله».

السابعة: قال: رأيت كدح الناس واجتهادهم في طلب الرزق، وسمعت قوله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ * مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ

---

(١) النازعات: ٤٠ ـ ٤١.

(٢) الحديد: ١١.

(٣) الزخرف: ٣٢.

(٤) فاطر: ٦.

وَمَا أُرِيدُ أنْ يُطْعِمُونِ * إنَّ اللهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو القُوَّةِ المَتِينُ ﴾[1]، فعلمت أنّ وعده وقوله صدق، فسكنت إلى وعده، ورضيت بقوله، واشتغلت بما له عليّ عمّا لي عنده، قال: «أحسنت والله».

الثامنة: قال: رأيت قوماً يتكلّمون على صحّة أبدانهم، وقوماً على كثرة أموالهم، وقوماً على خلق مثلهم، وسمعت قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾[2]، فاتّكلت على الله وزال اتّكالي على غيره، فقال له: «والله إنّ التوراة والإنجيل والزبور والفرقان وسائر الكتب ترجع إلى هذه الثمان المسائل».

عن الإمام الكاظم عليه السلام قال: دخل رسول الله صلى الله عليه وآله المسجد فإذا جماعة قد أطافوا برجل، فقال: ما هذا؟ فقيل: علّامة، قال: وما العلّامة؟ قالوا: أعلم الناس بأنساب العرب ووقائعها وأيام الجاهلية وبالأشعار العربيّة، فقال النبيّ صلى الله عليه وآله: «ذاك علم لا يضرّ من جهله ولا ينفع من علمه»، ثمّ قال: «إنّما العلم ثلاثة: آية محكمة، أو فريضة عادلة، أو سنّة قائمة، وما خلاهنّ فهو فضل».

أجل: يعدّ هذا الحديث النبويّ الشريف من غُرر الأحاديث ودُرر الكَلِم، وفيه خلاصة العلوم الإسلاميّة، وإنّها تنفع لمن علم بها، كما تضرّ لمن جهلها وأهملها، فعلى كلّ واحدٍ أن يلمّ بها ولو في أوّليّاتها والمسائل المبتلى بها.

ولا يخفى أنّ التاء في (العلّامة) للمصدريّة، فتفيد المبالغة والتأكيد، والعلّام (على وزن فعّال) صيغة مبالغة من عالم (اسم فاعل)، فالعلّامة يفيد المبالغة في المبالغة، أي من كان غزير العلم كثير المعرفة، وكان عند العرب آنذاك عبارة عمّن

---

(١) الذاريات: ٥٦ ـ ٥٨.

(٢) الطلاق: ٢ ـ ٣.

يعرف التاريخ والأدب العربي من الوقائع والأشعار وما شابه ذلك، إلّا أنّ النبيّ الأعظم ﷺ صحّح المسير وبيّن الحقّ بأنّ العلم النافع ليس كما عندهم، وإن كان ذلك من الفضل، والفضل إمّا بمعنى الزيادة أو بمعنى الفضيلة.

فالعلوم النافعة والواجبة على كلّ مسلم ومسلمة، وإنّها تنفع في الدنيا والآخرة لمن علم بها، كما أنّها تضرّ لمن جهلها، هي عبارة عن (علم العقائد الصحيحة) المبتنية على البراهين المحكمة والأدلّة القاطعة، ويشير إليه قوله ﷺ: «آية محكمة».

و (علم الفقه) الذي فيه معرفة التكاليف الشرعيّة من الواجبات والمحرّمات، ويلحق بهما المستحبّات والمكروهات، ويشير إليه قوله ﷺ: «أو فريضة عادلة».

و (علم الأخلاق) الذي هو عبارة عن الآداب والسنن القائمة في النفوس والأرواح والقلوب بتخلية الصفات الذميمة منها، وتحليتها بالصفات الحميدة ثمّ تجليتها، ويشير إلى ذلك قوله ﷺ: «أو سنّة قائمة».

وما سوى هذه العلوم فهي من الفضل بمعنى الزيادة أو الفضيلة، فالعلوم الأُخرى إنّما تنفع لو كانت مقدّمة لهذه العلوم الضروريّة، كعلم الطبّ (علم الأبدان) وعلم النحو (علم اللسان) والعلوم الأكاديميّة المدرسية والجامعية التي يتمّ بها المعاش والحياة الدنيوية.

والحوزات العلمية المباركة كحوزة النجف الأشرف وحوزة قم المقدّسة إنّما بُني أساسهما لبيان وتحكيم هذه العلوم الأساسيّة وتبيين مقدّماتها، ومن ثمّ ترويجها ونشرها في البلاد وفي أقطار العالم، وفي عصرنا هذا يسعى بعض الأعلام ـ مع التقدّم الصناعي وحضور الكومبيوتر في المنازل وسهولة حصول العلوم والفنون ـ استغلال الموقف وتطوير العمل ونجاحه بأُسلوب شيّق يتلاءم مع

الحداثة والعصريّة، مع حفظ الأصالة والأُسس.

ومن أُولئك الأفاضل الإخوة الكرام أصحاب مؤسسة (السّلام) العالمية، فإنّها تصدّت لنشر معارف الإسلام وعلومه وفنونه من منابعها الأصيلة ومصدر تشريعها القويم، من القرآن الكريم والسنّة الشريفة المتمثّلة بقول المعصوم ـ النبيّ والإمام عليه السلام ـ وفعله وتقريره انطلاقاً من الدروس الحوزوية لنخبة من الأساتذة الأفاضل جزاهم الله خيراً.

ونتمنّى لهم ولكم أوقاتاً طيّبةً وحياةً سعيدةً، يسودها العلم النافع والعمل الصالح، وعلى بركة الله بنيّةٍ صادقة وإيمانٍ وتقوى خالص، فليتوكّل المؤمنون والمؤمنات بطلب العلم والعمل به، ومن الله التوفيق والسداد إنّه خير ناصر ومعين، والسلام عليكم أبداً ورحمة الله وبركاته.

هذا ودمتم بخير وعافية وصحّة وسلامة، تحوطكم وأهليكم السعادة الأبديّة والرحمة الإلهيّة، وتقبّلوا منّا خالص تحيّاتنا، ولا تنسونا من خالص دعواتكم كما لا ننساكم.

قال مولانا الإمام الرضا عليه السلام: «أحيوا أمرنا رحم الله من أحيا أمرنا»، قيل: وكيف نحيي أمركم؟ قال: بتعلّم علومنا ثمّ يُعلّمها الناس، فإنّ الناس لو علموا محاسن كلامنا لاتّبعونا.

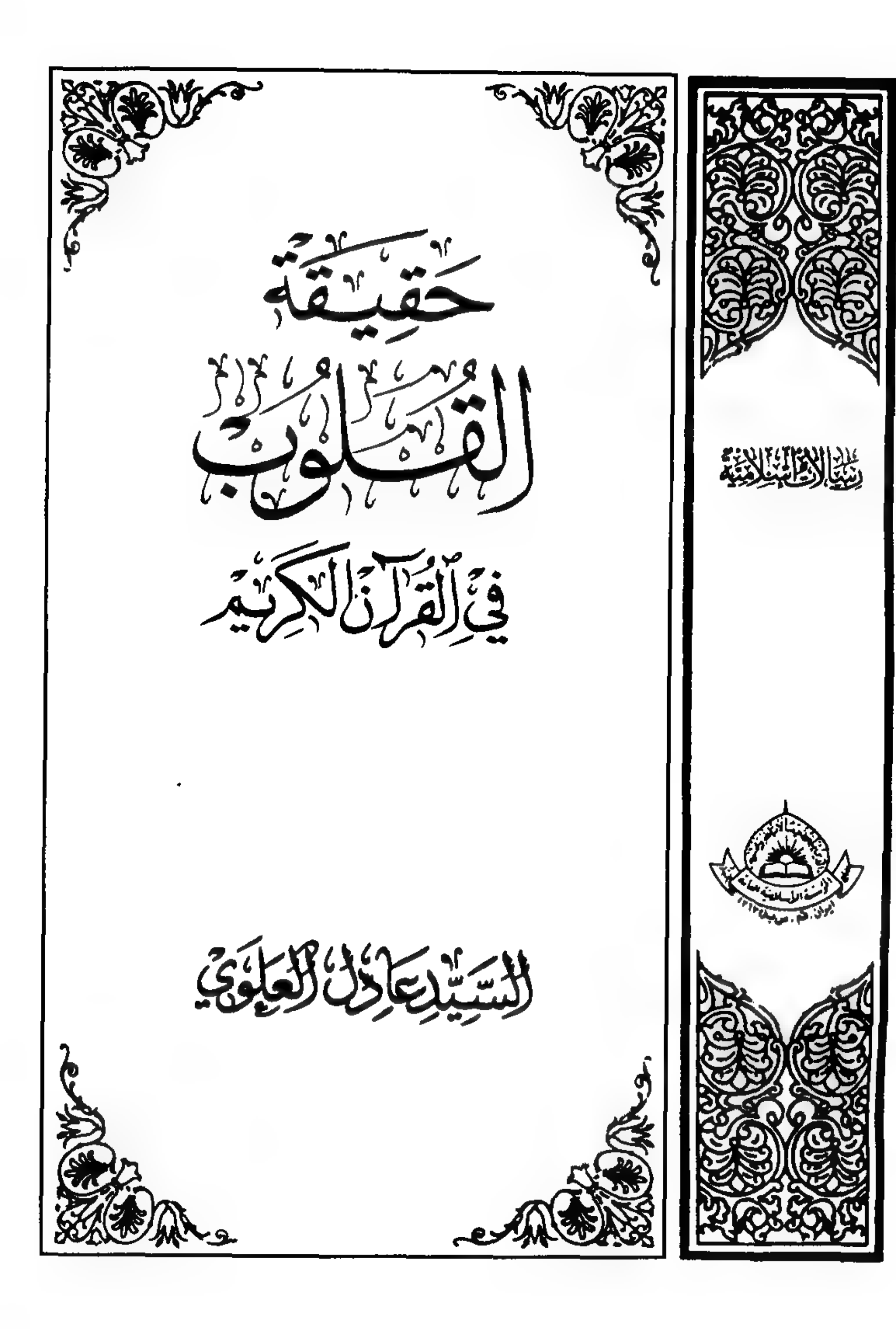
وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

العبد

عادل العلوي

المؤسسة الإسلامية العامّة للتبليغ والإرشاد

قم ـ ص ب ٣٦٣٤



حقيقة القلوب
في القرآن الكريم
السيد عادل العلوي
رسالات إسلامية

موسوعة

رسالات إسلامية

***
***

كتاب

حقيقة القلوب في القرآن الكريم

تأليف ـ السيّد عادل العلوي

نشر ـ المؤسسة الإسلامية العامة للتبليغ والإرشاد
إيران، قم، ص. ب ٣٦٣٤
الطبعة الأولى ـ ١٤٢٣ هجري قمري
التنضيد والإخراج الكومبيوتري ـ حكمت، قم
المطبعة ـ النهضة، قم

شابك ٢ ـ ٣٩ ـ ٥٩١٥ ـ ٩٦٤
ISBN 964 - 5915 - 39 - 2
اي. اي. ان. ٩٧٨٩٦٤٥٩١٥٣٩٩
EAN 9789645915399
شابك X ـ ١٨ ـ ٥٩١٥ ـ ٩٦٤ (دورة ١٠٠ جلد)
964 - 5915 - 18 - X (100 - Vol. Set)

الإهداء :

إلى رسول الرحمة محمّد المصطفى ﷺ...

إلى منقذ البشريّة من الضلالة والجهالة...

إلى خاتم الأنبياء والمرسلين...

إلى حفيده الإمام الناطق جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام...

إلى القلوب الولائية المؤمنة، المطمئنّة بذكر الله.

في ليلة ميلادكما المبارك (١٧ ربيع الأوّل)...

أُهدي هذا الجهد المتواضع برجاء القبول والشفاعة والدعاء...

العبد

عادل العلوي

الحوزة العلمية ـ قم المقدّسة

بسم الله الرحمن الرحيم

حقيقة القلوب في القرآن الكريم[1]

مقدّمة

الحمد لله مقلّب القلوب والأبصار، والصلاة والسلام على أشرف خلق الله محمّد النبيّ المختار، وآله الطيّبين الأبرار، واللعن الدائم على أعدائهم الكفّار ومنكري فضائلهم الأشرار.

من الواضح والمعلوم أنّ الحديث عن القلب إنّما هو حديث ذو شجون، فإنّ القلب أصل الإنسان ومنشأ حياته، وأساس كرامته وعظمته وشرافته.

أجل؛ إنّ القلب ذلك العضو الصنوبري الشكل الذي يضخّ منه الدم بعد تصفيته ليعطي الإنسان حياةً وقوّة، وعيشاً جديداً، وإذا توقّف عن العمل فإنّه يعني أنّ المرء قد جاء أجله وعليه أن يودّع الحياة الدنيوية، لينتقل إلى عالم آخر، فما دام القلب ينبض ويتحرّك فإنّه حيّ، وإنّ الحياة الدنيوية لا زالت تواكب أشواطها

(١) مجموعة دروس أخلاقية ألقاها الكاتب في مدرسة الحجّتية بقم المقدّسة في جمع غفير من طلبة العلوم الدينية غير الإيرانيين من مختلف البلاد الإسلامية وغيرها، كما ألقاها محاضرات إسلامية في مسجد الإمام الرضا (موكب النجف الأشرف) في ليالي شهر رمضان المبارك سنة ١٤١٩ ـ الناشر.

وتطوي مسيرتها حتّى الموت الذي يعدّ رحلة ونقلة من عالم إلى آخر، ومن محيط ضيّق إلى دار أوسع.

نعم؛ هذا القلب الصغير الذي أودعه الله سبحانه من اليوم الأوّل في القفص الصدري من الجانب الأيسر، قد شبّه بالخير والشرّ والصلاح والفساد، فيقال: لفلان قلب صالح خيّر ونظيف، ولفلان قلب طالح شرور قاسي كالحجارة، كما ينسب إليه إدراك الحقائق والمعارف والعلوم والفنون. وهذا يعني أنّ هناك قلب آخر معنوي وراء هذا القلب المادّي.

والقرآن الكريم كتاب الله الحكيم فيه بيان وتبيان لكلّ شيء، فرقان وهدى، وإنّه كتاب حياة وسعادة، قد اهتمّ بالقلب غاية الاهتمام، وإنّك لتجد في آياته الكريمة ما يفتح لك آفاقاً جديدة في الحياة، بأنّك كيف تعيش وكيف تموت؟ وما هي العوامل التي تسعدك في الحياة، وتضمن لك النجاح والفوز في الدارين؟ وذلك من خلال إصلاح القلب.

إنّ الإنسان ليسعد، وإنّ البشرية لتصل إلى ذروة كمالها وقمّة سعادتها لو طبّقنا القرآن الكريم في واقع الحياة، إلّا أنّ القوم اتّخذوا هذا القرآن مهجوراً، فأصابهم الذلّ والانحطاط والخذلان، ولا نعود إلى عزّتنا ومجدنا وأصالتنا إلّا إذا رجعنا إلى القرآن الكريم وترجمانه (العترة الطاهرة) في واقعنا وجميع حقول حياتنا، فيكون القرآن (حكومة الله) هو الحاكم والسائد في كلّ أبعاد الحياة وجوانبها على الصعيدين: الفردي والاجتماعي.

فهلمّ لنعرض قلوبنا وأعمالنا وحياتنا على القرآن الكريم (الصامت والناطق)، فإنّه الميزان وإنّه الفرقان لا ريب فيه هدىً للمتّقين، واضح في ذاته، وبيان في نفسه، وتبيان لكلّ شيء.

وهلمّ يا إخوان الصفا وخلّان الوفا لنرجع إلى إسلامنا العزيز وكتابه المجيد، فإنّه المهيمن على كلّ الكتب السماوية والأرضية، وإنّه العلم الحاكم على كلّ العلوم والفنون، فإنّه نزل من العليّ العليم، القدير الحكيم، العزيز الكريم.

وعلى كلّ مسلم ومسلمة أن يفهم الدين، ويفقه القرآن المبين، ويدرك السنّة الشريفة كما هي، فإنّهما مصدر المعارف الإلهية والإنسانية، وأساس التشريع الإسلامي الحنيف.

ومن المؤسف أنّ أعظم داء المسلمين وأكبر مصيبتهم، أنّهم بعدما كانوا أعزّة العالم، وأنّ حضارتهم الإسلامية غزت الدنيا وانتشرت العلوم الإسلامية وفنونها في ربوع الأرض، أصابهم الانحطاط وكسرت شوكتهم وبان الذلّ عليهم، وما ذلك إلّا نتيجة جهلهم بدينهم وقرآنهم.

﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ ﴾[١].

وفي الحديث الشريف: «فإذا التبست عليكم الفتن كقطع الليل المظلم فعليكم بالقرآن فإنّه شافع مشفع، وماحل مصدق، ومن جعله أمامه قاده إلى الجنّة، ومن جعله خلفه ساقه إلى النار، وهو الدليل يدلّ على خير سبيل، وهو كتاب فيه تفصيل وبيان وتحصيل، وهو الفصل ليس بالهزل، وله ظهر وبطن، فظاهره حكم، وباطنه علم، ظاهره أنيق وباطنه عميق، له نجوم وعلى نجومه نجوم، لا تحصى عجائبه ولا تبلى غرائبه، فيه مصابيح الهدى ومنار الحكمة، ودليل على المعرفة لمن عرف الصفة»[٢].

---

(١) القمر: ١٧.

(٢) حديث نبوي شريف في البحار ٩٢: ١٧، و ٧٧: ١٣٤، وكنز العمّال ـ حديث ٤٠٢٧.

وعن الإمام الحسن بن علي عليهما السلام، قال: قيل لرسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ أُمّتك ستفتتن، فسئل ما المخرج من ذلك؟ فقال: كتاب الله العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد، من ابتغى العلم في غيره أضلّه الله.

وقال أمير المؤمنين عليّ عليه السلام في وصف القرآن: جعله الله ريّاً لعطش العلماء، وربيعاً لقلوب الفقهاء، ومحاج تطرق الصلحاء، ودواء ليس بعده داء، ونوراً ليس معه ظلمة.

اعلموا أنّ هذا القرآن هو الناصح الذي لا يغشّ، والهادي الذي لا يضلّ، والمحدّث الذي لا يكذب، وما جالس هذا القرآن أحد إلّا قام عنه بزيادة أو نقصان: زيادة في هدى، ونقصان من عمى.

إنّه سبحانه لم يعظ أحداً بمثل هذا القرآن، فإنّه حبل الله المتين وسببه الأمين، وفيه ربيع القلب، وينابيع العلم، وما للقلب جلاء غيره.

فالقرآن آمر زاجر وصامت ناطق، حجّة الله على خلقه، آخذ عليهم ميثاقه، وارتهن عليهم أنفسهم.

أفضل الذكر القرآن به تشرح الصدور، وتستنير السرائر.

وقال عليه السلام: إنّه سيأتي عليكم من بعدي زمان ليس فيه أخفى من الحقّ، ولا أظهر من الباطل. فالكتاب وأهله في الناس وليسا فيهم، ومعهم وليسا معهم، لأنّ الضلالة لا توافق الهدى، وإن اجتمعا فاجتمع القوم على الفرقة، وافترقوا على الجماعة، كأنّهم أئمة الكتاب وليس الكتاب إمامهم، فلم يبقَ عندهم منه إلّا اسمه، ولا يعرفون إلّا خطّه وزبره[1].

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة ١٤٧.

وقد ورد في الحديث الشريف: سيكثر في آخر الزمان قرّاء القرآن، إلّا أنّه رُبّ تالٍ للقرآن والقرآن يلعنه، لأنّه لا يعمل بآياته التي يقرأها ويتلوها، فالعمدة هو العمل بالقرآن الكريم كما أوصى بذلك أمير المؤمنين آخر وصيّته قائلاً:

«الله الله في القرآن، لا يسبقكم بالعمل به غيركم»[١].

وإنّ هذا القرآن غضّ جديد لا يُبلى، وإنّه كتاب حياة لكلّ الأزمان والأجيال، ولكلّ الأمصار والأعصار، فهو أصدق القول، وأبلغ الموعظة، وأحسن القصص، وخير الهدى، والدواء النافع، وشفاء الصدور، ومصابيح النور، لا تخلقه كثرة الردّ وولوج السمع.

عن الإمام الصادق عليه السلام لمّا سئل: ما بال القرآن لا يزداد على النشر والدرس إلّا غضاضة؟ قال: لأنّ الله تبارك وتعالى لم يجعله لزمان دون زمان، ولا لناس دون ناس، فهو في كلّ زمان جديد، وعند كلّ قوم غضّ إلى يوم القيامة.

قال الإمام الرضا عليه السلام في وصفه: هو حبل الله المتين وعروته الوثقى، وطريقته المثلى، المؤدّي إلى الجنّة، والمنجي من النار، لا يخلق على الأزمنة، ولا يغثّ على الألسنة، لأنّه لم يجعل لزمان دون زمان، بل جعل دليل البرهان والحجّة على كلّ إنسان، لأنّه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد[٢].

فأهل القرآن أهل الله وخاصّته، وهم عرفاء أهل الجنّة يوم القيامة، وأشراف أُمّة محمّد صلى الله عليه وآله المحفوفون برحمة الله، الملبوسون بنور الله عزّ وجلّ.

---

(١) ميزان الحكمة ١: ٦٧، عن نهج البلاغة في خطب عديدة.

(٢) عيون أخبار الرضا ١: ١٣٠.

فعليكم بكتاب الله، فإنّه الحبل المتين والنور المبين، من قال به صدق، ومن عمل به سبق.

هذا والمقصود من هذه الرسالة أن نعرف ـ ولو إجمالاً ـ حقيقة القلوب من خلال القرآن الكريم، وترجمانه أهل البيت عليهم السلام، فإنّهم القرآن الناطق، ولسان الله الصادق.

ويقع الكلام بعد المقدّمة في فصول وخاتمة.

وما توفيقنا إلّا بالله، إنّه خير ناصر ومعين، وإنّه المسدّد للخير والصواب.

الفصل الأوّل

القلب لغةً واصطلاحاً

لا يخفى أنّه إذا أردنا أن نعرف الشيء بحدوده وماهيّته وبرسمه ومعانيه، لا بدّ أن نعرف ذلك باعتبار اللغة والمعنى المصطلح، ومن الواضح أنّ المتكفّل لبيان المعنى اللغوي هو معاجم اللغة وقواميسها، وقد ذكر فيها للقلب معانٍ عديدة، منها:

١ ـ التحويل: ومنه قلب قلباً الشيء حوّله عن وجهه أو حالته، وجعل أعلاه أسفله.

٢ ـ الصرف: ومنه قلّب القوم صرفهم، وقلّب المعلّم الصبيان إذا صرفهم إلى بيوتهم.

٣ ـ الاختبار: ومنه قلب الأمر ظهراً لبطن، إذا اختبره وامتحنه.

٤ ـ الوسط: ومنه قلب الجيش وسطه.

٥ ـ اللبّ: ومنه قلب كلّ شيء لبّه.

٦ ـ المحض: ومنه يقال: جئتك بهذا الأمر قلباً أي محضاً.

٨ ـ الخالص: ومنه يقال: رجل قلْب، أي خالص النسب.

واصطلاحاً:

في علم الطبّ والتشريح: القلب عضو فعّال صنوبري الشكل، مودع في

الجانب الأيسر من الصدر، وهو أهمّ أعضاء الحركة الدموية والجهاز الدموي.

وهناك قلب معنوي وراء هذا القلب المادّي الصنوبري، وذلك القلب هو المخاطب في حقيقة الإنسان، وهو الأصيل الذي يترتّب عليه الثواب والعقاب شرعاً، والمدح والذمّ عقلاً، وهو الذي ورد في الآيات الكريمة والروايات الشريفة، وهو موضوع رسالتنا، وإنّه حرم الله وبيته الحرام في الإنسان المؤمن، كما أنّه عشّ الشيطان يفرّخ فيه ويبيّض، في الإنسان الكافر والفاسق.

والمادّيات إنّما تحكي المعنويات، وأنّ الظاهر عنوان الباطن، والدنيا مزرعة الآخرة، وأنّ النزعة المادّية والجسدية ورائها النزعة المثالية والروحية، والروحانيّات تنزل من السماء، وإنّ الجسد ليفنى وتبق الروح، لتعود إلى البدن تارةً أُخرى، ليتنعّما في الجنّة خالدين فيها أبداً.

فالقلب المادّي الجسمي الناري، يحكي ذلك القلب المعنوي النوري المجرّد في جوهريّته، والمتعلّق بهذا القلب في فعله وتأثيره، فبينهما علاقة وعلقة وثيقة.

ولولا الحجب الظلمانية من المعاصي والآثام على ذلك القلب الأصيل، ولولا ظلمته وانتكاسه بالذنوب والفواحش ما ظهر منها وما بطن، ولولا هيام الشياطين حوله، لكان حرم الله وبيته، وإنّ السماوات والأرض لا تسع الله، ولكن ذلك القلب يسعه، فهو عرش الرحمن، وإنّه بين إصبعي الرحمن يقلّبه كيف ما يشاء، وهو قلب المؤمن العارف بالله سبحانه وتعالى، وبقلبه هذا يرى الله سبحانه كما ورد في الأحاديث الشريفة.

ومثل هذا القلب الطاهر بعد صيقلته وتهذيبه يكون مرآةً للحقائق الكونية، وتنعكس فيه أسرار الكون وما فيه، وتنطبع فيه ما وراء الطبيعة من المجرّدات، وتظهر فيه أسماء الله الحسنى وصفاته العليا، حتّى ينطوي فيه العالم الأكبر، ويكون

منبع الحِكَم، ومعادن العلوم الإلهية، ومخازن المعارف الربّانية، وتتفجّر منه ينابيع الحكمة، وتجري على لسانه من ذلك القلب الطاهر والنيّر بعد أن يخلص لله أربعين صباحاً، فيستأنس بالله عزّ وجلّ، ويكون هو الحاكم فيه.

فقلب يستحقّ المدح والثناء، وإنّه يثاب المرء على إصلاحه وتقواه، ويكون سبباً لإصلاح جميع الجوارح، إذ أنّه سلطان البدن، والناس على دين ملوكهم، فإذا صلح القلب صلحت الجوارح والجوانح، وإذا فسد القلب فسدت الجوارح، كما تفسد الرعيّة بفساد الراعي، وهناك قلب يستحقّ الذمّ عقلاً والعقاب شرعاً، وهو القلب الفاسد.

فعمران البلاد والمجتمعات الإنسانية إنّما هو بحكومة القلوب الصالحة والسليمة، وخرابها إنّما هو بحكومة القلوب العليلة والسقيمة.

فمن القلوب ما تستحقّ العذاب واللعن والذمّ، ومنها ما تستحقّ المدح والثواب والأجر.

قال الإمام زين العابدين عليه السلام : عجبت لمن يحتمي من ضرر الأكل، كيف لا يحتمي من ضرر الذنوب.

أقول : سيّدي ومولاي، العجب كلّ العجب في عصرنا الراهن، فما أعجب الإنسان في عصر الذرّة والفضاء وهذا التقدم التكنولوجي الهائل، قد اهتمّ بقلبه الصنوبري غاية الاهتمام، فما أكثر المستشفيات في العالم التي أُعدّت لمعالجة القلب ؟ وما أعظم العمليات الجراحية على القلب ؟ وما أكثر موت الفجأة بالسكتة القلبية ؟ وما أضخم التطوّر العلمي في الأجهزة الألكترونية لمعالجة القلب ؟ وما أكثر الأطباء الأخصائيين لمعالجة القلب ؟ وما أكثر الأموال الطائلة التي تصرف من أجل القلب ؟ كلّ هذا ليبقى القلب لأيام معدودة ليس إلّا، والكلّ يعلم أنّ عاقبته الفناء،

وإنّه أخيراً من حظّ التراب وديدان القبر، ومع هذا فما أن أحسّوا بوجع في قلوبهم، سرعان ما ذهبوا إلى الأطباء وبذلوا ما بذلوا، والمؤمنون منهم يتوجّهون إلى الدعاء، والأُسر والعوائل تبالغ بالاهتمام وبالبكاء والنحيب، ورعاية حال المريض المبتلي بالجلطة أو السكتة القلبية التي هي ترسّبات في شرايين القلب، فكلّ هذا الاهتمام لقلب صنوبري ميّت، ولكن ومع كلّ الأسف قد غفلوا عن القلب المعنوي الباقي، الساكن في الجنّة أو النار، وهذا من العَجب العجاب.

عن أبي عبد الله الإمام الصادق عليه السلام، قال: اعلم يا فلان إنّ منزلة القلب من الجسد بمنزلة الإمام من الناس الواجب الطاعة عليهم، ألا ترى أنّ جميع جوارح الجسد شُرط للقلب وتراجمة له مؤدّية عنه: الأُذنان والعينان والأنف والفم واليدان والرجلان والفرج، فإنّ القلب إذا همّ بالنظر فتح الرجل عينه، وإذا همّ بالاستماع حرّك أُذنيه وفتح مسامعه فسمع، وإذا همّ القلب بالشمّ استنشق بأنفه فأدّى تلك الرائحة إلى القلب، وإذا همّ بالنطق تكلّم باللسان، وإذا همّ بالحركة سعت الرجلان، وإذا همّ بالشهوة تحرّك الذكر، فهذه كلّها مؤدّية عن القلب بالتحريك، وكذلك ينبغي للإمام أن يطاع للأمر به[1].

قال أمير المؤمنين في نهج البلاغة: لقد علّق بنياط هذا الإنسان بضعة، وهي أعجب ما فيه، وذلك القلب وله موادّ من الحكمة، وأضداد من خلافها، فإن سنح له الرجا أذلّه الطمع، وإن أسعده الرضا نسي التحفّظ، وإن ناله الخوف شغله الحذر، وإن اتّسع له الأمن (استلبته الغرّة، وإن جُدّدت له النعمة أخذته العزّة) وإن أصابته مصيبة فضحه الجزع، وإن أفاد مالاً أطغاه الغنى، وإن عضّته الفاقة شغله البلاء، وإن

---

(١) البحار ٦٧ : ٥٢، عن علل الشرائع ١ : ١٠٣.

جهده الجوع قعد به الضعف، وإن أفرط به الشبع كظّته البطنة، فكلّ تقصير به مضرّ، وكلّ إفراط له مفسد[١].

روى أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ: ناجى داود ربّه فقال: إلهي، لكلّ ملك خزانة، فأين خزانتك؟ قال جلّ جلاله: لي خزانة أعظم من العرش وأوسع من الكرسي وأطيب من الجنّة وأزين من الملكوت: أرضها المعرفة، وسماؤها الإيمان، وشمسها الشوق، وقمرها المحبّة، ونجومها الخواطر، وسحابها العقل، ومطرها الرحمة، وأثمارها الطاعة، وثمرها الحكمة، ولها أربعة أبواب: العلم والحلم والصبر والرضا، ألا وهي القلب[٢].

ممّا جاء في أدعية سحر شهر رمضان المبارك: اللهمّ املأ قلبي حبّاً لك وخشيةً منك وتصديقاً لك وإيماناً بك وفرقاً منك وشوقاً إليك يا ذا الجلال والإكرام[٣].

«وبالجملة الذي يجب على العبد بذل غاية الطاقة فيه هو عبادة القلب بالمعرفة والذكر والشكر وغيرها من عباداته، وأمّا العبادة البدنية فالمرغوب شرعاً فيها الاقتصاد لا الجهد الشديد، وأمّا تلطيف القلب بالمعرفة وما يتبعها من كرائم صفاتها فالمرغوب فيه الإدمان بقدر الوسع والطاقة، حتّى يصير حاله كما قال الصادق عليه السلام في حقّ العارف: «لو سها قلبه عن الله طرفة عين لمات شوقاً إليه»، وإذا انكشف عن قلبه أغشية الأوهام، وارتفعت عنه الحجب الظلمانية، وتجلّى فيه

---

(١) البحار ٦٧ : ٦٠، عن نهج البلاغة تحت الرقم ١٠٨ من الحكم.

(٢) المصدر : ٥٩.

(٣) مفاتيح الجنان : ٢٠١.

أنوار جمال الصفات، وسبحات جلال الذات، وبرق له لامع كثير البرق، لا يمكنه الغفلة والسهو، وينقلب أحوال قلبه بتجلّيات خصوص الصفات الجمالية والجلالية. والله جلّ جلاله يتولّى رياضة قلبه بالخوف والرجاء من هذا الطريق حتّى يورده مقعد الصدق في جواره، ويسكنه في الفردوس الأعلى جنّة النور مع النبيّين والشهداء والصدّيقين، وحسن أُولئك رفيقاً»[1].

فاقبل على القلب يستكمل فضائله — فأنت بالقلب لا بالجسم إنسانُ
يا خادم الجسم كم تسعى لخدمته — وتطلب الربح فيما فيه خسرانُ

وحبّذا أن نذكر الصفة التشريحية للقلب في القرآن الكريم كما جاء ذلك في كتاب (الطبّ في القرآن والسنّة)[2]:

«أوّلاً ـ أوّل ما يخلق من أجزاء الإنسان:

للعلماء في ذلك ثلاثة آراء:

الرأي الأوّل: قال فريق من العلماء: إنّ أوّل ما يخلق من أجزاء الإنسان هو الرأس، واستدلّوا في ذلك على أنّه هو أوّل شيء يخرج من الإنسان إلى حيّز الوجود حال الوضع.

الرأي الثاني: وقيل: إنّه الكبد، واستدلّوا في ذلك على أنّه هو الذي يقوم بعملية هضم الطعام، وتحويل عصارته إلى كرات الدم بيضاء وحمراء، ثمّ يمدّ القلب بها، فوظيفته سابقة على وظيفة القلب.

الرأي الثالث: إنّه القلب، واستدلّوا على ذلك على أنّه عماد الجسم وقالبه

---

(١) المراقبات: ٤٥.

(٢) الطبّ في القرآن والسنّة: محمّد محمود عبد الله: ١٠.

وينبوع حياته بما أودع الله تعالى فيه من سرّ الحياة والحركة، وإنّه سلطان الجسم والملك المسلّط على مملكته، وباقي الأعضاء خادمة له. وهذا الرأي هو الراجح، لأنّ الحقّ تعالى حين عاب على من جحدوا النعمة وأنكروا وجوده قال:

﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾[1].

فجاء القلب في المرتبة الأُولى لما له من أهمّية حيث إنّه مقرّ العقل والتعقّل، ومقرّ البصيرة التي هي أرقى من البصر...

ثمّ يقول المؤلّف: وقد جاءت الصفة التشريحيّة للقلب في القرآن الكريم ستّة أجزاء مقسّمة على ستّ مراتب دقيقة متتالية:

١ ـ المرتبة الأُولى: القلب بوجه عامّ كدائرة كبرى بداخل الصدر، ووظيفته العامّة: هو ينبوع الحياة ومضخّة الدم التي لا تكلّ عن العمل، عدد ضرباته من ٦٠ إلى ٨٠ ضخّة في الدقيقة الواحدة، وينبض يومياً ما يزيد على مائة ألف مرّة يضخّ خلالها (٨٠٠٠ ليتر من الدم توزّع على جميع أعضاء الجسم بالتساوي في آن واحد، وحوالي ٥٦ مليون جالون على مدى حياة إنسان وسطاً)، وقد ورد في الحديث القدسي في قوله تعالى: (لم تسعني أرضي ولا سمائي، ووسعني قلب عبدي المؤمن)، إنّ القلب يقوم بكتابة الاسم الأعظم (الله) أثناء عملية ضخّ الدم هذه، ومن داخل القلب دائرة أصغر منه تسمّى الفؤاد.

٢ ـ المرتبة الثانية: الفؤاد، ووظيفته إدراك الأُمور الظاهرية، أي الفهم العادي. وقد تحدّث الحقّ تعالى عنه في تعدّد الحواسّ المسؤولة عن حركة الإنسان،

---

(١) الحجّ: ٤٦.

فقال:

﴿ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً ﴾(١).

٣ ـ المرتبة الثالثة: اللباب، وهو دائرة أصغر بداخل الفؤاد، وظيفته فهم الأُمور الخفيّة الدقيقة، أي الفهم فوق العادة، وقد خصّ الحقّ تعالى أصحاب الألباب بميزة التدبّر، وسرعة الإدراك في الاستدلال على عظمة الخلّاق دون غيرهم فقال عزّ ثناؤه:

﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُولِي الأَلْبَابِ ﴾(٢).

أي أنّ هذه الأجرام العظام وما فيها من صنعة دقيقة تدلّ على عظمة الصانع وقدرته، واختلاف الليل والنهار أي تعاقبهما، الأوّل بالظلمة والثاني بالضياء، لعلامات دالّة على وحدانية الله لا يعرفها إلّا أصحاب العقول الرشيدة، كما خصّهم الحقّ جلّ شأنه بميزة التذكّر، فقال سبحانه:

﴿ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الأَلْبَابِ ﴾(٣).

كما استحقّوا أن يكونوا أهل التمييز بين الأشياء صالحها وطالحها.

٤ ـ المرتبة الرابعة: العقل، وهو دائرة أصغر بداخل اللباب وظيفته الترجيح والفصل والتعقّل، الترجيح بين ما يجب وما لا يجب، والفصل بين القضايا، والتعقّل في وضع الأُمور في نصابها، وهو ميزان الجسم وموضع التكليف إذ لا تكليف إلّا

---

(١) الإسراء: ٣٦.

(٢) آل عمران: ١٩٠.

(٣) الرعد: ١٩.

على العقلاء، وقد أشار الحقّ تعالى إلى ذلك بقوله:

﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا ﴾[1].

فبيّن سبحانه أنّ موطن العقل في القلب ومدى أهمّيته للإنسان.

أمّا الصفة التشريحية الطبّية للعقل فالسادة علماء الطب يعتبرونه في الرأس، ولا خلاف بين الطبّ والنصّ القرآني، إذ أنّ الرأس به المخّ، وهو يمثّل المجموعة الفكرية للإنسان، التي تتعامل مع العقل بداخل القلب في طريق الإشارات العصبية، حيث يوجد في الدماغ (١٣ مليار خليّة عصبية) و(١٠٠ مليار خلية دبقية)، استنادية تشكّل سدّاً مانعاً لحراسة الخلايا العصبية من التأثّر بأيّ مادة. فكأنّ المجموعة الفكرية هي العقل، إذا بغير الفكر لا عقل.

٥ ـ المرتبة الخامسة: الوجدان، وهو دائرة أصغر بداخل العقل، ووظيفته الحزن والعاطفة، وقد نبّهنا الحقّ تعالى إلى خطر الإفراط في الحزن أو العاطفة فقال:

﴿ لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ﴾[2].

٦ ـ المرتبة السادسة: الجنان من داخل الوجدان دائرة أصغر تسمّى الجنان، ووظيفة الجنان الذكر الصامت لله ربّ العالمين، لأنّ الذكر نوعان:

١ ـ منطوق باللسان.

٢ ـ صامت بالجنان...

ثمّ يقول المؤلّف: بعد أن بيّنا أنواع الداء، إليك أنواع الدواء، فيذكر أوّلاً الدواء في القرآن وأنّه نوعان:

---

(١) الحجّ: ٤٦.

(٢) الحديد: ٢٣.

١ ـ حسّي، وهو ما يعالج البدن والأعضاء.

٢ ـ معنوي، وهو ما يعالج الروح والقلب والبدن.

أمّا الجانب الحسّي الذي يعالج علل الجسم فيتمثّل في الأشياء التي جاء التنزيل بها صراحة، وهي:

١ ـ الماء بوجه عامّ. ٢ ـ ماء السماء. ٣ ـ ماء الأرض بوجه عامّ. ٤ ـ ماء الأرض في حالات خاصّة. ٥ ـ البقول والخضروات. ٦ ـ الحبّ والنوى. ٧ ـ الزيتون والرمّان. ٨ ـ اللحوم. ٩ ـ اللبن. ١٠ ـ ثمرات النخيل والأعناب. ١١ ـ عسل النحل. ١٢ ـ زيت الزيتون. ١٣ ـ السمك. ١٤ ـ الخردل. ١٥ ـ القرع، وهو اليقطين. ١٦ ـ الموز. ١٧ ـ لحم الطيور. ١٨ ـ الكافور. ١٩ ـ الزنجبيل. ٢٠ ـ المسك. ٢١ ـ التين والزيتون.

ثمّ يذكر آيات هذه الأطعمة وما فيها من الآثار الطبّية والمعالجات الصحّية، ثمّ يذكر الشفاء المعنوي كالإيمان وصدق الاعتقاد واليقين في من بلّغ عن ربّه وهو الرسول الأعظم ﷺ، والذكر والتوكّل والقرآن وأنّه شفاء لما في الصدور من كلّ داء إلّا الموت، والرحمة العامّة والخاصّة. فراجع إذا أردت التفصيل.

الفصل الثاني

القلب في رحاب القرآن الكريم

لو رجعنا إلى القرآن الكريم في معرفة القلب، فإنّا نجد قد شُبّه القلب بأُمور، منها:

١ ـ شُبّه بالعقل الدرّاك لما فيه الخير والصلاح، والذي تنفعه الذكرى والموعظة كما في قوله تعالى:

﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ ﴾[1].

٢ ـ وإنّه مركز الخوف والرعب، كما في قوله سبحانه:

﴿ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ ﴾[2].

٣ ـ وإنّه بمعنى الروح، كما في قوله عزّ وجلّ:

﴿ وَإِذْ زَاغَتِ الأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الحَنَاجِرَ ﴾[3].

٤ ـ وإنّه منطلق العواطف والأحاسيس، كما في قوله جلّ جلاله:

---

(١) ق: ٣٧.

(٢) الأنفال: ١٢.

(٣) الأحزاب: ١٠.

﴿ فَبِما رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ القَلْبِ ﴾[١].

ثمّ إنّ في الإنسان لقوّة تسيّره في الحياة، وتواكبه منذ نعومة أظفاره وإلى يوم رحلته، وهذه القوّة التي تعطيه الحيوية والنشاط إنّما تنطلق من مركزين:

١ ـ مركز الإدراكات.

٢ ـ مركز العواطف.

وكلاهما نسب في القرآن الكريم إلى القلب. فمركز الإدراكات والمدركات الحسّية وغيرها، إنّما هو الدماغ والمخّ، وهو من خدّام الروح، ومركز العواطف هو القلب الصنوبري، فإنّ الحزن والسرور يؤثّران عليه. والجامع لمركزي القوّة في الواقع والحقيقة إنّما هو روح الإنسان، إلّا أنّ الآثار الجسمية مختلفة ومتفاوتة، فإنّ الإدراك الفهمي تظهر آثاره ابتداءً على الدماغ، كما أنّ المحبّة والعداوة والخوف والأمن والسرور والحزن، إنّما تظهر آثارها أوّلاً على القلب.

ولا مانع أن تنسب القضايا الفكرية والعاطفية إلى القلب بعدما كان سلطان البدن وأميره، وإنّه من أهمّ الجوارح والجوانح[٢] التي تؤثّر في بقاء الإنسان حيّاً في الحياة الأُولى.

ثمّ القرآن كتاب الله الحكيم يذكر حالات مختلفة للقلب مثلاً:

١ ـ يران كما يران الحديد:

﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾[٣] من المعاصي والآثام.

---

(١) آل عمران: ١٥٩.

(٢) الجوارح: الأعضاء الظاهرة التي يصدر منها الجروح، والجوانح: البواطن.

(٣) المطفّفين: ١٤.

٢ ـ وإنّه يقسو ويكون كالحجارة أو أشدّ :

﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ﴾[١].

٣ ـ وإنّه يغلظ :

﴿ وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ القَلْبِ لانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾[٢].

٤ ـ وإنّه يمرض بأمراض معنوية، كعدم استقرار الايمان :

﴿ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ ﴾[٣].

فيتبع خطوات الشيطان، ويتّخذ إلهه هواه.

٥ ـ وإنّه يختم على القلب، فلا يفقه شيئاً ولا يشعر :

﴿ خَتَمَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ ﴾[٤].

٦ ـ وربما يكون ظرفاً للخوف والرعب :

﴿ سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ ﴾[٥].

٧ ـ وربما يكون آثماً بمعصية الله، كمن يكتم الشهادة :

﴿ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ ﴾[٦].

٨ ـ ومن القلوب تجهل ولا تفهم ولا تفقه الحقّ :

---

(١) البقرة : ٧٤.

(٢) آل عمران : ١٥٩.

(٣) الأحزاب : ٣٢.

(٤) البقرة : ٧.

(٥) آل عمران : ١٥١.

(٦) البقرة : ٢٨٣.

﴿ لَهُمْ قُلُوبٌ لا يَفْقَهُونَ بِهَا ﴾[١].

٩ ـ والله سبحانه يختبر ويمتحن القلوب :

﴿ إِنْ يَعْلَمِ اللهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْراً يُؤْتِكُمْ خَيْراً ﴾[٢].

١٠ ـ ويكون القلب موضع رحمة الله ورأفته وسكينته :

﴿ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً ﴾[٣].

كما هناك حالات كثيرة للقلب ـ كما ستقف عليها ـ وتعلم أنّ القلب في القرآن الكريم ليس مجرّد لحمة صنوبرية تصفّي الدم، بل يأتي بمعانٍ عديدة كالروح والصدر، ويحمل معاني متضادّة كالخير والشرّ.

والقرآن يفسّر بعضه بعضاً، والتفسير هو كشف القناع عن الظاهر والباطن، وربط الآيات الشريفة في المحتوى العامّ في كلّ القرآن في الظواهر والبواطن.

فلو رجعنا إلى القلوب الواردة في القرآن ومقايستها بعضها مع بعض، لرأينا هناك ألفاظ قريبة المعنى، كالقلب والنفس والصدر والفؤاد، كما في قوله تعالى :

﴿ وَاللهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ ﴾[٤].

﴿ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ ﴾[٥].

﴿ أَوَ لَيْسَ اللهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ العَالَمِينَ ﴾[٦].

---

(١) الأعراف : ١٧٩.

(٢) الأنفال : ٧٠.

(٣) الحديد : ٢٧.

(٤) الأحزاب : ٥١.

(٥) الإسراء : ٢٥.

(٦) العنكبوت : ١٠.

فالقلب والنفس والصدر كلٌّ قد صار متعلّقاً لعلم الله سبحانه، فإمّا أن يكون بمعنى واحد، وأنّها ألفاظ مترادفة، أو بمعنى (قسم من البواطن) الذي يكون مركزاً للإدراكات العقلية، والعواطف الروحية، والأحاسيس النفسية.

فالله يعلم ما في القلوب، والعلم نور يقذفه الله في قلب من يشاء:

﴿ فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى القُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾[1].

ثمّ سمّي القلب قلباً لتقلّبه في الخواطر والحوادث، كما أشار إليه المحقّق النراقي في كتابه القيّم (جامع السعادات)[2] تحت عنوان (النفس وأسماؤها وقواها الأربع) فقال:

ما عرفت من تجرّد النفس إنّما هو التجرّد في الذات دون الفعل، لافتقارها فعلاً إلى الجسم والآلة، فحدّها: أنّها جوهر ملكوتي يستخدم البدن في حاجاته، وهو حقيقة الإنسان وذاته، والأعضاء والقوى آلاته التي يتوقّف فعله عليها، وله أسماء مختلفة بحسب اختلاف الاعتبارات، فيسمّى (روحاً) لتوقّف حياة البدن عليه و(عقلاً) لإدراكه المعقولات، و(قلباً) لتقلّبه في الخواطر، وقد تستعمل هذه الألفاظ في معانٍ أُخرى تعرف بالقرائن، وله قوى أربعة:

١ ـ قوّة عقليّة ملكية.

٢ ـ وقوّة غضبية سبعية.

٣ ـ وقوّة شهوية بهيمية.

٤ ـ وقوّة وهميّة شيطانية.

---

(١) الحجّ: ٤٦.

(٢) جامع السعادات ١: ٢٨.

والأُولى : شأنها إدراك حقائق الأُمـور ، والتمـييز بـين الخـيرات والشرور ، والأمر بالأفعال الجميلة ، والنهي عن الصفات الذميمة .

والثانية : موجبة لصدور أفعال السباع من الغضب والبغضاء والتوثّب على الناس بأنواع الأذى .

والثالثة : لا يصدر عنها إلّا أفعال البهائم مـن عـبودية الفـرج والبـطن ، والحرص على الجماع والأكل .

والرابعة : شأنها استنباط وجوه المكـر والحِـيَل ، والتـوصّل الى الأغـراض بالتلبيس والخدع .

ثمّ الإنسان جامع لجملة من القـوى ـ كـما مـرّ ـ والغـرائـز والأحـاسيس والعواطف ، ولكلّ قوّة وغريزة لذّة واستمتاع ، ولذّتها في نيلها وحصول مقصودها بمقتضى طبعها وسجيّتها التي خلقت له ، فإنّ هذه الغرائز ما ركّبت في الإنسان هزلاً وشططاً ، بل خلقت كلّ قوّة وغريزة لأمر من الأُمور المـودعة في سريـرتها ، هـو مقتضاها بالطبع .

وفي القلب الإنساني غريزة تسمّى النور الإلهي لقوله تعالى :

﴿ أَفَمَنْ شَرَحَ اللهُ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ ﴾[١] .

وقد تسمّى نور الإيمان واليقين والعلم الإلهي والمعرفة النورانية ، ولا مـعنى للاشتغال بالأسماء والألفاظ وإن كانت تنبئ عن مسمّيات ومعاني ، إلّا أنّهـا مـن الاصطلاحات المختلفة ، ولا مشاحّة في الاصطلاح ، وربما الضعيف في ثقافته ، يظنّ أنّ الاختلاف واقع في المعاني ، لأنّه يطلب دائماً المعاني من نـفس الألفـاظ ، وهـو

---

(١) الزمر : ٢٢ .

عكس المطلوب.

فالقلب مفارق لسائر أجزاء البدن بصفة بها يدرك المعاني التي ليست متخيّلة ولا محسوسة، كإدراكه خلق العالم، أو افتقاره إلى خالق مدبّر حكيم موصوف بصفات إلهية، مستجمع لجميع صفات الكمال من الجمال والجلال.

ولا مانع أن تسمّى تلك الغريزة عقلاً، بشرط أن لا يفهم من لفظ العقل ما يدرك به طرق المجادلة والمناظرة، فإنّه اشتهر اسم العقل بهذا المعنى أيضاً، ولهذا ذمّه من ذمّه، وإلّا فالصفة التي بها يفارق الإنسان البهائم والعجماوات، وبها يدرك المعارف السامية كمعرفة الله سبحانه، فإنّها أعزّ وأنفس الصفات، فلا ينبغي أن يذمّ ويحارب كما عند الحشرية وأهل الظاهر والأخباريين.

وهذه الغريزة خلقت في الإنسان ليعلم بها حقائق الأُمور، وواقع الأشياء كلّها، فمقتضى طبعها المعرفة والعلم وهي لذّتها ـ ومن هذا المنطلق عندما يحلّ للإنسان مشكلة علميّة، ويقف على حقيقتها، فإنّه يبتهج ويسترّ غاية السرور والبهجة حتّى يصرخ أين الملوك وأبناء الملوك، لما يشعر آنذاك بلذّة خارقة لا يجدها الملوك ـ كما أنّ مقتضى طبع سائر الغرائز هو لذّتها، فمعرفة الله ألذّ الأشياء وأنّه لا لذّة فوقها، وإنّما يشعر بها من كان له قلب وألقى السمع وهو شهيد[1].

ولا يخفى أنّ معرفة القلب وحقيقته وآثاره وصفاته ولوازمه ممّا خفي على كثير من الناس، وفي الأخبار والروايات الشريفة لم يبيّن المعصومون الأئمة الأطهار عليهم السلام ذلك إلّا بإشارات وكنايات، فينبغي أن يكتفى ما يذكر من صلاحه وفساده وآفاته ودرجاته وحالاته وأخلاقياته، ونسعى في تهذيب وتكميل وتنوير

---

(١) اقتباس من المحجّة البيضاء ٨: ٢٧.

هذه الخلقة العجيبة واللطيفة الربانية، وتخليتها من الصفات الذميمة، وتحليتها بالأخلاق الحميدة، وتجليتها حتّى تعرج بنا إلى مدارج الكمال، وإفاضة المعارف من الله جلّ جلاله.

ثمّ المشهور بين الحكماء ومن يسلك مسلكهم، أنّ المراد بالقلب هو النفس الناطقة، وهي جوهر روحاني متوسّط بين العالم الروحاني الصرف والعالم الجسماني، يفعل فيما دونه، وينفعل عمّا فوقه، وإثبات الأُذن له ـ يقال للقلب أُذنان كما سيأتي بيانه مفصّلاً ـ إنّما هو على الاستعارة والتشبيه.

يذكر العلّامة المجلسي في كتابه الشريف (بحار الأنوار)[1] عن بعض المحقّقين قوله: القلب شرف الإنسان وفضيلته التي بها فاق جملة من أصناف الخلق باستعداده لمعرفة الله سبحانه التي في الدنيا جماله وكماله وفخره، وفي الآخرة عدّته وذخره، وإنّما استعدّ للمعرفة بقلبه، لا بجارحة من جوارحه، فالقلب هو العالم بالله، وهو العامل لله، وهو الساعي إلى الله، وهو المتقرّب إليه، وإنّما الجوارح أتباع له وخدم وآلات يستخدمها القلب ويستعملها استعمال الملك للعبيد، واستخدام الراعي للرعية، والصانع للآلة.

والقلب هو المقبول عند الله إذا سلم من غير الله سبحانه، وهو المحجوب عن الله إذا صار مستغرقاً بغير الله، وهو المطالب والمخاطب وهو المثاب والمعاقب، وهو الذي يستسعد بالقرب من الله تعالى، فيفلح إذا زكّاه، وهو الذي يخيب ويشقى إذا دنّسه ودسّاه.

وهو المطيع لله بالحقيقة به، وإنّما الذي ينتشر على الجوارح من العبادات

---

(١) البحار ٦٧ : ٣٤.

أنواره، وهو العاصي المتمرّد على الله، وإنّما الساري على الأعضاء من الفواحش آثاره، وبإظلامه واستتاره تظهر محاسن الظاهر ومساويه، إذ كلّ إناء يترشّح بما فيه، وهو الذي إذا عرفه الإنسان فقد عرف نفسه، وإذا عرف نفسه فقد عرف ربّه، وهو الذي إذا جهله الإنسان فقد جهل نفسه، وإذا جهل نفسه فقد جهل ربّه، ومن جهل بقلبه فهو بغيره أجهل، وأكثر الخلق جاهلون بقلوبهم وأنفسهم، وقد حيل بينهم وبين أنفسهم، فإنّ الله يحول بين المرء وقلبه، وحيلولته بأن لا يوفّقه لمشاهدته ومراقبته ومعرفة صفاته، وكيفية تقلّبه بين إصبعين من أصابع الرحمن، وأنّه كيف يهوى مرّة إلى أسفل السافلين، وينخفض إلى أُفق الشياطين، وكيف يرتفع أُخرى إلى أعلى علّيين، ويرتقي إلى عالم الملائكة المقرّبين.

ومن لم يعرف قلبه ليراقبه ويراعيه ويترصّد ما يلوح من خزائن الملكوت عليه وفيه، فهو ممّن قال الله تعالى فيه:

﴿ وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُوْلَـئِكَ هُمُ الفَاسِقُونَ ﴾[١].

فمعرفة القلب وحقيقة أوصافه أصل الدين، وأساس طريق السالكين.

فإذا عرفت ذلك فاعلم أنّ النفس والروح والقلب والعقل ألفاظ متقاربة المعاني، فالقلب يطلق لمعنيين أحدهما اللحم الصنوبري الشكل المودع في الجانب الأيسر من الصدر، وهو لحم مخصوص وفي باطنه تجويف، وفي ذلك التجويف دم أسود، وهو منبع الروح ومعدنه، وهذا القلب موجود للبهائم، بل هو موجود للميّت.

---

(١) الحشر: ١٩.

والمعنى الثاني هو لطيفة ربّانية روحانية لها بهذا القلب الجسماني تعلّق، وقد تحيّرت عقول أكثر الخلق في إدراك وجه علاقته، فإنّ تعلّقها به يضاهي تعلّق الأعراض بالأجسام والأوصاف بالموصوفات، أو تعلّق المستعمل للآلة بالآلة، أو تعلّق المتمكّن بالمكان، وتحقيقه يقتضي إفشاء سرّ الروح، ولم يتكلّم فيه رسول الله ﷺ، فليس لغيره أن يتكلّم فيه.

ثمّ يذكر العلّامة معنى الروح وأنّه على معنيين، والنفس كذلك، ثمّ العقل وبعض معانيه، ثمّ يقول:

وأكثر العلماء قد التبس عليهم اختلاف هذه الألفاظ وتواردها، فتراهم يتكلّمون في الخواطر، ويقولون هذا خاطر العقل وهذا خاطر الروح، وليس يدري الناظر اختلاف معاني هذه الأسماء.

وحيث ورد في الكتاب والسنّة لفظ القلب، فالمراد به المعنى الذي يفقه من الإنسان، ويعرف حقيقة الأشياء، وقد يكنّى عنه بالقلب الذي في الصدر، لأنّ بين تلك اللطيفة وبين جسم القلب علاقة خاصّة، فإنّها وإن كانت متعلّقة بسائر البدن ومستعملة له، ولكنّها تتعلّق به بواسطة القلب، فتعلّقها الأوّل بالقلب فكأنّه محلّها ومملكتها وعالمها ومطيّتها، ولذا شبّه القلب بالعرش والصدر بالكرسي. ـ وللبحث صلة، فراجع ـ

فصلاح القلب يؤثّر على الجسد. قال رسول الله ﷺ: في الإنسان مضغة إذا هي سلمت وصحّت سلم بها سائر الجسد، فإذا سقمت سقم لها سائر الجسد وفسد، وهي القلب[1].

---

(١) البحار ٦٧ : ٥٠، عن الخصال ١ : ١٨.

وعن أبي جعفر عليه السلام، قال: القلوب ثلاثة: قلب منكوس لا يعثر على شيء من الخير وهو قلب الكافر، وقلب فيه نكتة سوداء فالخير والشرّ فيه يعتلجان، فما كان منه أقوى غلب عليه، وقلب مفتوح فيه مصباح يزهر فلا يطفأ نوره إلى يوم القيامة، وهو قلب المؤمن[1].

هذا وقد وردت كلمة (القلب) ومشتقّاتها في القرآن الكريم في (١٦٨) موضعاً، وهذه جملة من الآيات الشريفة:

١ ـ ﴿ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴾[2].

٢ ـ ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾[3].

٣ ـ ﴿ سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَاناً وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ ﴾[4].

٤ ـ ﴿ تِلْكَ الْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَائِهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ ﴾[5].

٥ ـ ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لا يَفْقَهُونَ بِهَا

---

(١) البحار ٦٧: ٥٠، عن معاني الأخبار: ٣٩٥.

(٢) المؤمن: ٣٥.

(٣) ق: ٣٧.

(٤) آل عمران: ١٥١.

(٥) الأعراف: ١٤١.

وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لا يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمُ الغَافِلُونَ ﴾[1].

٦ ـ ﴿ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى المَلائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴾[2].

٧ ـ ﴿ لَقَدْ تَابَ اللهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ العُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ ﴾[3].

٨ ـ ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ رُسُلاً إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاؤُوهُمْ بِالبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ نَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِ المُعْتَدِينَ ﴾[4].

٩ ـ ﴿ كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ المُجْرِمِينَ ﴾[5].

١٠ ـ ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى القُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾[6].

١١ ـ ﴿ كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ المُجْرِمِينَ ﴾[7].

---

(١) الأعراف : ١٧٩.

(٢) الأنفال : ١٢.

(٣) التوبة : ١١٧.

(٤) يونس : ٧٤.

(٥) الحجر : ١٢.

(٦) الحجّ : ٤٦.

(٧) الشعراء : ٢٠٠.

١٢ ـ ﴿ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ ﴾[١].

١٣ ـ ﴿ وَإِذَا ذُكِرَ اللهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾[٢].

١٤ ـ ﴿ أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ القُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾[٣].

١٥ ـ ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ المُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَاناً مَعَ إِيمَانِهِمْ وَللهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَكَانَ اللهُ عَلِيماً حَكِيماً ﴾[٤].

١٦ ـ ﴿ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الإِنجِيلَ وَ جَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾[٥].

١٧ ـ ﴿ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ﴾[٦].

١٨ ـ ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ القَلْبِ لانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ المُتَوَكِّلِينَ ﴾[٧].

---

(١) الروم : ٥٩.

(٢) الزمر : ٤٥.

(٣) محمّد ﷺ : ٢٤.

(٤) الفتح : ٤.

(٥) الحديد : ٢٧.

(٦) النازعات : ٨.

(٧) آل عمران : ١٥٩.

١٩ ـ ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللهِ أَلا بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾[١].

٢٠ ـ ﴿ ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴾[٢].

٢١ ـ ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾[٣].

٢٢ ـ ﴿ رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْماً تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ ﴾[٤].

٢٣ ـ ﴿ إِذْ جَاؤُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللهِ الظُّنُونَ ﴾[٥].

٢٤ ـ ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴾[٦].

٢٥ ـ ﴿ قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوّاً لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللهِ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾[٧].

---

(١) الرعد : ٢٨.

(٢) الحجّ : ٣٢.

(٣) الحجّ : ٤٦.

(٤) النور : ٣٧.

(٥) الأحزاب : ١٠.

(٦) المؤمن : ١٨.

(٧) البقرة : ٩٧.

٢٦ ـ ﴿ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴾[١].

٢٧ ـ ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِباً فَإِنْ يَشَأْ اللهُ يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ وَيَمْحُ اللهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾[٢].

٢٨ ـ ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴾[٣].

٢٩ ـ ﴿ وَإِنْ كُنتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تجِدُوا كَاتِباً فَرِهَانٌ مَقْبُوضَةٌ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضاً فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللهَ رَبَّهُ وَلا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾[٤].

٣٠ ـ ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا للهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾[٥].

٣١ ـ ﴿ مَنْ كَفَرَ بِاللهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْراً فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾[٦].

٣٢ ـ ﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً ﴾[٧].

---

(١) الشعراء : ١٩٤.

(٢) الشورى : ٢٤.

(٣) البقرة : ٢٠٤.

(٤) البقرة : ٢٨٣.

(٥) الأنفال : ٢٤.

(٦) النحل : ١٠٦.

(٧) الكهف : ٢٨.

٣٣ ـ ﴿ يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلا تَخْضَعْنَ بِالقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلاً مَعْرُوفاً ﴾(١).

٣٤ ـ ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللهِ أَفَلا تَذَكَّرُونَ ﴾(٢).

٣٥ ـ ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾(٣).

٣٦ ـ ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي المَوْتَى قَالَ أَوَ لَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءاً ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْياً وَاعْلَمْ أَنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾(٤).

٣٧ ـ ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغاً إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ المُؤْمِنِينَ ﴾(٥).

٣٨ ـ ﴿ مَا جَعَلَ اللهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللهُ يَقُولُ الحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ﴾(٦).

---

(١) الأحزاب : ٣٢.

(٢) الجاثية : ٢٣.

(٣) التغابن : ١١.

(٤) البقرة : ٢٦٠.

(٥) القصص : ١٠.

(٦) الأحزاب : ٤.

الفصل الثالث

المرشد القلبي

نعيش اليوم الخامس عشر من شهر رمضان المبارك ذكرى ميلاد سبط رسول الله الإمام الزكي الحسن المجتبى عليه السلام، فمن وحي المناسبة:

عن الإمام الحسن عليه السلام، عن أبي الحسن أمير المؤمنين عليّ عليه السلام، عن جدّ الحسن رسول الله صلى الله عليه وآله، قال: إنّ أحسن الحسن الخُلق الحسن.

إنّ الله سبحانه قد حثّ الإنسان على أن يتخلّق بالأخلاق الحسنة، فقد أقسم بالشمس وضحاها وبالقمر إذا تلاها، وبالسماء والأرض وبالنفس إذا سوّاها، بأنّ الله عزّ وجلّ ألهمها فجورها وتقواها، وهذا هو الرأس المال الأخلاقي الأوّل الذي أعطاه الله للإنسان حتّى يسعده في الدارين ويتمّ الحجّة عليه ﴿ فَلِلَّهِ الحُجَّةُ البَالِغَةُ ﴾[1]، فتلطّف عليه بأن علّمه وألهمه ما فيه فجور النفس وما فيه تقواها، كما جعل له الرسول الباطني وهو العقل، وأيّده بالرسول الظاهري وهم الأنبياء والرسل عليهم السلام ومن يحذو حذوهم ويحفظ شريعتهم من الأئمة الأطهار وورثتهم العلماء الصالحين الأخيار.

---

(١) الأنعام: ١٤٩.

وقد مدح الله أنبياءه بأخلاقهم الحسنة، فإنّها مظاهر لصفات الله العليا وأسمائه الحسنى، وقد فاق خاتم النبيين جميع الخلائق، حتّى مدحه الله بخلقه الحسن:

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[1].

وإنّما أخلاقه هي تجسيم لأخلاق القرآن الكريم الذي يدعو الناس إلى العدل والإحسان وترك الفواحش ما ظهر منها وما بطن.

سئلت عائشة عن خلق النبيّ فقالت: كان خلقه القرآن.

فالقرآن هو كتاب الله الكريم أنزله لسعادة الإنسان وهدايته إلى سواء السبيل فهو حجّة الله على الخلق فيه تبيان كلّ شيء، وما من صغيرة أو كبيرة وما من رطب أو يابس إلّا في كتابٍ مبين.

وإنّما ترك النبيّ الأكرم في اُمّته الثقلين: كتاب الله وعترته، وإنّهما لن يفترقا حتّى يردا الحوض، فكلّ ما في القرآن الكريم من العلوم والمعارف والهداية والأخلاق الحسنة، إنّما هو في عترة رسول الله فهم الذين جسّدوا القرآن، وترجموه للناس في سلوكهم وأخلاقهم وحسن معاشرتهم، فمن تمسّك بهما لن يضلّ عن الصراط المستقيم أبداً.

فالله سبحانه في خلقه الأوّل ألهم الإنسان فجور نفسه وتقواها، وقد أفلح من زكّاها، وقد خاب من دسّاها، فتكرّم عليه بحكيم ومرشد قلبي، كما حثّه على أن يرجع في اُموره إلى المرشد والحكيم الظاهري، فقد ورد في الخبر الشريف: «هلك من لم يكن له حكيم يرشده»، فعلينا أن نرجع إلى معلّم الأخلاق والحكيم الصالح، ليطلعنا على عيوب أنفسنا، وما فيه صلاحنا وهلاكنا وشقاوتنا وسعادتنا، وإن

---

(١) القلم: ٤.

فقدناه، فإنّ لنا بلطف من الله وعنايته وهدايته وهو المعلّم والمرشد الأوّل: المرشد القلبي.

في الخبر الصحيح عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: ما من قلب إلّا وله أُذنان على أحدهما ملك مرشد وعلى الآخر شيطان مفتّن، هذا يأمره وهذا يزجره، الشيطان يأمره بالمعاصي والملك يزجره عنها، وهو قول الله عزّ وجلّ:

﴿ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ * مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾[1][2].

وعنه عليه السلام، قال: إنّ للقلب أُذنين، فإذا همّ العبد بذنب قال له روح الإيمان: لا تفعل، وقال له الشيطان، افعل، وإذا كان على بطنها نزع منه روح الإيمان.

قوله عليه السلام: (على بطنها)، راجع إلى المرأة المزنيّ بها في الزنا، ذكره على سبيل المثال كما ورد في الخبر الشريف: لا يزني المؤمن وهو مؤمن، فإنّه حين الزنا ينزع منه روح الإيمان، وإذا تاب توبةً نصوحة، فإنّها ترجع إليه، فإنّ المؤمن مفتون يذنب ويتوب.

ثمّ للنفس طريق إلى الخير وطريق إلى الشرّ، وللخير مشقّة حاضرة زائلة، ولذّة غائبة دائمة، وللشرّ لذّة حاضرة فانية ومشقّة غائبة باقية، والنفس بطبيعتها تطلب اللذّة وتهرب عن المشقّة، فالإنسان حينئذٍ دائماً متردّد بين الخير والشرّ، وروح الإيمان يدعوه إلى الخير وينهاه عن الشرّ، والشيطان يغويه فإنّه عدوّه.

ويحتمل أن يكون المراد من روح الإيمان هو الملك، وسمّي بروح الإيمان له

---

(١) ق: ١٧ ـ ١٨.

(٢) البحار ٦٧: ٣٣، عن الكافي ٢: ٢٦٦.

مؤيّد له وسبب لبقائه، فكأنّه روحه وبه حياته.

أو يراد به العقل فإنّه أيضاً كذلك.

أو يراد به الروح الإنساني من حيث اتّصافه بالإيمان.

أو يراد بها قوّة الإيمان وكماله ونوره، فإنّ كمال الإيمان باليقين بالله واليوم الآخر، لا يجتمع مع ارتكاب الكبائر والذنوب.

أو يراد بها نفس الإيمان وتكون الإضافة للبيان، فإنّ الإيمان الحقيقي ينافي ارتكاب موبقات المعاصي.

وعن أبي عبد الله عليه السلام، قال: ما من مؤمن إلّا ولقلبه أُذنان في جوفه: أُذن ينفث فيها الوسواس الخنّاس، وأُذن ينفث فيها الملك، فيؤيّد الله المؤمن بالملك، وذلك قوله:

﴿ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ ﴾[1].

---

(١) المجادلة: ٢٢.

الفصل الرابع

العلم القلبي

لقد ورد في الحديث الشريف : «ليس العلم بكثرة التعلّم، إنّما العلم نورٌ يقذفه الله في قلب من يشاء»، فهذا من العلم الإلهي الذي يفيضه على أوليائه من الأنبياء والأوصياء والمؤمنين الكمّل، وإنّ من موارد علم الأئمة الأطهار من عترة الرسول المختار، هو هذا العلم القلبي.

كان الصادق عليه السلام يقول : علمنا غابر ومزبور ونكت في القلوب ونقر في الأسماع، وإنّ عندنا الجفر الأحمر والجفر الأبيض ومصحف فاطمة عليها السلام وعندنا الجامعة فيها جميع ما تحتاج الناس إليه، فسئل عن تفسير هذا الكلام فقال : أمّا الغابر؛ فالعلم بما يكون، وأمّا المزبور؛ فالعلم بما كان، وأمّا النكت في القلوب فهو الإلهام، وأمّا النقر في الأسماع فحديث الملائكة عليهم السلام ، نسمع كلامهم ولا نرى أشخاصهم. إلى آخر الحديث الشريف[1].

عن أبي بصير، قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : إنّا نزاد في الليل والنهار ولولا أنّا نزاد لنفد ما عندنا، فقال أبو بصير : جعلت فداك، من يأتيكم ؟ قال : إنّ

---

(١) البحار ٢٦ : ١٨.

منّا لمن يعاين معاينة، ومنّا من ينقر في قلبه كيت وكيت، ومنّا من يسمع بأُذنه وقعاً كوقع السلسلة في الطست... إلى آخر الخبر[١].

وعنه عليه السلام : إنّ منّا لمن يوقر في قلبه ومنّا من يسمع بأُذنه، ومنّا من ينكت، وأفضل ممّن يسمع.

وعن أبي جعفر عليه السلام، قال: كان عليّ عليه السلام يعمل بكتاب الله وسنّة نبيّه، فإذا ورد عليه الشيء الحادث الذي ليس في الكتاب ولا في السنّة ألهمه الله الحقّ فيه إلهاماً، وذلك والله من المعضلات.

وعن عيسى بن حمزة الثقفي، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام : إنّا نسألك أحياناً فتسرع في الجواب، وأحياناً تطرق ثمّ تجيبنا، قال: نعم إنّه ينكت في آذاننا وقلوبنا، فإذا نكت نطقنا، وإذا أُمسك عنّا أمسكنا[٢].

وعن الحارث بن المغيرة النضري، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام : ما علم عالمكم؟ جملة يقذف في قلبه أو ينكت في أُذنه؟ قال: فقال: وحي كوحي أُمّ موسى.

عن عليّ السائي، قال: سألت الصادق عليه السلام عن مبلغ علمهم، فقال: مبلغ علمنا ثلاثة وجوه: ماضٍ وغابر وحادث، فأمّا الماضي فمفسّر، وأمّا الغابر فمزبور، وأمّا الحادث فقذف في القلوب ونقر في الأسماع وهو أفضل علمنا ولا نبيّ بعد نبيّنا.

وبقوله عليه السلام : «لا نبيّ بعد نبيّنا» كأنّما لدفع التوهّم الذي يخطر على الذهن أنّ هذا من النبوّة.

---

(١) البحار ٢٦ : ٥٣.

(٢) المصدر : ٥٧.

وعن زرارة، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: لما فسّر النكت بأنّه إلهام في القلوب والنقر في الأسماع إنّما هو من الملك: كيف يعلم أنّه كان الملك ولا يخاف أن يكون من الشيطان إذا كان لا يرى الشخص؟ قال: إنّه يلق عليه السكينة فيعلم أنّه من الملك، ولو كان من الشيطان اعتراه فزع، وإن كان الشيطان ـ يا زرارة ـ لا يتعرّض لصاحب هذا الأمر[1].

عن أبي بصير، قال: سمعته يقول: إنّ عندنا الصحف الأُولى: صحف إبراهيم وموسى، فقال له ضريس: أليست هي الألواح؟ فقال: بلى، قال ضريس: إنّ هذا لهو العلم، فقال: ليس هذا العلم إنّما هذه الأثرة، إنّ العلم ما يحدث بالليل والنهار يوم بيوم وساعة بساعة[2].

أجل هذا من العلم الفيّاض من الباري تعالى على عباده لرشدهم وسعادتهم وتكاملهم، وإنّ الله يفيضه على أوليائه الأمثل فالأمثل في كلّ زمان ومكان، وسيّد الأولياء وإمام المتّقين في عصرنا هذا إنّما هو صاحب الزمان عليه السلام القائم المهدي من آل محمّد عليهم السلام فإنّه حجّة الله على خلقه، ولولاه لساخت الأرض بأهلها، والله يفيض عليه العلم نقراً ونكتاً وإلهاماً يوم بيوم وساعة بساعة، ثمّ يترشّح من إلهاماته على الكمّلين من المؤمنين من الأوتاد والأبدال والصالحين، ثمّ الأمثل فالأمثل من المعارف الحقّة والعلوم الإلهيّة، فليس العلم بكثرة التعلّم، إنّما العلم نورٌ يقذفه الله في قلب من يشاء أن يهديه إلى الحقّ والحقيقة والرشد والصواب، فالعلم وكذلك نور الله، إنّما هو في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه، طابت وطهّرت، فتدلّت

---

(١) البحار ٢٦: ٦٠.

(٢) المصدر: ٦١.

قاب قوسين أو أدنى.

ثمّ المؤمن الكامل تحدّثه الملائكة ـ كما ورد في أخبارنا ـ فيُلهم ويُوحىٰ إليه كوحي أُمّ موسى، إلّا أنّه في السير والسلوك والعرفان وفي طريقه إلى الله سبحانه وتعالى قد قعد الشيطان بالمرصاد ليغويه:

﴿ لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾[١].

﴿ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴾[٢].

﴿ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ ﴾[٣].

والخلاصة أنّ الوحي تارةً يكون رحمانياً ومن الله سبحانه وتعالى، فهو الإلهام الربّاني يفيضه الله بواسطة مَلَك على المؤمن، وعلامته أنّه يقترن مع السكينة والاطمئنان القلبي، وربما يكون شيطانياً، ومن شياطين الجنّ والإنس، وعلامته أنّه يقترن معه الفزع والخوف كما قال الإمام عليه السلام ـ ولو كان من الشيطان اعتراه فزع ـ فالوحي مع السكينة ومع الأمارات القطعية أنّه من إلهام الملائكة، كما ورد في الدعاء الشريف «وألهمني إلهام الملائكة المقرّبين»، فهذا ينكت في القلب الذي يكون حرم الله وعرشه، وإذا كان الإيحاء من الشيطان فإنّه يعتريه الفزع والاضطراب، لأنّ الشيطان هو مضطرب، ويعد الناس الفقر، ويأمر بالفحشاء والمنكر، ومن كان مضطرباً لا يصدر منه الاطمئنان للتضادّ، فالمؤمن يحذره ولا يركن إليه، فليس كلّ كشف في طريق السير والسلوك يكون من الله، بل عندنا كشف إلهي رباني، وكشف

---

(١) الأعراف: ١٦.

(٢) الحجر: ٣٩ـ ٤٠.

(٣) الأنعام: ١٢١.

شيطاني، وأصحاب البدع والمذاهب الفاسدة، كان لهم الكشف، وربما الإخبار ببعض المغيّبات، بعد أن يسرقها الشياطين حين نزولها من السماء، فيوحون بها إلى أوليائهم، ليضلّونهم الصراط المستقيم، ويضلّلون بهم الناس، فهؤلاء أعوان الشياطين ومن حزبه، ضلّوا وأضلّوا، وكانوا أرباب المذاهب الباطلة والفرق المنحرفة والأحزاب الشيطانية، كمحمّد بن عبد الوهاب إمام الوهابية في السنّة، وعلي محمّد باب إمام البابية في الشيعة، وكلاهما من عملاء الاستعمار البريطاني في التأريخ المعاصر.

ولمثل هذا يقال: هلك من لم يكن له حكيم يرشده، فالسالك إلى الله ربما يُبتلى بمثل هذه الإيحاءات والكشفيات الشيطانية، فيحتاج إلى معلّم حكيم، ومربٍّ عليم، يرشده إلى ما هو الحقّ وإلى ما هو الباطل، إلى ما هو الخطأ وإلى ما هو الصواب، وإلى ما هو من الكشف الرحماني والإلهام الربّاني، وإلى ما هو من الكشف الشيطاني والوساوس الإبليسيّة.

ولمثل هذا نحتاج إلى العلماء الربانيين الإلهيين، ولا يكتفى بالكشفيات، ولا يفرح بها السالك، فما أكثرها في بداية السير والسلوك وإنّها من الوحي الشيطاني ليضلّه عن الصراط المستقيم، فتدبّر.

وإذا أردنا أن نترجم عالم الكشف والشهود بشيء محسوس فيمكن أن نضرب لذلك بمثال جهاز التلفاز في عصرنا الحاضر، فإنّه يأخذ عدّة قنوات، فمن يأخذ القناة الأُولى مثلاً فإنّه يغفل عن القناة الثانية، ولكن لا يعني أنّه ليس هناك برامج للقناة الثانية، بل هنالك برامج متنوّعة، يكفي أن يغيّر الإنسان بنفسه القناة الأُولى إلى الثانية ليشاهد برامجها، فالحياة الدنيا إنّما هي برامج القناة الأُولى، والآخرة إنّما هي قناة ثانية، وهي موجودة الآن كما نعتقد بخلق الجنّة والنار فعلاً،

فالذي يرى ظاهر الحياة الدنيا، فإنّه يغفل عن الآخرة.

ولكن هناك من أراهم الله ملكوت السماوات والأرض:

﴿ وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾[١].

﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الحَقُّ ﴾[٢].

ففي هذه الدنيا مثل هؤلاء يرون برامج القناة الثانية، فيرون الجنّة ونعيمها، ويرون النار وأصحابها، ويسمعون شهيقها وزفيرها، فلا ينامون ليلاً خوفاً ورهبةً، فما يكون للناس غيباً يكون لهم شهوداً، فإنّ الغيب المطلق هو الله سبحانه، وما سواه فهو غيب نسبي، فبالنسبة إلى عامّة الناس الذين يرون ظاهر الحياة الدنيا، وغرّتهم زخارفها وزبرجها، وأعجبتهم مظاهرها وبرامجها في القناة الأُولى، إنّما يكون غيباً، وأمّا الذين اتّقوا ربّهم، وزادهم الله حسناً وهدىً، ورفعت الحجب بينهم وبين الله (الحجب الظلمانية والنورانيّة) وانفتحت لهم القناة الثانية، فإنّهم يرون الجنّة والنار في الدنيا، وتنكشف لهم الحقائق ويرون الأشياء على حقيقتها... إلّا أنّ عالم الشهود والمكاشفة والظهور له مراتب، فمن الأولياء من يُفتح له القناة الثانية دقائق ولحظات، فيرى ما لا يراه غيره، ويسمع ما لا يسمع غيره، وذلك في عالم الرؤيا من المنامات الصالحة والرحمانية، ومنهم من يزيد في فتح القناة، ويطيل لما يحمل من صفات خاصّة، تدعوه إلى مشاهدة البرامج الممتازة، فيصيب المكاشفة الرحمانية، ومنهم من يكون له القناة الثانية مفتوحة دوماً، فهو في عالم الشهود أبداً، فلا يرى في

---

(١) الأنعام: ٧٥.

(٢) فصّلت: ٥٣.

الدير ديّاراً إلّا هو سبحانه وتعالى، وجاء في وصف الأئمة الأطهار عليهم السلام: «فبهم ملأت سماءك وأرضك حتّى ظهر أن لا إله إلّا الله»، فيكون العالم كلّه محضر الله وجنّة قدسه وبحبوحة توحيده. وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: لولا هيام الشياطين على قلوبكم لرأيتم ما أرى...

ولكن من عمي قلبه وصمّ أُذن قلبه، فإنّه لا يرى الحقّ ولا يسمعه، وإنّه ينكر هذه المعالم، بل ويعادي الصالحين ويماكسهم ويزاحمهم، فإنّ الناس أعداء ما جهلوه، فلا يرى إلّا ظاهر الحياة الدنيا، وهو عن الآخرة من الغافلين.

﴿ وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلاً ﴾[1].

﴿ فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى القُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾[2].

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «شرّ العمى عمى القلب».

وقال: «أعمى العمى عمى الضلالة بعد الهدى، وشرّ العمى عمى القلب».

قال الإمام الباقر عليه السلام في قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَى ﴾، فمن لم يدلّه خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار ودوران الفلك بالشمس والقمر، والآيات العجيبات على أنّ وراء ذلك أمراً هو أعظم منه: ﴿ فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَى ﴾ فهو عمّا لم يعاين أعمى وأضلّ سبيلاً.

قال الإمام الرضا عليه السلام: يعني أعمى عن الحقائق المجرّدة[3].

ويحجب عن مشاهدة الحقّ:

---

(١) الإسراء: ٧٢.

(٢) الحجّ: ٤٦.

(٣) ميزان الحكمة ٨: ٢٣٤.

﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ * كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ ﴾[(١)].

قال الإمام الكاظم عليه السلام : أوحى الله إلى داود : يا داود حذّر، فأنذر أصحابك عن حبّ الشهوات، فإنّ المعلّقة قلوبهم شهوات الدنيا، قلوبهم محجوبة عنّي.

ويقول رسول الله صلى الله عليه وآله : إنّ المؤمن إذا أذنب كانت نكتة سوداء في قلبه، فإن نزع واستغفر صقل قلبه منه، وإن ازداد زادت، فذلك الران الذي ذكره الله تعالى في كتابه : ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾، وقال : حرام على كلّ قلب عزّى بالشهوات أن يجول في ملكوت السماوات[(٢)].

ويقول أمير المؤمنين عليّ عليه السلام : «ومن لجّ وتمادى فهو الراكس (الناكث الذي قلب عهده ونكثه) الذي ران الله على قلبه، وصارت دائرة السوء على رأسه».

وعلينا أن ندعو ربنا ليل نهار أن يصلح قلوبنا، فقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله يكثر أن يقول : يا مقلّب القلوب ثبّت قلبي على دينك[(٣)].

ويقول الإمام الكاظم عليه السلام : إنّ الله جلّ وعزّ حكى عن قوم صالحين أنّهم قالوا : ﴿ رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا ﴾ حين علموا أنّ القلوب تزيغ وتعود إلى عماها ورداها[(٤)].

---

(١) المطفّفين : ١٤ ـ ١٥.

(٢) ميزان الحكمة ٨ : ٢٣٧.

(٣) ميزان الحكمة ١٠ : ٣٨٥.

(٤) ميزان الحكمة ٨ : ٢٣٧.

ومن أراد أن يجول ويمرح في ملكوت السماوات عليه أن يتخلّى عن الشهوات، ومن أراد أن يدرك رفيع المقامات وعلوّ الدرجات، فقد قال أمير المؤمنين عليّ عليه السلام: طهّروا أنفسكم من دنس الشهوات تدركوا رفيع الدرجات(١).

وقد خصّ الله سبحانه أُمّة خاتم النبيّين محمّد صلى الله عليه وآله بخصائص منها: الإيثار وفيه من الأنوار ما يبهر الناظر إليها في عالم الشهود والملكوت كما جاء ذلك في الخبر الشريف:

قال موسى عليه السلام: يا ربّ أرني درجات محمّد وأُمّته؟ قال: يا موسى، إنّك لن تطيق ذلك، ولكن أُريك منزلة من منازله جليلة عظيمة فضّلته بها عليك وعلى جميع خلقي... فكشف له عن ملكوت السماء فنظر إلى منزلة كادت تتلف نفسه من أنوارها وقربها من الله عزّ وجلّ، قال: يا ربّ، بماذا بلّغته إلى هذه الكرامة؟ قال: بخلق اختصصته به من بينهم وهو الإيثار، يا موسى، لا يأتيني أحد منهم قد عمل به وقتاً من عمر إلّا استحييت من محاسبته وبوّأته من جنّتي حيث يشاء(٢).

إذن أمثال موسى عليه السلام كعلمائنا الأعلام، الذين هم ورثة الأنبياء، وأفضل أو كمثل أنبياء بني إسرائيل يرون هذه المقامات والمنازل العرفانية في هذه الدنيا، ويكاد أن تتلف نفوسهم من أنوارها وقربها من الله عزّ وجلّ. فهناك من يرى برامج القناة الثانية لما سوى الله سبحانه إن كان يطيق المشاهدة والحضور!!

قال أمير المؤمنين عليّ عليه السلام: عليك بالآخرة تأتِكَ الدنيا صاغرة(٣)...

---

(١) ميزان الحكمة ١٠ : ٣٩٠.

(٢) ميزان الحكمة ١ : ٥.

(٣) ميزان الحكمة ١ : ٣٣.

والعاقل تكفيه الإشارة.

ويقول الإمام زين العابدين: الدنيا سِنَةٌ، والآخرة يقظة، ونحن ما بينهما أضغاث أحلام[١].

قال أمير المؤمنين عليّ عليه السلام: كن في الدنيا ببدنك وفي الآخرة بقلبك وعملك[٢].

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من أصبح وأمسى والآخرة أكبر همّه، جعل الله الغنى في قلبه، وجمع له أمره، ولم يخرج من الدنيا حتّى يستكمل رزقه، ومن أصبح وأمسى والدنيا أكبر همّه، جعل الله الفقر بين عينيه، وشتّت عليه أمره، ولم ينل من الدنيا إلّا قسّم له[٣].

قال أمير المؤمنين عليه السلام: سلوا القلب عن المودّات فإنّها شواهد لا تقبل الرُّشا[٤].

سئل عن الصادق عليه السلام: الرجل يقول: إنّي أودّك فكيف أعلم أنّه يودّني؟ قال: امتحن قلبك فإن كنت تودّه فإنّه يودّك.

قال الإمام الباقر عليه السلام: اعرف المودّة لك في قلب أخيك بما له في قلبك.

وقال الإمام الهادي عليه السلام: لا تطلب الصفا ممّن كدرت عليه، ولا النصح ممّن صرفت سوء ظنّك إليه، فإنّما قلب غيرك لك كقلبك له.

---

(١) ميزان الحكمة ١: ٣٥.

(٢) المصدر ١: ٣٧.

(٣) ميزان الحكمة ١: ٤٨.

(٤) ميزان الحكمة ١: ٤٨.

وقال عليّ عليه السلام: زكِّ قلبك بالأدب كما يزكّي النار بالحطب ولا تكن كحاطب الليل وغُثاء السيل.

قال الله تعالى لعيسى: أدّب قلبك بالخشية[1].

قال أمير المؤمنين لولده الإمام الحسن عليه السلام: إنّما قلب الحدث كالأرض الخالية ما أُلقي فيها من شيء قبلته فبادرتك بالأدب قبل أن يقسو قلبك ويشتغل لبّك.

زبدة الكلام:

إنّ الإنسان إنّما تشرّف على سائر مخلوقات الله بعقله وقلبه، والعقل للعلم والإدراك، والقلب للرؤية والحبّ، فالعقل كمال، والقلب جمال، وإنّما ينمو العقل ويزهر بالتفكّر، وإنّما يتهذّب القلب بالتذكّر، فلا بدّ للإنسان من فكر وذكر، والطريق إليهما إنّما هو بالعلم والانكشاف، إلّا أنّ طريق الفكر هو طلب العلم ومدارسته من الصبا إلى أيام الشباب، وطريق القلب إنّما هو بالمناجاة والأذكار والمواعظ وذلك من المهد إلى اللحد، فلا كسل في طلبه حتّى أيام الشيخوخة، فإنّه ربما يكسل عن تلقّي الدروس إلّا أنّه لا يكسل عن المناجاة، والروايات التي تشير إلى طلب العلم من المهد إلى اللحد إنّما هي ناظرة إلى هذا العلم القلبي، ولا يحقّ للإنسان أن يأخذ هذا العلم من أيٍّ كان، بل إنّما يأخذه من أهله، من العلماء الصالحين المخلصين المتّقين، أمّا الآية التي تدلّ على أنّ الإنسان يستمع إلى القول فيتّبع أحسنه فإنّها ناظرة إلى العلم العقلي، فيحقّ للمرء أن يستمع الأقوال ليأخذ

---

(١) تحف العقول: ٣٧٢.

أحسنها، فإنّ الحكمة ضالّة المؤمن يأخذها أينما وجدها، فكشف حقائق الأشياء إمّا أن يكون بالنظر والاستدلال والعلم العقلي، أو بالبصر والشهود والعلم القلبي، والأوّل مسلك الحكماء، والثاني طريق العرفاء، فالأوّل يتلقّى العلوم والمعارف بالعقل والنظر والفكر، والثاني بالقلب والشهود والذكر، وربما جمع الإنسان بين المسلكين، فيكون حكيماً عارفاً، فيجمع بين الفلسفة والعرفان، كما جاء ذلك في تعاليم الإسلام وثقافته.

وقد نقل عن بعض الأنبياء أنّه خاطب أصحابه قائلاً: «لا تقولوا: العلم في السماء منْ ينزل به، ولا في تخوم الأرض من يصعد به، ولا من وراء البحار من يعبر به، العلم مجعول في قلوبكم، تأدّبوا بين يديّ بآداب الروحانيين، وتخلّقوا بأخلاق الصدّيقين، أُظهر العلم من قلوبكم»[1].

فالعلم القلبي لا بدّ له من مراعاة الآداب الروحانيّة، حتّى يستعدّ القلب للفيوضات الإلهيّة، وتكشف الحقائق الكونية والتجلّيات الربّانية، ويشاهد ما في ملكوت السماوات والأرض من الأنوار البهيّة، والأشعّة القدسية، والعلوم الزكيّة.

---

(١) مجله پيام حوزه، العد ٦، الصفحة ١٠٩، عن كتاب مصباح الهداية ومفتاح الكفاية: لعزّ الدين الكاشاني: ٦٠.

الفصل الخامس

كيف يحول الله بين المرء وقلبه ؟

قال الله تعالى في محكم كتابه الكريم :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اَسْتَجِيبُوا للهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾[1].

إنّ الله سبحانه العالم بكلّ شيء من أحوال مخلوقاته ومصنوعاته، يخاطب المؤمنين ويدعوهم إلى الحياة السعيدة، فإنّ دعوة الإسلام دين الله القويم، هي دعوة للعيش السليم والحياة المستقيمة المتبلورة بالمعنويات، والمتكوّنة من المادّيات، في كلّ الأصعدة من الحياة الثقافية والاقتصادية والسياسية والأخلاقية والاجتماعية وغير ذلك من الأبعاد والحقول المختلفة، فإذا سأل أحد عن أهداف الإسلام ورسالته السمحاء الخالدة، فإنّ الجواب في أقصر جملة : إنّه (دين الحياة) على جميع الأصعدة.

والحياة ذات مراحل قد أشار إليها القرآن الكريم :

١ ـ فتارةً بمعنى الحياة النباتية، بمعنى جسم نامي فيه القوى الثلاثة من النموّ والرشد وتوليد المثل، كما يشير إلى هذه الحياة قوله تعالى :

---

(١) الأنفال : ٢٤.

﴿ اَعْلَمُوا أنَّ اللهَ يُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾[١].

٢ ـ وتارةً بمعنى الحياة الحيوانية، التي تعرّف بالجسم النامي الحسّاس المتحرّك بالإرادة، وأشار القرآن إليها في قوله تعالى:

﴿ إنَّ الَّذِي أحْيَاهَا لَمُحْيِي المَوْتَى ﴾[٢].

٣ ـ وثالثةً بمعنى الحياة الإنسانية، كما جاء تعريف الإنسان في علم المنطق بأنّه حيوان ناطق، فهي تعني الحياة الناطقية التي ترمز إلى القوّة الدرّاكة والعاقلة، فهي حياة فكريه وعقلية كما في قوله تعالى:

﴿ أوَ مَنْ كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ ﴾[٣].

وهذه المراحل من الحياة إنّما هي في الدنيا.

٤ ـ ورابعةً حياة اخروية، بانتقال الروح والعقل والنفس الناطقة إلى عـالم الآخرة، ومن ثمّ المعاد الجسماني والروحاني في حياة أُخروية جديدة خالدة، كما في قوله تعالى:

﴿ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي ﴾[٤].

٥ ـ وهذه المراحل الحيوية والحياتية إنّما هي مظاهر لحياة الله سبحانه (الحياة الإلهية) بمعنى العالم والقادر، بلا حدّ ولا نهاية، وبالسرمدية، فهي الحياة المطلقة ومطلق الحياة، كما في قوله تعالى: ﴿ الحَيِّ الَّذِي لا يَمُوتُ ﴾[٥].

فالناس في أيام الجاهلية الجهلاء والعمياء كانوا يعيشون الحياة الحيوانية

---

(١) الحديد: ١٧.

(٢) فصّلت: ٣٩.

(٣) الأنعام: ١٢٢.

(٤) الفجر: ٢٤.

(٥) الفرقان: ٥٣.

والمادية، إلّا أنّهم ابتعدوا عن الحياة الإنسانية والمعنوية والعقلية، فجاء الإسلام العظيم وكتاب الله القويم ليدعوهم إلى الحياة السعيدة، فمن يجعل الدين في إطارات ضيّقة، ومجرّد طقوس من دون دولة وحكم وقضايا فكرية واجتماعية، فإنّه بعيد عن روح الدين وحقيقته، لأنّ الدين الصحيح هو الذي يبعث الحركة والنشاط والحياة في كلّ الجوانب، وينهض بالناس في فكرهم وسلوكهم والإحساس بالمسؤولية، ويبعث نحو التكامل والرقيّ والتمدّن والحضارة.

فليست الحياة في الآية الشريفة تعني الجهاد أو الإيمان أو القرآن أو الجنّة وحسب، كما عند بعض المفسّرين، بل هذا تحديد لمفهوم الآية الوسيع، فإنّها تشمل كلّ هذه وغيرها من عوامل السعادة والتقدّم، وكلّ قانون يبعث الروح في جانب من جوانب الحياة.

ثمّ يقول سبحانه وتعالى:

﴿ وَٱعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يَحُولُ بَيْنَ المَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾[١].

ليس المقصود من القلب هنا هو الشكل الصنوبري من العضلة التي في القفص الصدري، بل بمعنى الروح والعقل كما مرّ سابقاً، أمّا إنّه كيف يحول الله بين المرء وقلبه فقد ذكروا لذلك احتمالات مختلفة:

أوّلاً: إنّه إشارة لشدّة قرب الله من عباده، فإنّه سبحانه داخل في الشيء لا كدخول شيء في شيء، بل هو قريب من العبد، وكأنّه داخل في روحه وجسده ويرى الله بقلبه، ويلمسه بروحه، كما يقول سبحانه:

﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الوَرِيدِ ﴾[٢].

---

(١) الأنفال: ٢٤.

(٢) ق: ١٦.

ثانياً : ربما إشارة إلى أنّ تقلّب القلوب والأفكار هي بيد الله سبحانه، فهو مقلّب القلوب والأبصار، كما جاء في الأدعية والأذكار : «يا مقلّب القلوب والأبصار».

ثالثاً : إنّ المقصود هو أنّه إذا لم يكن اللطف الإلهي برحمانيّته العامّة، فإنّ الإنسان غير قادر على معرفة الحقّ وأهله وحقّانيّته، كما يعرف بطلان الباطل.

رابعاً : وقيل : إنّ المقصود هو أنّه ما دام للناس فرصة، فلا بدّ أن يغتنموها قبل فوات الأوان بالطاعة والعمل الصالح، لأنّ الله سبحانه قد يحول بين المرء وقلبه بالموت؛ والموت يأتي بغتة، والقبر صندوق العمل.

«ويمكن بنظرة شاملة جمع كلّ التفاسير في تفسير واحد، هو أنّ الله عزّ وجلّ حاضر وناظر ومهيمن على كلّ المخلوقات، فإنّ الموت والحياة والعلم والقدرة والأمن والسكينة والتوفيق والسعادة، كلّها بيديه وتحت قدرته، فلا يمكن للإنسان كتمان أمرٍ ما عنه، أو أن يعمل أمراً بدون توفيقه، وليس من اللائق للإنسان كتمان أمرٍ ما عنه، أو أن يعمل أمراً بدون توفيقه، وليس من اللائق التوجّه لغيره وسؤال من سواه. لأنّه مالك كلّ شيء والمحيط بجميع وجود الإنسان، وارتباط هذه الجمل مع سابقتها من وجهة أنّه لو دعا النبيّ ﷺ الناس إلى الحياة، فذلك لأنّ الذي أرسله هو مالك الحياة والموت والعقل والهداية ومالك كلّ شيء.

وللتأكيد على هذا الموضوع فإنّ الآية تقول ما معناه : إنّكم لستم اليوم في حدود قدرته فحسب، بل ستذهبون إليه في العالم الآخر، فهنا وهناك كلّ الناس بين يديه»[1].

(١) تفسير الأمثل ٥ : ٣٦٢.

الفصل السادس

النيّة من أهمّ الأعمال القلبية

إنّ للقلب أعمالٌ كما للجوارح أعمال وأفعال، ومن أعمال القلب الايمان والإقرار والمعرفة والرضا والتسليم والتوكّل والمحبّة والشفقة والتقوى، وغير ذلك...

ومن أهمّ أعمال القلب النيّة، وهي: القصد إلى الفعل، وإنّها واسطة بين العلم والعمل، فإنّه إذا ما لم يعلم الشيء لم يكن قصده، وما لم يقصد لم يصدر عنه، والسالك العارف لمّا كان غرضه الوصول إلى مقصد معيّن كامل على الإطلاق، وهو الكمال المطلق ومطلق الكمال، أي الله سبحانه وتعالى، فلا بدّ من اشتمال العمل على قصد التقرّب به إليه عزّ وجلّ. فيمتثل أمر الله تعالى فيما ندب إليه عباده ووعدهم الأجر عليه، وإنّما يأجرهم على حسب عقولهم وأقدارهم ومنازلهم ونيّاتهم.

وإنّما المقصود من العبادات هو الطاعة لا بمجرّد التعبّد وإتيان الطقوس الدينية، والناس يتفاوتون في عباداتهم، فمنهم من يعبد الله طمعاً بجنّته، ومنهم من يعبده خوفاً من ناره، ومنهم من يعبده شكراً وحبّاً له.

فمن عرف الله بجماله وجلاله ولطف فعاله، ومن ثمّ أحبّه وعشقه واشتاق إليه، وأخلص عبادته له، لكونه أهلاً للعبادة ولمحبّته له، فقد أحبّه الله وأخلصه واجتباه، وقرّبه إلى نفسه وأدناه، قرباً معنوياً، ودُنوّاً روحانياً، كمن قال في حقّ

مَن هذه صفته:

﴿ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ ﴾[1].

ومن لم يعرف من الله سوى كونه إلهاً صانعاً للعالم قادراً عالماً، وأنّ له جنّة ينعم بها المطيعين، وناراً يعذّب بها العاصين، فعبده ليفوز بجنّته، أو يكون له النجاة من ناره، أدخله الله تعالى بعبادته وطاعته الجنّة وأنجاه من النار، فإنّما لكلّ امرئٍ ما نوى.

والناس في نيّاتهم في العبادات على أقسام: أدناهم من يكون عمله إجابةً لباعث الخوف، فإنّه يتّقي النار، ومنهم من يعمل إجابةً لباعث الرجاء، فإنّه يرغب في الجنّة، ومنهم من يعبد الله حبّاً وشوقاً لا خوفاً ولا طمعاً.

قال أمير المؤمنين وسيّد الموحّدين عليّ عليه السلام: ما عبدتك خوفاً من نارك، ولا طمعاً في جنّتك، لكن وجدتك أهلاً للعبادة فعبدتك.

عن أبي بصير، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن حدّ العبادة التي إذا فعلها فاعلها كان مؤدّياً؟ فقال: حسن النيّة بالطاعة (طاعة الله وطاعة الإمام عليه السلام).

عن أبي هاشم قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: إنّما خلّد أهل النار في النار لأنّ نيّاتهم كانت في الدنيا أن لو خلّدوا فيها أن يعصوا الله أبداً، وإنّما خلّد أهل الجنّة في الجنّة لأنّ نيّاتهم كانت في الدنيا أن لو بقوا فيها أن يطيعوا الله أبداً، فبالنيّات خلّد هؤلاء وهؤلاء، ثمّ تلا قوله تعالى:

﴿ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ ﴾[2].

---

(١) ص: ٢٥.

(٢) الإسراء: ٨٤.

قال : على نيّته.

كان الاستشهاد بالآية الشريفة مبنيّ على أنّ المدار في الأعمال على النيّة التابعة للحالة التي اتّصفت النفس بها من العقائد الصحيحة والفاسدة والأخلاق الحسنة والسيّئة، فإذا كانت النفس على الصحيحة والحسنة فإنّه بتلك الحالة والشاكلة يعمل الخير في الدنيا لو خلّد فيها فيخلّد في الجنّة، وإذا كانت على الباطلة والسيّئة فإنّه يعصي الله فيستحقّ الخلود في النار.

يقول العلّامة المجلسي في كتابه القيّم بحار الأنوار : إنّ النيّة ليست مجرّد قولك عند الصلاة أو الصوم أو التدريس : أُصلّي أو أصوم أو أُدرّس قربةً إلى الله تعالى ملاحظاً معاني هذه الألفاظ بخاطرك ومتصوّراً لها بقلبك، هيهات إنّما هذا تحريك لسان وحديث نفس، وإنّما النيّة المعتبرة انبعاث النفس وميلها وتوجّهها إلى ما فيه غرضها ومطلبها إمّا عاجلاً وإمّا آجلاً.

وهذا الانبعاث والميل إذا لم يكن حاصلاً لها لا يمكنها اختراعه واكتسابه بمجرّد النطق بتلك الألفاظ، وتصوّر تلك المعاني، وما ذلك إلّا كقول الشبعان أشتهي طعاماً وأميل إليه قاصداً حصول الميل والاشتهاء، وكقول الفارغ أعشق فلاناً وأُحبّه وأنقاد إليه وأُطيعه، بل لا طريق إلى اكتساب صرف القلب إلى الشيء وميله إليه وإقباله عليه إلّا بتحصيل الأسباب الموجبة لذلك الميل والانبعاث واجتناب الأُمور المنافية لذلك المضادّة له، فإنّ النفس إنّما تنبعث إلى الفعل وتقصده وتميل إليه تحصيلاً للغرض الملائم لها بحسب ما يغلب عليها من الصفات.

فإذا غلب على قلب المدرّس مثلاً حبّ الشهرة وإظهار الفضيلة وإقبال الطلبة إليه، فلا يتمكّن من التدريس بنيّة التقرّب إلى الله سبحانه بنشر العلم وإرشاد الجاهلين، بل لا يكون تدريسه إلّا لتحصيل تلك المقاصد الواهية والأغراض

الفاسدة، وإن قال بلسانه أُدرّسُ قربةً إلى الله، وتصوّر ذلك بقلبه وأثبته في ضميره وما دام لم يقلع تلك الصفات الذميمة من قلبه لا عبرة بنيّته أصلاً.

وكذلك إذا كان قلبك عند نيّة الصلاة منهمكاً في أُمور الدنيا والتهالك عليها والانبعاث في طلبها، فلا يتيسّر لك توجيهه بكلّيته وتحصيل الميل الصادق إليها والإقبال الحقيقي عليها، بل يكون دخولك فيها دخول متكلّف لها متبرّم بها، ويكون قولك: أُصلّي قربةً إلى الله، كقول الشبعان أشتهي طعاماً، وقول الفارغ أعشق فلاناً.

والحاصل أنّه لا يحصل لك النيّة الكاملة المعتدّ بها في العبادات من دون ذلك الميل والإقبال، وقمع ما يضادّه من الصوارف والأشغال، وهو لا يتيسّر إلّا إذا صرفت قلبك عن الأُمور الدنيوية، وطهّرت قلبك عن الصفات الذميمة الدنيّة، وقطعت نظرك عن حظوظك العاجلة بالكلّية[1].

فالمراد بالنيّة تأثّر القلب عند العمل وانقياده إلى الطاعة وإقباله على الآخرة وانصرافه عن الدنيا، وذلك يشتدّ بشغل الجوارح في الطاعات وكفّها عن المعاصي، فإنّ بين الجوارح والقلب علاقة شديدة يتأثّر كلّ منهما بالآخر، كما إذا حصل للأعضاء آفة سرى أثرها إلى القلب فاضطرب، وإذا تألّم القلب بخوف مثلاً سرى أثره إلى الجوارح فارتعدت، والقلب هو الأمير المتبوع والجوارح كالرعايا والأتباع، والمقصود من أعمالها حصول ثمرة للقلب.

فالنيّة أصل العمل وعلّته وهي الباعثة على العمل، فالنيّة روح العمل، والعمل بمثابة البدن لها.

---

(١) البحار ٦٧: ١٨٨.

ثمّ إنّ تصحيح النيّة من أشقّ الأعمال وأحمزها، فهي ليست مجرّد تصوّر الغرض والغاية وإخطارها بالبال، بل هي تابعة للحالة التي النفس متّصفة بها، وكمال الأعمال وقبولها وفضلها منوط بها، ولا يتيسّر تصحيحها إلّا بإخراج حبّ الدنيا وفخرها وعزّها من القلب برياضات شاقّة شرعيّة وتفكّرات صحيحة منتجة ومجاهدات كثيرة متواصلة، فإنّ القلب سلطان البدن، وكلّما استولى عليه يتبعه سائر الجوارح، بل هو الحصن الذي كلّ حبّ استولى عليه وتصرّف فيه يستخدم سائر الجوارح والقوى ويحكم عليها، ولا تستقرّ فيه محبّتان غالبتان كما قال الله عزّ وجلّ: يا عيسى، لا يصلح لسانان في فمٍ واحد، ولا قلبان في صدرٍ واحد، وكذلك الأذهان. وقال سبحانه:

﴿ مَا جَعَلَ اللهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ ﴾[1].

فالدنيا والآخرة ضرّتان ـ إذا لاحظنا الدنيا على نحو الاستقلال، وإلّا فالدنيا مزرعة الآخرة لو لاحظناها كمقدّمة وثانياً وبالتبع، فتأمّل ـ لا يجتمع حبّهما في قلب، فمن استولى على قلبه حبّ المال لا يذهب فكره وخياله وقواه وجوارحه إلّا إليه ولا يعمل عملاً إلّا ومقصوده الحقيقي فيه تحصيله، وإن ادّعى غيره كان كاذباً، ولذا يطلب الأعمال التي وعد فيها كثرة المال ولا يتوجّه إلى الطاعات التي وعد فيها قرب ذي الجلال، وكذا من استولى عليه حبّ الجاه ليس مقصوده في أعماله إلّا ما يوجب حصوله، وكذا سائر الأغراض الباطلة الدنيوية، فلا يخلص العمل لله سبحانه وللآخرة إلّا بإخراج حبّ هذه الأمور من القلب، وتصفيته عمّا يوجب البعد عن الحقّ.

---

(١) الأحزاب: ٤.

فللناس في نيّاتهم مراتب شتّى، بل غير متناهية بحسب حالاتهم، فمنها ما يوجب فساد العمل وبطلانه كالرياء والعجب، ومنها ما يوجب صحّته ومنها ما يوجب كماله، ومراتب كماله أيضاً كثيرة[١].

فالنيّة تختلف بحسب الأشخاص والأحوال وبمقدار معرفتهم، ولكلٍّ منهم نيّة تابعة لشاكلته وطريقته وحالته: ﴿ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ ﴾[٢]، أي على نيّته، فلكلّ شخص في كلّ حالة نيّة تتبع تلك الحالة فلها منازل ودرجات.

منها: نيّة من تفكّر وتنبّه في شديد عذاب الله وأليم عقابه، فيأتي بالواجبات ويترك المحرّمات خوفاً من عذابه.

ومنها: نيّة من غلب عليه الشوق إلى ما أعدّ الله للمحسنين في الجنّة من نعيمها وحورها وقصورها، فيعبد الله طمعاً في جنّته، وقد وقع اختلاف بين العلماء الأعلام من العامّة والخاصّة في صحّتها وصحّة العبادة، والعلّامة المجلسي يرى صحّتها على الأظهر خلافاً للزمخشري من العامّة وللسيّد ابن طاووس والشهيد الثاني والعلّامة الحلّي حيث يدّعي اتفاق العدلية على أنّ من فعل فعلاً يطلب الثواب أو خوف العقاب، فإنّه لا يستحقّ بذلك ثواباً. والأُولى تسمّى عبادة العبيد، والثانية عبادة التجّار والأُجراء.

ومنها: عبادة الشاكرين، نيّة من يعبد الله تعالى شكراً له فإنّ من يرى النعم التي لا تحصى يحكم عقله بأنّ شكر المنعم واجب فيعبده لذلك، كما هو طريقة المتكلّمين، وقد قال أمير المؤمنين عليّ عليه السلام: «إنّ قوماً عبدوا الله رغبةً فتلك عبادة

---

(١) البحار ٦٧: ١٩٤.

(٢) الإسراء: ٨٤.

التجّار، وإنّ قوماً عبدوا الله رهبةً فتلك عبادة العبيد، وإنّ قوماً عبدوا الله شكراً فتلك عبادة الأحرار»[1].

فإنّ الحرّ تأمره حرّيته أن يشكر المنعم.

قال عليّ بن الحسين عليه السلام: إنّي أكره أن أعبد الله لأغراض لي ولثوابه، فأكون كالعبد الطمع المطيع إن طمع عمل وإلّا لم يعمل، وأكره أن أعبده لخوف عباده فأكون كالعبد السوء إن لم يخف لم يعمل، قيل: فلِمَ تعبده؟ قال: لما هو أهله بأياديه عليّ وإنعامه[2].

ومنها: عبادة المحسنين، بنيّة من يعبده حياءً فإنّه يحكم عقله بحسن الحسنات وقبح السيّئات، ويتذكّر أنّ الربّ جليل مطّلع عليه في جميع أحواله، فيعبده ويترك معاصيه لذلك، وإليه يشير النبيّ صلى الله عليه وآله: الإحسان أن تعبد الله كأنّك تراه، فإن لم تكن تراه فإنّه يراك.

ومنها: عبادة المقرّبين، أن يعبد الله بنيّة التقرّب إليه تشبيهاً للقرب المعنوي بالقرب المكاني، وهذا هو الذي ذكره أكثر الفقهاء، وربما المراد منه إمّا القرب بحسب الدرجة والكمال، فإنّ العبد لإمكانه في غاية النقص عارٍ عن جميع الكمالات، والربّ سبحانه متّصف بجميع الصفات الكمالية، فبينهما غاية البعد، فكلّما رفع عن نفسه شيئاً من النقائص واتّصف بشيء من الكمالات حصل له قرب ما بذلك الجناب جلّ جلاله. أو القرب بحسب التذكّر والمصاحبة المعنوية، فإنّ من كان دائماً في ذكر أحد ومشغولاً بخدماته، فكأنّه معه.

---

(١) البحار ٦٧: ١٩٦.

(٢) المصدر نفسه: ١٩٨.

ومنها: عبادة الصدّيقين، أن تكون بنيّة أنّ الله أهلاً للعبادة كما قالها أمير المؤمنين عليّ عليه السلام، ولا تسمع هذه الدعوى من غير أولياء الله، وإنّما يقبل ممّن يعلم منه أنّه لو لم يكن لله جنّة ولا نار، بل لو كان على فرض المحال يدخل العاصي الجنّة والمطيع النار، لاختار العبادة لكونه أهلاً له، كما أنّهم في الدنيا اختاروا النار لذلك، فجعلها الله عليهم برداً وسلاماً، كما كان ذلك لإبراهيم عليه السلام خليل الله نبيّه.

ومنها: عبادة المحبّين الكرام، بأن يعبد الله حبّاً له، ودرجة المحبّة أعلى درجات المقرّبين، والمحبّ يختار رضا محبوبه، ولا ينظر إلى ثواب، ولا يحذر من عقاب، وحبّه تعالى إذا استولى على القلب يطهّره عن حبّ ما سواه، ولا يختار في شيء من الأُمور إلّا رضا مولاه ومحبوبه، كما قال الإمام الصادق عليه السلام: «ولكنّي أعبده حبّاً له عزّ وجلّ، فتلك عبادة الكرام، وهو الأمن، لقوله عزّ وجلّ: ﴿ وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ ﴾[١]، ولقوله عزّ وجلّ: ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾[٢].

فمن أحبّ الله أحبّه ومن أحبّه الله عزّ وجلّ كان من الآمنين[٣].

وقال عليه السلام: إنّ العباد [ة] ثلاثة: قوم عبدوا الله عزّ وجلّ خوفاً فتلك عبادة العبيد، وقوم عبدوا الله تبارك وتعالى طلب الثواب فتلك عبادة الأُجراء، وقوم عبدوا الله عزّ وجلّ حبّاً له فتلك عبادة الأحرار، وهي أفضل العبادة.

فالقسم الأوّل: عبدوا الله خوفاً من النار والعذاب فهم كالعبيد يطيعون

---

(١) النمل: ٨٩.

(٢) آل عمران: ٣١.

(٣) البحار ٦٧: ١٩٨.

أسيادهم خوفاً منهم، وتحرّزاً من عقوبتهم، والقسم الثاني: فإنّهم كالأجير يعمل للأجر فيعطى له، إلّا أنّ أفضل العبادة أن تكون حبّاً لله أي محبّاً له، والمحبّ يطلب رضا المحبوب، أو يعبده ليصل إلى درجة المحبّين ويفوز بمحبّة ربّ العالمين، والأوّل أظهر، (فتلك عبادة الأحرار) أي الذين تحرّروا من رقّ الشهوات، وخلعوا من رقابهم طوق طاعة النفس الأمّارة بالسوء الطالبة للذات والشهوات، فهم لا يقصدون في عبادتهم شيئاً سوى رضا عالم الأسرار، وتحصيل قرب الكريم الغفّار، ولا ينظرون إلى الجنّة والنار، وكونها أفضل العبادة لا يخفى على أُولي الأبصار، وفي صيغة التفضيل دلالة على أنّ كلاًّ من الوجهين السابقين أيضاً عبادة صحيحة، ولها فضل في الجملة، فهو حجّة على من قال ببطلان عبادة من قصد التحرّز عن العقاب أو الفوز بالثواب[1].

وقال عليه السلام: صاحب النيّة الصادقة صاحب القلب السليم، لأنّ سلامة القلب من هواجس المحذورات بتخليص النيّة لله في الأُمور كلّها. قال الله عزّ وجلّ:

﴿ يَوْمَ لا يَنْفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾[2].

وقال النبيّ صلى الله عليه وآله: «نيّة المؤمن خيرٌ من عمله».

وقال عليه السلام: إنّما الأعمال بالنيّات ولكلّ امرئٍ ما نوى».

ولا بدّ للعبد من خالص النيّة في كلّ حركة وسكون، لأنّه إذا لم يكن هذا المعنى يكون غافلاً، والغافلون قد وصفهم الله تعالى فقال:

﴿ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً ﴾[3].

---

(١) البحار ٦٧: ٢٥٦.

(٢) الشعراء: ٨٨ ـ ٨٩.

(٣) الفرقان: ٤٤.

وقال:

﴿ أُوْلَئِكَ هُمُ الغَافِلُونَ ﴾[1].

ثمّ النيّة تبدو من القلب على قدر صفاء المعرفة، ويختلف على حسب اختلاف الأوقات في معنى قوّته وضعفه، وصاحب النيّة الخالصة نفسه وهواه مقهورتان تحت سلطان تعظيم الله والحياء منه، وهو من طبعه وشهوته ومنيته، نفسه منه في تعب والناس منه في راحة[2].

قال الإمام محمّد بن عليّ الباقر عليه السلام: لا يكون العبد عابداً لله حقّ عبادته حتّى ينقطع عن الخلق كلّه إليه، فحينئذٍ يقول: هذا خالص لي، فيتقبّله بكرمه.

وعلينا أن نسأل الله ذلك كما ورد في المناجاة الشعبانية: «وهب لي كمال الانقطاع إليك».

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا أيّها الناس إنّما هو الله والشيطان والحقّ والباطل والهدى والضلال والرشد والغيّ والعاجلة والعاقبة والحسنات والسيّئات، فما كان من حسنات فللّه، ومن كان من سيّئات فللشيطان[3].

عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ: ﴿ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً ﴾[4]، قال: ليس يعني أكثركم عملاً ولكن أصوبكم عملاً، وإنّما الإصابة خشية الله والنيّة الصادقة الحسنة، ثمّ قال: الإبقاء على العمل حتّى يخلص أشدّ من

---

(١) الأعراف: ١٧٩.

(٢) البحار ٦٧: ٢١٠.

(٣) المصدر: ٢٢٨.

(٤) هود: ٧.

العمل والعمل الخالص الذي لا تريد أن يحمدك عليه أحد إلّا الله عزّ وجلّ، والنيّة أفضل من العمل، ألا وإنّ النيّة هي العمل، ثمّ تلا قوله عزّ وجلّ: ﴿ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ ﴾[١]، يعني على نيّته)[٢].

فالعمدة في قبول العمل بعد رعاية أجزاء العبادة وشرائطها المختصّة، وهي: النيّة الخالصة الصادقة والاجتناب عن المعاصي، كما قال الله تعالى:

﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً ﴾[٣].

وقال سبحانه:

﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ المُتَّقِينَ ﴾[٤].

قال الشيخ البهائي ﷺ: المراد بالنيّة الصادقة انبعاث القلب نحو الطاعة غير ملحوظ فيه شيء سوى وجه الله سبحانه، لا كمن يعتق عبده مثلاً ملاحظاً مع القربة الخلاص من مؤونته أو سوء خلقه، أو يتصدّق بحضور الناس لغرض الثواب والثناء معاً، بحيث لو كان منفرداً لم يبعثه مجرّد الثواب على الصدقة، وإن كان يعلم من نفسه أنّه لولا الرغبة في الثواب لم يبعثه مجرّد الرياء على الإعطاء. ولا كمن له وِردٌ في الصلاة وعادة في الصدقات، واتّفق أن حضر في وقتها جماعة، فصار الفعل أخفّ عليه و﴿ الإنسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ﴾[٥]، وحصل له نشاط ما بسبب

---

(١) الإسراء: ٨٤.

(٢) البحار ٦٧: ٢٣٠.

(٣) الكهف: ١١٠.

(٤) المائدة: ٢٧.

(٥) القيامة: ١٤.

مشاهدتهم وإن كان يعلم من نفسه أنّهم لو لم يحضروا أيضاً لم يكن يترك العمل أو يفتر عنه قطعاً.

فأمثال هذه الأُمور ممّا يخلّ بصدق النيّة. وبالجملة فكلّ عمل قصدت بـه القربة وانضاف إليه حظّ من حظوظ الدنيا بحيث تركّب الباعث عليه مـن ديـني ونفسي، فنيّتك فيه غير صادقة، سواء كان الباعث الديني أقوى من الباعث النفسي أو أضعف أو مساوياً[1]. انتهى كلامه.

فعلينا أن نجاهد بكلّ ما في وسعنا وطاقتنا من تصحيح النيّة، فإنّها أصعب من تصحيح العمل بمراتب شتّى، فإنّه ليس المراد بالنيّة ـ كما علم ـ ما يتكلّم به الإنسان عند الفعل أو يتصوّره ويخطر بباله، بل هو الباعث الأصلي والغرض الواقعي الداعي للإنسان على الفعل وهو تابع للحالة التي عليها الإنسان، والطريقة التي يسلكها، فمن غلب عليه حبّ الدنيا وشهواتها لا يمكنه قصد القربة وإخلاص النيّة عن دواعيها، فإنّ نفسه متوجّهة إلى الدنيا وهمّته مقصورة عليها، فما لم يقلع عن قلبه عروق حبّ الدنيا وجذورها، ولم يستقرّ فيه طلب الآخرة وحبّ الله سبحانه لم يمكنه إخلاص النيّة واقعاً عن تلك الأغراض الدنيّة والرذيلة، وذلك متوقّف على مجاهدات عظيمة ورياضات طويلة وتفكّرات صحيحة واعتزال عن شرار الخلق، ولهذا ورد أنّ «نيّة المؤمن خير من عمله» والنيّة أفضل من العمل والسعي في تصحيحها أهمّ وأعظم:

﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾[2].

قال أمير المؤمنين عليّ عليه السلام: الدنيا كلّها جهل إلّا مواضع العلم، والعلم كلّه

---

(١) البحار ٦٧: ٢٣٢.

(٢) العنكبوت: ٦٩.

حجّة إلّا ما عمل به، والعمل كلّه رياء إلّا ما كان مخلصاً، والإخلاص على خطر حتّى ينظر العبد بما يختم له[١].

قال رسول الله ﷺ : إنّ الله لا ينظر إلى صوركم وأعمالكم، وإنّما ينظر إلى قلوبكم[٢].

وقال ﷺ : إنّ أولى الناس أن يقضى يوم القيامة عليه رجل استشهد فأُتي به فعرّفه نِعَمه فعرفها، قال : فما عملت فيها ؟ قال : قاتلت فيك حتّى استشهدت. قال : كذبت وكلّنك قاتلت ليقال : جريء، فقد قيل ذلك، ثمّ أُمر به فسُحب على وجهه حتّى أُلقي في النار، ورجل تعلّم العلم وعلمه وقرأ القرآن فأُتي به فعرّفه نعمه فعرفها، قال : فما عملت فيها ؟ قال : تعلّمت العلم وعلّمته وقرأت فيك القرآن، قال : كذبت، ولكنّك تعلّمت ليقال : عالم، وقرأت ليقال : قارئ القرآن فقد قيل، ثمّ أُمر به فسحب على وجهه حتّى أُلقي في النار.

وقال ﷺ : إنّما الأعمال بالنيّات وإنّما لكلّ امرئٍ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى أمر دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه.

وقال : نيّة المؤمن خيرٌ من عمله، وفي لفظ آخر : أبلغ من عمله.

وقال : إنّما يبعث الناس على نيّاتهم. وقال ﷺ مخبراً عن جبرئيل عن الله عزّ وجلّ أنّه قال : الإخلاص سرّ من أسراري، استودعته قلب من أحببت من عبادي.

---

(١) البحار ٦٧ : ٢٤٢.

(٢) المصدر : ٢٤٨.

وهذا يعني أنّ لله ودائع خاصّة في قلوب الخواصّ من عباده وهـم الذيـن أحبّهم الله تعالى، وإنّما سبحانه يحبّ المتّقين والمتطهّرين والتائبين والمحسنين كما في آياته الكريمة، فتدبّر.

وقال ﷺ: من أخلص لله أربعين يوماً، فجّر الله ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه.

وعن الإمام الصادق عليه السلام، قال: ما أنعم الله عزّ وجلّ على عبدٍ أجلّ من أن لا يكون في قلبه مع الله عزّ وجلّ غيره[1].

هذا وإنّ القرآن الكريم كتاب الله الحكيم يهدي للتي هي أقوم، قد مدح قلوباً وذمّ قلوباً اُخرى، ولا بدّ أن تكون لنا إطلالة ـ ولو مختصرة ـ على الطـائفتين، ثمّ عرض قلوبنا عليها، حتّى نكون على بصيرة من أمرنا، ونسعى ليكون قلبنا بلطف من الله سبحانه من القلوب الممدوحة والصالحة، والله الموفّق والمستعان.

---

(١) البحار ٦٧: ٢٤٩، عن كتاب منية المريد للشهيد الثاني.

الفصل السابع

القلوب الممدوحة في القرآن الكريم

١
القلب الطاهر[1]

قال الله تعالى:

﴿ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعاً فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ﴾[2].

﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللهِ شَيْئاً أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ

---

(١) لقد سبقني فضيلة الشيخ محمّد علي قاضي زاده في بيان هذه القلوب إجمالاً، والفضل لمن سبق، فجزاه الله خيراً.

(٢) الأحزاب: ٥٣.

اللهُ أنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾[١].

قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لا يَحْزُنْكَ ﴾ تسلية الله للنبيّ وتطييب لنفسه ممّا لقي من هؤلاء المذكورين في الآية الشريفة، وهم المنافقون الذين يسارعون في الكفر، أي يمشون فيه المشية السريعة ويسيرون فيه السير الحثيث، تظهر من أفعالهم وأقوالهم موجبات الكفر واحدةً بعد أُخرى، فهم كافرون مسارعون في كفرهم، ثمّ قوله: ﴿ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ ﴾ إنّما هو ترجمة ﴿ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الكُفْرِ ﴾ وهم المنافقون الذين يبطنون الكفر ويظهرون الإيمان، وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنّا معكم إنّا كنّا من المؤمنين مستهزؤون، فهؤلاء لم يرد الله أن يطهّر قلوبهم، بل هي باقية على قذارتها ونجاستها وظلمتها وشركها وسوادها الذي حصل من الذنوب والمعاصي، ثمّ كان عاقبة الذين أساؤوا السوء أن كذّبوا بآيات الله، ونتيجة أعمالهم وكفرهم ونفاقهم أنّ لهم في الدنيا خزي وعار ومذلّة، كما لهم في الآخرة عذاب أليم وخزي عظيم.

فقلب المنافق نجس ورجس لا يطهّره الله سبحانه، إلّا أن يتوب ويصلح أمره، وأنّى له التوبة؟! فمن لم يوافق باطنه ظاهره في الخير والصلاح، ومن خالف سريرته علانيته يظهر الإيمان ويبطن الكفر فهو المنافق الفاسق، نجس القلب، يخرج من عبودية الله، ويسارع في الكفر والضلال، ويصيبه وعيد ربّه من خزي الدنيا وعذاب الآخرة.

فالقلب منه طاهر وهو قلب المؤمن، ومنه غير طاهر وهو قلب المنافق والكافر.

---

(١) المائدة: ٤١.

ثمّ هناك عوامل تطهّر القلوب بل تزيد في طهارتها ونظارتها ونشاطها، كما في قوله تعالى:

﴿ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعاً فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللهِ ﴾[1].

عندما يتكلّم المرء مع امرأة أجنبية، فإنّ الذي في قلبه مرض يطمع بالذنب والشهوة، وسرعان ما ينحرف القلب عن الصواب والتقوى، وإنّ الشيطان ليكون ثالث من يخلو بامرأة أجنبية، ومثل الشهوة في الذنوب كمثل البنزين، فما أن يحسّ النار من بعيد إلّا ويلتهب ويحترق، فلا يقرب ذلك، كما ورد في النواهي: ﴿ وَلا تَقْرَبُوا الزِّنَا ﴾[2] ومن الذنوب بحكم البترول فإن اشتعل عود الكبريت والتصق به عندئذٍ يشتعل ويحترق، فالحديث مع الامرأة الأجنبية بريب وشهوة من الذنوب التي على الشخص أن لا يقترب إليها أبداً، بل إذا كان له حاجة مع النساء ويسألهن متاعاً، أن يتحدّث معهن من وراء حجاب، كما أدّب الله أصحاب النبيّ أنّهم إذا سألوا نساء النبيّ فليكن ذلك من وراء حجاب، فهو أطهر لقلوبهم وقلوبهن، فالكلام مع المرأة الأجنبية إنّما هو جرس خطر للطرفين، ويدخل الشيطان بينهما ليفسد عليهما قلبهما ويورّطهما بالذنوب والمعاصي، ومن ثمّ يلوّث قلوبهما بالآثام بعد الوساوس والإيحاءات الشيطانية.

قال الإمام الكاظم عليه السلام لهشام: يا هشام، مكتوب في الإنجيل: طوبى للمتراحمين، أُولئك هم المرحومون يوم القيامة، طوبى للمصلحين بين الناس، أُولئك

---

(١) الأحزاب: ٥٣.

(٢) الإسراء: ٣٢.

هم المقرّبون يوم القيامة، طوبى للمطهّرة قلوبهم، أُولئك هم المتّقون يوم القـيامة، طوبى للمتواضعين في الدنيا، أُولئك يرتقون منابر الملك يوم القيامة[1].

قال أمير المؤمنين عليّ عليه السلام : طهّروا قلوبكم من درن السيّئات تضاعف لكم الحسنات، طهّروا أنفسكم من دنس الشهوات تدركوا رفيع الدرجات.

وقال عليه السلام : طهّروا قلوبكم من الحقد فإنّه داء.

وقال : قلوب العباد الطاهرة مواضع نظر الله، فمن طهر قلبه نظر إليه.

وقال عليه السلام : لا يغني الجسد أن يكون ظاهره صحيحاً وباطنه فاسداً، كذلك لا تغني أجسادكم التي قد أعجبتكم وقد فسدت قلوبكم، وما يغني عنكم أن تنقّوا جلودكم وقلوبكم دنسة.

والعجب من بعض الناس يفعل المنكرات وعندما تنهاه عن ذلك، يجيبك بأن طهّر قلبك فهو الأصل، وهذا من الخلط والغلط، فإنّ الإسلام يفكّر بطهارة الباطن والظاهر سويّةً، بطهارة العقيدة والعمل معاً، بطهارة القلب والجسد، فإنّ الله سبحانه نظيف ويحبّ النظافة الجسدية، فالنظافة من الإيمان، كما يحبّ النظافة الروحية :

﴿ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللهُ يُحِبُّ المُطَّهِّرِينَ ﴾[2].

وبالنسبة إلى الباطن والظاهر، الناس على أربعة أصناف :

فمنهم من أصلح باطنه وظاهره، نيّته وعمله، قلبه وجسده، فهو المؤمن.

ومنهم من أفسدهما، وهو الكافر.

ومنهم من أبطن الكفر وأظهر الإسلام، فهو المنافق.

---

(١) البحار ١ : ١٤٧.

(٢) التوبة : ١٠٨.

ومنهم من كانت عقيدته صالحة وصحيحة، إلّا أنّه أفسد العمل، ويأتي بالمعاصي ويرتكب الذنوب، فهذا الفاسق.

والإسلام كما يحارب الكفر والنفاق كذلك يحارب الفسق والفجور، ولا يرضى للإنسان إلّا بطهارة الباطن والظاهر سويّة.

وبعبارةٍ أُخرى، الناس على أصناف أربعة:

١ ـ من يفكّر ويعمل لطهارة ظاهره، ويعتني بنعومة جلده ونظافة ثيابه ولطافة جسده كالنساء، فهمّه حسن الظاهر وحسب، ونسي قلبه، بل لا يبالي بفساده ورجاسته بالذنوب والصفات الذميمة.

٢ ـ وهناك من يفكّر ويعمل بحسب زعمه وتخيّله لطهارة باطنه ونزاهته، وأنّه لا بدّ من إصلاح الباطن لا غير، حتّى وإن كان ظاهره قذراً وثيابه وسخاً، كبعض المتصوّفة، ومنهم الملامتيّة الذين يفعلون المنكرات حتّى يلومهم الناس، فهؤلاء ممّن ضلّوا الطريق وأضلّوا الناس (ضالّ ومضلّ).

٣ ـ وهناك من خسر الدنيا والآخرة، لا يفكّر بإصلاح باطنه ولا بظاهره، يرتكب القبائح والذنوب، كما تعلوه القذارة والأوساخ، وتعطّ منه الروائح النتنة والكريهة.

٤ ـ وهناك العاقل حقّاً والمؤمن صدقاً، يفكّر بطهارة الباطن والظاهر معاً، فكما أطاع الله بقلبه، وشهد بوحدانيّته، فإنّه أطاعه بلسانه فأقرّ بشهادته، كما أطاعه بجسده وأركانه، فيزيل عن القلب صفاته الذميمة كالشرك والنفاق وحبّ الدنيا والرياء وغير ذلك، كما يزيل عن بدنه الأوساخ والأرجاس بوضوءه لصلاته وطوافه ولكونه على الطهارة، ومن صلحت سريرته صلحت علانيته، وهناك ترابط وعلاقة وطيدة بين الظاهر والباطن، وإنّ الظاهر عنوان الباطن، كما أنّ الباطن

منطلق الظاهر. وإنّ القلوب الطاهرة مواضع نظر الله ورحمته الواسعة، وبمثل هذا القلب الطاهر يدرك الإنسان رفيع الدرجات، ويرتقي سلّم المكرمات، وتضاعف له الحسنات، ويكون في ظلّ عرش الله.

قال موسى بن عمران عليه السلام: يا ربّ من أهلكَ الذين تظلّهم في ظلّ عرشك يوم لا ظلّ إلّا ظلّك؟ قال: فأوحى الله إليه: الطاهرة قلوبهم.

في الدعاء: اللهمّ صلّ على محمّد وآل محمّد، واجعلنا من الذين أرسلت إليهم ستور عصمة الأولياء، وخصصت قلوبهم بطهارة الصفاء، وزيّنتها بالفهم والحياء في منزل الأصفياء[١].

واعلم أنّ معرفة القرآن لها شرائط، من أهمّها: الطهارة من أيّ رجس، والنزاهة عن أيّ رجز. قال سبحانه:

﴿ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ * لا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴾[٢].

أي: الذي ينال ما في الكتاب المكنون عن الأجنبي المستور عن الغير هو الإنسان المطهّر عمّا ينجّسه، وذلك الكتاب المكنون هو ظرف هذا القرآن الكريم ومحيط به وباطنه ومعناه ومقدصه ولا تدركه الحواسّ.

ثمّ بيّن سبحانه واجدي هذا الشرط في قوله:

﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾[٣].

فلا يدرك القرآن حقّ الإدراك (للحصر في قوله لا يمسّه إلّا المطهّرون) إلّا

---

(١) ميزان الحكمة ٨: ٢٢٨.

(٢) الواقعة: ٧٧ ـ ٧٩.

(٣) الأحزاب: ٣٣.

أهل بيت الوحي والعصمة عليهم السلام، وهم الراسخون في العلم، الذين يعلمون ظاهر القرآن وباطنه وتأويله، كما في حديث الثقلين.

فالقرآن الكريم من الصحف المطهّرة، كما قال سبحانه:

﴿ فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ * مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ ﴾[1].

وإنّما يمسّ معارفه وحقائقه وأسراره المطهّرون من الدنس والرجس، ثمّ سبحانه رغّب الناس في تحصيل الطهارة في قوله تعالى:

﴿ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ المُتَطَهِّرِينَ ﴾[2].

ثمّ بيّن طرق التطهير، كالإنفاق في سبيل الله، لقوله:

﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا ﴾[3].

وكرعاية الحجاب والعفاف، لقوله:

﴿ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعاً فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ﴾[4].

وكالطهارة المائيّة والترابية، لما يشترط بها كالصلاة والطواف الواجب، لقوله:

﴿ وَإِنْ كُنتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الغَائِطِ أَوْ لامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً ﴾[5].

---

(١) عبس: ١٣ ـ ١٤.

(٢) البقرة: ٢٢٢.

(٣) التوبة: ١٠٣.

(٤) الأحزاب: ٥٣.

(٥) النساء: ٤٣.

﴿ وَلَكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ ﴾(١).

ثمّ أساس الطهارة العبادة لله والتردّد إلى المساجد المبنيّة على التقوى، لقوله تعالى:

﴿ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ ﴾(٢).

فمن كان أعبد لله فهو أطهر وأزكى، ونصيبه من الصحف المطهّرة أكثر وأوفر، ومن استنكف واستكبر عن عبادته فهو متدنّس برجس الطغيان ورجز العمه في سكرة الطبيعة، فلا نصيب له من تلك الصحف المطهّرة لفقدان شرط المعرفة ـ وهي الطهارة ـ كما قال سبحانه:

﴿ وَمَنْ يُرِدِ اللهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللهِ شَيْئاً أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾(٣).

والمراد من الطهارة في مثل هذه الآيات هي الطهارة المعنوية كما أنّ الإرادة فيها إرادة تكوينية. ولا بدّ في معرفة القرآن أيضاً من اشتراط الرفعة عن حضيض الطبيعة ومخالفة الهوى والكرامة عن كلّ دنيئة:

﴿ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴾(٤).

فالإنسان الكريم هو الذي يتيسّر له معرفة القرآن الكريم ومدار الكرامة هو التقوى:

---

(١) المائدة: ٦.

(٢) التوبة: ١٠٨.

(٣) المائدة: ٤١.

(٤) الواقعة: ٧٧.

﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ ﴾[١] [٢].

ودنيء النفس ومن كان مذنباً وعاصياً فإنّه لا يقف على أسرار القرآن، فإنّ الذنب مقابل للطهارة ومنافٍ للكرامة ومباين للتقوى ومضادّ للرفعة، ومخالف لأيّ وصف كمالي. فالرجس لا مساس له بالطاهر، واللؤم لا تحوم حوله الكرامة، والطغيان لا يصاحب التقوى، والضعة لا تلائم المعرفة، وبالجملة: الناقص لا يمسّ كرامة الكامل ما دام ناقصاً.

هذا والإسلام قد بالغ في مسألة الطهارة والتطهير، فلا صلاة إلّا بطهور، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً:

﴿ وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُوراً ﴾[٣].

وفي الأحكام التشريعية مطهّرات كما في الفقه الإسلامي، كما عندنا طهارة تكوينية معنوية، وأهل البيت عليهم‌السلام مطهّرون معصومون في عالم التكوين والإرادة التكوينية:

﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾[٤].

قال أمير المؤمنين عليّ عليه‌السلام: قال النبيّ صلى‌الله‌عليه‌وآله: إنّا أوّل أهل بيت قد أذهب الله عنّا الفواحش ما ظهر منها وما بطن.

---

(١) الحجرات: ١٣.

(٢) اقتباس من كتاب عليّ بن موسى الرضا في القرآن الحكيم: ٥٥.

(٣) الفرقان: ٤٨.

(٤) الأحزاب: ٣٣.

وقال النبيّ ﷺ في قوله تعالى: ﴿ وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الأَصْنَامَ ﴾[1]: فانتهت الدعوة إليَّ وإلى عليّ.

وفي خبر (أنا دعوة إبراهيم): وإنّما عنى بذلك الطاهرين لقوله: نقلت من أصلاب الطاهرين إلى أرحام الطاهرات، لم يمسسني سفاح الجاهلية. وأهل الجاهلية كانوا يسافحون وأنسابهم غير صحيحة وأُمورهم مشهورة عند أهل المعرفة[2].

عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: أقبل رسول الله ﷺ يوماً واضعاً يده على كتف العبّاس، فاستقبله أمير المؤمنين فعانقه رسول الله وقبّل عينيه ثمّ سلّم العباس على عليّ فردّ عليه ردّاً خفيفاً، فغضب العباس، فقال: يا رسول الله، لا يدع عليّ زهوه ـ الكبر ـ فقال رسول الله: يا عباس، لا تقل ذلك في عليّ، فإنّي لقيت جبرئيل آنفاً فقال لي: لقيني الملكان الموكّلان بعليّ الساعة فقالا: ما كتبنا عليه ذنباً منذ يوم ولد إلى هذا اليوم[3].

قال أمير المؤمنين عليّ عليه السلام في وصف الأنبياء: تناسختهم (تناسلتهم) كرائم الأصلاب إلى مطهّرات الأرحام.

وقال في وصف النبيّ: أطهر المطهّرين شيمة، وأجود المستمطرين ديمة.

فتأسّ بنبيّك الأطيب الأطهر، فإنّ فيه أُسوة لمن تأسّى، وعزاءً لمن تعزّى.

وقال: فرض الله الإيمان تطهّراً من الشرك.

وقال: إنّ تقوى الله دواء داء قلوبكم... وطهور دنس أنفسكم.

إن كنتم لا محالة متطهّرين، فتطهّروا من دنس العيوب والذنوب.

---

(١) إبراهيم: ٣٥.

(٢) البحار ٣٨: ٦٢، باب ٥٩ طهارته وعصمته عليه السلام.

(٣) المصدر، عن تفسير القمّي: ٣٤١.

٢
القلب الأليف

قال الله تعالى:

﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾[1].

الإلف لغةً:

اجتماع مع التئام، يقال: ألّفت بينهم، ومنه الأُلفة، ويقال للمألوف: إلف وآلف، والمؤلّف ما جمع من أجزاء مختلفة ورُكّب تركيباً قدّم فيه ما حقّه أن يقدّم وأُخّر فيه ما حقّه أن يؤخّر. والألف العدد المخصوص، وسمّي بذلك لكون الأعداد فيه مؤتلفة، فإنّ الأعداد أربعة آحاد وعشرات ومئون وأُلوف، فإذا بلغتِ الألف فقد ائتلفت وما بعده يكون مكرّراً[2].

والأُلفة اصطلاحاً:

بمعنى المودّة والمحبّة القلبية، والمؤمن إلف مألوف، لما يحمل من القلب الأليف.

---

(١) آل عمران: ١٠٣.

(٢) مفردات الراغب: ١٦.

وشأن نزول الآية الشريفة لما وقع من التفاخر بين رجلين من الأوس والخزرج، حتّى أدّى إلى حمل السلاح بين جماعة من القبيلتين، فذكّر الله سبحانه بنعمته عليهم، وكيف ألّف بين قلوبهم بعد العداوة والبغضاء والحروب التي تطاولت مائة وعشرين سنة، فألّف بينهم بنبيّه الأكرم وبالإسلام العظيم، فزالت تلك الأحقاد ورفع ما كان بينهم من التنازع والاختلاف، هذا من النفع العاجل الذي حصل لهم في الدنيا، ولهم الثواب الجزيل في الآجل.

(واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداءً فألّف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمة الله إخواناً متواصلين وأحباباً متحابّين بعد أن كنتم متحاربين متعادين وصرتم بحيث يقصد كلّ واحد منكم مراد الآخرين[1]، وهذا من البرهان العلمي ببيان العلل والأسباب.

وحينئذٍ اعتصموا بحبل الله (الكتاب والسنّة المتمثّلة بالعترة الطاهرة)، فإنّ التمسّك بهما اعتصام بالله سبحانه، فمآل الجميع واحد، والآية تأمر المجتمع الإسلامي بالاعتصام بالكتاب والسنّة، كما تأمر الفرد بذلك.

ثمّ المراد بالنعمة هو التأليف، والمراد بالأُخوّة التي توجده وتحقّقه هذه النعمة أيضاً تآلف القلوب، فالأُخوّة ها هنا حقيقة ادّعائية.

ويمكن أن يكون إشارة إلى ما يشتمل عليه قوله: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾[2] من تشريع الأُخوّة بينهم، فإنّ بين المؤمنين أُخوّة مشرعة تتعلّق بها حقوق هامّة.

---

(١) اقتباس من تفسير مجمع البيان ٢ : ٣٥٧.

(٢) الحجرات : ١٠.

قوله تعالى: ﴿ وَكُنتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا ﴾ شفا الحفرة طرفها الذي يشرف على السقوط فيها من كان به.

والمراد من النار إن كان نار الآخرة، فالمراد بكونهم على شفا حفرتها أنّهم كانوا كافرين، ليس بينهم وبين الوقوع فيها إلّا الموت الذي هو أقرب إلى الإنسان من سواد العين إلى بياضها، فأنقذهم الله منها بالإيمان.

وإن كان المراد بيان حالهم في مجتمعهم الفاسد الذي كانوا فيه قبل إيمانهم وتآلف قلوبهم، وكان المراد بالنار هي الحروب والمنازعات ـ وهو من الاستعمالات الشائعة بطريق الاستعارة ـ فالمقصود أنّ المجتمع الذي بني على تشتّت القلوب واختلاف المقاصد والأهواء، ولا محالة لا يسير مثل هذا المجتمع بدليل واحد يهديهم إلى غاية واحدة، بل بأدلّة شتّى تختلف باختلاف الميول الشخصية والتحكّمات الفردية اللاغية التي تهديهم إلى أشدّ الخلاف، والاختلاف يشرفهم إلى أردأ التنازع، ويهدّدهم دائماً بالقتال والنزال، ويعدهم الفناء والزوال، وهي النار التي لا تبقي ولا تذر على حفرة الجهالة التي لا منجى ولا مخلص للساقط فيها.

فهؤلاء وهم طائفة من المسلمين كانوا قد آمنوا قبل نزول الآية بعد كفرهم، وهم المخاطبون الأقربون بهذه الآيات، لم يكونوا يعيشون مدى حياتهم قبل الإسلام، إلّا في حال تهدّدهم الحروب والمقاتلات آناً بعد آن، فلا أمن ولا راحة ولا فراغ، ولم يكونوا يفقهون ما حقيقة الأمن العامّ الذي يعمّ المجتمع بجميع جهاتها من جاه ومال وعرض ونفس وغير ذلك.

ثمّ لمّا اجتمعوا على الاعتصام بحبل الله، ولاحت لهم آيات السعادة وذاقوا شيئاً من حلاوة النعم، وجدوا صدق ما يذكّرهم به الله من هنيء النعمة ولذيذ السعادة، فكان الخطاب أوقع في نفوسهم ونفوس غيرهم.

ولذلك بنى الكلام ووضعت الدعوة على أساس المشاهدة والوجدان دون مجرّد التقدير والفرض، فليس العيان كالبيان، ولا التجارب كالفرض والتقدير، ولذلك بعينه أشار في التحذير الآتي في قوله: ولا تكونوا كالذين تفرّقوا واختلفوا ـ إلى آخره ـ إلى حال من قبلهم، فإنّ مآل حالهم برأى ومسمع من المؤمنين، فعليهم أن يعتبروا بهم وبما آل إليه أمرهم، فلا يجروا مجراهم ولا يسلكوا مسلكهم، ثمّ نبّههم الله على خصوصية هذا البيان، فقال: ﴿ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾. وهذه النصيحة جارية في المسلمين والمؤمنين إلى يوم القيامة.

فالقلب بنعمة من الله ولطف ورحمة يألف، فهو إلف مألوف، ونتيجة الأُلفة والاجتماع هو المحبّة والأُخوّة والصداقة والمصافاة والترابط والأمن العامّ.

ثمّ ما يربط الإنسان بربّه وبالسماء هو حبل الله الممدود، المتجلّي بكتابه الكريم وبما جاء به الرسول الأكرم محمّد ﷺ:

﴿ وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾[1].

﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾[2].

وممّا جاء به الرسول حديث الثقلين الثابت متواتراً عند الفريقين ـ العامّة وأصحاب مذهب أهل البيت عليهم السلام ـ.

فالقرآن الكريم والعترة الطاهرة المعصومة هما حبل الله الممدود من السماء إلى الأرض: ﴿ إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللهِ ﴾ وهو القرآن، ﴿ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ ﴾[3] وهم

(١) آل عمران: ١٠١.

(٢) الحشر: ٧.

(٣) آل عمران: ١١٢.

العترة الطاهرة.

﴿ وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَـئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾[١].

وأكتفي بروايتين من طرق العامّة:

وأخرج صاحب كتاب المناقب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهم، قال: كنّا عند النبيّ ﷺ إذ جاء أعرابي فقال: يا رسول الله، تقول: ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ ﴾ فما حبل الله الذي نعتصم به ؟ فضرب النبيّ ﷺ يده في يد عليّ وقال: تمسّكوا بهذا الرجل هو حبل الله المتين.

وروى العلّامة الشيخ سليمان البلخي القندوزي، قال: أخرج الثعلبي في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا ﴾ عن جعفر بن محمّد رضي الله عنهما، قال: نحن حبل الله الذي قال الله ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا ﴾[٢].

فمن نعم الله سبحانه على عباده المؤمنين هو الاعتصام والتمسّك بحبله المتين، وعدم التفرّق والتمزّق والتشتّت والتنازع والتناحر، ويذكرهم الله عزّ وجلّ بتأريخهم وكيف كانوا أعداء فبنعمته ألّف بين قلوبهم، فكأنّه يشير إلى سبب التمسّك بحبل الله والوحدة بين المؤمنين، فالله وجود محض، والوجود خير محض، فالله خير ويدعو إلى الخير، والصلح خير، ولكنّ الشيطان وأعوانه وحزبه بالوساوس

---

(١) آل عمران: ١٠٥.

(٢) ملحقات إحقاق الحقّ ١٤ : ٣٨٤، وقد نقلت عشرات الروايات من الفريقين وبيان سرّ الاعتصام بحبل الله في رسالة (السرّ في آية الاعتصام)، وهو مطبوع، فراجع.

والحيل يلقي بينكم العداوة والبغضاء ﴿ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾.

قال سبحانه:

﴿ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ * وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[1].

قال أمير المؤمنين عليه السلام: إزالة الرواسي أسهل من تأليف القلوب المتنافرة.

عن الإمام الصادق عليه السلام: إنّ ائتلاف قلوب الأبرار إذا التقوا ـ وإن لم يظهروا التودّد بألسنتهم ـ كسرعة اختلاط قطر السماء على مياه الأنهار، وإنّ بُعد ائتلاف قلوب الفجّار إذا التقوا ـ وإن أظهروا التودّد بألسنتهم ـ كبعد البهائم من التعاطف وإن طال اعتلافها على مِذوَد واحد[2].

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: خياركم أحسنكم أخلاقاً الذين يألفون ويؤلفون[3].

فالخلق الحسن يوجب الأُلفة والمحبّة بين الناس.

عنه صلى الله عليه وآله: خير المؤمنين من كان مألفةً للمؤمنين، ولا خير في مَن لا يؤلف ولا يألف.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: طوبى لمن يألف الناس ويألفونه على طاعة الله.

عن رسول الله صلى الله عليه وآله: أقربكم منّي غداً في الموقف... أحسنكم خُلقاً وأقربكم

---

(١) الأنفال: ٦٢ ـ ٦٣.

(٢) ميزان الحكمة ١: ٩٤، عن أمالي الطوسي: ٤١٢.

(٣) البحار ٦٧: ٣٠٩.

من الناس. إنّ المؤمن ينبغي أن يكون آلفاً بالخلق الحسن[١].

لا تنقض سنّة صالحة اجتمعت بها الأُلفة[٢].

قال رسول الله ﷺ: جاءني جبرئيل فقال لي: يا أحمد، الإسلام عشرة أسهم، وقد خاب من لا سهم له فيها: أوّلها شهادة أن لا إله إلّا الله وهي الكلمة، والثانية الصلاة وهي الطهر، والثالثة الزكاة وهي الفطرة، والرابعة الصوم وهي الجنّة، والخامسة الحجّ وهي الشريعة، والسادسة الجهاد وهو العزّ، والسابعة الأمر بالمعروف وهو الوفاء، والثامنة النهي عن المنكر وهو الحجّة، والتاسعة الجماعة وهي الأُلفة، والعاشرة الطاعة وهي العصمة.

قال: قال حبيبي جبرئيل: إنّ مثل هذا الدين كمثل شجرة ثابتة: الإيمان أصلها، والصلاة عروقها، والزكاة ماؤها، والصوم سعفها، وحسن الخلق ورقها، والكفّ عن المحارم ثمرها، فلا تكمل شجرة إلّا بالثمر، كذلك الإيمان لا يكمل إلّا بالكفّ عن المحارم[٣].

والجماعة بمعنى الاجتماع على الحقّ.

قال عليه السلام: بنا أُلّف بين القلوب بعد الفتنة[٤].

---

(١) البحار ٧٥: ٣٦٥.

(٢) البحار ٧٧: ٢٤٧.

(٣) البحار ٦: ١٠٩.

(٤) البحار ٣٢: ٢٤٣.

٣
القلب الخائف

قال الله تعالى في كتابه الكريم:

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾[1].

لكلّ شيء علامة، وعلامة قلب المؤمن الآلف الطاهر أنّه يخاف الله سبحانه، فإنّ الوجل بمعنى الخوف، ومن علائم خوفه أنّه إذا سمع آيات الله سبحانه، أو رأى أو ذكّر بها فإنّه يزداد إيماناً ورسوخاً في عقيدته الحقّة، فيتوكّل على الله، ويجاهد ويكادح في سبيله، ويقيم الصلاة في المجتمع، ولا يبخل بماله، بل ينفقه في سبيل الله.

فمن أمارات القلب المؤمن ـ كما يتلخّص من هذه الآية الشريفة ـ ما يلي:

١ ـ الوجل، وهو استشعار الخوف في الجوانح والقلب، فإنّ المؤمن إذا ذُكّر بالله وبيوم القيامة عند المعصية فإنّه يخاف ويترك ذلك.

٢ ـ زيادة الإيمان عند تلاوة القرآن والآيات الإلهية واستماعها، وأنّ الإيمان يزداد كما يزداد النور، فله مراتب طولية وعرضية، فهو كلّي مشكّك.

٣ ـ التوكّل على الله في كلّ الأمور.

---

(١) الأنفال: ٢ ـ ٣.

٤ ـ إقامة الصلاة.

٥ ـ الإنفاق في سبيل الله سبحانه.

ومن الواضح أنّ الأعمال الثلاثة الأُولى من أعمال القلب، والأخيران من أعمال الجوارح.

والذي يؤمن بالله بقلبه ـ أي الاعتقاد القلبي ـ ويخاف الله ـ أي يخاف من ذنوبه ومخالفته لربّه ـ ويزداد إيماناً بتلاوة آياته، ويتوكّل على ربّه، ولا يخاف أحداً سواه، ولا تأخذه في الله لومة لائم، ومن خاف الله خاف منه كلّ شيء، ومن لم يخف الله خاف من كلّ شيء.

ومن اجتمعت فيه هذه المواصفات، فإنّه بلا ريب يقيم الصلاة وينفق في سبيل الله ولا يخاف الفقر. فالنور الأوّل في القلب هو الخوف، ثمّ يزداد كمّاً وكيفاً، فينشرح صدره ويتّسع قلبه، حتّى يصل إلى درجة اليقين، ومن وصل إلى هذه المرحلة من الكمال، وعرف ربّه ذا الجلال، فإنّه بطبيعة الحال، يتوكّل عليه في جميع الأحوال، فإنّ أزمّة الأُمور طرّاً بيده، وعلى الله فليتوكّل المؤمنون.

كتب على أستار الكعبة أيام الإمام زين العابدين عليه السلام:

لا تدبّر لك أمراً فأُولي التدبير هلكى
وكّل الأمر إلى من هو أولى منك أمرا

فإرادة المؤمن تكون تابعة لإرادة الله عزّ وجلّ، فيقيم أحكامه وشرائعه ودينه. وعمود الدين الصلاة، فمن أقامها أقام الدين، كما يراعي شؤون المجتمع ويتوجّه إلى القضايا الاجتماعية، ويجبر نواقصها، ويباري الفقراء بما أعطاه الله من المال والجاه والعلم وغير ذلك.

ثمّ حاصل الوجل والخوف عند ذكر الله سبحانه هو اطمئنان القلب:

﴿ ألا بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ القُلُوبُ ﴾[١].

فالذين إذا ذكّروا بآيات الله وجلت قلوبهم، فإنّه يطمئن قلبه حينئذٍ، أو أنّه في عين الوجل والخوف يحسّ بالاطمئنان والركون إلى الرحمة الإلهية، فيزداد إيماناً، وحاصل الزيادة هو التقوى كما في قوله تعالى:

﴿ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدىً وَآتَاهُمْ تَقْواهُمْ ﴾[٢].

فمن طهّر قلبه، وزاد إيمانه، واتّقى ربّه، ونهى النفس عن الهوى، فإنّ الجنّة هي المأوى، وقد فاز وسعد:

﴿ الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا ﴾[٣].

ثمّ الخوف من علائم الموالين لأهل البيت عليهم السلام، كما أخبرنا بذلك رسول الله صلى الله عليه وآله، قال لأمير المؤمنين عليه السلام: يا عليّ، طوبى لمن أحبّك وصدّق بك، وويلٌ لمن أبغضك وكذّبك، محبّوك معرّفون في السماء السابعة والأرض السابعة السفلى وما بين ذلك، هم أهل الدين والسمت الحسن والتواضع لله عزّ وجلّ، خاشعة أبصارهم وجلة قلوبهم لذكر الله، وقد عرفوا حقّ ولايتك، يدينون لله بما أمرهم به أُولو الأمر منهم، متواصلون غير متقاطعين، غير متباغضين، إنّ الملائكة لتصلّي عليهم وتؤمّن على دعائهم، وتستغفر للمذنب منهم، وتشهد حضرته، وتستوحش لفقده إلى يوم القيامة[٤].

---

(١) الرعد: ٢٨.

(٢) محمّد صلى الله عليه وآله: ١٧.

(٣) هود: ١٠٨.

(٤) عيون أخبار الرضا ١: ٢٦١.

قال الإمام الكاظم عليه السلام : لم يخف الله من لم يعقل عن الله ، ومن لم يعقل عن الله لم يعقد قلبه على معرفة ثابتة يبصرها ، ويجد حقيقتها بقلبه.

ومعنى : من عقل عن الله ، أي حصل له معرفة ذاته وصفاته المقدّسة من علمه وحكمته ولطفه ورحمته ، أو أعطاه الله عقلاً كاملاً ، أو علم الأمور بعلم ينتهي إلى الله بأن أخذه عن أنبيائه وحججه عليهم السلام ، إمّا بلا واسطة أو بواسطة ، أو بلغ عقله إلى درجة يفيض الله علومه عليه بغير تعليم بشر أو تفكّر فيما أجرى الله على لسان الأنبياء والأوصياء ، وفيما أراه من آياته في الآفاق والأنفس وتقلّب أحوال الدنيا وأمثالها. والثاني أظهر لقول الكاظم عليه السلام لهشام : يا هشام ، ما بعث الله أنبياءه ورسله إلى عباده إلّا ليعقلوا عن الله[1].

والخوف هو تألّم القلب واحتراقه بسبب توقّع مكروه في الاستقبال مشكوك الوقوع.

وهو على نوعين : مذموم بجميع أقسامه ، وهو الذي لم يكن من الله ، ولا من صفاته المقتضية للهيبة والرعب ، ولا من معاصي العبد وجناياته ، وممدوح وهو الذي يكون من الله ومن عظمته ومن خطأ العبد وذنوبه[2]...

وله أقسام :

الأوّل : أن يكون من الله سبحانه ومن عظمته وكبريائه وهذا هو المسمّى بالخشية والرهبة في عرف أرباب القلوب.

الثاني : من جناية العبد باقترافه المعاصي.

---

(١) بيان من العلّامة المجلسي في البحار ٦٧ : ١٥٧.

(٢) تفصيل ذلك في كتاب جامع السعادات ١ : ٢١٠ ـ ٢٦٠.

الثالث: أن يكون منها جميعاً وكلّما ازدادت المعرفة بجلال الله وعظمته وتعاليه وبعيوب نفسه وجناياته ازداد خوفاً.

قال سيّد الرسل: أنا أخوفكم من الله.

وقد قرع سمعك حكايات خوف زمرة المرسلين ومن بعدهم من فِرق الأولياء والعارفين وعروض الغشيات المتواترة في كلّ ليلة لمولانا أمير المؤمنين عليه السلام، وهذا مقتضى كمال المعرفة الموجب لشدّة الخوف، إذ كمال المعرفة يوجب احتراق القلب. فيفيض أثر الحرقة من القلب إلى البدن بالتحول والصفار والغشية والبكاء. وإلى الجوارح بكفّها عن المعاصي وتقييدها بالطاعات تلافياً لما فرط في جنب الله ومن لم يجتهد في ترك المعاصي وكسب الطاعات فليس على شيء من الخوف. ولذا قيل: ليس الخائف من يبكي ويمسح عينيه بل من يترك ما يخاف أن يعاقب عليه. وقال بعض الحكماء: من خاف شيئاً هرب منه، ومن خاف الله هرب إليه وإلى الصفات بقمع الشهوات وتكدّر اللذات، فتصير المعاصي المحبوبة عنده مكروهة، فتحترق الشهوات بالخوف وتتأدّب الجوارح، ويحصل في القلب الذبول والذلّة والخشوع والاستكانة وتفارقه ذمائم الصفات. ولا يكون له شغل إلّا المجاهدة والمحاسبة والمراقبة والضنّة بالأنفاس واللحظات، ومؤاخذة النفس في الخطرات والكلمات.

وأقلّ درجات الخوف ممّا يظهر أثره في الأعمال أن يكفّ عن المحظورات ويسمّى الكفّ منها (ورعاً) فإن زادت قوّته كفّ عن الشبهات ويسمّى ذلك (تقوى) إذ التقوى أن يترك ما يريبه إلى ما لا يريبه، وقد يحمله على ترك ما لا بأس به مخافة ما به البأس، وهو الصدق في التقوى، فإذا انضمّ إليه التجرّد للخدمة وصار ممّن لا يبني ما لا يسكنه، ولا يجمع ما لا يأكله، ولا يلتفت إلى دنيا يعلم أنّه

يفارقها، ولا يصرف إلى غير الله نفساً عن أنفاسه، فهو (الصدق) ويسمّى صاحبه (صديقاً) فيدخل في الصدق التقوى وفي التقوى الورع وفي الورع العفّة لأنّها عبارة عن الامتناع من مقتضى الشهوات، فإذن يؤثّر الخوف في الجوارح بالكفّ والإقدام[1].

الخوف منزل من منازل الدين، ومقام من مقامات الموقفين، وهو أفضل الفضائل النفسانية، إذ فضيلة الشيء بقدر إعانته على السعادة، ولا سعادة كسعادة لقاء الله والقرب منه، ولا وصول إليها إلّا بتحصيل محبّته والأُنس به، ولا يحصل ذلك إلّا بالمعرفة، ولا تحصل المعرفة إلّا بدوام الفكر، ولا يحصل الأُنس إلّا بالمحبّة ودوام الذكر، ولا تتيسّر المواظبة على الفكر والذكر إلّا بانقلاع حبّ الدنيا من القلب، ولا ينقلع ذلك إلّا بقمع لذّاتها وشهواتها، وأقوى ما تنقمع به الشهوة هو نار الخوف، فالخوف هو النار المحرقة للشهوات، ففضيلته بقدر ما يحرق من الشهوات، ويكفّ من المعاصي، ويحثّ على الطاعات، ويختلف ذلك باختلاف درجات الخوف.

قال الله تعالى:

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾[2].

وهذا يدلّ على أنّ الخوف من الإيمان، كما أنّ الإنسان كلّما ازداد علماً نافعاً ازداد خوفاً:

﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾[3].

---

(١) جامع السعادات ١ : ٢٢٠.

(٢) الأنفال : ٢.

(٣) فاطر : ٢٨.

ومن يخاف الله رضي الله عنه :

﴿ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ﴾[١].

وأمرنا الله بالخوف منه :

﴿ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾[٢].

ومدح الخائفين بالتذكّر في قوله :

﴿ سَيَذَّكَّرُ مَنْ يَخْشَىٰ ﴾[٣].

ووعدهم الجنّة والجنّتين :

﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴾[٤].

﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ ﴾[٥].

وقال النبيّ الأكرم ﷺ : «رأس الحكمة مخافة الله».

وقال ﷺ : «من خاف الله أخاف الله منه كلّ شيء، ومن لم يخف الله أخافه الله من كلّ شيء».

وقال ﷺ لابن مسعود : «إن أردت أن تلقاني فأكثر من الخوف بعدي».

وقال ﷺ : «أتمّكم عقلاً أشدّكم لله خوفاً».

---

(١) البيّنة : ٨.

(٢) آل عمران : ١٧٥.

(٣) الأعلى : ١٠.

(٤) النازعات : ٤٠ ـ ٤١.

(٥) الرحمن : ٤٦.

قال الإمام الصادق عليه السلام : «من عرف الله خاف الله ، ومن خاف الله سخت نفسه عن الدنيا».

وقال عليه السلام : «إنّ حبّ الشرف والذكر لا يكونان في قلب الخائف الراهب».

وقال عليه السلام : «المؤمن بين مخافتين : ذنب قد مضى ما يدري ما صنع الله فيه ، وعمر قد بقي لا يدري ما يكتسب فيه من المهالك ، فهو لا يصبح إلّا خائفاً ، ولا يصلحه إلّا الخوف».

٤
القلب المطمئن

﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللهِ ألا بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ القُلُوبُ ﴾[١].

الاطمئنان بمعنى سكون النفس، ثمّ الإيمان بالله لا يعني الاعتقاد بوجوده وحسب، فإنّه من الناس:

﴿ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ﴾[٢].

فإنّ الإيمان بوجود الله يجتمع مع الإنكار والجحود، وهذا يعني أنّ الإيمان ليس الإدراك فقط، بل عقد القلب بما يعلمه ويدركه فينشرح صدره، كما في قوله تعالى:

﴿ فَمَنْ يُرِدِ اللهُ أنْ يَهدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ للإسْلامِ وَمَنْ يُرِدْ أنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ ﴾[٣].

فالمؤمن يطمئنّ قلبه بذكر الله سبحانه، ويخلص من الاضطراب والقلق، وأمّا الخوف من الله فهو يعني الخوف من أعمالنا القبيحة ومن الذنوب التي يرتكبها الإنسان، فإنّ الخوف منشؤه حدوث شرّ في المستقبل. فإذا ذُكّر المؤمن بآيات الله وجل قلبه وخاف من مصيره، وحينما يذكّر بنعم الله ورحمته فإنّه يطمئنّ قلبه وينيب

---

(١) الرعد: ٢٨.

(٢) النمل: ١٤.

(٣) الأنعام: ١٢٥.

إلى ربّه، فمن يتوجّه إلى ثواب الله وسعة رحمته فإنّه يسكن قلبه، ويأمل رحمة ربّه، ويركن إلى سعة فضله، فيطمئنّ قلبه وتسكن نفسه، فمن أحسّ وتذكّر ذنوبه فإنّه يضطرب وييأس إلاّ أنّه حينما ينظر إلى رحمة الله وغفرانه، فإنّه يسكن ويرتاح. فذكر الله يسكّن آلام القلوب، ومن مات قلبه بالذنوب والمعاصي فحياته بذكر الله وجلاء قلبه بذكر الله، فذكر الله نور ونار، ومن اشتاق إلى رحمة ربّه، فإنّه يدفع عن نفسه اليأس والاضطراب ويزداد إيماناً ويقيناً، كما في قوله تعالى في قصّة إبراهيم الخليل عليه‌السلام لـمّا أُخبر بالخلّة فطلب منه سبحانه أن يحيي له الموتى، فقال:

﴿ أَوَ لَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ﴾[1].

وقال سبحانه:

﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَاناً مَعَ إِيمَانِهِمْ ﴾[2].

ومن علائم الإيمان وزيادته الصبر، كما في قوله:

﴿ وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَاناً وَتَسْلِيماً ﴾[3].

ومن علائمه معاداة أعداء الله حتّى لو كان أقرب الناس إليه، كما في قوله:

﴿ لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ

---

(١) البقرة: ٢٦٠.

(٢) الفتح: ٤.

(٣) الأحزاب: ٢٢.

وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ ﴾[١].

وهو روح الايمان، وقوله: ﴿ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ﴾ يدلّ على أنّ الايمان واليقين قابلان للشدّة والضعف، قال الطبرسي: بلى أنا مؤمن، ولكن سألت ذاك لأزداد يقيناً إلى يقيني، وقيل: لأُعاين ذلك ويسكن قلبي إلى علم العيان بعد علم الاستدلال، وقيل: ليطمئنّ قلبي بأنّك قد أجبت مسألتي واتّخذتني خليلاً كما وعدتني.

وقوله: ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ ﴾ هي أن يفعل الله بهم اللطف الذي يحصّل لهم عنده من البصيرة بالحقّ ما تسكن إليه نفوسهم، وذلك بكثرة ما ينصب لهم من الأدلّة الدالّة عليه، فهذه النعمة التامّة خاصّة بالمؤمنين، وأمّا غيرهم فتضطرّ نفوسهم لأوّل عارض من شبهة ترد عليهم ولا يجدون لردّ اليقين وروح الطمأنينة في قلوبهم، وقيل: هي النصرة للمؤمنين لتسكن بذلك قلوبهم ويثبتوا في القتال وتحمّل المشاكل والمصاعب من أجل ترويج الدين وإعلاء كلمة الإسلام والمسلمين.

الكافي، بسنده عن أبي خديجة، قال: دخلت على أبي الحسن عليه السلام فقال لي: إنّ الله تبارك وتعالى أيّد المؤمن بروح منه تحضره في كلّ وقت يحسن فيه ويتّقي وتغيب عنه في كلّ وقت يذنب فيه ويعتدي، فهي معه تهتزّ سروراً عند إحسانه، وتسيخ في الثرى عند إساءته، فتعاهدوا عباد الله نعمه بإصلاحكم أنفسكم تزدادوا يقيناً وتربحوا نفيساً ثميناً، رحم الله امرىءً همّ بخير فعمله، أو همّ بشرّ فارتدع عنه، ثمّ قال: نحن نؤيّد الروح بالطاعة لله والعمل به[٢].

---

(١) المجادلة: ٢٢.

(٢) البحار ٦٦: ١٩٤.

في نهج البلاغة، عن أمير المؤمنين عليّ عليه السلام: «إنّ الايمان يبدو لمظة في القلب، كلّما ازداد الايمان ازدادت اللمظة). اللمظة: البياض.

كما أنّ الايمان ربما يكون مستودعاً كما في قوله تعالى:

﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ﴾[1].

راجع البحار الجزء ٦٦، باب ٣٤ أنّ الايمان مستقرّ ومستودع وإمكان زوال الايمان وذلك بالذنوب والمعاصي والآثام.

﴿ ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاؤُوا السُّوءَى أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللهِ ﴾[2].

قال أبو عبد الله عليه السلام: «ومنهم من يعير الايمان عارية، فإذا هو دعا وألحّ في الدعاء مات على الايمان».

---

(١) الأنعام: ٩٨.

(٢) الروم: ١٠.

٥
القلب الخاشع

﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الحَقِّ وَلا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ مِنْ قَبْلُ ﴾[١].

(يأن) فعل مضارع مجزوم بلم، أصله (أنى) بمعنى قرب وحضر وحان وقته، وخشوع القلب تأثيره عند مشاهدة عظمة الله وكبريائه، فكلّ ما يذكر الإنسان ربّه فإنّه يتجلّى لديه عظمة خالقه وبارئه ومدبّر أمره، فيخشع قلبه، فالمؤمن عندما يُذكّر بآيات الله وما نزل من الحقّ، فإنّه سرعان ما يخشع قلبه، وتخضع جوارحه، ويتذلّل أمام الله عزّ وجلّ.

والخشوع الضراعة، وأكثر ما يستعمل الخشوع فيما يوجد في الجوارح[٢].

وضدّ الخشوع التكبّر وحبّ الذات:

﴿ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي ﴾[٣].

فالذين قست قلوبهم لا يخشعون ولا يتذلّلون أمام آيات الله وما نزل من الحقّ، فيستكبرون عن عبادة الله ويتكبّرون على الخلق.

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾[٤].

---

(١) الحديد: ١٦.

(٢) الراغب: ١٤٩.

(٣) و (٤) المؤمن: ٦٠.

قال الإمام الكاظم عليه السلام لهشام: يا هشام، إنّ الزرع ينبت في السهل ولا ينبت في الصفا (الحجر الصلب)، فكذلك الحكمة تعمر في قلب المتواضع، ولا تعمر في قلب المتكبّر الجبّار، لأنّ الله جعل التواضع آلة العقل، وجعل التكبّر من آلة الجهل، ألم تعلم أنّ من شمخ إلى السقف برأسه شجّه؟ ومن خفض رأسه استظلّ تحته وأكنّه؟ فكذلك من لم يتواضع لله خفضه الله، ومن تواضع لله رفعه[1].

وفي حديث عن رسول الله: علامة الخاشع أربعة: مراقبة الله في السرّ والعلانية، وركوب الجميل، والتفكّر ليوم القيامة، والمناجاة لله[2].

وثمرة العلم ونتيجته الصادقة هو الخشوع والخضوع لله سبحانه.

عن مولانا الإمام عليّ بن الحسين عليهما السلام: مكتوب في الإنجيل: لا تطلبوا علم ما لا تعلمون وما تعملون بما علمتم، فإنّ العلم إذا لم يعمل به لم يزدد صاحبه إلّا كفراً، ولم يزدد من الله إلّا بُعداً.

واعلم أنّه ليس العلم عبارة عن استحضار المسائل وتقرير الدلائل والبحوث، بل هو ما زاد في خوف العبد من الله سبحانه، ونشط في عمل الآخرة وزهد في الدنيا.

قال العالم عليه السلام: أولى العلم بك ما لا يصلح لك العمل إلّا به، وأوجب العلم بك ما أنت مسؤول عن العمل به، وألزم العلم لك ما دلّك على صلاح قلبك وأظهر لك فساده، وأحمد العلم عاقبةً ما زاد في عملك العاجل، فلا تشتغلنّ بعلم ما لا يضرّك جهله، ولا تغفلن عن علم ما يزيد في جهلك تركه.

---

(١) البحار ١ : ١٥٣.

(٢) البحار ١ : ١٢٠.

ثمّ انظر الآيات الواردة بمدح العلم تجدها واصفات العلماء بما ذكرناه. قال الله تعالى:

﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾[١].

فوصفهم بالخشية، وقال تعالى:

﴿ أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِداً وَقَائِماً يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ ﴾[٢].

فوصفهم بإحياء الليل بالقيام ومواصلة الركوع والسجود والخوف.

وقال الصادق عليه السلام: الخشية ميراث العلم، والعلم شعاع المعرفة، وقلب الإيمان، ومن حرم الخشية لا يكون عالماً وإن شقّ الشعر بمتشابهات العلم.

قال معاذ: تعلّموا العلم، فإنّ تعلّم العلم لله خشية، وطلبه عبادة، ومداومته تسبيح، والبحث عنه جهاد، وآدابه خمسة: تقديم تطهير النفس عن رذائل الأخلاق، وتقليل العلائق، والانقياد إلى إشارة المعلّم، وأن يكون قصده تخلية باطنه في الحال، وتحصيل السعادة إلى الاستقبال.

قال عيسى عليه السلام: أشقى الناس من هو معروف عند الناس بعلمه مجهول بعمله.

قال النبيّ محمّد صلى الله عليه وآله: مثل الذي يعلم الخير ولا يعمل به كمثل السراج يضيء للناس ويحرق نفسه. وعلمٌ لا ينفع ككنز لا ينفق منه. وعالم لا يعمل بعلمه فالعلم والعالم في النار[٣].

---

(١) فاطر: ٢٨.

(٢) الزمر: ٩.

(٣) بحر المعارف؛ للشيخ عبد الصمد الهمداني: ٥٣٥.

٦
القلب المتّقي

﴿ ذَٰلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴾[١].

(ذلك) خبر لمبتدأ محذوف يعني (الأمر كذلك) أي القضيّة حقاً كذلك يكون بأنّه من يعظّم ويقدّس شعائر الله فإنّ ذلك من علامة تقوى قلبه، و (الشعائر) جمع شعيرة بمعنى العلامة، فـ(شعائر الله) العلائم التي وضعها الله لتذكّر الإنسان بربّه:

﴿ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللهِ ﴾[٢].

﴿ وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللهِ ﴾[٣].

فالجبل المنسوب إلى الله، والجمل المنسوب إلى الله يكون من شعائر الله، وكلّ شيء ينسب إليه سبحانه فهو علامة تشير إلى عظمته وصفاته وأسمائه الحسنى، فتعظيم وتقديس واحترام وتقدير شعائر الله سبحانه، وشعائر أنبيائه وأوليائه الكرام عليهم السلام، ذلك كلّه من تقوى القلوب، ثمّ إضافة التقوى إلى القلوب يعني أنّ حقيقة التقوى والاجتناب والاحتراز عن محارم الله عزّ وجلّ وغضبه إنّما هو أمر معنوي يقوم بالقلب والنفس والروح المدبّرة للبدن، فليست التقوى قائمة بالأعمال

---

(١) الحجّ: ٣٢.

(٢) البقرة: ١٥٨.

(٣) الحجّ: ٣٦.

الجوارحية لأنّها تشترك بين الطاعة والعصيان، فإنّ لمس البدن في النكاح المحلّل والمحرّم واحد، وقتل النفس في الجناية والقصاص واحد، والصلاة قربةً ورياءً واحدة، وإنّما كان أحدهما حلالاً طيّباً صالحاً دون الآخر، إنّما هو باعتبار أمر معنوي وباطني، وهو تقوى القلب أو عصيانه.

فإذا وضع الله علامة فعلينا أن نطيعه ونقيم علائمه ونعظّم شعائره، فإنّ ذلك من حقيقة العبودية، ومن أتى بالواجبات الإلهية وترك المحرّمات وتورّع عن المآثم وتحرّز عن غضب الله، فإنّ ذلك من تقوى القلوب.

عن الإمام الرضا عليه السلام، قال: الايمان فوق الإسلام درجة، والتقوى فوق الايمان بدرجة، واليقين فوق التقوى بدرجة، ولم يقسم بين العباد شيء أقلّ من اليقين.

يدلّ على أنّ التقوى أفضل من الايمان وأعلى درجة، والتقوى من الوقاية وهي لغةً: بمعنى فرط الصيانة، واصطلاحاً: صيانة النفس عمّا يضرّها في الآخرة، وقصرها على ما ينفعها فيها، ولها مراتب ثلاثة:

الأُولى: وقاية النفس عن العذاب المخلّد بتصحيح العقائد الايمانية.

والثانية: التجنّب عن كلّ ما يؤثم من فعل أو ترك، وهو المعروف عند أهل الشرع.

والثالثة: التوقّي عن كلّ ما يشغل القلب عن الحقّ، وهذه درجة الخواصّ بل خاصّ الخاصّ.

والمراد هنا أحد المعنيين الأخيرين وكونه فوق الايمان بالمعنى الثالث ظاهر على أكثر معاني الايمان، وإن أُريد المعنى الثاني فالمراد بالايمان إمّا محض العقائد الحقّة أو مع فعل الفرائض وترك الكبائر بأن يعتبر ترك الصغائر أيضاً في المعنى

الثاني. وقيل: باعتبار أنّ الملكة معتبرة فيها لا فيه، ولا يخفى ما فيه[١].

قال بعض المحقّقين: اعلم أنّ العلم والعبادة[٢] جوهران لأجلهما كان كلّما ترى وتسمع من تصنيف المصنّفين وتعليم المعلّمين ووعظ الواعظين، بل لأجلهما أُنزلت الكتب وأُرسلت الرسل، بل لأجلهما خلقت السماوات والأرض وما فيهما من الخلق، وناهيك لشرف العلم قول الله عزّ وجلّ:

﴿ اللهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً ﴾[٣].

فمن علم بقدرة الله وبعلمه المحيط سيتّقي الله في كلّ الأحوال. ولشرف العبادة قوله سبحانه:

﴿ وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[٤].

فحقّ للعبد أن لا يشتغل إلّا بهما، ولا يتعب إلّا لهما، وأشرف الجوهرين العلم، كما ورد عن الرسول الأكرم ﷺ: «فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم».

والمراد بالعلم هو الدين، أعني معرفة الله سبحانه وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، قال الله عزّ وجلّ:

﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ﴾[٥].

---

(١) البحار ٦٧: ١٣٦.

(٢) لقد تحدّثت بالتفصيل عن (فلسفة الحياة وسرّ الخليقة) في رسالة مطبوعة، فراجع.

(٣) الطلاق: ١٢.

(٤) الذاريات: ٥٦.

(٥) البقرة: ٢٨٥.

وقال تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَالكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِن قَبْلُ وَمَن يَكْفُرْ بِاللهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِيداً ﴾[1].

ومرجع الايمان إلى العلم وذلك لأنّ الايمان هو التصديق بالشيء على ما هو عليه، ولا محالة هو مستلزم لتصوّر ذلك الشيء كذلك بحسب الطاقة، وهما معنى العلم، والكفر ما يقابله وهو بمعنى الستر والغطاء، ومرجعه إلى الجهل، وقد خصّ الايمان في الشرع بالتصديق بهذه الخمسة ولو إجمالاً، فالعلم بها لا بدّ منه وإليه الإشارة بقوله ﷺ: «طلب العلم فريضة على كلّ مسلمٍ ومسلمة»، ولكن لكلّ إنسان بحسب طاقته ووسعه:

﴿ لا يُكَلِّفُ اللهُ نَفساً إِلاَّ وُسْعَهَا ﴾[2].

فإنّ للعلم والايمان درجات مترتّبة في القوّة والضعف والزيادة والنقصان بعضها فوق بعض، كما دلّت عليه الأخبار الكثيرة.

وذلك لأنّ الايمان إنّما يكون بقدر العلم الذي به حياة القلب، وهو نور يحصل في القلب بسبب ارتفاع الحجاب بينه وبين الله جلّ جلاله:

﴿ اللهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴾[3].

﴿ أَوَ مَنْ كَانَ مَيتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ

---

(١) النساء: ١٣٦.

(٢) البقرة: ٢٨٦.

(٣) البقرة: ٢٥٧.

فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا ﴾[١].

وليس العلم بكثرة التعلّم، إنّما هو نور يقذفه الله في قلب من يريد أن يهديه.

وهذا النور قابل للقوّة والضعف والاشتداد والنقص، كسائر الأنوار:

﴿ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً ﴾[٢].

﴿ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً ﴾[٣].

كلّما ارتفع حجاب عن القلب ازداد نوراً، فيقوى الإيمان ويتكامل إلى أن ينبسط نوره، فينشرح صدره، ويطّلع على حقائق الأشياء، وتتجلّى له العيوب، ويعرف كلّ شيء في موضعه، فيظهر له صدق الأنبياء عليهم السلام في جميع ما أخبروا عنه إجمالاً وتفصيلاً على حسب نوره، وبمقدار انشراح صدره، وينبعث من قلبه داعية العمل بكلّ مأمور، والاجتناب عن كلّ محظور، فيضاف إلى نور معرفته أنوار الأخلاق الفاضلة والملكات الحميدة:

﴿ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ ﴾[٤].

﴿ نُورٌ عَلَى نُورٍ ﴾[٥].

وكلّ عبادة تقع على وجهها المطلوب فإنّها تورث في القلب صفاءً يجعله مستعدّاً لحصول نور فيه وانشراح ومعرفة ويقين، ثمّ ذلك النور والمعرفة واليقين

---

(١) الأنعام: ١٢٢.

(٢) الأنفال: ٢.

(٣) طه: ١١٤.

(٤) التحريم: ٨.

(٥) النور: ٣٥.

تحمله على عبادة أُخرى، وإخلاص آخر فيها يوجب نوراً آخر وانشراحاً أتمّ ومعرفة أُخرى ويقيناً أقوى، وهكذا إلى ما شاء الله جلّ جلاله، وعلى كلّ من ذلك شواهد من الكتاب الكريم والسنّة الشريفة[1].

قال الإمام الكاظم في حديث لهشام: قال عيسى بن مريم... يا عبيد السوء، اتّخذوا مساجد ربّكم سجوناً لأجسادكم وجباهكم، واجعلوا قلوبكم بيوتاً للتقوى، ولا تجعلوا قلوبكم مأوىً للشهوات، إن أجزعكم عند البلاء لأشدكم حبّاً للدنيا، وإنّ أصبركم على البلاء لأزهدكم في الدنيا[2].

---

(١) البحار ٦٧: ١٤١.

(٢) البحار ١: ١٤٦. وقد تحدّثت عن التقوى بالتفصيل في رسالة (كلمة التقوى في القرآن الكريم)، وهي مطبوعة، فراجع.

٧
القلب العاقل

﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى القُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾[1].

إنّ الله سبحانه يحثّ الإنسان أن يسير في الأرض ليرى الآثار المعطّلة والقصور المشيّدة التي هلك سكّانها وأُبيد أهلها، فيتفكّروا في عوامل انحطاطهم وأسباب انكسارهم، فيعتبروا بآثارهم، ويكون لهم عقول يتدبّرون بها ما حلّ بهم، وآذان يسمعون بها أخبارهم، فإنّ ذلك ممّا يجذب الإنسان إلى الإيمان بالله ويمنعه عن الشرك والكفر والكفران، فيسمعون نصائح الناصحين ووعظ الواعظين، وأكثر الناصحين شفقةً ووعظاً وإرشاداً هو القرآن الكريم، ذلك الكتاب لا ريب فيه هدىً للمتّقين، وإنّه يهدي للتّي هي أقوم، يهدي إلى صراطٍ مستقيم، والرسول الأكرم وعترته الأطهار.

وإنّما لم يذكر البصر في هذه الآية الشريفة لأنّها تقسّم الناس إلى قسمين: فمنهم من يشخّص بنفسه الخير من الشرّ، والصالح من الطالح، والجيّد من الرديء، والغثّ من السمين، والحسن من السيّء، والحقّ من الباطل، ومنهم من يتبع الآخرين ويستمع لهم، فالذي يتعقّل الأمور ويدركها له قلب عاقل يهدي الناس إلى الخيرات والإحسان، وعلى الناس أن يستمعوا له، ويطيعوه ليهتدوا

---

(١) الحج: ٤٦.

ويسعدوا في الدارين.

فالناس في الحقيقة بين الاستقلال في التعقّل وتمييز الخير من الشرّ، وبين الاتّباع لمن يجوز اتّباعه، وهذا شأن القلب والأُذن.

ومن لم يستمع ولم يطع فإنّ قلبه أعمى عن رؤية الحقّ ومشاهدة جماله، فإنّها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور، وهذه مبالغة في تصوير العمى، فمن لم يتعقّل ولم يسمع الحقّ فهو أعمى القلب، فإنّ من عُمي بصره ربما يتدارك ما فاته من نعم البصر بالعصا وبهداية الآخرين، ولكن الذي عمي قلبه، فإنّه لا ينفعه النصح والنذر ومعونة الهادين ومواعظهم.

ونسبة العقل للقلب تجوّزاً، كمجازية القلب إلى الصدر. فمن يسير في الأرض ويرى العواقب فإنّه يتفكّر ويتعقّل الأُمور كما يستمع لنصيحة الناصحين، فيتّقي الله ويعظم شعائره، ويقيم حدوده وأحكامه، ويخاف يوم المعاد، فيطهّر قلبه من الأرجاس والأوساخ والصفات الذميمة، ويخلو قلبه من الهوى ويتوكّل على الله:

﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ ﴾[1].

عن الإمام الكاظم عليه السلام: المراد من القلب في هذه الآية الشريفة هو العقل[2].

وقال عليه السلام لهشام: يا هشام، من أراد الغنى بلا مال، وراحة القلب من الحسد، والسلامة في الدين، فليتضرّع إلى الله في مسألته بأن يكمل عقله، فمن

---

(١) ق: ٣٧.

(٢) أُصول الكافي ١: ١٦، باب العقل والجهل.

عقل قنع بما يكفيه، ومن قنع بما يكفيه استغنى، ومن لم يقنع بما يكفيه لم يدرك الغنى أبداً.

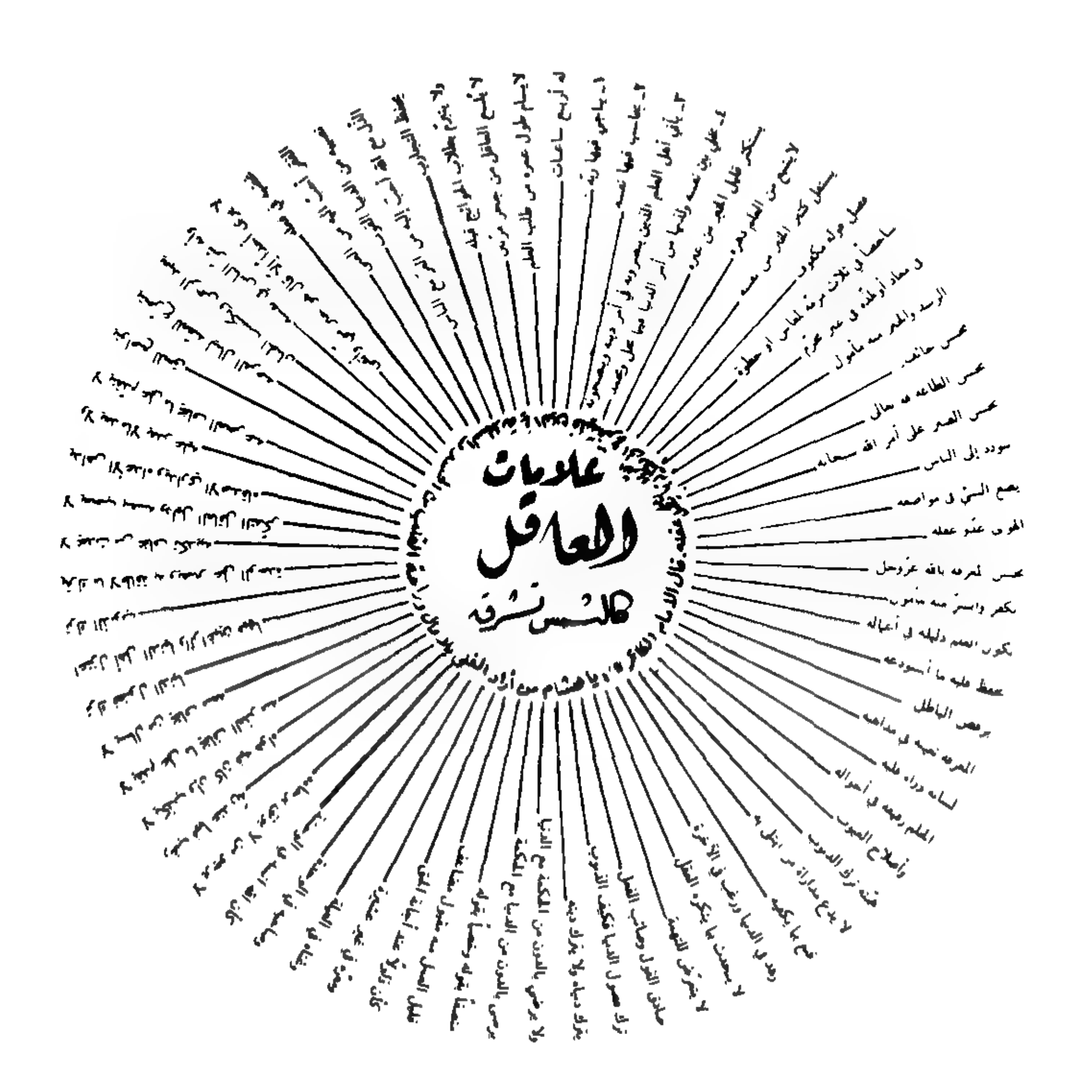
وللعقل والعاقل علامات وخصائص جاء معظمها في الروايات الشريفة عن الرسول الأكرم وأهل بيته الأطهار عليهم السلام جمعتها من كتاب بحار الأنوار[1] ووضعتها في هذا الشكل المدوّر.

ومن أراد التفصيل والبيان فعليه بمراجعة البحار وكتب الحديث كالكافي والوافي، ومن كتب أبناء العامّة كالصحاح الستّة وكنز العمّال.

---

(١) بحار الأنوار ١ : ٣٠٦ ـ ٣٦١.

الشكل الدائري للعقل والعقلاء



٨
القلب الرؤوف

﴿ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الإنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً ﴾(١).

التقفية بمعنى الإرسال واحداً تلو الآخر، ومنه يسمّى أواخر الشعر بالقافية، وضمير (على آثارهم) يرجع إلى نوح وإبراهيم، وقيل بترادف الرأفة والرحمة في المعنى، وقيل: الرحمة تستعمل في مقام جلب المنفعة والخير، والرأفة في مقام دفع الشرّ والضرر. والظاهر إنّما جعلت الرحمة والرأفة في قلوب أُمّة عيسى آنذاك للذين اتّبعوه ونصروه، فترحموا فيما بينهم، وعاشوا برحمة وشفقة، كما مدح الله أُمّة محمّد بهذا في قوله تعالى:

﴿ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾(٢).

فكلّ الأنبياء لهم طريقة ودعوة واحدة، وهي وحدانية الله جلّ جلاله، وأن يعبد الإنسان ربّه، فيكون له قلب رؤوف يتبع به رسل الله وكتبه فيكون من المهتدين والسعداء.

وفي حديث عن رسول الله في علامة المؤمن: فإنّه يرؤف ويفهم ويستحيي(٣).

---

(١) الحديد: ٢٧.

(٢) الفتح: ٢٩.

(٣) البحار ١: ١٢٠.

وعنه عليه‌السلام : القلوب أربعة : قلب فيه نفاق وإيمان ، وقلب منكوس ، وقلب مطبوع ، وقلب أزهر أنور ، قلت : ما الأزهر ؟ قال : فيه كهيئة السراج ، فأمّا المطبوع فقلب المنافق ، وأمّا الأزهر فقلب المؤمن ، إن أعطاه الله عزّ وجلّ شكر ، وإن ابتلاه صبر ، وأمّا المنكوس فقلب المشرك ، ثمّ قرأ هذه الآية :

﴿ أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبّاً عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيّاً عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾[1].

وأمّا القلب الذي فيه إيمان ونفاق فهم قوم كانوا بالطائف ، فإن أدرك أحدهم أجله على نفاقه هلك ، وإن أدرك على إيمانه نجا)[2].

(١) الملك : ٢٢.

(٢) البحار ٦٧ : ٥٢ ، عن معاني الأخبار : ٣٩٥.

٩
القلب السليم

﴿ وَلا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ * يَوْمَ لا يَنْفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾[١].

كثير من العلاقات الاجتماعية في هذه الحياة الفانية إنّما تدور حول المال والبنون، فعند كثير من الناس إنّما مساعداتهم تناط بالمال والبنين، والله نفى ذلك في يوم القيامة على أنّ ذلك لو نفع فإنّه في الحياة الدنيا، وأمّا الحياة العقبى ويوم القيامة فإنّه لا ينفع مال ولا بنون لدفع المضرّات وجلب المنافع، فإنّهما من زينة الحياة الدنيا، فإنّ يوم القيامة يوم تبلى السرائر، وتنكشف الحقائق، ويكون بصرك يومئذٍ حديداً ونافذاً، فترى إنّما ينفع الإنسان لنجاته وعلوّ درجاته، وتزحزحه عن النار ودخوله الجنّة، هو القلب السليم الذي يلقى الله وليس فيه سواه ـ كما ورد في الخبر الشريف ـ فلا أنساب بينهم يومئذٍ ولا مساعدة بالمال والبنين:

﴿ بَلْ هُمُ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ ﴾[٢].

والسلم والسلامة التعرّي من الآفات الظاهرة والباطنة[٣]، فلا ينفع يوم القيامة على نحو الحصر والقصر إلّا القلب السليم، فالسعيد يوم القيامة من كان له

---

(١) الشعراء: ٨٧ ـ ٨٩.

(٢) الصافّات: ٢٦.

(٣) الراغب: ٢٤٥، مادّة سلم.

قلب سليم، والدنيا مزرعة الآخرة ومتجر أولياء الله، ففي هذه الدنيا نالوا هذا القلب المؤمن الطاهر السليم الغنيّ بغنى الله سبحانه. والذي يعمل الأعمال الصالحة كما في قوله تعالى:

﴿ المَالُ وَالبَنُونَ زِينَةُ الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ﴾[١].

فالقلب السليم الذي يأتي الله يوم القيامة الذي لم يُشرك بالله وقد زهد في الدنيا وعمل صالحاً وهجر حبّ الدنيا، فإنّ حبّ الدنيا رأس كلّ خطيئة. فلا ينفع المال والبنون والأنساب يوم القيامة، إلّا من أتى الله بقلبٍ سليم، وهو خير تحفة وهدية إلهية يمنحها الله لخاصّة أوليائه وعباده المقرّبين.

وفي حديث عن رسول الله في علامة المخلص، فهي أربعة: يسلم قلبه (من الشرك والرياء وحبّ الدنيا وأهلها وزخرفها وزبرجها)، ويسلم جوارحه (من المعاصي والذنوب وما يكون فيه آفتها) وبذل خيره وكفّ شرّه[٢].

ثمّ العلماء ورثة الأنبياء فيرثونهم في قلوبهم السليمة:

﴿ وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ * إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾[٣].

عن النبيّ الأكرم ﷺ أنّه سُئل: ما القلب السليم؟ فقال: دين بلا شكٍّ وهوىً، وعمل بلا سمعة ورياء[٤].

---

(١) الكهف: ٤٦.

(٢) البحار ١: ١٢١.

(٣) الصافّات: ٨٣ ـ ٨٤.

(٤) المستدرك ١: ١٢.

قال الإمام الصادق عليه السلام في قوله تعالى: ﴿ إِلَّا مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾: القلب السليم الذي يلقى ربّه وليس فيه أحد سواه، وكلّ قلب فيه شكّ أو شرك فهو ساقط[1].

وقال عليه السلام: صاحب النيّة الصادقة صاحب القلب السليم، لأنّ سلامة القلب من هواجس المذكورات تخلص النيّة لله في الأُمور كلّها، قال الله تعالى: ﴿ يَوْمَ لا يَنْفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾.

قال الإمام الباقر عليه السلام: لا علم كطلب السلامة، ولا سلامة كسلامة القلب.

فإنّ المقصود من العلوم النافعة ما يكون فيه نجاة الإنسان وسلامته في الدارين، فلا علم كطلب السلامة والبحث عنها سلامة الدين والدنيا، ولكن لا سلامة كسلامة القلب فهو المقصود. فإنّ من سلم قلبه فلا يصدر منه إلّا ما فيه السلام والسلامة والسلم ويكون مظهراً لاسم الله السلام.

قال أمير المؤمنين عليّ عليه السلام: لا يصدر عن القلب السليم إلّا المعنى السليم. وهذا يدلّ على الحصر، فإنّ القلوب إذا طهرت فإنّها تكون دار العلوم والحكمة.

فإنّه قد ورد في الخبر الشريف: القلوب إذا لم تخرقها الشهوات أو يدنّسها الطمع أو يقسّيها النعيم فسوف تكون أوعية للحكمة[2].

وقال عليه السلام: لا يسلم لك قلبك حتّى تحبّ للمؤمنين ما تحبّ لنفسك.

وقال عليه السلام: أسلم القلوب ما طهر من الشبهات.

وفي غرر الحِكَم عن أمير المؤمنين عليّ عليه السلام: إذا أراد الله بعبدٍ خيراً رزقه الله

---

(١) البحار ٧٠: ٥٩.

(٢) البحار ١٤: ٣٢٧.

قلباً سليماً وخلقاً قوياً[١].

وقال عليه السلام: إنّ هذه القلوب أوعية، فخيرها أوعاها.

أفضل القلوب قلب حُشّي بالفهم.

وقال عليه السلام: اعلموا أنّ الله سبحانه لم يمدح من القلوب إلّا أوعاها للحكمة، ومن الناس إلّا أسرعهم إلى الحقّ إجابةً.

فالقلب الممدوح في كتاب الله القلب السليم الذي يكون وعاءً للحكمة لم تبليه وتخرقه الشهوات المحرّمة، ولم يدنّسه الطمع أو يبطره ويقسيه النعم، وقد طهر من الشرك والكفر والشبهات، وامتلأ وحُشي بالفهم والعلم والدين والعمل الصالح، فكان حرم الله وعرشه وهو من أفضل التحف للمؤمن يوم القيامة، يوم لا ينفع مالٌ ولا بنون إلّا من أتى الله بقلبٍ سليم.

(جعلنا الله وإيّاكم ممّن يسعى بقلبه إلى منازل الأبرار برحمته)[٢].

---

(١) ميزان الحكمة ٨ : ٢٢٢.

(٢) النهج : خطبة ١٦٥.

١٠
القلب المنيب

﴿ وَأُزْلِفَتِ الجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ * هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ * مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ * ادْخُلُوهَا بِسَلامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الخُلُودِ ﴾[1].

إنّ الله سبحانه في هذه الآية الشريفة يبيّن معنى قوله : ﴿ لِكُلِّ أَوَّابٍ ﴾ ، فهو الذي يخشى الله في عذابه ونار جهنّم مع أنّه لم يرها فهي غائبة عنه ، فيأتي الله بقلبٍ منيب يرجع إليه في كلّ أُموره وطول حياته ، حتّى أصبح الرجوع إلى الله عنده ملكة راسخة ، تتجلّى آثارها عند الموت ، فيدخل الجنّة بسلام آمن ، ليخلّد فيها متنعّماً بلا لغوب ، وفيها ما تشتهي الأنفس وتلذّ الأعين ، وما لم يخطر على قلب البشر .

فمن أذنب فليرجع سريعاً إلى ربّه ، ويتوب ممّا فعل ولا يعود ، فإنّ الله هو التوّاب الرحيم يقبل التوبة من عبده المنيب الخائف ، ومن تاب الله عليه فإنّه يدخل الجنّة بسلام خالداً فيها أبد الآبدين ، وهذه بشرى تفرح قلوب المؤمنين والمتّقين ، وتهوّن عليهم مصائب الدنيا وهوانها ، وتسهّل عليهم مشاكلها وصعابها .

قال الرسول الأكرم محمّد ﷺ : إنّ لله آنية في الأرض فأحبّها إلى الله ما صفا منها ورقّ وصلب ، وهي القلوب ، فأمّا ما رقّ منها : فالرقّة على الإخوان ، وأمّا ما صلب منها : فقول الرجل في الحقّ لا يخاف في الله لومة لائم ، وأمّا ما صفا

---

(١) ق : ٣١ ـ ٣٤ .

ما صفت من الذنوب[١].

والصفاء ابتداءً بأن لا يذنب أولى وأبلغ من الصفاء بعد الذنوب، وذلك بالتوبة والإنابة إلى الله سبحانه، وإن كان عزّ وجلّ يغفر الذنوب جميعاً إلّا ما أُشرك به، فإنّه ستّار العيوب غفّار الذنوب، والغفّار صيغة مبالغة تعني أنّ العبد مهما أذنب فإنّه لو رجع وتاب واستغفر فإنّ الله هو الغفّار الرحيم، وإنّه كريم الصفح، بمعنى أنّه يغفر الذنوب، بل يمحي كلّ الآثار ويكون الإنسان كيوم ولدته أُمّه، له قلب طاهر سليم، وصفحة بيضاء، فعليه أن يستأنف العمل وأن يملها بالصالحات.

ولا يخفى ـ كما مرّ ـ أنّ القصد إلى الله تعالى بالقلوب أبلغ وأشدّ من القصد إليه بالبدن، وحركات القلوب أبلغ من حركات الأعمال، فإنّه سبحانه وتعالى ينظر إلى القلوب لا إلى الصور والأموال، فعلينا أن لا نغفل عن ذكره، فإنّه من غفل قيّض الله له شيطاناً يغيّره ويضلّه ويغويه، ومن نسي الله نسي نفسه، فيشتغل بغير الذي من أجله خُلق، أي بغير العبادة وبغير الله فيصاب بالخفض والهوان والتوقّف عن المسير إلى الله سبحانه، وإنّما يفتح القلب لبركات الله لو رضي عن الله، وإنّما يرفع في أعلى علّيين لو ذكر الله:

﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ ﴾[٢].

وكما في علم النحو إعراب وبناء، والإعراب رفع وفتح وخفض ووقف، فكذلك القلوب كما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام قال: إعراب القلوب على أربعة أنواع: رفع وفتح وخفض ووقف، فرفع القلب في ذكر الله، وفتح القلب في الرضا

---

(١) البحار ٧: ٦٠.

(٢) النور: ٣٦.

عن الله، وخفض القلب في الاشتغال بغير الله، ووقف القلب في الغفلة عن الله[1].

فهلمّ أيّها الأصدقاء، يا إخوان الصفا إلى العلم النافع والعمل الصالح، ولنعرف الهدف في حياتنا ومماتنا، ونعرف المبدأ والمعاد، فإنّ كلّ إنسان لا يخلو من أهداف في حياته الفردية والاجتماعية، وأنّ الله يشير إلى ذلك في قوله تعالى:

﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ﴾[2].

فلكلّ واحد ـ المسلم والكافر، الرجل والمرأة، الصغير والكبير، الحرّ والعبد ـ وجهة وأهداف، وهو المسؤول عنها فهو مولّيها. ثمّ حياته لها مبدأ ومنتهى، والمبدأ الأوّل هو الله سبحانه والمعاد إليه، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون، فهو الأوّل وهو الآخر، وقد جعل للإنسان صراطاً مستقيماً يوصل الإنسان لو سار فيه إلى المليك المقتدر، وإلى جنّة النعيم في مقعد صدق عند مليك مقتدر، ونصب له في هذا الصراط الأضوية الوهّاجة والشموع المضيئة وهم الأنبياء والأوصياء وورثتهم العلماء الصلحاء، كما علّمه أن يكون له الهمّة العالية وأودع فيه ذلك، فلا يكتفي بالأدنى ولا تغرّه الدنيا الدنيّة، فإنّها دار ممرّ وليس دار مستقرّ، عليه أن يتزوّد منها بخير الزاد، وخير الزاد التقوى، فعلمه من خلال أدعية أنبياءه ورسله أن يطلب من الله أسنى المطالب وأعلاها سواء كانت دنيوية أو أُخرويّة مادّية أو معنوية: فهذا إبراهيم الخليل يطلب من ربّه أن يكون للمتّقين إماماً:

﴿ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَاماً ﴾[3].

---

(١) البحار ٧٠: ٥٥.

(٢) البقرة: ١٤٨.

(٣) الفرقان: ٧٤.

وفي طلب الدنيا يطلب سليمان من ربّه قائلاً :

﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكاً لا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي ﴾[1].

وهاتان الآيتان تعلّمنا أنّه كيف نكون أصحاب همّة عالية، ولا نرضى بالدون والشيء الرديء، ففي المطالب الدنيوية نطلب من الله المُلك، وفي المعنوية نطلب منه أن نكون إماماً للمتّقين، بمعنى أنّ المتّقين بجانب والداعي بجانب، له ما لكلّ المتّقين، وهذا غاية المعنويات من الأعمال الصالحة، كما أنّ طلب الملك غاية المادّيات من الدنيا، ولكن هناك شيئاً عظيماً مهما بلغ الإنسان فيه، فإنّه لم يأتِ منه إلّا القليل، وهو العلم :

﴿ وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ العِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً ﴾[2].

والله سبحانه يأمر نبيّه الأكرم أن يدعوه بقوله :

﴿ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً ﴾[3].

وهذا يعني أنّ العلم لا نهاية له، فإنّ العلم هو الله سبحانه، وأنّ الله واجب الوجود مستجمع الصفات الكمالية بلا حدّ ولا نهاية، وأنّ العلم من الصفات الذاتية، فهي عين الذات كما هو الحقّ، خلافاً لمن يقول بزيادته على الذات، فإنّه يلزمه تعدّد القدماء، كما هو ثابت في محلّه.

فالإنسان إذا كان هدفه الله وله مثل هذه الهمم الراقية والبليغة، لا يشبع من طلب العلم، ولا يفتر من عبادة ربّه، فينيب إليه بقلب منيب، ويهتدي إليه بكتب الله

---

(١) ص : ٣٥.

(٢) الإسراء : ٨٥.

(٣) طه : ١١٤.

ورسله، ويدخل الطرق والسبل الإلهية التي تنتهي إلى الصراط المستقيم ويجاهد في الله جلّ جلاله:

﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾[1].

وإذا انقطع السبيل عن الصراط فإنّه يكون من سُبل الشيطان وسبل الطغاة، كما رسم النبيّ الأكرم ﷺ يوماً لأصحابه على الأرض خطاً مستقيماً، وخطوطاً أُخرى عن اليمين وعن الشمال مقطوعة من الخطّ الأوّل، فسأل عن ذلك فقال: هذا طريق الله وصراطه المستقيم، وهذه سبل الشيطان.

فالإنسان إمّا أن يكون في خطّ الشيطان وله أهداف شيطانية وعاقبة أمره الذلّ والخسران في الدنيا والآخرة، وإمّا أن يكون في خطّ الرحمن ذو أهداف إلهية، وعاقبة أمره النصر والفوز بالجنان، وهذا غير بعيد يوم تزلف الجنّة للمتّقين، هذا ما وعد الله كلّ أوّاب إليه وحافظ لعهوده الذي يخشى الله بالغيب وجاء بقلبٍ منيب، فيدخل الجنّة بسلام، وذلك يوم الخلود.

وجاء الإسلام العظيم ليجعل قلوب معتنقيه قلوباً منيبة راجعةً إلى بارئها، وتعرف كيف تعيش وكيف تموت، وتنظّم حياتها وفق الأحكام الشرعيّة الدينية، وتصل إلى الحياة المعقولة في علائقها الأربعة: مع الربّ، ومع النفس، ومع الناس، ومع العالم الوجودي، فتصل إلى كمالها وسعادتها في الدنيا والآخرة، فتدبّر.

---

(١) العنكبوت: ٦٩.

١١
القلب المؤمن

﴿ لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أوْ أبْنَاءَهُمْ أوْ إخْوَانَهُمْ أوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللهِ ألا إنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ المُفْلِحُونَ ﴾[1].

إنّ الله سبحانه في هذه الآية الشريفة ينفي الإيمان عن قلوب أقوام اتّصفوا بهذه الصفة، أنّهم يودّون من يحارب الله، كآكلي الربا والكافرين والمشركين وأعداء الله، حتّى لو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم، أي أقرب الناس إليهم، بل حتّى ولو كان من عشيرته، فإنّه لا يتعصّب لقبيلته وعشيرته، ويقدّم فاسقهم على المؤمن، بل عنده الملاك هو الإيمان بالله وتقوى القلوب:

﴿ إنَّ أكْرَمَكُمْ عِندَ اللهِ أتْقَاكُمْ ﴾[2].

فالذي اتّقى ربّه وعمل صالحاً فإنّ الله كتب في قلبه الإيمان، وأيّده ونصره بروحٍ منه، في الدنيا لا يوادّ الذين كفروا وحادّوا الله ورسوله أبداً، حتّى ولو كان أقربَ الناس إليه، ونتيجة إيمان قلبه أنّه في الآخرة يدخل جنّات عدنٍ وفراديس تجري من تحتها الأنهار خالداً فيها، لأنّ الله رضي عنهم كما هم رضوا عن الله،

---

(١) المجادلة: ٢٢.

(٢) الحجرات: ١٣.

ووصلوا إلى مقام الرضا والتسليم لأمره، فأُولئك حزب الله حقّاً، وأُولئك هم المفلحون في الدنيا والآخرة. ومن كتب في قلبه الإيمان فإنّه لا يزول ذلك فيكون مستقرّ الإيمان، ويؤيّد بتأيّدات إلهية في حياته العلمية والعملية، الفردية والاجتماعية. فإنّه يكون مؤيّداً بجبرئيل والقرآن والحجّة والبرهان، فتحدّثه الملائكة، ويُلهم فعل الخيرات بروح منه، بعد كمال قوّته الإنسانية والإيمانية.

فالقلب المؤمن يعادي أعداء الله ويوالي أولياء الله، ولا يتهاون في إقامة دين الله وحكومته، ويبذل النفس والنفيس من أجل ذلك:

﴿ إِنْ تَنصُرُوا اللهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾[1].

فالقلب المؤمن له علامات: ومن أهمّها التولّي لله ولما فيه وعليه اسمه، والتبرّي من أعدائه، وما ليس عليه اسم الله عزّ وجلّ.

كما هناك علائم وأمارات أُخرى كثيرة، كما جاء ذلك في الأحاديث الشريفة والقرآن الكريم.

---

(١) محمّد ﷺ: ٧.

١٢
القلب المهتدي

﴿ مَا أَصَابَ مِن مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ وَمَن يُؤْمِن بِاللهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾[1].

المصيبة حالة نفسية تتولّد عند الإنسان عندما يتأثّر بحادثة وواقعة أليمة كفقد الولد والوالد وخراب الدار ونقص الثمرات.

والإذن من الله بمعنى إعلام الرخصة الإلهية، وعدم المانع من وقوع المصيبة، ولازمه العلم بالمصيبة.

والإذن هنا إذناً تكوينياً، فكلّ شيء في عالم الكون يقع بإذن الله سبحانه وعلمه. فالمصيبة الواقعة إنّما تكون بإذنه التكويني، وإن لم يأذن بها شرعاً، أي بالإذن الشرعي كظلم الظالم، فإنّ الظلم قبيح وممنوع عقلاً وشرعاً ولم يأذن الله به، ولكن في عالم التكوين لو وقع الظلم على المظلوم فإنّه بإذن الله، ومن هذا المنطلق بعض المصائب لا تتحمّل والصبر فيها لا يجوز، بل يلزم ويجب على المرء أن يقاوم ويدفع تلك المصيبة كالظلم، بل من قتل دون ماله وعرضه فهو شهيد، فالمصائب التي تكون من يد الإنسان لا بدّ من مقاومتها، وأمّا المصائب التي تكون من الله سبحانه كالموت والمرض والطاعة والمعصية، فلا بدّ من الصبر عليها، ويثاب على ذلك، ويبشّر بجنّات تجري من تحتها الأنهار.

---

(١) التغابن: ١١.

فمن يؤمن بالله يهديه الله بقلبه إلى ما يلزمه من العمل أمام المصائب على اختلافها وأشكالها، فإنّ الله يعلم بالمصائب التي ترد على الإنسان وتعلّقت مشيّته بذلك، فلا تصل الحوادث والوقائع للإنسان إلّا بعلم الله ومشيّته، فلا تستقلّ العوامل الطبيعية في سير الحوادث، بل تنتهي العلل والمعاليل كلّها إلى العلّة الأُولى علّة العلل وهو الله سبحانه واجب الوجود لذاته المستجمع لجميع الصفات الكمالية والجمالية والجلالية، ومن يعتقد بوحدانية الله سبحانه، يعتقد بأنّ المؤثّر الأوّل هو الله جلّ جلاله، وليس في الدير ديّارٌ إلّا هو.

وإذا وقف الإنسان على هذه الحقيقة ولمسها بكلّ وجوده، واعتقد بها بتمام قلبه، ووجدها بعد أن علم بها، فإنّه بلا ريب يطمئنّ قلبه ويرتاح باله، ويعلم أنّ أزمّة الأُمور طرّاً بيده سبحانه وتعالى، ولا يفعل الحكيم العالم القادر إلّا بالحكمة وما فيه المصلحة، فقلب المؤمن يهتدي إلى هذه الحقيقة، عند المصيبة يتجلّى له حقيقة:

﴿ إِنَّا للهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾[1].

فيجريها على لسانه ليحكي ما في قلبه من الاعتقاد الصحيح.

فالمؤمن قلبه المهتدي يهديه إلى ما يلزمه من العمل، ففي مثل المصيبة التي تكون من ربّه يصبر ولا يجزع، لأنّه يعلم أنّ الله إنّما فعل ذلك لحكمة ومصلحة، وأمّا مثل المصيبة التي تكون من يد الإنسان كالظلم، فإنّه يقاومها ويحارب الظالم ولا يرضى بالخنوع والذلّ، بل منطقه (هيهات منّا الذلّة)، و(لا أُعطيكم بيدي إعطاء العبيد)، وأمّا في مثل النعم الإلهية فيشكر الله سبحانه على ما أجاد وأنعم، فقلبه المهتدي يكون هاديه إلى ما يجب عليه من العمل. فيقاوم الظلم ويقارعه

---

(١) البقرة: ١٥٦.

ويصبر على المصائب ويشكر النعم ويقيم حدود الله ويتورّع عن المحارم.

ومن رزقه الله قلباً مهتدياً فإنّه ينشرح صدره للإسلام. قال الله تعالى:

﴿ فَمَنْ يُرِدِ اللهُ أنْ يَهدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ للإسْلامِ وَمَنْ يُرِدْ أنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ ﴾[1].

وفي تفسير مجمع البيان في ذيل الآية الشريفة: قد وردت الرواية الصحيحة أنّه لمّا نزلت هذه الآية يعني (فمن يرد الله أن يهديه...) سُئل رسول الله ﷺ عن شرح الصدر ما هو؟ فقال: نور يقذفه الله في قلب المؤمن فينشرح له صدره وينفسح..

(ولا يخفى أنّ هذا النور هو نور العلم الإلهي، فقد ورد في الحديث الشريف: ليس العلم بكثرة التعلّم إنّما العلم نورٌ يقذفه الله في قلب من أراد الله أن يهديه).

قالوا: فهل لذلك من أمارة يعرف بها؟ قال ﷺ: نعم، الإنابة إلى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزول الموت[2].

وكان الإمام الكاظم عليه السلام يدعو في سجوده: «اللهمّ ارزقني التجافي عن دار الغرور والإنابة إلى دار الخلود والاستعداد للموت قبل حلول الفوت».

وفي المناجاة عن الإمام زين العابدين عليه السلام: إلهي، فاجعلنا من الذين توشّحت (ترسّخت) أشجار الشوق إليك في حدائق صدورهم... وانجلت ظلمة الريب عن عقائدهم في ضمائرهم، وانتفت مخالجة الشكّ عن قلوبهم وسرائرهم، وانشرحت بتحقيق المعرفة صدورهم[3].

---

(١) الأنعام: ١٢٥.

(٢) مجمع البيان ٤: ٣٦٣.

(٣) البحار ٩٤: ١٥٠.

الفصل الثامن

القلوب المذمومة في القرآن الكريم

بعدما عرفنا إجمالاً القلوب الممدوحة في القرآن الكريم وهي القلوب التي آمنت بالله ورسوله وكتبه واليوم الآخر، وعملت بالأحكام الإلهيّة من الأوامر والنواهي، وتجنّبت الصفات الذميمة، وامتلأت بحبّ وولاية الله وأوليائه، والتبرّي من أعداء الله وأعداء أوليائه، فتصبّغت بصبغة الله، وكانت حرم الله، فطهرت، وسلمت، وخشعت، وأنابت، وألفت، وخافت، واتّقت، واطمأنّت، وعقلت، واهتدت، فكانت عرش الرحمن، وإنّ السماوات والأرض لا تسع الله، ولكن وسعه قلب المؤمن ـ كما ورد في الحديث القدسي ـ.

بعدما عرفنا هذا ولو إجمالاً، فقد حان الموعد أن نقف على القلوب المذمومة في القرآن الكريم، وذلك على سبيل الإشارة والخلاصة أيضاً، لنصلح أنفسنا، ونهذّب قلوبنا، ونطهّرها ممّا يوجب رجاستها، ونحفظها من انحطاطها واضمحلالها.

والقلوب المذمومة في القرآن أكثر من الممدوحة، وهذا يعني أنّ قليل من عبادي الشكور، وتجد أكثرهم غير شاكرين، وإنّهم لا يفقهون، فتدبّر.

فالقلوب المذمومة كما يلي:

١
القلب الآثم

﴿ وَلْيَتَّقِ اللهَ رَبَّهُ وَلا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾[1].

أداء الشهادة لإثبات حقّ إنّما هو واجب كفائي، فإذا ترك الجميع فقد أثموا، وإن قام من به الكفاية فإنّه يسقط الوجوب عن الباقي، فمن وجب عليه أداء الشهادة لو امتنع عن ذلك وكتمها فإنّه آثم قلبه، أي يدلّ ذلك على أنّ قلبه قلب أثيم ومذنب، والله يعلم بكلّ ذلك، وبما يفعله الإنسان.

والآية وإن كان شأن نزولها في الدَّين، على أنّ من علم بالدين عليه أن يشهد حتّى لا يضيع حقّ الدائن، إلّا أنّ المورد لا يخصّص، بل كلّ من يكتم حقّاً مهما كان، فإنّ ذلك يدلّ على أنّ قلب الكاتم قلب آثم يمنع عن وصول الثواب والحقّ إلى أهله. وكلّ من كتم الحقّ سيبتعد عن الحقّ، وأنّ الله هو الحقّ كما في قوله تعالى:

﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الحَقُّ ﴾[2].

﴿ فَتَعَالَى اللهُ المَلِكُ الحَقُّ ﴾[3].

---

(٢) البقرة: ٢٨٣.

(٢) فصّلت: ٥٣.

(٣) طه: ١١٤.

﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ هُوَ الحَقُّ ﴾[1].

فالقلب الآثم هو القلب الذي يرتكب الذنب والمعصية والإثم، الملازم لاتّباع الهوى وطول الأجل، المعبّر عنه بالرجس تارةً وبالرجز أُخرى، الموجب لضيق القلب وختمه، ورين الصدر وطبعه، وزيغ الروح وقفله، لأنّ الذنب حجاب بين الإنسان المبتلى به وبين الحقّ الذي من أظهر مصاديقه القرآن الذي بالحقّ أنزله الله وبالحقّ نزل. والناقص لا يمسّ كرامة الكامل مادام ناقصاً.

---

(١) الحجّ: ٦.

٢
القلب المتكبّر

﴿ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴾[١].

هذه الآية الشريفة تفسّر قبلها ومعنى المرتاب المريب في قوله: ﴿ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ اللهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ ﴾[٢] فإنّ الذي يبذّر في حياته ويسرف وهو شاكّ ومرتاب، فإنّه يعرض عن الحقّ ويتبع هوى نفسه، فلا يعتمد على ما فيه العلم والمنطق والحجّة والبرهان، فيجادل في آيات الله بغير سلطان من العلم، فمثل هذا قد طبع الله على قلبه، فلا يستمع لكلام الحقّ، ويتجبّر ويتكبّر على الآخرين، فهذا من صفات كلّ قلب متكبّر جبّار.

أمّا القلب المؤمن المتواضع للحقّ فإنّه يقبل ما فيه الدليل والبرهان (نحن أبناء الدليل أينما مال نميل)، ومن لم يقبل الحجّة فقلبه قلب متكبّر ومن الطغاة الجبابرة، فيطبع على قلبه، فلا يؤثّر فيه نصيحة الواعظين، وينكر الحقائق والواقعيات، ويتخلّف عن كسب المعارف الإلهية، ويجادل بغير علم.

---

(١) المؤمن : ٣٥.

(٢) المؤمن : ٣٤.

٣
القلب المجرم

﴿ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُونَ * كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ﴾[١].

إعلم أنّ طائفة من الناس من عادتهم، أنّه ما يأتيهم من رسول من الآيات والبراهين إلّا كانوا به يستهزئون، فلا يوقّرون الأنبياء والرسل ومن يحذو حذوهم من العلماء والصالحين.

والسلوك بمعنى النفوذ، ومنه سلك الخيط في الإبرة أي نفذ، فسلك الطريق أي نفذ فيه، فالذين يستهزئون بالمقدّسات الإلهية، إنّما هم من الضالّين المضلّين، ومن المجرمين الذين نفذ في قلوبهم الضلال نتيجة عدم إيمانهم الذي ظهر في سلوكهم واستهزائهم.

فوضع رسالة النبيّ الأكرم محمّد ﷺ وذكره وقرآنه كالأنبياء من السلف وقومهم، فإنّهم منهم من كان يستهزئ بهم، فالله سبحانه يسلك في قلوب المجرمين الذكر والقرآن، إلّا أنّهم لا يؤمنون به لما عندهم من القلوب المجرمة، فيرتكبون الجرائم كقتلهم الأنبياء والاستهزاء بما يأتيهم من رسول. أو أنّه سبحانه يسلك في قلوبهم الشرك والاستهزاء للأعمال التي فعلوها من قبل من المعاصي والقبائح حتّى أصبحت قلوبهم قلوب المجرمين.

---

(١) الحجر: ١١ ـ ١٢.

فمن لم يؤمن بالله فإنّه يشرك به، فيستهزئ بأنبياء الله ورسله، ويـنفذ هـذا المعنى في قلبه، نتيجة لما ارتكبه من الجرائم والمآثم من قبل:

﴿ ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاؤُوا السُّوءَى أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللهِ ﴾[1].

ومن كان له قلب مجرم فإنّه لا يقبل الحقّ فيضلّ عن الصراط المستقيم، وله الخزي في الدنيا، وله في الآخرة عذاب عظيم.

---

(١) الروم: ١٠.

٤
القلب المعتدي

﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ رُسُلاً إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاؤُوهُمْ بِالبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ نَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِ المُعْتَدِينَ ﴾[١].

إنّ الله أرسل رسله وأنزل كتبه لهداية الناس، وليقيموا بالقسط، ولتكون لله الحجّة البالغة، إلّا أنّ الناس غالباً كانوا يكذّبون أنبياء الله وسفرائه، ويطالبونهم بالمعجزات والبيّنات، فكانت تظهر على أيديهم المعاجز ليثبت صدقهم، إلّا أنّ فريقاً من الناس ما كانوا ليؤمنوا بما كذّبوا به من قبل، لأنّ لهم قلوب معتدية ومتجاوزة لحدود الله، فما كانوا يطيعون الله، وكان الاعتداء والتجاوز أصبح لهم طبيعة ثانوية فما كان يهون عليهم ما كذّبوه من قبل، فطبع الله على قلوبهم فما كانوا من المؤمنين.

فالأنبياء دعوا الناس إلى توحيد الله ونفي الطواغيت والجبابرة، ولكنّ المستكبرين لا يحلو لهم ذلك، ودعوة الأنبياء لا تتلاءم مع ملاذّهم واستكبارهم واستعبادهم الناس واستثمار جهودهم واستحمارهم، فكانوا يحاربون الأنبياء، ولا يرضون بما عندهم من الحجّة والبراهين، بل يطالبونهم المعاجز، ومع هذا كانوا لا يؤمنون بما كذّبوه من قبل، فقست قلوبهم من التجاوز والاعتداء على حقوق الله وحقوق الناس فطبع الله على قلوب المعتدين.

---

(١) يونس : ٧٤.

فمن العوامل التي توجب أن يطبع الله على قلب، فلا يهتدي إلى ما هو الحقّ، هو الاعتداء والتجاوز على الحقوق، ومن يرى المعجزة ولا يؤمن، فإنّ ذلك علامة أنّ له قلب معتدٍ ومتجاوز، فلا يقبل الحقّ والمعارف الإلهية، وينكرها ويخالفها ويشنّ الهجوم عليها وينسب أربابها إلى السحر أو غير ذلك.

٥
القلب المقفّل

﴿ أَفَلا يَتَدَبَّـرُونَ القُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾[1].

الاستفهام في هذه الآية الشريفة استفهام توبيخي، وضمير الجمع في قوله (يتدبّرون) يرجع إلى أُولئك الذين ذكرهم الله سبحانه في الآيات السابقة، وهم :

١ ـ المنافقون ومن كان قلبه مريضاً فيرجع إلى الكفر بعد الإيمان.

٢ ـ الذين غرقوا في غرورهم وكبريائهم واتّبعوا أهواءهم حتّى آل أمرهم إلى عدم فهمهم كلام الحقّ.

٣ ـ من كان ضالاً.

٤ ـ من لم يستمع إلى الحقّ.

٥ ـ المشركون بالله.

٦ ـ من ختم الله على قلبه لما فعله من المآثم والذنوب كالشرك.

٧ ـ الذين لم يخرجوا إلى ساحة الجهاد.

٨ ـ تركوا الدين وأعرضوا عنه، فأفسدوا في الأرض، وارتكبوا الجرائم من القتل والنهب.

٩ ـ هتكوا أعراض الناس.

١٠ ـ انحرفوا عن الصراط المستقيم.

---

(١) محمّد ﷺ : ٢٤.

وتنكير القلوب في الآية الشريفة إشارة إليهم وإلى أمثالهم، فالله سبحانه يدعوهم إلى أن يتدبّروا القرآن الكريم ويتأمّلوا في آياته حتّى يتبيّن لهم الحقّ، ولكن أنّى لهم ذلك وقد قُفلت قلوبهم بأقفال شيطانية، فكيف يدخل الحقّ إلى مثل هذه القلوب المقفلة حتّى يقضوا ما عليهم من الحقّ، فقفلت قلوبهم عن المعرفة، ثمّ الايمان، ثمّ العمل الصالح، وهذه أركان الأقفال في القلوب المقفلة والمغفّلة.

فمن كان منافقاً فقد قفل قلبه عن المعارف، فاستكبر واستعلى وتبع هواه فضلّ وأضلّ، وأشرك بالله ولم يتدبّر آياته، ولا يبالي في هتك أعراض الناس ونهب أموالهم وسفك دمائهم.

«ثمّ المستفاد من هذه الآية ـ عدا حجّية ظواهر القرآن وإمكان استنباط المعارف منه، وعدا التحريض والترغيب إلى التدبّر والتأمّل فيه ـ هو أنّ المتدبّر فيه هو القلب المجرّد دون القالب وهو الحسّ المادّي، وأنّ له باباً يفتح تارة ويقفل ويغلق أُخرى، وأنّ للقلب قفلاً خاصّاً به يقفل، وأنّ الكفر والنفاق ونحو ذلك من الحجب الظلمانية أقفال للقلب، مانعة له عن التدبّر في القرآن، وأنّ الايمان والخلوص ونحو ذلك من الأوصاف الوجودية الكمالية مفاتيح للقلب، شارحة له ومصحّحة لأنّ التدبّر في القرآن، لولا الذنب الحاجب المعدود قفلاً للقلب... فالمراد من كون الذنب مانعاً، هو انّ المذنب لمّا ولّى وجهه شطر الباطل، واشتاق إليه، واغترّ به، لا يميل إلى التدبّر في القرآن الهادي له إلى الحقّ والابتهاج به والاتّقاء عن الباطل والغرور به... وكما أنّ الذنب والرجس والرجز والدنس وما إلى ذلك من العناوين الدارجة في لسان الثقلين، مانع عن التأمّل في نظام الكيان والتفكّر في الآيات التكوينية، كذلك حاجب عن التدبّر في فحاوي الآيات التدوينية والاستنباط منها... إنّ الذنب حجاب عن المشاهدة الفكرية لقوم والمشاهدة القلبية لقوم آخرين. إذ الفطرة التي

فطر الله الناس عليها شاهدة للحقّ حاكية إيّاه، والذنب غبار على هذه المرآة الصافية، فهو ـ أي الذنب ـ حجاب مانع عن المعرفة الفطرية من جهة وعن المعرفة الفكرية من جهةٍ أُخرى، وعن المعرفة الشهودية الكاملة من جهةٍ ثالثة، فلذا يصحّ استناد الحَجْبِ إليه في مباحث شتّى»[١].

فنزول البركات العينية والعلمية مشروط بـالتقوى وإخـلاص العـمل لله، وممنوع بالذنب والإعراض عن ذكر الله ونحو ذلك. وربما المستفاد من هذه الآية الشريفة أنّ الحرمان عن الرزق العلمي مستند إلى قفل القلب وانغلاقه، لا إلى غلق باب الرحمة الإلهية، لأنّه مفتوح دائماً وينزل منه الفيض العلمي كالعيني أبداً، وإنّما التفاوت من ناحية القابل لا الفاعل، فهو سبحانه دائم الفيض على البريّة، وإن كان المذنب مقفول القلب محروماً منه، فهو وإن خرج بما عنده من العـلم وحسب أنّـه يحسن صنعاً، ويقول إنّما أُوتيته على علم كقارون، ولكنّه في حجاب وكنان لا يشعر به، وهذا الكنان من القابل بسوء اختياره، فكلّ ما يمنع الإنسان عن أصل التدبّر في القرآن، ويجعله فارّاً منه منزجراً عنه أو يمنعه عن الفقه، وإن تدبّر أو استمع القرآن وأنصت إليه، فهو رجس، وأنّ كلّ من ابتلي بمقدار منه فهو بذلك المقدار محجوب عن التدبّر والتفقّه، وكلّ من برئ منه رأساً، وتنزّه من جميع أنحائه وأقسامه الراجعة إلى العلم أو العمل، فهو حريّ بأن يتدبّر في القرآن ويتفقّهه.

---

(١) عليّ بن موسى الرضا والقرآن الكريم: ٧١ ـ ٧٣.

٦
القلب المتعصّب

﴿ إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى المُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً ﴾[1].

الحمّى الحرارة المتولّدة من الجواهر المحميّة أي البواطن الحامية والحارّة كالنار، وعبّر بها عن القوّة الغضبية، فيقال: حميت على فلان، إذا غضب عليه، فلمّا تزداد القوّة الغضبية وتفور تسمّى بالحميّة.

فكفّار قريش منعوا المسلمين أن يدخلوا مكّة المكرّمة، وامتلأت قلوبهم من الغضب والحميّة حميّة الجاهلية العمياء، إلّا أنّ الله سبحانه تفضّل على رسوله وعلى المؤمنين بالسكينة والطمأنينة والوقار والحشمة، وألزمهم أي لازمهم كلمة التقوى كلمة التوحيد، ونفي ما سوى الله سبحانه، وثبتوا على العهد والميثاق والأعمال الصالحة، وتزيّنوا بروح الإيمان التي تأمرهم دوماً بالتقوى، فهم أحقّ بها وهم من أهل التقوى، وإنّما كانوا أحقّ بها من غيرهم لما عندهم من الاستعدادات التي أهّلتهم لكسب التقوى والالتزام بها، وذلك بالأعمال الصالحة من إتيان الواجبات وترك المحرّمات، وكان الله بكلّ شيء عليماً. فمن كفر سرعان ما يغضب لكلّ شيء ويعيش حالة العصبية والحميّة وتأخذه العزّة بالإثم، ومن كان له قلب متعصّب كدعاة القومية فإنّهم من أبناء الجاهلية ويكونوا من الكافرين.

---

(١) الفتح: ٢٦.

٧
القلب الغيظ

﴿ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾[١].

أمر الله المؤمنين أن يجاهدوا في سبيله ويقاتلوا الكفّار والمشركين، فإنّهم أيدي الله سبحانه، وبأيديهم يقتلوا المشركين، فإنّهم نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم، وطعنوا في الدين، فأمر الله المؤمنين أن يقاتلوا أئمة الكفر وكبرائهم وعمدتهم، إنّهم لا أيمان لهم، ولعلّهم ينتهون من طغيانهم وجورهم، فإنّهم همّوا بإخراج الرسول من دياره، وبدأوا القتال أوّل مرّة فقاتلوهم يعذّبهم الله بأيديهم ويخزهم وينصركم عليهم ويشفِ صدور قومٍ مؤمنين، وإذا ملئت قلوبهم غضباً وغيظاً على المؤمنين، فإنّه بقتلهم يذهب غيظ قلوبهم، وإذا تاب واحد منهم، فإنّ الله يتوب على من يشاء، والله عليم بالتائبين، وحكيم بما يفعل.

فالله سبحانه يشوّق المؤمنين بهذا الأمر على القتال والجهاد، بأنّ المشركين يقتلون بأيديهم، وأنّه يُخزيهم في الدنيا، والله ينصر عباده عليهم، ويشفِ صدور المؤمنين بالنصر المؤزّر.

---

(١) التوبة : ١٥.

٨
القلب المنافق

﴿ فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوا وَهُمْ مُعْرِضُونَ * فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقاً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾[1].

إذا عاهد الإنسان ربّه فعليه أن لا يخلف عهده ووعده، وإذا تفضّل الله على عبد فضلاً فلا يبخل به، ولا يعرض عنه ويتولّى، فإنّ ذلك من علائم النفاق في القلوب، فمن بخل عمّا تفضّل الله عليه، فإنّه يصاب بنفاق القلب ويدوم معه حتّى يوم القيامة، يوم يلقى الله سبحانه، فإنّه تخلّف عمّا وعد الله به وكذب بذلك، فخُلف الوعد والكذب من النفاق كما ورد في الخبر الشريف: للمنافق ثلاث علامات وإن صلّى وصام: إذا حدّث كذب، وإذا أوعد أخلف، وإذا ائتُمن خان، وإذا كان مؤمناً ويرتكب هذه الذنوب فهو منافق في العمل، ويقابل النفاق العملي النفاق في العقيدة.

ثمّ ربما يعرض النفاق بعد الإيمان كما يعرض الكفر والارتداد، كما في قوله تعالى:

﴿ أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللهِ ﴾[2].

والآية الأُولى نزلت في ثعلبة عندما طلب من النبيّ أن يدعو الله له بالمال،

---

(١) التوبة: ٧٦ ـ ٧٧.

(٢) الروم: ١٠.

وعد النبيّ أن يؤدّي حقّه، ولمّا صار له المال الكثير والأغنام حتّى خرج من المدينة لرعيها، ولم يتوفّق لحضور صلاة الجماعة والجمعة، وبعث النبيّ جابياً لأخذ الزكاة منه، فبخل عن ذلك، فنزلت الآية الشريفة[1].

فالبخل علامة النفاق وكذلك خلف الوعد والكذب وتكذيب الآيات الإلهية ولو في الباطن.

فالمنافق يقول بفيه ولسانه ما ليس في قلبه وصدره، كما في قوله تعالى:

﴿ سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئاً ﴾[2].

الأعراب اسم جمع لا مفرد له، وهم من يسكنون البوادي، سواء كان من العرب أو من العجم، فلا يطلق على الحضري ومن يسكن المدائن. فهؤلاء لم يحضروا ساحات الحرب والوغى، ولمّا رجع النبيّ الأكرم ﷺ من القتال والجهاد أخذوا يعتذرون له بأنّ أموالنا وأهلنا حيث لم يكن لهم قيّماً وراعياً شغلتنا عن حضور الجهاد، إلّا أنّ أُولئك يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم، فهم يكذبون، ما لهم كيف يحكمون، فمن يملك لهم من الله شيئاً إذا أراد بهم ضرّاً. وإنّما قالوا استغفر لنا، فإنّهم يعلمون أنّ ترك الجهاد ذنب، وحبّ الأولاد والمال لا يمنع من الجهاد، إلّا أنّهم لم يصدقوا في مقالتهم هذه، وإنّما قالوا ذلك ليستروا على فعلهم القبيح والشنيع. فهم من المنافقين، ولا يقبل منهم الأعذار الواهية، ولا ينفعهم الدعاء، وإنّما الخير

---

(١) الميزان ٩: ٤٧٣.

(٢) الفتح: ١١.

والضرّ والحياة والممات بيد الله سبحانه.

قال جلّ جلاله:

﴿ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَوِ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالاً لاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴾[١].

إنّ الله أمر المؤمنين أن يجاهدوا في سبيل الله وإقامة دينه، وخاطب المنافقين أن يقاتلوا في سبيل الله، أو يدفعوا عن عرضهم ومالهم إن لم يجاهدوا في سبيل الله، فيقولون كلاماً فارغاً لا يتجاوز ألسنتهم وأفواههم، فيقولون ما ليس في قلوبهم، وقد غفلوا أنّ الله عليمٌ بذات الصدور وما في قلوبهم، فهؤلاء يومئذٍ للكفر أقرب من الإيمان.

فكلّ من يقول بلسانه من الحقّ ما لا يعتقده بقلبه فهو منافق، ثمّ يحاول أن يزيّن عمله تمسّكاً بأعذار واهية وكلمات فارغة وحجج ركيكة، فليس له إلّا الخزي والعذاب.

قال النبيّ محمّد ﷺ: حبّ المال والشرف ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل[٢].

عن كليب الصيداوي، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: ضرب العيدان ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء الخضرة[٣].

(١) آل عمران: ١٦٧.

(٢) بحر المعارف: ٥٣٥.

(٣) الوسائل ١٢: ٢٣٣.

عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: استماع اللهو والغناء ينبت النفاق كما ينبت الماء الزرع[1].

فمن يستمع الأغاني والموسيقى سرعان ما يبتلى بالنفاق، ولا يحمد عقباه، ولا يختم له بالخير، بل من أعرض عن ذكر الله فإنّ له معيشة ضنكاً، واستماع اللهو والموسيقى والغناء ممّا يميت القلب وينبت النفاق، وبعد سنين يحصد الندم والضياع وعاقبة السوء.

(١) الوسائل ١٢: ٢٣٦.

٩
القلب المقطوع

﴿ لا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾[1].

المتّقي يبني بنيانه على التقوى والعمل الصالح وطلب مرضاة الله، فيحيى حياة طيّبة ﴿ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ﴾[2]، ولكنّ المنافق لا يزال بنيانه مبني على الاضطراب القلبي والريبة والشكّ في قلبه، حتّى يتقطّع قلبه فيزول منه الشكّ بزوال قلبه، والله عليم بما يفعله المؤمن والمنافق، وحكيم في أفعاله، بأن يرفع المتّقي ويضع المنافق.

فما يفعله المنافق إنّما هو مع الشكّ والاضطراب وتشويش البال، فلا يدوم عمله، وإنّه يعيش بذلّة وخسّة، فمن كان له قلب منافق فلا يعيش باطمئنان، بل حياته كلّها قلق، حتّى يصل به الأمر أن يكون قلبه قطعة قطعة، فحينئذٍ يزول الشكّ والريبة منه. ويستولي عليهم التيه والضلال والانحطاط وخسران الدنيا والآخرة.

---

(١) التوبة : ١١٠.

(٢) النحل : ٩٧.

١٠
القلب الغليظ

﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ المُتَوَكِّلِينَ ﴾[1].

رحمة الله شملت الأنبياء والأولياء ومن يحذو حذوهم، وخاتم النبيّين محمّد ﷺ، برحمة من الله أُتحف بقلب رؤوف وليّن، لأنّ القائد المصلح لو كان فظّاً وغليظ القلب فإنّ الرعيّة تفرّ منه وتنفضّ من حوله، بل عليه أن يعفو عمّن أساء إليه، إذ الإساءة إنّما كانت من جهله، ثمّ يستغفر الله له، بل ويشاركه في أُموره فيشاوره، وكأنّما يعطيه شخصيّة اجتماعية بأن يجلس مع القائد ليتشاور في الأُمور، ولكن إذا عزم القائد على أمر وبتّ فيه وجزم بعدما شاورهم وأخذ الأصوب منهم، فعليه أن يتوكّل على الله ويقدم على العمل، وإنّ الله يحبّ المتوكّلين فيهديهم إلى ما فيه الخير والصلاح.

ثمّ كان الخطاب مع المسلمين بأنّ الله جعل نبيّه رحيم القلب وليّن الكلام، وأمره أن يعفو عنهم ويستغفر لهم ويشاورهم في الأمر، إلّا أنّ الخطاب توجّه إلى النبيّ الأكرم ﷺ لأنّهم عند قتل أحبّائهم نسبوا ذلك إلى النبيّ فآذوه في الكلام، فأعرض الله عنهم وخاطب نبيّه، بأنّه إذا كان حالهم يشبه ما يفعله الكافرون،

---

(١) آل عمران : ١٥٩.

وتحسّرهم على قتلاهم، فبرحمة منّا لنت لهم، وإلّا لانفضّوا من حولك.

فمن كان فظّاً وخشن الكلام وكريه الخلق وغليظ القلب بلا رحمة ولا شفقة، فإنّ الناس يبتعدون منه وينفضّوا من حوله، ويبقى وحيداً في حياته الاجتماعية، والمؤمن إنّما هو إلف مألوف، هشّ بشّ، بشره في وجهه وحزنه في قلبه، فالناس يحبّونه وينصرونه، وكان النبيّ الأكرم ﷺ أُسوة حسنة وقدوة صالحة في مثل هذه الأخلاق الطيّبة:

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[1].

---

(١) القلم: ٤.

١١
القلب الغامر (الغافل)

﴿ وَلا نُكَلِّفُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنطِقُ بِالحَقِّ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ * بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِنْ هَذَا وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِنْ دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ ﴾[١].

الغمر لغة بمعنى : إزالة الشيء، والغمرة معظم الماء الساترة لمقرّها، وجعل مثلاً للجهالة التي تغمر صاحبها[٢].

إنّ الله سبحانه رفقاً بعباده ومن اللطف الإلهي لا يكلّفهم إلّا بما في وسعهم، فهو الذي خلقهم وهو أعلم بهم، وإنّما يكلّفهم لنفعهم ولتعريضهم الثواب، فإنّ التكاليف الإلهية من الواجبات والمحرّمات إنّما هي لسعادة الإنسان في الدنيا والآخرة، فإنّ لله سبحانه كتاباً ينطق بالحقّ وهو القرآن الكريم، ولا يظلم أحداً إنّما الناس يظلمون أنفسهم، بل قلوب الذين لا يؤمنون في غفلة وغمرة من هذا القرآن الكريم، فإنّ القلب إذا غشيه الغفلة، فإنّه ينكر الحقّ ويعاديه. وفي الحديث : أمّا علامة الغافل فأربعة : العمى والسهو واللهو والنسيان[٣].

إنّ الله سبحانه يشوّق الناس إلى كسب الفضائل والاتصاف بالأخلاق الحميدة والصفات المجيدة، ولا يتصوّر أحد أنّ ذلك فوق طاقة الإنسان، بل دفعاً

---

(١) المؤمنون : ٦٢ ـ ٦٣.

(٢) المفردات : ٣٦٥.

(٣) البحار ١ : ١٢٢.

لمثل هذا التوهّم قال الله سبحانه : ﴿ وَلا نُكَلِّفُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ ، فإنّ نفس الإنسان بسعتها أن تتحمّل هذه التكاليف ، وإنّها مطابقة لطاقة الإنسان ، وكلّ واحد بإمكانه أن يكون سلمان زمانه ، وأُويس عصره ، لأنّ التكاليف لهما ولنا واحدة ، وهي بحسب طاقة الإنسان ، إلّا أنّه كان ظلوماً جهولاً ، فكفر بالله وتخلّى عن تكاليفه ، وغفل قلبه عن تحمّل الحقّ ، وكسب المعارف الإلهية ، وإنّ الله لا يضيّع عمل عاملٍ من ذكرٍ أو أُنثى ، فإنّه الشاكر ، ولديه كتاب ينطق بالحقّ ، وهذا لتشويق المؤمنين لكسب الفضائل والأعمال الصالحة ، وأمّا من لم يؤمن فقلبه في غمرةٍ وجهل شديد وغفلة شديدة من هذا ، وله عمله القبيح والفاسد ، فإنّ الكفّار والمشركين ومن يحذو حذوهم لهم أعمال من دون أعمال الصالحين المؤمنين ، فبين العملين تقابل كتقابل الايمان والكفر ، فإنّ الكفّار لهم أعمال قبيحة تشغلهم عن أن يفكّروا بالأعمال الصالحة والطيّبة وكسب الخيرات والفضائل .

فمن لم يفعل الخيرات فإنّ ذلك دليل على أنّ قلبه في غمرة وجهل وغفلة ، ومن كان له قلب غامر فإنّه يرتكب الفضائح والأعمال الشرّيرة ، ولا يبالي بعواقبها من الذلّة والخزي في الدنيا ، ولعذاب الآخرة أشدّ وأعظم لو كانوا يعلمون .

١٢
القلب الكافر

﴿ وَإِذَا ذُكِرَ اللهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾[1].

لكلّ شيء علامة من علائم الايمان والكفر، إنّ القلب الذي ليس فيه نور الإيمان وقد اسودّ وأظلم بالكفر، فإنّه ينفر من النور ويشمئزّ من ذكر الله نور الأنوار، ولكن إذا ذكر ما سوى الله من الآلهة والطغاة والكفّار ومن يشبههم، فإذا هم يستبشرون ويفرحون، وإنّما يشمئزّون من ذكر الله ومن كلمة التوحيد (لا إله إلّا الله) لأنّهم لا يؤمنون بالآخرة، وإنّما لا يؤمنون لأنّهم ارتكبوا القبائح والفجور والمنكرات والفواحش ما ظهر وما بطن، وهذا يعني أن تكون عاقبتهم العذاب الأليم والخزي والعار في الآخرة، وكيف يحلو لهم ذلك، بل أنكروا يوم القيامة، وأنّهم إذا ماتوا فينتهي كلّ شيء، فليس لهم إلّا حياتهم هذه، ولهذا يرتكبون المنكرات والظلم والجور ليصلوا إلى ملاذهم، ويشبعوا رغباتهم وشهواتهم، فمن استرّ وفرح واستبشر بذكر الله، فذلك من إيمانه وقلبه المؤمن، وأمّا إذا اشمأزّت نفسه، وانقبض في باطنه، وظهر ذلك على ملامح وجهه، فإنّ ذلك من علامة القلب الكافر، وهناك من يألف مجالس البطّالين، وما لم يكن فيه ذكر الله وذكر أنبيائه وأوليائه، فهذا دليل ضعف إيمانهم، وربما يؤدّي الأمر إلى هلاكهم وكفرهم.

---

(١) الزمر : ٤٥.

وقد ورد في رواياتنا أنّ الكفر على وجوه خمسة :

١ ـ كفر الجحود. ٢ ـ الجحود على قسمين. ٣ ـ كفر بترك الأحكام الإلهية. ٤ ـ كفر البراءة. ٥ ـ كفر النعمة.

١ ـ فالجحود تارةً إنكار الربوبية والإلوهية فيجحد بالله سبحانه وينكر المعاد والجنّة والنار، فهم من الزنادقة والدهريين القائلين : ﴿ وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ ﴾[(١)]، فمن عند أنفسهم يخترعون مسلكاً وطريقاً ﴿ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾[(٢)]، فلا برهان لهم، ولا تنفعهم النذر ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لا يُؤْمِنُونَ ﴾[(٣)].

٢ ـ والجحود أُخرى بمعنى كفر المعرفة، فإنّهم يعرفون الحقّ لوضوحه، إلّا أنّهم ينكرونه ﴿ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ﴾[(٤)] لظلمهم وطغيانهم ﴿ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُم مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾[(٥)].

فقبل ظهور الإسلام، كان اليهود يخبرون الناس بنبيّ آخر الزمان، إلّا أنّه لمّا جاءهم ما عرفوا، أنكروا ذلك وكفروا به، فمثل هؤلاء بعيدون عن الرحمة الإلهية، فلعنة الله على الكافرين.

---

(١) الجاثية : ٢٤.

(٢) البقرة : ٧٨.

(٣) البقرة : ٦.

(٤) النمل : ١٤.

(٥) البقرة : ٨٩.

٣ ـ ومن الناس من يكفر بنعم الله، فإنّه سبحانه يمتحن عباده بفضله، كما في قوله تعالى:

﴿ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴾(١).

فإنّ من يشكر نعم الله قولاً وعملاً، فإنّ الله هو الشاكر فيزيده، ومن كفر فإنّ الله غنيّ كريم، فهو لا يزال في الدنيا يكرم عليه برحمانيّته، إلّا أنّه يعذّبه يوم القيامة كما في قوله تعالى:

﴿ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾(٢).

فعلينا أن نذكر الله في نعمائه وآلائه ونتحدّث بنعمته:

﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾(٣).

﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴾(٤).

٤ ـ وأمّا الكفر بمعنى ترك الأحكام الإلهية، كما في قوله تعالى:

﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ * ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقاً مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسَارَى تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ﴾(٥).

---

(١) النمل: ٤٠.

(٢) إبراهيم: ٧.

(٣) الضحى: ١١.

(٤) البقرة: ١٥٢.

(٥) البقرة: ٨٤ ـ ٨٥.

فمن الناس من يعمل ببعض الأحكام الشرعية لأنّها تتلاءم مع مصالحه ولا يعمل ببعضها ويكفر بها عملاً، لأنّها تتضارب مع مصالحه الشخصية، ومثل هذا لا يقبل إيمانه:

﴿ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ القِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ العَذَابِ وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾[1].

٥ ـ كفر البراءة، كما في قصّة إبراهيم الخليل في قوله تعالى:

﴿ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ العَدَاوَةُ وَالبَغْضَاءُ أَبَداً حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللهِ وَحْدَهُ ﴾[2].

فإنّ إبراهيم الخليل عليه السلام يتبرّأ من نمرود وقومه، واشتعلت نار الحرب بينهما، ولن يترك إبراهيم ذلك حتّى يؤمنوا بالله وحده، ويكفروا بنمرود والطواغيت.

ومن كفر البراءة تبرّي إبليس اللعين يوم القيامة ممّن اتّبعه، كما في قوله تعالى:

﴿ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِي مِنْ قَبْلُ ﴾[3].

كما يتبرّأ الكفّار بعضهم من بعض يوم القيامة:

﴿ إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللهِ أَوْثَاناً مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ القِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ ﴾[4].

---

(١) البقرة: ٨٥.

(٢) الممتحنة: ٤.

(٣) إبراهيم: ٢٢.

(٤) العنكبوت: ٢٥.

فالكفّار إنّما عبدوا الأوثان من دون الله سبحانه لمراعاة الصداقة والمودّة الدنيوية حفظاً لمصالحهم في الدنيا، إلّا أنّه يوم القيامة يوم تبلى السرائر ويكون بصرك اليوم حديد ونافذ ويرى الحقائق فإنّهم يتبرّأون بعضهم من بعض:

﴿ الأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴾[1].

فالكفر له مراتب وأقسام، كما جاء تفصيل ذلك في الروايات.

---

(١) الزخرف: ٦٧.

١٣
القلب المنكر

﴿ إِلَهُكُمْ إِلَـهٌ وَاحِـدٌ فَـالَّذِينَ لا يُـؤْمِنُونَ بِـالآخِرَةِ قُـلُوبُهُمْ مُـنكِرَةٌ وَهُـمْ مُسْتَكْبِرُونَ ﴾[1].

أوّل دعوة الله سبحانه وتعالى، ودعـوة العـقل السـليم، ودعـوة الأنـبياء والأوصياء والصالحين، هي دعوة التوحيد، فـإنّ إلهكـم إله واحـد، لا ثـاني له، ولا شريك ولا ندّ ولا مثيل ولا ضدّ له، كما أنّه أحد لا تركيب فيه، إلّا أنّ هناك من ينكر هذه الحقيقة فلا يؤمن بالمبدأ كما لا يؤمن بالآخرة وبيوم المعاد، لأنّ له قلب منكر ومستكبر، وذلك من كثرة الذنوب والمعاصي واتّباع الشهوات، فأنكروا كلام الحقّ، واستكبروا على الخلق، واستهزأوا بآيات الله، ولم تنفعهم الحجج والبراهين القطعية الدالّة على وحدانية الله، وأن يؤمنوا بيوم القيامة يوم الحساب، ويـؤمنوا بكتب الله وملائكته، ومن آمن بالمعاد فإنّه يؤمن بالمبدأ، ومن له قلب منكر للحقّ، فإنّه يحاول أن يتكبّر على الناس بتركه الحقّ، ومن كـان لجـوجاً ومـعانداً، فـإنّه لا يؤمن بالآخرة، ومن لم يؤمن بيوم القيامة، فإنّه لا يتورّع من أيّ ذنبٍ كان، ومن لم يتورّع من الذنوب، فإنّ له قلب منكر للحقّ، ومن أنكر الحقّ استكبر وعـلا في الأرض، فكان من الكافرين، فله خزي في الدنيا وفي الآخرة له عذاب عظيم.

---

(١) النحل : ٢٢.

١٤
القلب اللّاهي

﴿ لاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَـذَا إِلَّا بَشَـرٌ مِـثْلُـكُمْ أَفَـتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ ﴾[1].

اللّعب ما يفعله الإنسان بنظم إلّا أنّه من دون هدف، بل إنّما هو خيال ووهم، كما يفعل الأطفال ذلك في ألعابهم، واللهو بمعنى الاشتغال بعمل باطل غافلاً عن الحقّ والأمر المهمّ، ومنه تسمّى آلات الطرب آلات اللهو، فإنّها تلهي الإنسان وتشغله عمّا يجب عليه، وعمّا هو الحقّ، والذين كفروا لاهية قلوبهم عند نزول الذكر الإلهي، فلم يتّعضوا ويفيقوا من سباتهم ولهوهم فلا ينفعهم الذكر والوحي أبداً.

فمن غفل وأعرض عن ذكر الله، واستهزأ بآيات الله وأحكامه، فإنّ له قلب لاهٍ، فيشتغل بأُمور تافهة تضرّه ولا تنفعه، ويحسب أنّه يحسن صنعاً، ولكن عمله كالعهن المنفوش هباءً منثوراً، لا يحصد منه إلّا الندم يوم لا ينفعه الندم.

---

(١) الأنبياء : ٣.

١٥
القلب الأغبر

﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾[١].

هناك من الناس إذا يتلى عليه آيات الله يقول هذا من أساطير الأوّلين، وإنّ هذا من الرجعية، وأنّ عصرنا عصر التكنولوجيا والصناعة وصعود الأقمار والحضارة والتمدّن، ولا يدري أنّ ما يلفظه إنّما هو نتيجة قلبه الأغبر، الذي علاه غبار ما كان يكسبه من الذنوب والمعاصي.

والأساطير جمع الأسطورة أي المكتوب سطراً بسطر، ومقصود الكفّار من قولهم أساطير الأوّلين، أنّ هذه الآيات القرآنية إنّما هي مكاتيب وأباطيل القدماء، وهذا يعني الرجوع إلى الوراء، وهو يتنافى مع التقدّم والازدهار. فلا بدّ من الثورة على كلّ ماضٍ، ولا بدّ من تجديد، وقد غفلوا أنّ الماضي الحقّ يبقى حقّاً في كلّ العصور والأزمان، فآيات الله التي تحذّرهم من المعاصي والمفاسد الأخلاقية والاجتماعية، وتخوّفهم من يوم القيامة وعذاب جهنّم يعدّونها أساطير الأوّلين، وإنّها رجعية، بل ران على قلوبهم بما كانوا يكسبون، فأنكروا الحقّ وحاربوه.

والرين صدأ يعلو الشيء الجليل، فران على قلوبهم، أي علا الصدأ على جلاء قلوبهم، فعمي عليهم معرفة الخير من الشرّ، والحقّ من الباطل، والصواب من الخطأ. فالذنوب غبار وصدأ ورين على القلوب، فلا يكون القلب مرآةً لانعكاس

---

(١) المطفّفون : ١٤.

الحقائق فيه، فيعجز القلب عن درك الحقائق كما هي، فالقلب أوّلاً يكون جليّاً طاهراً مرآةً للحقّ، إلّا أنّ الذنوب والمعاصي غبار يعلوه، حتّى يسودّ فينكر الحقّ ويعمى عنه، فإنّ القلب إذا أذنب ذنباً صار فيه نكتة سوداء، فكلّما أذنب ولم يتب، تكبر هذه النكتة، حتّى تأخذ القلب كلّه، فينقلب القلب ويكون كالوعاء المنكوس، فلا يفاض عليه الرحمة الإلهيّة، ولا يمتلئ من العلم والمعارف الحقّة، وحديث الحقّ ينفع لرفع الرين عن القلب.

١٦
القلب الغافل (المطبوع)

﴿ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الغَافِلُونَ ﴾[1].

من يختار الدنيا على الآخرة، وينسى ربّه، ويلهو عن الحقّ، ويعمى قلبه، لاختياره الذنوب وارتكابه الآثام والقبائح، فإنّ الله يطبع على قلبه فلا يعقل، وعلى سمعه فلا يسمع الحقّ، وعلى بصره فلا يرى الحقّ، وهو من الغافلين.

وعلى كلّ مؤمن بالله، ولا سيّما رسول الله ﷺ، ومن كان وريثه كالعلماء الصلحاء، أن لا يطيع من كان له قلب غافل عن ذكر الله، ويتبع هواه ويتّخذه إلهاً، وكان أمره فُرطاً وتجاوزاً عن الحقّ.

﴿ وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً ﴾[2].

فمن غفل عن الآخرة، فإنّ بصره أعمى عن رؤيتها، وأُذنه أصمّ عن سماع أمرها، وقلبه مختوم ومقفّل ومطبوع عليه، فلا يعقل ما وراء الطبيعة من الحقائق والواقعيات، إنّما همّه بطنه كالحيوان، همّها علفها، بل أضلّ سبيلاً، ومن كان همّه بطنه فقيمته ما يخرج من بطنه.

والله إنّما ختم على قلبه وطبع على سمعه وبصره، لأنّه باختياره أحبّ الدنيا

---

(١) النحل : ١٠٨.

(٢) الكهف : ٢٨.

وعشقها، وترك الآخرة ونعيمها، وحبّ الدينار أُسّ كلّ خطيئة، كما أنّ حبّ الدنيا رأس كلّ خطيئة، ومثل هذا يغفل عن الحقيقة ويجهل الواقع، فيتيه في وادي الضلال والكفر، فلا يفكّر إلّا بالمادّيات والملاذّ والشهوات، وينسى المعنويات وعبادة الله سبحانه. ومن كان بسوء اختياره كذلك فإنّ الله يُلقي الغفلة على قلبه، فلا يتذكّر بذكر الله عزّ وجلّ، ولا يحقّ للمؤمن أن يتبعه ويطيعه في أوامره ﴿ وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاَتَّبَعَ هَوَاهُ ﴾ فإنّ أُميّة بن خلف كان يقول لنبيّ الإسلام محمّد ﷺ أن يبعد الفقراء من حوله حتّى يقرّب إليه الأغنياء والأشراف وصناديد قريش، فكان قلبه غافلاً عن الحقّ، فأمر الله رسوله الأكرم ﷺ، أن لا يطيع من أغفل قلبه عن ذكر الله واتّبع هواه وأفرط وأسرف في حياته، ومن غفل عن ذكر الله فإنّه لا محالة يتبع هوى نفسه ورغباته وميوله، فكيف مثل هذا الضالّ المضلّ يُتّبع ويُطاع ؟!

﴿ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴾[1].

﴿ كَذَلِكَ نَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِ المُعْتَدِينَ ﴾[2].

﴿ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ ﴾[3].

﴿ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللهُ عَلَى قُلُوبِ الكَافِرِينَ ﴾[4].

قال رسول الله ﷺ : الطابع معلّق بقائمة العرش، فإذا انتهكت الحرمة وعمل

---

(١) المؤمن : ٣٥.

(٢) يونس : ٧٤.

(٣) الروم : ٥٩.

(٤) الأعراف : ١٠١.

بالمعاصي واجترئ على الله، بعث الله الطابع فيطبع الله على قلبه، فلا يعقل بعد ذلك شيئاً[١].

وقال: إيّاكم واستشعار الطمع فإنّه يشوب القلب شدّة الحرص، ويختم على القلوب بطابع حبّ الدنيا[٢].

وفي واقعة الطفّ الأليمة، يوم العاشر من محرّم الحرام سنة (٦١) هجرية في كربلاء، لمّا عبّأ عمر بن سعد أصحابه لمحاربة الإمام الحسين بن عليّ عليهما السلام وأحاطوا به من كلّ جانب حتّى جعلوه في مثل الحلقة، فخرج عليه السلام حتّى أتى الناس فاستنصتهم فأبوا أن ينصتوا حتّى قال لهم: ويلكم، ما عليكم أن تنصتوا إليّ فتسمعوا قولي، وإنّما أدعوكم إلى سبيل الرشاد، وكلّكم عاصٍ لأمري غير مستمع قولي، فقد ملئت بطونكم من الحرام وطبع على قلوبكم)[٣].

وهذا يعني بوضوح أنّ من ملأ بطنه من لقمة الحرام، فإنّه يطبع على قلبه، فلا يستمع إلى كلام الحقّ، وإلى من أراد هدايته وإرشاده إلى صوابه، فلا يعقل بعد ذلك شيئاً، نتيجة اجترائه على الله عزّ وجلّ، وعمله بالمعاصي وانتهاك الحُرم الإلهية، فيكون طمّاعاً حريصاً بحبّ الدنيا، فيتكبّر ويتجبّر ويتعدّى على حدود الله، ويعتدي على الآخرين فيكفر بالله وبنعمه، ولا يعلم، وهذه جملة من صفات القلب الغافل كما تشير إليها الآيات والروايات الشريفة.

---

(١) كنز العمّال: الخبر ١٠٢١٣.

(٢) البحار ٧٧: ١٨٢.

(٣) البحار ٤٥: ٨.

١٧
القلب المختوم

﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللهِ أَفَلا تَذَكَّرُونَ ﴾[1].

﴿ خَتَمَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾[2].

في الآية الأُولى نسب ختم القلوب والسمع إلى الكفّار أنفسهم، ولكن في الآية الثانية نسب إلى الله سبحانه، وهذا يعني أنّ الحجاب تارةً بيد الإنسان وذلك من خلال أفعاله، وأُخرى حجاب إلهي نتيجة أعماله، والكفر كالايمان كلّي مشكّك قابل للشدّة والضعف، ولهما مراتب ومراحل وآثار مختلفة ومتفاوتة.

فمن يتّخذ إلهه هواه وهو يعلم بأنّ له إله خالق السماوات والأرض، فإنّ الله أضلّه على علم وختم على سمعه، فلا يسمع كلام الحقّ، وعلى قلبه فلا يعقل الحقّ، وجعل على بصره غشاوة فلا يرى الحقّ، فمن يهديه حينئذٍ من بعد الله، أفلا تذكّرون ؟ إلّا أنّ الذكرى إنّما تنفع المؤمنين، أمّا من كان له قلب مختوم عن درك المعارف والحقائق كيف يتذكّر ويتفكّر ويتعقّل ؟ بل لمثل هؤلاء خزي في الدنيا، ولهم في الآخرة عذاب عظيم.

---

(١) الجاثية : ٢٣.

(٢) البقرة : ٧.

ثمّ لا تنافي بين الضلالة عن الطريق والعلم به، فإنّه ربما يعلم أيّ طريق هو الصراط المستقيم، وأيّ سبيل هو سبيل الله سبحانه، إلاّ أنّه بسوء اختياره، ومن أثر الذنوب والمعاصي ختم قلبه وغشي بصره وصمّ سمعه، فيختار طريق الحرام والضلال عسى أن يشبع غرائزه ويصل إلى شهواته وملاذّه.

ومن حجب قلبه فإنّه يكفر بربّه ويتّخذ من دون الله أوثاناً ويتبع ويطيع هواه، فيا ترى أما تعجب من هذا الذي اتّخذ إلهه هواه ؟! ويختم على قلبه بأن يطبع على الكفر كما قال عزّ وجلّ :

﴿ بَلْ طَبَعَ اللهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلاً ﴾[1].

---

(١) النساء : ١٥٥.

١٨
القلب القاسي

﴿ فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ ﴾[1].

من الكبائر والصفات الذميمة نقض العهد والميثاق، فمن يفعل ذلك بسوء اختياره، فإنّ الله يلعنه ويبعده عن رحمته، ويجعل له قلباً قاسياً كالحجارة أو أشدّ، فيحرّف الكلم عن مواضعه، ويرتكب البشائع والقبائح، وذلك نتيجة كفره، فلا يخضع أمام الحقّ، ولا يخشع قلبه.

وربما سبحانه يعاتب المؤمنين الذين تظهر القساوة عليهم، فإنّ المؤمن ربما يقسو قلبه ويجمد عينه ويفقد الخشوع والخضوع، وإذا طال به الأمر، فإنّه يخرج عن العبودية، فلا يتأثّر بذكر الله ويرتكب المحرّمات والمناهي كما في قوله تعالى:

﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الحَقِّ وَلا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾[2].

فمن ينقض ميثاق الله بأن لا يعبد إلّا الله، فإنّه يهون عليه تحريف كلام الله،

---

(١) المائدة: ١٣.

(٢) الحديد: ١٦.

ومن لم يخشع لذكر الله سبحانه، فإنّه من قسوة قلبه، فيفسق عن أمر ربّه، ويتجرّأ على ارتكاب المعاصي، فيخرج عن ربقة الإيمان، فله الخزي في الدنيا، وله في الآخرة عذاب أليم.

﴿ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللهِ أُوْلَئِكَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ ﴾[1].

يقول الإمام الباقر عليه السلام: إنّ لله عقوبات في القلوب والأبدان: ضنك في المعيشة، ووهن في العبادة، وما ضرب عبد بعقوبة أعظم من قسوة القلب.

يقول الإمام الصادق عليه السلام: قلب الكافر أقسى من الحجر.

وفي نهج البلاغة، عن أمير المؤمنين عليه السلام: فالقلوب قاسية عن حظّها، لاهية عن رشدها، سالكة في غير مضمارها، كأن المعني سواها، كأنّ الرشد في إحراز دنياها[2].

ومن وصاياه لابنه الحسن عليه السلام: إنّما قلب الحدث كالأرض الخالية ما أُلقي فيها من شيءٍ قبلته، فبادرتك بالأدب قبل أن يقسو قلبك، ويشتغل لبّك.

فالتربية السليمة والصحيحة لها دور فعّال وجبّار في سلامة القلب، ولا بدّ أن تكون قبل بلوغ الحلم، وفيما كان حدثاً وشابّاً ومراهقاً، فإنّ قلب الحدث كالأرض الخالية قابلة لكلّ زرع، فمن يزرع الجميل يحصد جميلاً، وأمّا ما خبث فلا يخرج منه إلّا نكداً، ومن يزرع القبيح يستحيل أن يكون حصاده جميلاً وحسناً.

وهناك عوامل توجب قساوة القلوب من أبرزها وأهمّها نقض الميثاق، كما في

---

(١) الزمر: ٢٢.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة ٨٣.

قوله تعالى:

﴿ فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً ﴾[١].

فهذا الجعل الإلهي إنّما هو نتيجة عمل الإنسان، فإنّه باختياره نقض الميثاق فلعنه الله وأبعده عن رحمته، وجعل قلبه قاسياً، وكلّ ملعون وبعيد عن رحمة الله يكون قلبه قاسياً، فإذا ورد في الخبر الشريف: ملعون ملعون من صلّى صلاة الصبح ولم تكن نجمة في السماء ـ أي يصلّي قريب طلوع الشمس ـ فإنّه يكون مثل هذا المصلّي بعيداً عن رحمة الله، فإنّه في عاقبة الأمر يقسو قلبه، هذا لمن لم يكن مستخفّاً بالصلاة، ولا يصلّيها في أوّل أوقاتها، فكيف من كفر بنعم الله في ترك صلاته؟!!

قال الله تعالى:

﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الحَقِّ وَلا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾[٢].

فمن أُوتي إليه الكتاب الكريم من الله سبحانه لهدايته وسعادته، إلّا أنّه تركه وراء ظهره وطال عليه الأمد، فإنّه يقسو قلبه، ويفسق عن أمر ربّه لا محالة، إلّا من شملته العناية الإلهية، لما يحمل من صفة حميدة أو مكرمة أخلاقية، فإنّه يتوب ويصلح أمره.

يقول أمير المؤمنين عليّ عليه السلام: ما جفّت الدموع إلّا لقسوة القلوب،

---

(١) المائدة: ١٣.

(٢) الحديد: ١٦.

وما قست القلوب إلّا لكثرة الذنوب.

فهناك ارتباط وعلاقة وثيقة وتلازم بين جفّ الدموع وقسوة القلب، وبين قسوة القلب وكثرة الذنوب من دون توبة.

فإنّ التوبة النصوحة تمحي الذنوب، والحسنات يذهبن السيّئات، وكما ورد في أدعية مسجد الكوفة: «اللهمّ أنت أنت وأنا أنا، أنت العوّاد بالمغفرة وأنا العوّاد بالذنوب، وأنت المتفضّل بالحلم وأنّا العوّاد بالجهل»[1].

قال الإمام الكاظم عليه السلام: فيما ناجى الله تعالى به موسى عليه السلام: يا موسى، لا تطوّل في الدنيا أملك، فيقسو قلبك، والقاسي القلب منّي بعيد[2].

فطول الأمل والتسويف يقسي القلب، ومن قسى قلبه ابتعد عن رحمة ربّه، فإنّ رحمة ربّك لقريبة من المحسنين.

ويقول المسيح عيسى بن مريم: إنّ الدابّة إذا لم تركب ولم تمتهن وتستعمل، لتصعب ويتغيّر خلقها، وكذلك القلوب إذا لم ترقّق بذكر الموت، ويتبعها دؤوب العبادة تقسو وتغلظ[3].

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله، فإنّ كثرة الكلام بغير ذكر الله تقسو القلب، إنّ أبعد الناس من الله القلب القاسي[4].

وقال صلى الله عليه وآله: ثلاث يقسين القلب: استماع اللهو، وطلب الصيد، وإتيان باب

---

(١) مفاتيح الجنان: ٣٩٤.

(٢) الكافي ٢: ٣٢٩.

(٣) البحار ٤: ٣٠٩.

(٤) البحار ٧١: ٢٨١.

السلطان.

وقال ﷺ: لا يطولنّ عليكم الأمد فتقسو قلبوكم.

وقال ﷺ: ترك العبادة يقسي القلب، ترك الذكر يميت النفس.

قال أمير المؤمنين عليّ عليه السلام: من يأمل أن يعيش غداً فإنّه يأمل أن يعيش أبداً، ومن يأمل أن يعيش أبداً يقسو قلبه ويرغب في دنياه.

وقال عليه السلام: كثرة المال مفسدة للدين مقساة للقلب.

وقال عليه السلام: النظر إلى البخيل يقسي القلب.

قال الإمام الصادق عليه السلام: أنهاكم أن تطرحوا التراب على ذوي الأرحام ـ عند دفنهم ـ، فإنّ ذلك يورث القسوة، ومن قسا قلبه بَعُد من ربّه عزّ وجلّ[1].

فالمؤمن رحيم قلبه، قد شغله همّ الآخرة عن هموم الدنيا، فزهد فيها، وليس له همّ إلّا همّ واحد، وهو همّ الآخرة ورضى الله مولاه سبحانه.

قال النبيّ الأكرم: الدنيا لكم، والعقبى لكم، والمولى لكم.

قال صاحب بحر المعارف الشيخ عبد الصمد الهمداني: فإن قلت إنّا نأخذ بقول الله تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ﴾[2]، فأتنعّم بما أباحه الله من المأكل والملابس اللذيذة والمراكب الفاخرة والدور العامرة، وأقوم بالواجبات وإخراج الحقوق، ولا يمنعني ذلك من الاستباق إلى الجنّة مع السابقين، فجوابك: هيهات هيهات، إنّ هذا المال حمق وغرور، لأنّ المتوغّل في فضول الدنيا لا ينفكّ عن الحرض المهلك الواقع في الشبهات، ومن

---

(١) الروايات من ميزان الحكمة ٨: ٢٤٠.

(٢) الأعراف: ٣٢.

تورّط في الشبهات هلكة لا محالة، ولو سلم من الحرص والزلّة بالسلامة والفظاظة وقسوة القلب والتكبّر، كيف وهو تعالى يقول: ﴿ إِنَّ الإِنسَانَ لَيَطْغَى * أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى ﴾[1]، وقال ﷺ: إيّاكم وفضول المطعم، فإنّه يسمّ القلب بالقسوة، وكما أنّ الخائض في الماء يجد بللاً لا محالة، كذلك صاحب الدنيا يجد في قلبه ريناً وقسوة لا محالة، ويخرج من قلبه حلاوة العبادة والدعاء[2].

في وصيّة النبيّ لعليّ عليهما السلام، قال: يا عليّ، ثلاثة يقسين القلب: استماع اللهو، وطلب الصيد، وإتيان باب السلطان[3].

---

(١) العلق: ٦ ـ ٧.

(٢) بحر المعارف: ٥٣٦.

(٣) الوسائل ١٢ : ٢٣٤.

١٩
القلب المنحرف (الزائغ)

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللهُ قُلُوبَهُمْ وَاللهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾[١].

تدلّنا الآية الشريفة إلى أنّ اليهود لما عندهم من العناد واللجاجة قد آذوا نبيّهم موسى كليم الله حتّى آل الأمر بهم إلى انحراف قلوبهم وزيغها، وهذا شأن كلّ من يؤذي النبيّ، وبهذا أراد الله أن ينهى المؤمنين أن لا يؤذوا نبيّهم الأكرم محمّد ﷺ كما ورد ذلك في قوله تعالى:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ ﴾[٢].

وكما في قوله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللهُ مِمَّا قَالُوا ﴾[٣].

فنهى الله المؤمنين أن لا يؤذوا النبيّ لا بقولهم ولا بعملهم، فإنّه يؤدّي ذلك إلى انحراف قلوبهم وزيغها عن الاستقامة والصراط المستقيم، ومن ثمّ يميلوا من الحقّ إلى الباطل، ولمّا زاغ القلب فإنّ مثل هذا القلب يحرم من الرحمة الإلهية، ولا يصيب

---

(١) الصفّ: ٥.

(٢) الأحزاب: ٥٧.

(٣) الأحزاب: ٦٩.

الهداية الربّانية فأزاغ الله قلوبهم نتيجة أعمالهم من الإيذاء والفسق والفجور، فجزاء فسقهم أزاغ الله قلوبهم، ولعنهم في الدنيا والآخرة، وحرمهم من شمول رحمته ولطفه وهدايته، فإنّما أضلّهم الله بفعلهم وانحرافهم:

﴿ يُضِلُّ بِهِ كَثِيراً وَيَهْدِي بِهِ كَثِيراً وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الفَاسِقِينَ ﴾[١].

فإنّ الله لا يضلّ أحداً ابتداءً، فإنّ ذلك قبيح والله منزّه عن القبائح، إنّما ضلال الله لمن ارتكب الفسوق والذنوب بسوء اختياره، فزاغ عن طريق الحقّ وخرج ومال إلى طريق الباطل، فأضلّه الله وأخزاه في الدنيا، وله في الآخرة عذاب عظيم.

وهناك علائم أُخرى لمن زاغ قلبه كما في قوله تعالى:

﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ﴾[٢].

فإنّ كتاب الله الكريم لحكمة ربّانية فيه الآيات المحكمة والآيات المتشابهة، فالمؤمن إنّما يسأل أهل الذكر في ما لا يعلم، ويرجع إلى الراسخين في العلم، ويأخذ بالمحكمات، ويرجع إليها الآيات المتشابهات، ويعتقد أنّ الكلّ من عند الله، أمّا من له قلب زائغ ومنحرف، فإنّه يبتغي الفتنة وإشعال نار الحرب والشقاق بين المؤمنين، فيتبع ما تشابه من الآيات الكريمة ويؤوّلها من أجل مصالحه الشخصية وابتغاء الفتنة، وإنّما يفعل ذلك لأنّه لم يطمئنّ قلبه، ولم يرسخ في العلم، ولم يثبت على العمل الصالح.

---

(١) البقرة: ٢٦.

(٢) آل عمران: ٧.

وأمّا من آمن واطمأنّ قلبه، وكان من الراسخين في العلم النافع والعمل الصالح، وهداه الله، فإنّه يدعو ربّه:

﴿ رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الوَهَّابُ ﴾[١].

فمن يتبع المتشابه في العمل بأن لا يرجعه إلى المحكم، فإنّ الله قد ذمّ ذلك، وأمّا من أرجع المتشابه إلى المحكم، فإنّه يكون من المحكم، ولا يعلم تأويله إلّا الراسخون في العلم، فيدعون الله بأن لا تزاغ قلوبهم، فإنّهم علموا أنّ القلب إثر الغفلة ربما ينحرف عن الصواب والحقّ، وإنّما يملك الضرّ والنفع هو الله سبحانه وتعالى، وإليه تصير الأُمور، فيخافون أنّه بعد رسوخهم في العلم ربما تنحرف قلوبهم وتزيغ عن الحقّ.

فمن عوامل انحراف القلب وزيغه إيذاء النبيّ كيف ما كان وبأيّ نحو قولاً وعملاً في حياته وبعد مماته، فيه وفي أهل بيته كما قال النبيّ الأكرم في حقّ فاطمة الزهراء سيّدة النساء عليها السلام: «فاطمة بضعةٌ منّي من آذاها فقد آذاني»، (رواه الفريقان). ثمّ من انحرف في الظاهر فقد انحرف في الباطن، ومن زاغ قلبه، فإنّه يعيش القلق والاضطراب، فيحرّف الكلم عن مواضعها، ويؤوّل الآيات المتشابهات كيف ما شاء. وأمّا من رسخ في العلم والإيمان فإنّهم يدعون ربّهم:

﴿ رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الوَهَّابُ ﴾[٢].

---

(١) و (٢) آل عمران: ٨.

٢٠
القلب المتشتّت

﴿ لا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعاً إِلَّا فِي قُرىً مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعاً وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَعْقِلُونَ ﴾[1].

لقد كان بني النضير من اليهود يسكنون قلاعاً وحصوناً في أطراف المدينة المنوّرة، ومع المنافقين حينما كانوا يواجهون المسلمين في الحروب والمعارك كان الله يلقي في قلوبهم الرعب، فيخافون من المسلمين ولا يقاتلونهم جميعاً، إلّا في قرىً محصّنة، أو كانوا يقاتلونهم من وراء الجدران خوفاً، وإنّما كان لهم الشجاعة والبأس فيما بينهم، وربما يحسبهم من يشاهدهم أنّهم متّحدون، إلّا أنّ ظاهرهم كذلك، إلّا أنّ قلوبهم متشتّتة لأنّهم قوم لا يعقلون، فإنّ العقل ما عبد به الرحمن واكتسب به الجنان، فكان عليهم أن يؤمنوا بخاتم النبيّين كما كان عليهم أن يتّحدوا، فإنّ من قلّ عقله لا يتّحد مع أخيه، والأُمّة التي تفقد عقلها الاجتماعي فإنّها تصاب بالفشل والانحطاط والتمزّق والتشتّت والاختلاف والاضمحلال، ومن كان له قلب متشتّت، فإنّ ذلك من علائم النفاق والخوف والرعب.

---

(١) الحشر : ١٤.

٢١
القلب المريض

إنّ الله أشار في آيات عديدة إلى القلب المريض، ولكلّ معنى خاصّ، وهو كما يلي:

١ ـ ﴿ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللهُ مَرَضاً وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾[1].

هذه الآية تشير إلى سيرة المنافقين، فإنّهم يبطنون الكفر ويظهرون الإيمان بالله وبيوم القيامة، ليخدعوا بذلك المسلمين ويمكروا بهم، ولكن غفلوا أنّ المكر السيّء لا يحيق إلّا بأهله، وما يخدعون إلّا أنفسهم، وإنّما مثلهم كالأعمى في الظلام لا يميّز بين الخطأ والصواب والصحيح والسقيم والحقّ والباطل والصلاح والطلاح، وإذا أراد أن يسرج ضوءاً فسرعان ما يأتيه الريح، فيتيه في الظلمات مرّةً أُخرى.

فهؤلاء في قلوبهم مرض وزادهم الله مرضاً فوق مرضهم في الدنيا، كما لهم في الآخرة عذاب عظيم وأليم، لأنّهم كانوا يكذّبون الرسل في قلوبهم.

فإنّهم وإن أظهروا الإسلام وتحصّنوا بكلمة الشهادتين، وحقن دمهم ومالهم، وجاز نكاحهم، وورثوا المسلمين المؤمنين، إلّا أنّهم حين موتهم يسلبهم الله النور، فيقعوا في ظلمتين: ظلمة قلوبهم وظلمة أعمالهم.

---

(١) البقرة: ١٠.

ومن يتظاهر بالإيمان ولمّا يؤمن قلبه فإنّ قلبه مريض، وزاده الله مرضاً، وله عذاب أليم.

٢ ـ ﴿ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُوراً ﴾[١].

المقصود من الذين في قلوبهم مرض هم ضعفاء المؤمنين فهم غير المنافقين، فهؤلاء أيضاً يبطنوا كفرهم ويظهروا الإسلام، ولمّا وعدهم الله ورسوله بالفتح والنصر وغلبة الإسلام على بلاد قيصر وكسرى (الروم وإيران) كان المنافقون وضعفاء الإيمان الذين في قلوبهم مرض، يقولون ما وعدنا الله ورسوله، إلّا أن يغرّنا ويضحك علينا ويعبث بحياتنا.

٣ ـ ﴿ فَلا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلاً مَعْرُوفاً ﴾[٢].

إنّ الله مدح نساء النبيّ وبيّن علوّ مقامهن لتقواهن، لا لانتسابهن بالنبيّ الأكرم ﷺ ثمّ أمرهن أن لا يخضعن في الكلام بأن يتكلّمن بدلال وصوت ناعم ولطيف، فإنّ ذلك يوجب أن يطمع من كان قلبه مريضاً فيميل إلى الشهوات، ويبتلى بتخيّلات شيطانية، فيقع في الذنوب والمعاصي، فإنّ من كان قلبه مريضاً ليس فيه قوّة إيمان يردعه عن الآثام، فإنّه سرعان ما ينحرف عن الصواب، ويتيه

---

(١) الأحزاب: ١٢.

(٢) الأحزاب: ٣٢.

في وادي الضلال. ثمّ أمر الله نساء النبيّ أن يتكلّمن بكلام معروف، بأن يدلّ على المقصود فقط من دون دلال وظرافة.

٤ ـ ﴿ لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلاً ﴾[1].

الانتهاء بمعنى الامتناع، والمرجفون من الإرجاف بمعنى إشاعة الباطل وجعل الناس في قلق واضطراب ورجفة، والإغراء بمعنى حثّ شخص على عمل.

والله سبحانه يخاطب نبيّه الأكرم ﷺ في المنافقين والذين في قلوبهم مرض من ضعفاء المؤمنين، أنّهم لو لم يمتنعوا عن الإشاعة والفساد والفتنة في المدينة لنأمرك أن تخرجهم من المدينة وتحاربهم، وهذا من الإنذار الإلهي لمن كان منافقاً، ويشيع بين المسلمين ما يقلقهم ليعيشوا في اضطراب ومن دون أمن وأمان، حتّى تصفو لهم الأجواء في تطبيق نواياهم وخططهم الخبيثة، وتحطيم معنويات المسلمين، وتهديم بنيانهم، وتمزيق صفّهم، وتفتيت عضدهم، وتفريق شملهم، وإلقاء العداوة بينهم والبغضاء والاختلاف والتحزّبات، وفكّ وحدتهم واعتصامهم بحبل الله.

٥ ـ ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْساً إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ ﴾[2].

من الناس من آمن بالله واليوم الآخر، وبرء قلبه من الأمراض والأسقام

---

(١) الأحزاب : ٦٠.

(٢) التوبة : ١٢٥.

وزاده الله يقيناً وتقوى وهدىً، فعاش سعيداً، ومات سعيداً، ويبعث يوم القيامة سعيداً. ومن الناس من في قلبه مرض ورجس وقذارة، فزادهم الله رجساً إلى رجسهم ونجاستهم، وماتوا وهم كافرون، فلهم في الدنيا خزيٌّ وفي الآخرة عذابٌ أليم.

فمن شكّ في دينه واستحوذ عليه الشيطان، وتنجّس قلبه بالنفاق والأمراض الخلقيّة والنفسية، فإنّه في ضلال ورجس، ولولا التوبة والعمل الصالح، فإنّ الحسنات يذهبن السيّئات، لزادهم الله رجساً فوق رجس وضلالاً فوق ضلال:

﴿ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ ﴾[1].

ولمّا كانت الآية الشريفة تقابل قوله تعالى: (الذين آمنوا) فإنّها تدلّ على أنّ الذي في قلبه مرض من لم يكن صاحب عقيدة سليمة وصحيحة وقلبه فيه الشكّ والإنكار ونتيجة ذلك الكفر والعصيان. فمن كان قلبه مؤمناً فإنّ القرآن الكريم والآيات الإلهية إنّما يكون له شفاء ورحمة، ومن كان قلبه مريضاً ومنافقاً وكافراً فإنّ القرآن لا يزيده إلّا خساراً، كما في قوله تعالى:

﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَاراً ﴾[2].

فعلى كلّ مؤمن أن يزيل الشكّ من قلبه، ويطلب اليقين من ربّه، لينتفع بآياته وقرآنه، وإلّا فإنّ الشكّ يتبعه الشكّ فيكون رجساً فوق رجس، حتّى ينتهي به

---

(١) الأنعام: ١٢٥.

(٢) الإسراء: ٨٢.

الأمر إلى الكفر ﴿ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ ﴾[1].

٦ ـ ﴿ فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ ﴾[2].

كلّ ما يضمره الإنسان في قلبه فإنّه يظهر على صفحات وجهه وفلتات لسانه، والله سبحانه يخاطب نبيّه الأكرم محمّد ﷺ في الذين في قلوبهم مرض، أنّه عندما يأمر الله بالجهاد وينزل سورة محكمة يذكر فيها القتال في سبيل الله، فإنّهم ينظرون إلى النبيّ الأعظم وكأنّما الطير يتخطّف على رؤوسهم، فإنّهم ينظرون إليه نظر المغشيّ عليه من الموت، كالمحتظر الذي ينظر إلى أطرافه بنظراته الأخيرة، وإنّما ظهر ذلك عليهم، لأنّهم كذبوا في قولهم وادّعائهم الإيمان، فهم من ضعفاء المؤمنين عبيد الدنيا، والدين لعق على ألسنتهم يحوطونه أينما درّت معائشهم، فإذا مُحّصوا بالبلاء قلّ الديّانون :

﴿ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴾[3].

فهؤلاء ضعفاء الإيمان حينما لم تنزل سورة من القرآن يطالبون النبيّ بها، ولكن لمّا تنزل سورة محكمة من دون تأويل وشبهة، ويذكر فيها القتال والجهاد لحبّهم الدنيا والمال والأهل والراحة ولما في قلوبهم من المرض، يستولي عليهم الخوف، ومن شدّته كانوا ينظرون إلى النبيّ ﷺ كنظر المحتضر في حالة الموت.

---

(١) التوبة : ١٢٥ .

(٢) محمّد ﷺ : ٢٠ .

(٣) سبأ : ١٣ .

فمن شكّ في دينه وانجرف إلى النفاق وانتهى إلى الكفر، إنّما يبتلى بأمراض قلبيّة وهي كالأمراض الجسدية، لها مراتب طولية وعرضية، قابلة للشدّة والضعف، والبُرء والشفاء، فبداية المرض الشكّ، فمن لم يتداركه باليقين برجوعه إلى أطباء القلب وهم الأنبياء وأوصيائهم ومن ثمّ ورثتهم العلماء الصالحين، فإنّه سوف يشتدّ مرضه ويزداد فيبتلى بمرض النفاق، فإذا لم يتب توبة نصوحاً ويرجع إلى الله وينيب إليه ويعمل الصالحات، فإنّه يزداد في مرضه فيبتلى بمرض الكفر والإثم والتكبّر والإجرام والتجاوز والحميّة الجاهلية والغيظ والغلظة والغمرة والانحراف واللهو واللعب والغبار والرين والغفلة والزيغ والقساوة فيطبع على قلبه، ويختم ويقفل بابه، وله في الدنيا خزيٌ، وفي الآخرة عذاب أليم.

٧ـ ﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللهُ أَضْغَانَهُمْ ﴾[١].

الضغينة بمعنى البغض والعداوة والحقد الشديد، فمن ضعف إيمانه، فإنّه يبتلى بمرض القلب من الشكّ والنفاق، ومثل هذا المريض مهما يبالغ في إخفاء نفاقه ومرضه، فإنّه لا يحسب أن يمكنه ذلك، فإنّه يوماً ما، يخرج الله حقده على المؤمنين وبغضه وضغائنه، ويكشف أمره للمؤمنين ليحذروه ويتجنّبوه، فإنّ الإغراء بالجهل قبيح، والله منزّه عن القبائح، فلا يدع المنافق يموت بحسن السمعة وصدق اللسان، بل يعلن الله حاله، ويظهر سريرته للمؤمنين، حتّى يلعن في دنياه كما لعنه الله: (ألا لعنة الله على المنافقين).

وهذا من عدل الله بهم، ولطفه ورحمته بالمؤمنين، حتّى يتميّز الخبيث من

---

(١) محمّد ﷺ: ٢٩.

الطيّب، والمؤمن من الكافر، والمخلص من المرائي، والمتكبّر من المتواضع، والغثّ من السمين، والصالح من الطالح، والمسيء من المطيع.

هذا كلّه فيما لو لم يتب إلى الله ويرجع إليه، وإلّا فإنّ الله ستّار العيوب، وسبقت رحمته غضبه، وأظهر الجميل وستر القبيح، ولا يعتدي على أهل مملكته، ولم يأخذ أهل الأرض بألوان العذاب، فإنّ له ألف وواحد من الأسماء الحسنى، كلّها تدلّ على الرحمة، إلّا قليل يُعدّ بالأصابع كالمنتقم وشديد العقاب والقهّار، وهذه الأسماء في بواطنها أيضاً من الرحمة، فهو ربّ العالمين الكريم الحليم الرحمن الرحيم الرؤوف العطوف الشفيق واسع الرحمة.

٨ ـ ﴿ وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ * أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾[1].

الإذعان بمعنى الانقياد والطاعة، والحقّ في الآية ظاهراً هو حكم النبيّ الأكرم ﷺ، والحيف بمعنى الجور والتجاوز.

فضعفاء الإيمان إذا حكم لهم النبيّ ﷺ وكان بنفعهم ولمصلحتهم يأتوا إليه مذعنين ومنقادين ويطيعون أمره، وإذا لم يكن حكم النبيّ بصالحهم فإذا بهم ينقلبون على أعقابهم، ولا يرضون بحكم رسول الله ﷺ، فما لهم كيف يحكمون ؟ فهل في قلوبهم مرض أم شكّوا وارتابوا في الدين ؟ أم يخافون أنّ الله ورسوله يجور عليهم ـ والعياذ بالله ـ بل أُولئك هم الظالمون لأنفسهم بارتكابهم الذنوب من قبل ولم يتوبوا، فما أُولئك بالمؤمنين حقّاً وصدقاً.

---

(١) النور : ٤٩ ـ ٥٠.

٩ ـ ﴿ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللهُ بِهَذَا مَثَلاً ﴾[١].

إنّ الله أخبر نبيّه بأنّ الموكّلين على نار جهنّم تسعة عشر من الملائكة الغلاظ، وبهذا يتيقّن أهل الكتاب بأنّ هذا القرآن الذي ينزل عليك إنّما هو من الله سبحانه، فإنّه يطابق لما عندهم من الكتاب، وبهذا يزداد المؤمنون إيماناً، ولكنّ الذين في قلوبهم مرض من ضعفاء المؤمنين والكافرين يقولون ماذا أراد الله بهذا مثلاً.

فالله سبحانه يصف نار جهنّم، وأنّه سيصلاه من كان عنيداً مستكبراً، يؤذي النبيّ في قوله: ﴿ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ * إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ البَشَرِ ﴾[٢]، فيقول الله سبحانه: ﴿ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ * لا تُبْقِي وَلا تَذَرُ * لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ * عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ * وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَاناً وَلا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ وَالمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللهُ بِهَذَا مَثَلاً كَذَلِكَ يُضِلُّ اللهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ ﴾[٣].

فمن كان قلبه مريضاً: فإنّه يظهر الإيمان نفاقاً وهو من ضعفاء الإيمان، وربما يكون كافراً ويموت كافراً، فخسر الدنيا والآخرة وذلك هو الخسران المبين.

---

(١) المدّثّر: ٣١.

(٢) المدّثّر: ٢٤ ـ ٢٥.

(٣) المدّثّر: ٢٦ ـ ٣١.

«ثمّ المرض نوعان: مرض قلوب ومرض أبدان.

أمّا مرض القلوب فينقسم إلى ثلاثة أقسام:

١ ـ مرض شُبَه وشكّ.

٢ ـ شهوة وغيّ.

٣ ـ غلّ.

وقد ورد جميعاً في القرآن الكريم، وإليك بيان ذلك:

أمّا مرض الشُبَه والشكّ: فهو أن يطمس على بصيرة العبد فيجعل لله نداً أو يشبهه بمثل، ويشكّ في قدرته تعالى، فيستعظم حياته بعد موته، ويشكّ في إمكانية البعث والقيامة والحساب والجزاء والثواب والعقاب، كلّ ذلك توسوس به نفسه في كيان قلبه، وهذا الصنف من الناس تحدّث الحقّ تعالى عنهم، وبيّن لنا حقيقة ما في قلوبهم من مرض، فقال سبحانه:

﴿ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللهُ مَرَضاً ﴾[1].

أمّا مرض الشهوة والغيّ:

فنتحدّث أوّلاً عن مرض الشهوة: وهو أن يتلذّذ العبد في إشباع رغباته فلا يفرّق في ذلك بين حلال وحرام، بل قلبه مريض بما في يد غيره، لا يقنع بما عنده ولا يرضى بما قسّم ربّه. وهذا النوع تحدّث الحقّ تعالى عنهم وحذّر منهم فقال سبحانه: ﴿ يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلا تَخْضَعْنَ بِالقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ ﴾[2]، فهو مرض الزنا.

---

(١) البقرة: ١٠.

(٢) الأحزاب: ٣٢.

ثانياً : مرض الغيّ.

فهو ضياع الفروض والأركان، لعدم صدق الاعتقاد بأدائها، والانـصراف إلى اللهو واتّباع الشهوات، وهذا النوع تحدّث الحقّ تعالى عنهم، فقال :

﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيّاً ﴾[1].

أي بغيّهم في الحياة أعدّ الله لهم وادياً في جهنّم سمّـاه وادي الغيّ، لا يدخله إلّا الغاوون. وقد تعجب حينما تعلم أنّ جهنّم نفسها تستعيذ منه كلّ يوم سبعين مـرّة، تشكوا إلى الله أن يخفّف عنها من شدّة حرّه.

ثالثاً : مرض الغلّ، وهو الذي ينشأ منه الحسد والحقد.

وهما الآفتان اللتان أبادتا الإنسانية، وورثتا الكراهية والعداوة والبـغضاء بين الأُمم. وقلب مريض بالغلّ لا يكون صاحبه مؤمناً أبداً. لأنّ المؤمنين شرطهم أن ينزع الغلّ من قلوبهم، فإذا نزع الغلّ من الصدور تـتمّ الأُخـوّة، وعـند هـذه المرحلة بيّن الحقّ تعالى هذا النوع فقال : ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَاناً عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ ﴾[2] لأنّ الصدر المريض قلبه بالغلّ يتشعّب منه.

وجميع أمراض القلب يمكن براؤها من كلّ داء إلّا مرض الغلّ الذي يساوي : (حسد + حقد) في المعادلة. لأنّ الحسد هو تمنّي زوال نعمة الغير. أمّا الحقد : فـهو استكثار النعمة على الغير... والنعم بيد المنعم لا يملك زوالها إلّا هو، خالق كلّ شيء، وهو على كلّ شيء وكيل. لذا يتعذّر شفاء ذلك القلب المغلول، إلّا إذا وقّر نور الإيمان

---

(١) مريم : ٥٩.

(٢) الحجر : ٤٧.

فيه وانشرح الصدر به، عندها إذا ينزع الغلّ وتسود المحبّة وتتمّ الأُخوّة.

هذا بيان خلاصة أنواع مرض القلوب»[١].

وقد تعرّض الأئمة الأطهار لمعالجة أمراض القلوب وذكر أسبابها، نذكر منها ما يتلائم مع هذا المختصر.

قال أمير المؤمنين عليّ عليه السلام في نهجه: إنّ من البلاء الفاقة، وأشدّ من ذلك مرض البدن، وأشدّ من ذلك مرض القلب، وإنّ من النعم سعة المال، وأفضل من ذلك صحّة البدن، وأفضل من ذلك تقوى القلوب.

وقال عليه السلام: ولو فكّروا في عظيم القدرة وجسيم النعمة، لرجعو إلى الطريق وخافوا عذاب الحريق، ولكنّ القلوب عليلة والبصائر مدخولة.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إيّاكم والمراء والخصومة، فإنّهما يمرضان القلوب على الإخوان، وينبت عليهما النفاق.

وقال أمير المؤمنين عليّ عليه السلام: لا وجع أوجع للقلوب من الذنوب.

وقال عليه السلام: شرّ ما أُلقي في القلب الغلول.

وفي كتابٍ له لمالك الأشتر لمّا ولّاه على مصر: ولا تقولنّ: إنّي مؤمَّر آمر فأُطاع، فإنّ ذلك إدغال في القلب ومهلكة في الدين.

قال الإمام الصادق عليه السلام: ما من شيءٍ أفسد للقلب من خطيئته، إنّ القلب ليواقع الخطيئة فلا تزال به حتّى تغلب عليه، فيصير أعلاه أسفله[٢].

فبمثل هذا العوامل والأسباب يمرض القلب، ولا بدّ من مراجعة طبيب

---

(١) الطبّ في القرآن والسنّة؛ بقلم محمّد محمود عبد الله: ٨.

(٢) ميزان الحكمة ٨: ٢٤١.

الروح وهو النبيّ ﷺ الذي كان طبيباً دوّاراً بطبّه، ومن يحذو حذوه من أوصيائه عليهم السلام، ومن العلماء الصلحاء الذين هم ورثة الأنبياء، فهم أطباء الروح في المجتمع، وقد جاء في وصفتهم الطبّية ما يشفي القلب.

قال الله تعالى في محكم كتابه:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ ﴾[١].

﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾[٢].

وجاء في صفة النبيّ الأكرم طبيب نفوسنا وشافع ذنوبنا محمّد ﷺ: طبيب دوّار بطبّه قد أحكم مراهمه وأحمى مواسمه، يضع ذلك حيث الحاجة إليه، من قلوب عُمي وآذان صُمّ، وألسنة بُكم، متتبّع بدوائه مواضع الغفلة ومواطن الحيرة... هكذا وصفه أمير المؤمنين عليّ عليه السلام في نهج البلاغة[٣].

وقال عليه السلام: اعلموا أنّكم إن اتّبعتم طالع المشرق سلك بكم مناهج الرسول ﷺ فتداويتم من العمى والصمم والبكم...

وقال عليه السلام: إنّ تقوى الله دواء داء قلوبكم، وبصر عمى أفئدتكم، وشفاء مرض أجسادكم، وصلاح فساد صدوركم، وطهور دنس أنفسكم، وجلاء عشا أبصاركم[٤].

فالقلب يمرض كما يمرض الجسد، وربما بعض الأمراض ـ والعياذ بالله ـ تؤدّي

---

(١) يونس: ٥٧.

(٢) الإسراء: ٨٢.

(٣) نهج البلاغة: الخطبة ١٠٨.

(٤) ميزان الحكمة ٨: ٢٤٣.

إلى الموت ومفارقة الحياة، كذلك مرض القلب ربما ينتج موته لولا معالجته واستشفاءه.

فن سهام الموت عشق الدنيا، فإنّ الحبّ المفرط كما يعمي ويصمّ، فإنّه ربما ينتهي بصاحبه إلى الموت.

قال أمير المؤمنين عليّ عليه السلام: من عشق شيئاً أعشى بصره، وأمرض قلبه، فهو ينظر بعين غير صحيحة ويسمع بأُذن غير سميعة، قد خرقت الشهوات عقله وأماتت الدنيا قلبه.

وقال عليه السلام: من قلّ ورعه مات قلبه، ومن مات قلبه دخل النار.

وفي مناجاة الإمام زين العابدين عليه السلام: إلهي ألبستني الخطايا ثوب مذلّتي، وجلّلني التباعد منك لباس مسكنتي، وأمات قلبي عظيم جنايتي، فأحيِهِ بتوبةٍ منك يا أملي وبُغيتي...

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إيّاك وكثرة الضحك، فإنّه يميت القلب.

وقال صلى الله عليه وآله: ثلاث مجالستهم تميت القلب: مجالسة الأنذال، ومجالسة الأغنياء، والحديث مع النساء.

وقال: اربعٌ مفسدة للقلوب: الخلوة بالنساء، والاستماع منهن والأخذ برأيهن، ومجالسة الموتى، فقيل له: وما مجالسة الموتى؟ قال: مجالسة كلّ ضالّ عن الايمان وجائر في الأحكام.

وقال: أربعٌ يمتن القلب: الذنب على الذنب، وكثرة مناقشة النساء ـ يعني محادثتهن ـ ومماراة الأحمق، تقول ويقول ولا يرجع إلى خير، ومجالسة الموتى. فقيل: يا رسول الله، وما الموتى؟ قال: كلّ غنيّ مترف.

وإذا مات القلب فلا ييأس الإنسان، فإنّ هناك ما يحيي قلبه الميّت بإذن الله

سبحانه، كما تحيى الأرض الميّتة بالمطر وأشعّة الشمس.

فما يوجب حياة القلوب المواعظ والنصائح من أهلها.

قال أمير المؤمنين عليّ عليه السلام: أحيي قلبك بالموعظة، وأمته بالزهادة.

وقال عليه السلام: معاشرة ذوي الفضائل حياة القلوب.

وقال عليه السلام: اعلموا أنّه ليس من شيء إلّا ويكاد صاحبه يشبع منه ويملّه إلّا الحياة، فإنّه لا يجد في الموت راحة، وإنّما ذلك بمنزلة الحكمة التي هي حياة للقلب الميّت وبصر للعين العمياء وسمع للأذن الصمّاء.

وقال عليه السلام: إنّ الله سبحانه لم يعظ أحداً بمثل هذا القرآن... وفيه ربيع القلب وينابيع العلم.

قال المسيح بن مريم عليه السلام: يا بني إسرائيل زاحموا العلماء في مجالسهم ولو جثواً على الركب، فإنّ الله يحيي القلوب الميّتة بنور الحكمة كما يحيي الأرض بوابل المطر.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: تذاكر العلم بين عبادي ممّا يحيي عليه القلوب الميّتة إذا هم انتهوا فيه إلى أمري.

وقال لقمان لابنه: يا بني، جالس العلماء وزاحمهم بركبتيك، فإنّ الله عزّ وجلّ يحيي القلوب بنور الحكمة كما يحيي الأرض بوابل السماء.

قال الإمام الحسن عليه السلام: التفكّر حياة قلب البصير.

وقال عليه السلام: عليكم بالفكر، فإنّه حياة قلب البصير، ومفاتيح أبواب الحكمة.

وإذا كانت الذنوب والمعاصي وحبّ الدنيا والشهوات تهدم بنيان القلوب وتخرّب نضارتها، فإنّ عمارة القلوب أُمور:

قال أمير المؤمنين عليّ عليه السلام : لقاء أهل الخير عمارة القلب.

وقال عليه السلام : لقاء أهل المعرفة عمارة القلوب ومستفاد الحكمة.

وقال عليه السلام : عمارة القلوب في معاشرة ذوي العقول.

ومن وصاياه لابنه الحسن عليه السلام : أُوصيك بتقوى الله ولزوم أمره وعمارة قلبك بذكره.

وإذا كان القلب يخشن ويقسو ويمرض، فهناك ما يليّنه ويرقّقه ويجعله كالماء العذب الصافي.

قال الإمام الباقر عليه السلام : تعرّض لرقّة القلب بكثرة الذكر في الخلوات.

وقد شكى رجل إلى النبيّ صلى الله عليه وآله قساوة قلبه فقال : إذا أردت أن يلين قلبك فأطعم المسكين وامسح رأس اليتيم.

وقال : عوّدوا قلوبكم الرقّة، وأكثروا من التفكّر، والبكاء من خشية الله.

وقال أمير المؤمنين عليه السلام : أحيي قلبك بالموعظة... وذلّله بذكر الموت... وبصّره فجائع الدنيا، وحذّره صولة الدهر وفحش تقلّب الليالي والأيام، وأعرض عليه أخبار الماضين.

ورُئي عليه عليه السلام إزار خَلَق مرقوع، فقيل له في ذلك، فقال : يخشع له القلب، وتذلّ به النفس، ويقتدي به المؤمنون.

وهذا يعني أنّ الإنسان عليه أن يفعل هذه الأفعال متقرّباً بها إلى الله سبحانه ليخشع قلبه، ولا يطغى وتتجبّر نفسه وتتفرعن حتّى تدّعي الربوبية، وتنسى أنّ أوّلها نطفة وآخرها جيفة، وبينهما تحمل العذرة.

والقلب كالمرآة والذنوب غبار عليه تحجبه أن ينطبع فيه الحقائق وينعكس فيه أنوار الحكمة والعلم، فإذا غبّر القلب ووسخ إثر المعاصي والغفلات فهناك

ما يجلّيه ويمسح عنه الغبار والتلوّث.

قال أمير المؤمنين عليّ عليه السلام: إنّ الله سبحانه لم يعظ أحداً بمثل هذا القرآن... وما للقلب جلاء غيره.

وقال عليه السلام: إنّ الله سبحانه جعل الذكر جلاءً للقلوب تسمع به بعد الوقرة.

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: جلاء هذه القلوب ذكر الله وتلاوة القرآن.

وقال صلى الله عليه وآله: إنّ للقلوب صدأ كصدأ النحاس، فاجلوها بالاستغفار.

وقال صلى الله عليه وآله: كثرة ذكر الموت وتلاوة القرآن جلاء القلوب.

وإذا اسودّ القلب واظلمّ فناوِه فاستعذ بالله من ظلمات القلوب ونوّره بالدعاء، كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا مقلّب القلوب، يا طبيب القلوب، يا منوّر القلوب، يا أنيس القلوب.

قال أمير المؤمنين عليّ عليه السلام: اليقين نور.

وقال عليه السلام: أحيي قلبك بالموعظة... ونوّره بالحكمة.

وقال عليه السلام: إنّ الإيمان يبدو لمظة في القلب، كلّما ازداد الإيمان ازدادت اللمظة.

وإذا فسد القلب فقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أمّا علامة الصالح فأربعة: يصفّي قلبه، ويصلح عمله، ويصلح كسبه، ويصلح أُموره كلّها.

وقال صلى الله عليه وآله: لا يستقيم إيمان عبد حتّى يستقيم قلبه، ولا يستقيم قلبه حتّى يستقيم لسانه.

وقال أمير المؤمنين عليّ عليه السلام: أصل صلاح القلب اشتغاله بذكر الله.

وفي المناجاة عن الإمام زين العابدين عليه السلام: وسقمي لا يشفيه إلّا طبّك، ورين قلبي لا يجلوه إلّا عفوك.

وإذا ضعف القلب فقال أمير المؤمنين عليه السلام : أصل قوّة القلب التوكّل على الله.

وقال : وقوّه باليقين.

قال الإمام الصادق عليه السلام : إنّ قوّة المؤمن في قلبه، ألا ترون أنّكم تجدونه ضعيف البدن نحيف الجسم وهو يقوم الليل ويصوم النهار.

فللقلب حالات وحالات :

قال الإمام الصادق عليه السلام : النظر في العواقب تلقيح القلوب.

وقال الأمير عليه السلام : بيان الرجل ينبئ عن قوّة جنانه.

وقال عليه السلام : إنّ للقلوب شواهد تجري الأنفس عن مدرجة أهل التفريط.

وقال عليه السلام : القلب بالتعلّل رهين.

وقال عليه السلام : إنّ للقلوب خواطر سوء والعقول تزجر عنها.

وقال المسيح عليه السلام : اجعلوا قلوبكم بيوتاً للتقوى، ولا تجعلوا مأوى للشهوات.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله : جبلت القلوب على حبّ من أحسن إليها، وبغض من أساء إليها[1].

قال الأمير عليّ عليه السلام : حرام على كلّ قلب معلول بالشهوة أن ينتفع بالحكمة[2].

وقال عليه السلام : لا تسكن الحكمة قلباً مع شهوة.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله : من أصبح وأمسى والآخرة أكبر همّه جعل الله الغنى في

---

(١) الروايات من كتاب ميزان الحكمة ٨ : ٢١٢ ـ ٢٥٢، فراجع.

(٢) ميزان الحكمة ١٠ : ٣٨٥.

قلبه، وجمع له أمره ولم يخرج من الدنيا حتّى يستكمل رزقه، ومن أصبح وأمسى والدنيا أكبر همّه جعل الله الفقر بين عينيه، وشقّت عليه أمره ولم ينل من الدنيا إلّا قسّم له(١).

قال الأمير عليّ عليه السلام: سلوا القلب عن المودّات فإنّها شواهد لا تقبل الرُّشا(٢).

سئل عن الصادق عليه السلام: الرجل يقول: إنّي أودّك فكيف أعلم أنّه يودّني؟ قال: امتحن قلبك فإن كنت تودّه فإنّه يودّك.

وقال عليه السلام: انظر إلى قلبك فإن أنكر صاحبك فقد أحدث أحدكما.

قال الإمام الهادي عليه السلام: لا تطلب الصفا ممّن كدرت عليه، ولا النصح ممّن صرفت سوء ظنّك إليه، فإنّما قلب غيرك لك كقلبك له.

قال الإمام الباقر عليه السلام: اعرف المودّة لك في قلب أخيك بما له في قلبك.

ومن حالات القلب أنّه يكون بمنزلة المدينة الحصينة كما جاء في الخبر الشريف: عن شعيب الحدّاد، قال: سمعت الصادق جعفر بن محمّد عليهما السلام يقول: إنّ حديثنا صعب مستصعب لا يحتمله إلّا ملك مقرّب أو نبيّ مرسل أو عبد امتحن الله قلبه للإيمان، أو مدينة حصينة، قال عمرو: فقلت لشعيب: يا أبا الحسن، وأيّ شيء المدينة الحصينة؟ قال: فقال: سألت الصادق عليه السلام عنها فقال لي: القلب المجتمع.

«بيان: المراد بالقلب المجتمع، القلب الذي لا يتفرّق بمتابعة الشكوك والأهواء ولا يدخل فيه الأوهام الباطلة والشبهات المضلّة، والمقابلة بينه وبين الثالث إمّا

---

(١) بحار الأنوار ٧٧: ١٥١.

(٢) ميزان الحكمة ؟؟: ٤٩.

بمحض التعبير، أي إنّ شئت قل هكذا، وإن شئت هكذا، أو يكون المراد بالأوّل الفرد الكامل من المؤمنين، وبالثاني من دونهم في الكمال».

وللقلب ربيع، وربيعه هو التفقّه في القرآن الكريم، كما قال أمير المؤمنين عليّ عليه السلام: «وتعلّموا القرآن فإنّه أحسن الحديث، وتفقّهوا فيه فإنّه ربيع القلوب، واستشفوا بنوره فإنّه شفاء الصدور، وأحسنوا تلاوته فإنّه أنفع القصص»[1].

والقلب كما يموت بالذنوب والمعاصي، ربما يموت بأُمور أُخرى، قال أمير المؤمنين عليّ عليه السلام: لا تميتوا القلوب بكثرة الطعام والشراب، فإنّ القلب يموت كالزرع إذا كثر عليه الماء[2].

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة ١١٠.

(٢) طبّ الإمام الصادق عليه السلام: ١٨.

الفصل التاسع

حقيقة القلوب في رحاب الروايات

عقدت هذا الفصل لمن أراد التحقيق حول القلب من خلال الروايات الشريفة، وكما هو واضح لأرباب التحقيق أنّ بحار الأنوار لشيخنا المجلسي تيُّ يعدّ من أكبر الموسوعات الروائية، ففي الرجوع إليه غنىً وكفاية. ومن هذا المنطلق سأذكر أهمّ الروايات التي وردت فيها كلمة القلب والقلوب ـ مع حذف المكرّرات ـ وذلك من خلال المعجم المفهرس لألفاظ أحاديث بحار الأنوار بإشراف علي رضا برازش (المجلّد ٢٣ من صفحة ١٦٨٤١ إلى ١٦٨٩٩)، وقد وردت كلمة القلب ومشتقّاتها في أكثر من (٧٩٠٠) مورداً، فراجع، ولا يخفى أنّ رمز (ج) إشارة إلى المجلّد، و (ص) الصفحة، و (س) السطر، والله المستعان.

		ج	ص	س
١	ـ أشدّ من ذلك مرض القلب	٨	٨٨	١٨
٢	ـ العقل مسكنه القلب	١	٩٨	١٢
٣	ـ النور في القلب	١	٢١٩	١٩

	ج	ص	س
٦٨٣ ـ طبع على قلبه فلا يسمع ولا يعقل	٢٣	٣٨٧	١٦
٦٨٤ ـ من أحبّ أن يرقّ قلبه فليدم أكل البلس	٦٦	١٨٦	١٥
٦٨٥ ـ من تاب ولم يفتح قلبه ـ فليس بتائب	٦	٣٦	١
٦٨٦ ـ نظر الله ـ إلى قلبه فوجده أفضل القلوب	١٧	٣٠٩	٦
٦٨٧ ـ يكون نفسه في الدنيا وقلبه في الآخرة	٧٠	٣١٥	١٤
٦٨٨ ـ فتح عن قلبه ـ قفلاً	٢	٢	٢٤
٦٨٩ ـ لا يدخل الجنّة من كان في قلبه ـ كِبر	٧٣	١٩٩	١٤
٦٩٠ ـ تحيي قلبه كما يحيي الماء الأرض	١٤	٣١٦	١٤
٦٩١ ـ من كتبه الله في قلبه لا يستطيع أحد محوه	٢٣	٣٦٦	١٥
٦٩٢ ـ لو خشع قلبه لخشعت جوارحه	٨٤	٢٦٦	١٨
٦٩٣ ـ عبد مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان	٢	٧١	١١
٦٩٤ ـ العارف شخصه مع الخلق وقلبه مع الله	٣	١٤	٣
٦٩٥ ـ طبع الله على قلبه وآثر دنياه على آخرته	٣٣	٢٣٧	١٣
٦٩٦ ـ خديجة عليها السلام تولّع قلبها بحبّ النبيّ صلى الله عليه وآله	١٦	٢٣	١
٦٩٧ ـ اللهمّ طهّر جسمي وقلبي من كلّ آفة	١٠١	٢٠٧	٣
٦٩٨ ـ ارحمني رحمة تشفي بها قلبي من كلّ شبهة	٩٤	١٦١	١٤
٦٩٩ ـ تملأ قلبي من محبّة محمّد وآله الطاهرين	١٠٠	١٧٠	١٤

هذا غيض من فيض ما ورد في حقيقة القلوب على ضوء الأخبار الشريفة، ولا بأس أن أذكر ما جاء في (المعجم المفهرس لألفاظ أحاديث بحار الأنوار) حول ما يتعلّق بخصوص القلب الذي نبحث فيه دون المشتقّات الأُخرى لمادّة (قلب)،

ونذكر عدد ما تكرّر لمن أراد التحقيق والمراجعة، فإنّ في الأخبار والأحاديث الشريفة كنوز ولآلئ ثمينة، ومشاعل وضّاءة تنير الدرب لمن أراد الحياة الطيّبة والعيش الرغيد وسعادة الدارين...

١	ـ القلب	تكرّر ٧٥١	مرّة	ج ٢٣	ص ١٦٨٤٢
٢	ـ القلبين	تكرّر ٣	مرّات	ج ٢٣	ص ١٦٨٤٧
٣	ـ القلوب	تكرّر ٦٢٤	مرّة	ج ٢٣	ص ١٦٨٤٧
٤	ـ بالقلب	تكرّر ٥٨	مرّة	ج ٢٣	ص ١٦٨٥٤
٥	ـ بالقلوب	تكرّر ٩	مرّات	ج ٢٣	ص ١٦٨٥٤
٦	ـ بقلب	تكرّر ٦١	مرّة	ج ٢٣	ص ١٦٨٥٤
٧	ـ بقلبك	تكرّر ٣٣	مرّة	ج ٢٣	ص ١٦٨٥٤
٨	ـ بقلبه	تكرّر ١٤٣	مرّة	ج ٢٣	ص ١٦٨٥٥
٩	ـ بقلبها	تكرّر ٥	مرّات	ج ٢٣	ص ١٦٨٥٦
١٠	ـ بقلبهم	تكرّر ١	مرّة	ج ٢٣	ص ١٦٨٥٦
١١	ـ بقلبي	تكرّر ٣٥	مرّة	ج ٢٣	ص ١٦٨٥٦
١٢	ـ بقلوب	تكرّر ٢٨	مرّة	ج ٢٣	ص ١٦٨٥٦
١٣	ـ بقلوبكم	تكرّر ١٥	مرّة	ج ٢٣	ص ١٦٨٥٦
١٤	ـ بقلوبنا	تكرّر ١٤	مرّة	ج ٢٣	ص ١٦٨٥٦
١٥	ـ بقلوبها	تكرّر ١	مرّة	ج ٢٣	ص ١٦٨٥٦
١٦	ـ بقلوبهم	تكرّر ٣٥	مرّة	ج ٢٣	ص ١٦٨٥٦
١٧	ـ فالقلب	تكرّر ١	مرّة	ج ٢٣	ص ١٦٨٥٨
١٨	ـ فالقلوب	تكرّر ٣	مرّات	ج ٢٣	ص ١٦٨٥٨

١٩ ـ فبقلبه تكرّر ٨ مرّات ج ٢٣ ص ١٦٨٥٩
٢٠ ـ فقلب تكرّر ٩ مرّات ج ٢٣ ص ١٦٨٥٩
٢١ ـ فقلبه تكرّر ٤ مرّات ج ٢٣ ص ١٦٨٥٩
٢٢ ـ فقلبي تكرّر ٩ مرّات ج ٢٣ ص ١٦٨٥٩
٢٣ ـ فقلوب تكرّر ٤ مرّات ج ٢٣ ص ١٦٨٥٩
٢٤ ـ فقلوبهم تكرّر ١٥ مرّة ج ٢٣ ص ١٦٨٥٩
٢٥ ـ قلب تكرّر ٤٩٨ مرّة ج ٢٣ ص ١٦٨٦٠
٢٦ ـ قلباً تكرّر ٩٤ مرّة ج ٢٣ ص ١٦٨٦٣
٢٧ ـ قلبان تكرّر ٤ مرّات ج ٢٣ ص ١٦٨٦٤
٢٨ ـ قلبك تكرّر ٣٥٤ مرّة ج ٢٣ ص ١٦٨٦٤
٢٩ ـ قلبكم تكرّر ١ مرّة ج ٢٣ ص ١٦٨٦٧
٣٠ ـ قلبه تكرّر ١٢١٥ مرّة ج ٢٣ ص ١٦٨٦٧
٣١ ـ قلبها تكرّر ٥٢ مرّة ج ٢٣ ص ١٦٨٧٦
٣٢ ـ قلبهم تكرّر ٥ مرّات ج ٢٣ ص ١٦٨٧٦
٣٣ ـ قلبهما تكرّر ٤ مرّات ج ٢٣ ص ١٦٨٧٦
٣٤ ـ قلوبكم تكرّر ١ مرّة ج ٢٣ ص ١٦٨٧٦
٣٥ ـ قلبي تكرّر ٨٥٧ مرّة ج ٢٣ ص ١٦٨٧٦
٣٦ ـ قلبين تكرّر ١٨ مرّة ج ٢٣ ص ١٦٨٨٢
٣٧ ـ قلبيهما تكرّر ١ مرّة ج ٢٣ ص ١٦٨٨٢
٣٨ ـ قلوب تكرّر ٤٢٢ مرّة ج ٢٣ ص ١٦٨٨٢
٣٩ ـ قلوباً تكرّر ٢١ مرّة ج ٢٣ ص ١٦٨٨٥

٤٠ ـ قلوبكم تكرّر ٢٠٠ مرّة ج ٢٣ ص ١٦٨٨٦

٤١ ـ قلوبكما تكرّر ٩ مرّات ج ٢٣ ص ١٦٨٨٧

٤٢ ـ قلوبنا تكرّر ١٦١ مرّة ج ٢٣ ص ١٦٨٨٧

٤٣ ـ قلوبها تكرّر ٤ مرّات ج ٢٣ ص ١٦٨٨٨

٤٤ ـ قلوبهم تكرّر ٧٦٠ مرّة ج ٢٣ ص ١٦٨٨٨

٤٥ ـ قلوبهما تكرّر ٧ مرّات ج ٢٣ ص ١٦٨٩٤

٤٦ ـ كقلبه تكرّر ٢ مرّتان ج ٢٣ ص ١٦٨٩٤

٤٧ ـ كقلوب تكرّر ٤ مرّات ج ٢٣ ص ١٦٨٩٤

٤٨ ـ لقلب تكرّر ٦ مرّات ج ٢٣ ص ١٦٨٩٤

٤٩ ـ لقلبك تكرّر ٨ مرّات ج ٢٣ ص ١٦٨٩٤

٥٠ ـ لقلبكم تكرّر ٤ مرّات ج ٢٣ ص ١٦٨٩٤

٥١ ـ لقلبه تكرّر ١٣ مرّة ج ٢٣ ص ١٦٨٩٤

٥٢ ـ لقلبها تكرّر ١ مرّة ج ٢٣ ص ١٦٨٩٤

٥٣ ـ لقلبي تكرّر ١٠ مرّات ج ٢٣ ص ١٦٨٩٤

٥٤ ـ لقلبين تكرّر ٢ مرّتان ج ٢٣ ص ١٦٨٩٥

٥٥ ـ لقلوب تكرّر ٨ مرّات ج ٢٣ ص ١٦٨٩٥

٥٦ ـ لقلوبكم تكرّر ٣ مرّات ج ٢٣ ص ١٦٨٩٥

٥٧ ـ لقلوبهم تكرّر ٥ مرّات ج ٢٣ ص ١٦٨٩٥

٥٨ ـ للقلب تكرّر ٣٥ مرّة ج ٢٣ ص ١٦٨٩٥

٥٩ ـ للقلوب تكرّر ٣٢ مرّة ج ٢٣ ص ١٦٨٩٥

الفصل العاشر

القلب في رحاب الدعاء

قال الله تعالى:

﴿ قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ ﴾[1].

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾[2].

﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾[3].

الدعاء هو القرآن الصاعد، وقد أشاد الإسلام بفضل الدعاء والداعين، وأهاب بالمسلمين أن لا يتركوا الدعاء على كلّ حال وفي جميع الأحوال، وأن ينقطعوا إلى الله سبحانه ويكونوا على اتّصال دائم معه، فإنّ أزمّة الأُمور طرّاً بيده، فلا بدّ من الارتباط الوثيق بين العبد ومولاه، بين الإنسان وربّه، وقد اهتمّ الرسول الأعظم محمّد ﷺ وكذلك عترته الطاهرة الأئمة المعصومين عليهم السلام

(١) الفرقان: ٧٧.

(٢) البقرة: ١٨٦.

(٣) المؤمن: ٦٠.

بالأدعية اهتماماً بالغاً، فإنّه مفتاح كلّ صلاح وفلاح وشفاء للقلوب وبلسماً للجراح، وتهذيباً للنفوس، ولولاه لما اعتنى الله بعبده، فهو سلاح الأنبياء وشفاء من كلّ داء، ولا ينال ما عند الله إلّا بالدعاء، وليس باب يكثر قرعه إلّا يوشك أن يفتح لصاحبه.

وبعد أن عرفنا أنّ القلوب منها قد ذمّها الله، ومنها قد مدحها وأعدّ لها النعيم، وعلى الإنسان أن يسعى في تحصيل القلب الممدوح والتخلّص من القلب المذموم، وممّا يوجب حصول ذلك هو الدعاء، ومن هذا المنطلق نجد في كثير من الأدعية والأذكار التي وردت عن الرسول الأكرم وأهل بيته الأطهار يطلبون من الله سلامة القلب وطهارته ونظارته.

وهذه جملة من الأدعية المأثورة، استخرجتها من مفاتيح الجنان لشيخنا الأجلّ الشيخ عباس القمّي ﵀، فادعوا الله بها في الليل والنهار، فإنّه يجيب دعوة الداع، فهو القريب المجيب.

١ ـ (اللَّهُمَّ اجْعَلْ لي في قَلْبي نوراً وَبَصَراً وَفَهْماً وَعِلْماً، إنَّكَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدير)[1].

٢ ـ (اللَّهُمَّ إنّي أعوذُ بِكَ مِنْ نَفْسٍ لا تَشْبَع، وَمِنْ قَلْبٍ لا يَخْشَع، وَمِنْ عِلْمٍ لا يَنْفَع، وَمِنْ صَلاةٍ لا تُرْفَع، وَمِنْ دُعاءٍ لا يُسْمَع)[2].

---

(١) مفاتيح الجنان: ٢٩.

(٢) المصدر: ٣٢.

٣ ـ (صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّد، وَاْجْعَلِ النُّورَ في بَصَري، وَالبَصيرَةَ في ديني، وَاليَقينَ في قَلْبي، وَالإِخْلاصَ في عَمَلي، وَالسَّلامَةَ في نَفْسي، وَالسَّعَةَ في رِزْقي، وَالشُّكْرَ لَكَ أبَداً ما أبْقَيْتَني)[1].

٤ ـ (اللَّهُمَّ مُقَلِّبَ القُلوبِ وَالأبْصار، ثَبِّتْ قَلْبي عَلى دينِكَ، وَلا تُزِغْ قَلْبي بَعْدَ إذْ هَدَيْتَني، وَهَبْ لي مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً، إنَّكَ أنْتَ الوَهَّابُ، وَأجِرْني مِنَ النَّارِ بِرَحْمَتِكَ)[2].

٥ ـ (اللَّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَهَبْ لي الغَداةَ رِضاكَ، وَأسْكِنْ قَلْبي خَوْفَكَ، وَاْقْطَعْهُ عَمَّنْ سِواكَ، حَتَّى لا أرْجو وَلا أخافَ إلَّا إيَّاك)[3].

٦ ـ (صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَاْجْعَلِ النُّورَ في بَصَري، وَاليَقينَ في قَلْبي، وَذِكْرَكَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهارِ عَلى لِساني، وَعَمَلاً صالِحاً فَارْزُقْني)[4].

٧ ـ (إلْهي قَلْبي مَحْجوبٌ وَنَفْسي مَعْيوبٌ وَعَقْلي مَغْلوبٌ وَهَواني غالِبٌ

---

(١) مفاتيح الجنان: ٣٨.

(٢) المصدر: ٤٢.

(٣) المصدر: ٦٠.

(٤) المصدر: ٧٩.

وَطاعَتي قَليلٌ وَمَعْصِيَتي كَثيرٌ وَلِساني مُقِرٌّ بِالذُنوبِ، فَكَيْفَ حيلَتي يا سَتّارَ العُيوبِ وَيا عَلّامَ الغُيوبِ وَيا كاشِفَ الكُروبِ اَغْفِرْ ذنوبي كُلَّها بِحُرْمَةِ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ يا غَفّارُ يا غَفّارُ يا غَفّارُ بِرَحْمَتِكَ يا أَرْحَمَ الرّاحِمين)[1].

٨ ـ (يا إلهي وَسَيِّدي وَرَبِّي أَتُراكَ مُعَذِّبي بِنارِكَ بَعْدَ تَوْحيدِكَ وَبَعْدَ ما اَنْطَوىٰ عَلَيْهِ قَلْبي مِنْ مَعْرِفَتِكَ وَلَهِجَ بِهِ لِساني مِنْ ذِكْرِكَ وَاَعْتَقَدَهُ ضَميري مِنْ حُبِّكَ... أَتُسَلِّطُ النّارَ عَلىٰ وُجوهٍ خَرَّتْ لِعَظَمَتِكَ ساجِدَة... وَعَلىٰ قُلوبٍ اَعْتَرَفَتْ بِإلهِيَّتِكَ مُحَقِّقَة... وَاَجْعَلْ لِساني بِذِكْرِكَ لَهِجاً وَقَلْبي بِحُبِّكَ مُتَيَّماً...)[2].

٩ ـ (اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ العَظيمِ الأَعْظَمِ... وَخَشَعَتْ لَهُ الأَصْواتُ وَوَجِلَتْ لَهُ القُلوبُ مِنْ مَخافَتِك...)[3].

١٠ ـ (يا مُقَلِّبَ القُلوبِ يا طَبيبَ القُلوبِ يا مُنَوِّرَ القُلوبِ يا أَنيسَ القُلوب...)[4].

١١ ـ (وَاَرْزُقْني مِنْ نُورِ اَسْمِكَ هَيْبَةً وَسَطْوَةً تَنْقادُ لِيَ القُلوبُ وَالأَرْواحُ...

---

(١) مفاتيح الجنان: ١١١.

(٢) المصدر: ١١٥.

(٣) المصدر: ١٢٨.

(٤) المصدر: ١٦٣.

أَيِّدْ ظاهِري في تَحْصيلِ مَراضيكَ وَنَوِّرْ قَلْبي وَسِرِّي بِالاطِّلاعِ عَلىٰ مَناهِجِ مَساعيكَ)[١].

١٢ ـ (إلٰهي أَلْبَسَتْني الخَطايا ثَوْبَ مَذَلَّتي... وَأَماتَ قَلْبي عَظيمُ جِنايَتي فَأَحْيِهِ بِتَوْبَةٍ مِنْكَ يا أَمَلي...)[٢].

١٣ ـ (إلٰهي كَيْفَ أَشْكو نَفْساً بِالسُّوءِ أَمَّارَةٌ... إلٰهي أَشْكو إلَيْكَ عَدُوَّاً يُضِلُّني وَشَيْطاناً يُغْويني وَيُزَيِّنُ لي حُبَّ الدُّنْيا وَيَحولُ بَيْني وَبَيْنَ الطَّاعَةِ وَالزُّلْفىٰ، إلٰهي إلَيْكَ أَشْكو قَلْباً قاسِياً مَعَ الوَسْواسِ مُتَقَلِّباً وَبِالرَّيْنِ وَالطَّبْعِ مُتَلَبِّساً...)[٣].

١٤ ـ (وَاكْشِفْ عَنْ قُلوبِنا أَغْشِيَةَ المِرْيَةِ وَالحِجابِ وَأَزْهِقِ الباطِلَ عَنْ ضَمائِرِنا)[٤].

١٥ ـ (إلٰهي فَاجْعَلْنا مِمَّنْ اصْطَفَيْتَهُ لِقُرْبِكَ وَوِلايَتِكَ... وَهَيَّمْتَ قَلْبَهُ لإرادَتِكَ وَاجْتَبَيْتَهُ لِمُشاهَدَتِكَ... وَقُلوبُهُمْ مُتَعَلِّقَةٌ بِمَحَبَّتِكَ وَأَفْئِدَتُهُمْ مُنْخَلِعَةٌ مِنْ مَهابَتِكَ).

---

(١) مفاتيح الجنان : ١٩٨.

(٢) المصدر : ٢١٧.

(٣) المصدر : ٢١٩.

(٤) المصدر : ٢٢٦.

١٦ ـ (يا مَنْ أنوارُ قُدْسِهِ لأبْصارِ مُحِبِّيهِ رائِـقَة، وَسُبُحاتُ وَجْـهِهِ لِـقُلوبِ عارِفيهِ شائِقَة، يا مُنىٰ قُلوبِ المُشْتاقينَ، وَيا غايَةَ آمالِ المُحِبِّين)[١].

١٧ ـ (وَرَيْنُ قَلْبِي لا يَجْلوهُ إلّا عَفْوُكَ)[٢].

١٨ ـ (إلٰهي فَاجْعَلْنا مِنَ الَّذِينَ تَرَسَّخَتْ أشْجارُ الشَّوْقِ إلَـيْكَ في حَـدائِـقِ صُدورِهِمْ وَأخَذَتْ لَوْعَةُ مَحَبَّتِكَ بِمَجامِعِ قُلوبِهِم... إلٰهي ما ألَذَّ خَواطِرَ الإلْهامِ بِذِكْرِكَ عَلى القُلوبِ...)[٣].

١٩ ـ (إلٰهي بِكَ هامَتِ القُلوبُ الوالِهَة، وَعَلىٰ مَعْرِفَتِكَ جُمِعَتْ العُقولُ المُتَبايِنَة، فَلا تَطْمَئِنُّ القُلوبُ إلّا بِذِكْراكَ، وَلا تَسْكُنُ النُّفوسُ إلّا عِنْدَ رُؤْياكَ)[٤].

٢٠ ـ (وَأخْرِجْ حُبَّ الدُّنْيا مِنْ قُلوبِنا، كَما فَعَلْتَ بِالصّالِحينَ مِنْ صَفْوَتِكَ)[٥].

---

(١) مفاتيح الجنان : ٢٣٠.

(٢) المصدر : ٢٣٢.

(٣) المصدر : ٢٣٣.

(٤) المصدر : ٢٣٥.

(٥) المصدر : ٢٣٧.

٢١ ـ (يا مَنْ... وَجِلَتِ القُلوبُ مِنْ خِيفَتِهِ...)[١].

٢٢ ـ (أَنْ تَجْعَلَ أَعْمالَنا في هَذِهِ اللَّيْلَةَ وَفي سائِرِ اللَّيالي مَقْبولَة، وَذُنوبَنا مَغْفورَة، وَحَسَناتُنا مَشْكُورَة، وَسَيِّئاتِنا مَسْتورة، وَقُلوبَنا بِحُسْنِ القَوْلِ مَسْرورَة، وَأَرْزاقَنا مِنْ لَدُنْكَ بِاليُسْرِ مَدْرورَة... اللَّهُمَّ فَصَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَاْجْعَلِ اليَقينَ في قَلْبي وَالنُّورَ في بَصَري وَالنَّصيحَةَ في صَدْري، وَذِكْرَكَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهارِ عَلىٰ لِساني وَرِزْقاً واسعاً غَيْرَ مَمْنونٍ وَلا مَحْظورٍ فَارْزُقْني وَبارِكْ لي فيما رَزَقْتَني)[٢].

٢٣ ـ (وَقَدْ ناجاكَ بِعَزْمِ الإرادَةِ قَلْبي)[٣].

٢٤ ـ (اللَّهُمَّ صَلِّ عَلىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ وَاْعْمُرْ قَلْبي بِطاعَتِكَ وَلا تُخْزِني بِمَعْصِيَتِك)[٤].

٢٥ ـ (فَشَكَرْتُكَ بِإِدْخالي في كَرَمِكَ وَلِتَطْهيرِ قَلْبي مِنْ أَوْساخِ الغَفْلَةِ عَنْكَ... إلٰهي هَبْ لي قَلْباً يُدْنيهُ مِنْكَ شَوْقُهُ وَلِساناً يَرْفَعُ إِلَيْكَ صِدْقُهُ... إلٰهي هَبْ لِي كَمالَ

---

(١) مفاتيح الجنان : ٢٧٢.

(٢) المصدر : ٢٧٤.

(٣) المصدر : ٢٧٧.

(٤) المصدر : ٢٨٢.

الانْقِطاعِ إِلَيْكَ، وَأَنِرْ أَبْصارَ قُلوبِنا بِضِياءِ نَظَرِها إِلَيْكَ حَتَّىٰ تَخْرُقَ أَبْصارَ القُلوبِ حُجُبَ النُّورِ فَتَصِلُ إِلىٰ مَعْدَنِ العَظَمَةِ وَتَصيرُ أَرْواحُنا مُعَلَّقَةً بِعِزِّ قُدْسِكَ)(١).

٢٦ ـ (اللَّهُمَّ ارْزُقْني قَلْباً تَقِيّاً نَقِيّاً وَمِنَ الشِّرْكِ بَريئاً لا كافِراً وَلا شَقِيّاً)(٢).

٢٧ ـ (اللَّهُمَّ ما كانَ في قَلْبي مِنْ شَكٍّ أَوْ ريبَةٍ أَوْ جُحودٍ أَوْ قُنوطٍ أَوْ فَرَحٍ أَوْ بَذَخٍ أَوْ بَطَرٍ أَوْ خُيَلاءٍ أَوْ رِياءٍ أَوْ سُمْعَةٍ أَوْ شِقاقٍ أَوْ نِفاقٍ أَوْ كُفْرٍ أَوْ فُسوقٍ أَوْ عِصْيانٍ أَوْ عَظَمَةٍ أَوْ شَيْءٍ لا تُحِبُّ فَأَسْأَلُكَ يا رَبِّ أَنْ تُبَدِّلَني مَكانَهُ إِيماناً بِوَعْدِكَ وَوَفاءً بِعَهْدِكَ وَرِضاً بِقَضائِكَ وَزُهْداً في الدُّنْيا وَرَغْبَةً في ما عِنْدِكَ وَأَثَرَةً وَطُمَأْنينَةً وَتَوْبَةً نَصوحاً، أَسْأَلُكَ ذٰلِكَ يا رَبَّ العالَمين)(٣).

٢٨ ـ (رَبِّ أُناجيكَ بِقَلْبٍ قَدْ أَوْبَقَهُ جُرْمُهُ... إِنَّ قَوْماً آمَنوا بِأَلْسِنَتِهِمْ لِيَحْقِنوا بِهِ دِماءَهُمْ فَأَدْرَكوا ما أَمَّلوا وَإِنَّا آمَنَّا بِكَ بِأَلْسِنَتِنا وَقُلوبِنا لِتَعْفُو عَنَّا فَأَدْرِكْنا ما أَمَّلْنا وَثَبِّتْ رَجاءَكَ في صُدورِنا وَلا تُزِغْ قُلوبَنا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنا، وَهَبْ لَنا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الوَهَّابُ، فَوَعِزَّتِكَ لَوِ انْتَهَرْتَني ما بَرِحْتُ مِنْ بابِكَ وَلا كَفَفْتُ عَنْ تَمَلُّقِكَ لِما أُلْهِمَ قَلْبي يا سَيِّدي مِنْ مَعْرِفَةٍ بِكَرَمِكَ وَسِعَةِ رَحْمَتِكَ... إِلٰهي لَوْ أَمَرْتَ بي إِلىٰ النَّارِ وَحُلْتَ بي وَبَيْنَ الأَبْرارِ ما قَطَعْتُ رَجائي مِنْكَ وَما صَرَفْتُ تَأْميلي لِلْعَفْوِ عَنْكَ وَلا خَرَجَ حُبُّكَ مِنْ قَلْبي، أَنا لا أَنْسىٰ أَياديكَ عِنْدي... سَيِّدي أَخْرِجْ حُبَّ الدُّنْيا

---

(١) مفاتيح الجنان: ٢٨٦.

(٢) المصدر: ٣٠٥.

(٣) المصدر: ٣١٠.

مِنْ قَلْبي وَاجْمَعْ بَيْني وَبَيْنَ المُصْطَفىٰ وَآلِهِ... فَلَكَ الحَمْدُ عَلىٰ ما نَـقَّيْتَ مِـنَ الشِّرْكِ قَلْبي... يا مَوْلايَ بِذِكْرِكَ عاشَ قَلْبي وَبِمُناجاتِكَ بَرَّدْتَ أَلَمَ الخَوْفِ عَنِّي... وَأَقِرَّ عَيْني وَفَرِّحْ قَلْبي[1]... اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ أَنْ تَمْلأَ قَلْبي حُـبّاً لَكَ وَخَشْـيَةً مِـنْكَ وَتَـصْديقاً بِكِتابِكَ وَإِيْماناً بِكَ وَفَرَقاً مِنْكَ وَشَوْقاً إِلَيْكَ يا ذا الجَلالِ وَالإِكْرامِ... وَأَبْرِئْ قَلْبي مِنَ الرِّياءِ وَالشَّكِّ وَالسُّمْعَةِ فِي دينِكَ حَتَّىٰ يَكونَ عَمَلي خالِصاً لَكَ... وَأَعـوذُ بِكَ مِـنْ نَفْسٍ لا تَقْنَعُ وَبَطْنٍ لا يَشْبَعُ وَقَلْبٍ لا يَخْشَعُ وَدُعاءٍ لا يُسْمَعُ وَعَمَلٍ لا يَنْفَعُ... أَسْأَلُكَ إِيْماناً تُباشِرُ بِهِ قَلْبي وَيَقيناً حَتَّىٰ أَعْلَمَ أَنَّهُ لَنْ يُصيبَني إِلَّا ما كَتَبْتَ لي وَرَضِّني مِـنَ العَيْشِ بِما قَسَمْتَ لي يا أَرْحَمَ الرَّاحِمين)[2].

٢٩ ـ (اللَّهُمَّ طَهِّرْ قَلْبي مِنَ النِّفاقِ وَعَمَلي مِنَ الرِّياءِ وَلِسـاني مِـنَ الكَـذِبِ وَعَيْني مِنَ الخِيانَةِ، فَإِنَّكَ تَعْلَمُ خائِنَةَ الأَعْيُنِ وَما تُخْفي الصُّدورُ... اللَّهُمَّ صَلِّ عَـلىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ وَارْزُقْني اليَقينَ وَحُسْنَ الظَّنِّ بِكَ وَأَثْبِتْ رَجاءَكَ في قَلْبي وَاقْـطَعْ رَجائي عَمَّنْ سِواكَ حَتَّىٰ لا أَرْجو غَيْرَكَ وَلا أَثِقُ إِلَّا بِكَ... اللَّهُمَّ امْلأْ قَلْبي حُبّاً لَكَ وَخَشْيَةً مِنْكَ وَتَصْديقاً لَكَ وَإِيْماناً بِكَ...)[3].

٣٠ ـ (سُبْحانَ مَنْ يَعْلَمُ جَوارِحَ القُلوبِ)[4].

---

(١) الفرح لو كان من الله فهو جميل وحسن، وأمّا إذا كان للدنيا ومن الدنيا فقد ورد الذمّ فيه وأنّ المؤمن بشره في وجهه وحزنه في قلبه وأنّه دائم الحزن.

(٢) مفاتيح الجنان: ٣٥٨.

(٣) المصدر: ٣٦٣.

(٤) المصدر: ٣٦٤.

٣١ ـ (أنْ تَهَبَ لي يَقيناً تُباشِرُ بِهِ قَلْبي وَإيماناً لا يَشوبُهُ شَكٌّ وَرِضىً بِما قَسَمْتَ لي وَآتِني في الدُّنْيا حَسَنَةً وَفي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِني عَذابَ النّارِ)[١].

٣٢ ـ (اللّهُمَّ نَبِّهْني فيهِ لِبَرَكاتِ أسْحارِهِ وَنَوِّرْ فيهِ قَلْبي بِضِياءِ أنْوارِهِ وَخُذْ بِكُلِّ أعضائي إلى اتِّباعِ آثارِهِ بِنورِكَ يا مُنَوِّرَ قُلوبِ العارِفين)[٢].

٣٣ ـ (يا مُنْزِلَ السَّكينَةِ في قُلوبِ المُؤْمِنين).

٣٤ ـ (اللّهُمَّ اغْسِلْني فيهِ مِنَ الذُّنوبِ وَطَهِّرْني فيهِ مِنَ العُيوبِ وَامْتَحِنْ قَلْبي فيهِ بِتَقْوى القُلوبِ يا مُقيلَ عَثَراتِ المُذْنِبين)[٣].

٣٥ ـ (اللّهُمَّ غَشِّني فيهِ بِالرَّحْمَةِ وَارْزُقْني فيهِ التَّوْفيقَ وَالعِصْمَةَ وَطَهِّرْ قَلْبي مِنْ غَياهِبِ التُّهْمَةِ يا رَحيماً بِعِبادِهِ المُؤْمِنين)[٤].

٣٦ ـ (أنْزِلْ يَقينَكَ في صَدْري وَرَجاءَكَ في قَلْبي حَتّى لا أرْجو غَيْرَكَ)[٥].

---

(١) مفاتيح الجنان: ٢٧١.

(٢) المصدر: ٤٣٧.

(٣) المصدر: ٤٣٨.

(٤) المصدر: ٤٣٩.

(٥) المصدر: ٤٦٦.

٣٧ ـ (اللَّهُمَّ ٱجْعَل غِنايَ في نَفْسي وَاليَقينَ في قَلْبي وَالإِخْلاصَ في عَمَلي وَالنُّورَ في بَصَري وَالبَصيرَةَ في ديني)[١].

٣٨ ـ (أَنْتَ الذي أَشْرَقْتَ الأَنْوارَ في قُلوبِ أَوْلِيائِكَ حَتَّىٰ عَرَفوكَ وَوَحَّدوكَ وَأَنْتَ الَّذي أَزَلْتَ الأَغْيارَ عَنْ قُلوبِ أَحِبَّائِكَ حَتَّىٰ لَمْ يُحِبُّوا سَواكَ وَلَمْ يَلْجَأُوا إِلىٰ غَيْرِكَ)[٢].

٣٩ ـ (اللَّهُمَّ طَهِّرْنِي وَطَهِّرْ لِي قَلْبي وَٱشْرَحْ لي صَدْري وَأَجْرِ عَلىٰ لِساني مِدْحَتَكَ وَالثَّناءَ عَلَيْكَ فَإِنَّهُ لا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ)[٣].

٤٠ ـ (وَمَكِّنِ اليَقينَ في قَلْبي وَٱجْعَلْهُ أَوْثَقَ الأَشْياءِ في نَفْسي وَٱغْلِبْهُ عَلىٰ رَأْيي وَعَزْمي وَٱجْعَلِ الإِرْشادَ في عَمَلي وَالتَّسْليمَ لأَمْرِكَ مِهادي وَسَنَدي وَالرِّضا بِقَضائِكَ وَقَدَرِكَ أَقْصىٰ عَزْمي وَنِهايَتي وَأَبْعَدَ هَمِّي وَغايَتي حَتَّى لا أَتَّقي أَحَداً مِنْ خَلْقِكَ بِديني وَلا أَطْلُبْ بِهِ غَيْرَ آخِرَتي وَٱجْعَلْ خَيْرَ العَواقِبِ عاقِبَتي)[٤].

٤١ ـ في دعاء عالية المضامين في زيارة الأئمة المعصومين عليهم السلام : (وَتُثَبِّتَني

---

(١) مفاتيح الجنان : ٤٨٠.

(٢) المصدر : ٤٩٧.

(٣) المصدر : ٩٠٩.

(٤) المصدر : ١٠٧١.

عَلىٰ طاعَتِكَ وَطاعَةِ رَسولِكَ وَذُرّيَّتِهِ النُّجَباءِ السُّعَداءِ صَلَواتُكَ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ وَرَحْمَتِكَ وَسَلامِكَ وَبَرَكاتِكَ وَتُحْيِيني ما أَحْيَيْتَني عَلىٰ طاعَتِهِمْ وَتُميتَني إذا أَمَتَّني عَلىٰ طاعَتِهِمْ وَأَنْ لا تَمْحو مِنْ قَلْبي مَوَدَّتَهُمْ وَمَحَبَّتَهُمْ وَبُغْضَ أَعْدائِهِمْ وَمُرافَقَةَ أَوْلِيائِهِمْ وَبِرِّهِمْ... وَتَجْعَلَ دَمْعي غَزيراً في طاعَتِكَ وَعبْرَتي جارِيَةً في ما يُقَرِّبُني مِنْكَ وَقَلْبي عَطوفاً عَلىٰ أَوْلِيائِكَ وَتَصونَني في هٰذِهِ الدُّنْيا مِنَ العاهاتِ وَالآفاتِ وَالأَمْراضِ الشَّديدَةِ وَالأَسْقامِ المُزْمِنَةِ وَجَميعِ أَنْواعِ البَلاءِ وَالحَوادِثِ وَتَصْرِفَ قَلْبي عَنِ الحَرامِ وَتُبَغِّضْ إِلَيَّ مَعاصيكَ وَتُحَبِّبَ إِلَيَّ الحَلالَ وَتَفْتَحَ لي أَبْوابَهُ... وَتَجْعَلَني رَحيبَ الصَّدْرِ واسِعَ الحالِ حَسَنَ الخُلُقِ بَعيداً مِنَ البُخْلِ وَالمَنْعِ وَالنِّفاقِ وَالكَذِبِ وَالبُهْتِ وَقَوْلَ الزُّورِ وَتُرَسِّخَ في قَلْبي مَحَبَّةَ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ وَشيعَتَهُمْ)[1].

أجل هذا غيض من فيض الأدعية المأثورة عن النبيّ الأكرم محمّد ﷺ وعترته الأطهار عليهم السلام سائلاً المولى القدير أن يهب لنا قلباً كما يحبّ ويرضى ويسعدنا وذرّياتنا وإيّاكم وشيعة محمّد وآل محمّد عليهم السلام في الدارين، وآخر دعوانا أنّ الحمد لله ربّ العالمين.

---

(١) مفاتيح الجنان: ١٠٧٦.

الخاتمة

بعض بحوث القلب ومصادرها

لقد استخرجنا هذه البحوث ومصادرها لمن أراد التحقيق والزيادة من كتاب (موسوعة المواضيع في المصادر الإسلامية) الجزء الأوّل، الصفحة ٣٧٢ بقلم السيّد علي عاشور.

الموضوع	المصدر	الجزء	الصفحة
آيات القلب	القرآن الكريم	الملاحق	١٠٢
القلب الإنساني وحقيقته	شرح الكافي	١	٣٥٧ ـ ٥٠٥
حقيقة القلب	البحار	١	١٠٩ ـ ٩٧
حقيقة القلب	مرآة العقول	٩	٣٧٧
بيان في حقيقة القلب	البحار	٧٠	٣٨
بيان في حقيقة القلب	البحار	٧٥	٢٠٨
في أنّ حقيقة القلب خفيّة	البحار	٧٠	٣٤
باب القلب	البحار	٧٠	٢٧
باب القلب	ميزان الحكمة	٨	٢١٢

الموضوع	المصدر	الجزء	الصفحة
بيان القلب	مفاتيح الغيب		١٨٥ـ ١٩١
بيان القلب	مفاتيح الغيب		٤٩٥
القلب	نهج البلاغة	ح ٥٠	٤٧٧
القلب	نهج البلاغة	ح ١٠٨	٤٨٧
القلب	نهج البلاغة	كتاب ٣١	٣٩٣
باب رح عجائب القلب	المحجّة البيضاء	٥	٣
شرح عجائب القلب	الإحياء	٣	٥
فصل في أنّ القلب هو المخاطب والمعاقب	كتاب النفس والروح		٥١
أعجب ما في الإنسان قلبه	ميزان الحكمة	٨	٢١٧
صلة القلب في الدماغ	تفسير الميزان	٢	٢٢٤
معاني القلب	مرآة العقول	١	٥٤
معاني القلب	الإحياء	٣	٦
معاني القلب	مرآة العقول	٩	٣٧٩
معنى القلب	المحجّة البيضاء	٥	٤
معنى القلب	كتاب النفس والروح		٧٨
معنى القلب	الأسفار	٨	٣٢١
معنى القلب	مرآة العقول	١١	٢٥٠
معنى القلب في القرآن	مرآة العقول	٩	٣٨١
معنى القلب في القرآن	تفسير الميزان	٢	٢٢٣

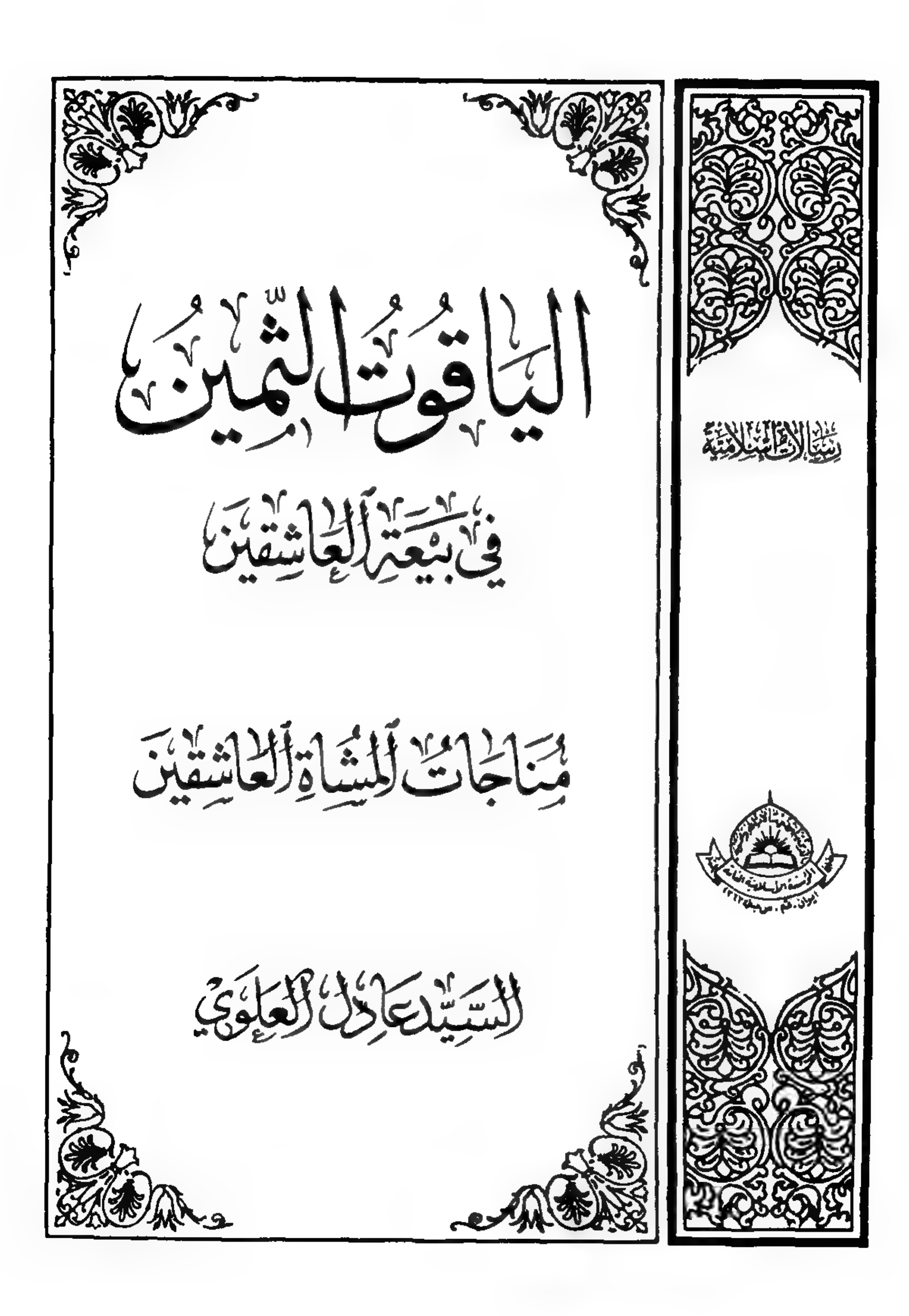
الموضوع	المصدر	الجزء	الصفحة
معنى القلب في القرآن	ميزان الحكمة	٨	٢١٣
أقسام القلوب الخمسة	سرح العيون		٧٦٦
أقسام القلوب الأربعة	الأربعون		٤٦٨
أقسام القلوب	مرآة العقول	١١	٢٧٨
أقسام القلوب العابدة لله	تفسير ملا	٥	٢٣٥
أقسام القلوب العابدة للشيطان	تفسير ملا	٥	٢٣٥
أقسام القلوب	مفاتيح الغيب		٥٣٤
أقسام القلوب	جامع السعادات	٣	٢٥٠
أقسام القلوب	تفسير ملا	٤	٣٦٨
أقسام القلب	الإحياء	٥	٢٢٢
أصناف القلوب	ميزان الحكمة	٨	٢١٩
أصناف القلوب	الإحياء	٣	٨
مراتب القلب والصدر	تفسير ملا	٤	٣٦٨
خواطر القلب	البحار	٧	٣٨
حالات القلوب	الأربعون		٤٧١
ظاهر القلب وباطنه	تفسير ملا	٤	٣٧١
الفرق بين القلب والعقل	شرح الفصوص		١٧٨
الفرق بين القلب والنفس والروح والعقل	البحار	٧٠	٣٥
الفرق بين القلب والنفس والروح والعقل	الإحياء	٣	٧

الموضوع	المصدر	الجزء	الصفحة
الفرق بين القلب والنفس والروح والعقل	مرآة العقول	٢	٢٦٦
الفرق بين القلب والنفس والروح والعقل	مرآة العقول	٩	٣٧٩
الفرق بين القلب والنفس والروح	تفسير الميزان	٢	٢٢٤
الفرق بين القلب والذهن	البحار	٧٥	٢٠٨
الفرق بين القلب والروح والعقل	المحجّة البيضاء	٥	٣ ـ ٢٦
عمل القلب	تفسير ملا	٧	٣٤٠
قلب المؤمن.	الأربعون		٤٧٥
القلب السليم	القلب السليم	١	١٢ ـ ٢٩
سلامة القلب	ميزان الحكمة	٨	٢٢١
صفة ذو القلب السليم	نهج البلاغة	خطبة ٢١٤	٣٣١
نور القلب	ميزان الحكمة	١٠	٢٣٤
نور القلب وظلمه	التوحيد (ص)		٤١٥
ما ينوّر القلب	ميزان الحكمة	٨	٢٤٨
تنوّر القلب بحقيقة الإيمان	ولاية الإنسان		١٢٦
باب نور القلب	ميزان الحكمة	١٠	٢٣٤
سبب نور القلب	الإحياء	٣	٢٩
عمى القلب	ميزان الحكمة	٨	٢٣٤
سبب ظلمة القلب	الإحياء	٣	٢٩
سبب ظلمة القلب	تفسير ملا	٥	١٤٢

الموضوع	المصدر	الجزء	الصفحة
حجاب القلب	ميزان الحكمة	٨	٢٣٥
حجاب القلب	التوحيد (م)		٣٧
باب قسوة القلب	مرآة العقول	١	٢٩٣
باب قسوة القلب	ميزان الحكمة	٨	٢٣٧
باب قسوة القلب	الوسائل	١١	٣٣٦
باب قسوة القلب	الكافي	٢	٣٢٩
قسوة القلب	القلب السليم	٢	١٣
قصّة في إزالة قسوة القلب	القلب السليم	٢	٧٢
مرض القلب	نهج البلاغة	ح ٣٨٨	٥٤٤
الخصال المميتة للقلوب	الإحياء	٣	٤٠
تجاذب القلب بين الشيطان والملك	البحار	٧٠	٣٩
تجاذب القلب بين الشيطان والملك	مرآة العقول	٩	٣٨٣
بيان تجاذب القلب بين الملك والشيطان	تفسير ملا	٥	٢٢١
كيفية التجاذب بين الملك والشيطان	تفسير ملا	٥	٢٢٩
تجاذب الشيطان والإلهام على القلب	الإحياء	٣	٢٩
أقسام القلوب في التجاذب	تفسير ملا	٥	٢٣٥
مداخل الشيطان على القلب	الإحياء	٣	٣٣
بيان تسلّط الشيطان على القلب	الإحياء	٣	٢٨
اختلاف قلوب الأولياء	شرح دعاء السحر		٤١

الموضوع	المصدر	الجزء	الصفحة
إكراه القلب على العبادة	نهج البلاغة	ح ١٩٣	٥٠٣
إكراه القلب على العبادة	نهج البلاغة	ح ٣١٢	٥٣٠
إكراه القلب على العبادة	نهج البلاغة	ح ١٩٧	٥٠٤
طريق تحصيل حضور القلب	الآداب المعنوية		٨٨
الترغيب على حضور القلب	الآداب المعنوية		٨٠
بيان في حضور القلب	الآداب المعنوية		٧١
حضور القلب	الأربعون		٣٨٥
حضور القلب	جامع السعادات	٣	٣٢٥
حضور القلب	المحجّة البيضاء	٢	٣٧٣
جنود القلب	الإحياء	٣	٨
باب سهو القلب	الكافي	٢	٤٢٠
باب سهو القلب	مرآة العقول	١١	٢٥٠
إصلاح القلب	المراقبات		٧
وجوه المشابهة بين القلب وعرش الرحمن	تفسير ملا	٦	٣٩

الفهرس


الياقوت الثمين
في بيعة العاشقين
مناجات المشاة العاشقين
السيد عادل العلوي
رسالات إسلامية

موسوعة

رسالات إسلامية

رسالة

الياقوت الثمين في بيعة العاشقين

تأليف ـ السيّد عادل العلوي

نشر ـ المؤسسة الإسلامية العامّة للتبليغ والإرشاد
الطبعة الأولى ـ ١٤٢٢ هـ = ٢٠٠١ م
التنضيد والإخراج الكومبيوتري ـ حكمت، قم
المطبعة ـ النهضة، قم
الكمية ـ ١٠٠٠ نسخة

شابك ١ ـ ٥١ ـ ٥٩١٥ ـ ٩٦٤
ISBN 964 - 5915 - 51 - 1

اى. اى. ان. ٩٧٨٩٦٤٥٩١٥٥١١
EAN 9789645915511

شابك X ـ ١٨ ـ ٥٩١٥ ـ ٩٦٤ (دوره ١٠٠ جلد)
964 - 5915 - 18 - X (100 - Vol. Set)

بسم الله الرحمن الرحيم

الياقوت الثمين في بيعة العاشقين[1]

الحمد لله الجميل ويحبّ الجمال، والصلاة والسلام على مرآة الكمال، سادة الخلق ذوي الجلال، محمّد المصطفى وآله الأطهار.

أمّا بعد:

فقد قال الله تعالى في محكم كتابه الكريم:

﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبّاً للهِ ﴾[2].

واعلم أنّ العشق لغةً بمعنى الزيادة في الحبّ والشدّة فيه، حتّى يعدّ من الإفراط في المودّة والمحبّة.

وكلمة (العشق) وإن كانت سهلة التلفّظ وخفيفة الحروف، فإنّها تتكّون من ثلاث أحرف وحسب، إلّا أنّها في مغزاها وجوهرها تحمل بين أضلاعها المثلّث من المعاني الثقيلة والمفاهيم السامية، والحقائق الرفيعة، والواقع الشامخ، ما يعجز القلم عن بيانه، ويكلّ اللسان عن تبيانه.

---

(١) مقدّمة لكتاب (بيعة العاشقين) بقلم الفاضل علي مجبل الساعدي دام عزّه.

(٢) البقرة: ١٦٥.

فإنّ من (عينها) تشعّ (عبقات الأنوار) ومن (شينها) يفوح (شذى الحبّ الإلهي) الطاهر، ومن (قافها) تطلع (قوافل العشق) مشاة تصهرهم الشمس وتلفعهم الأرياح، وتجرحهم شماتة العاذلين، في درب الأشواك والصخور، وبين الجبال والوديان، في البراري والصحاري... بُغية لقاء المعشوق، عسى أن يحضوا بنظرةٍ من عيونه القدسية، وبجذبةٍ من وجهه المشرق ومحيّاه الوضّاء...

أجل: العشق سماء بعيد تناولها، وبحار عميق أغوارها، وجبال صعب صعودها، وكتاب عظيم قُطره، وقلم كريم دواته...

العشق بسمات الشغف على شفاه الأيتام (أيتام آل محمّد) وأهازيج أمّهات الشهداء الأبرار في ساحات المعركة، ولوحات فنيّة رائعة رسمها فيّاض الوجود، ونغمات ساحرة لقيثارة الكون الوسيع.

فمن ذرّاته الملياردية وإلى مجرّاته المليونيّة تسمع (أنشودة العشق) ودعوة المعشوق.

ورد في الحديث القدسي قال الله سبحانه وتعالى: «لو علم العبد كيف اشتياقي إليه لمات شوقاً».

فالمعشوق الأوّل هو (الله) سبحانه يدعو خلقه إلى جماله ووصاله والفناء فيه، إذ العشق فناء العاشق في المعشوق...

العشق عنوان صحيفة الموالين، و (بيعة العاشقين) على مذبح الشهادة والفداء، وإنّه حلقة وصل بين العاشق الولهان وبين معشوقه السبحان...

العشق نفحات القدس في رياض المحبّين، وشميم الأُنس في جنّات العاشقين، ونسيم فراديس أسماء الله الحسنى وصفاته العليا...

ولغة العاشقين ومنطقهم يختلف جوهراً عن لغات الكائنات، فإنّ العاشق

يذوب في جمال معشوقه وجلاله وإرادته، ويتوحّد في إخلاصه ووده، ولا يرى في الدير ديّاراً إلّا هو...

حبّ الكمال والجمال :

ثمّ الإنسان بفطرته يحبّ الكمال والجمال، فإنّ حبّ الجمال من غرائزه الواعية، كما أنّ كلّ الكائنات في حركتها الجوهرية عاشقة لكمالها وجمالها، فإنّها في مسيرة تكامليّة، وإذا لم تصل إلى الكمال المنشود فيها، فإنّه بسبب العوائق والعوارض في مسيرها.

والتكامل الإنساني : إمّا أن يكون باعتبار مادّته وجسمه، فهو خارج عن حدود اختياره، أو يكون باعتبار روحه ونفسه، فيكون من التكامل النفسي والروحي، فهو داخل في إطار الاختيار والإرادة.

ولا يصحّ منه في سُنّة الحياة ونظام تكامل العالم أن يبقى ناقصاً، بل لا بدّ من الوصول إلى كماله فيستلزمه أن يكافح ما يعترضه في مسير حياته التكاملية في أبعاده الوجودية : الجسم والروح والعقل، حتّى يصل إلى الطهر والنور والرقيّ الفكري، وإلى قمّة الإنسانية السامية. ومن الواضح الثابت أنّ تزكية النفس وتهذيب الروح من عوامل الكمال، ولولا ذلك لكان الإنسان كالأنعام بل أضلّ سبيلاً.

والروح تعشق الكمال المعنوي، وهي التي وضعت سلسلة من القواعد الأخلاقية، لا حظّ للحيوانات فيها.

والبشريّة اليوم في عيشته المادّية والروحية، الفردية والاجتماعية، يفقد النظام والتوازن الدقيق، فهو في إفراط أو تفريط.

ومن الواضح أنّ الإنسان ليس بعاصٍ جانٍ بالفطرة، بل موجود يتقبّل النصيحة والموعظة، وبإرادته يكفّ نفسه عن الشرّ، وبهذا يعرف أهميّة الأخلاق وحضور علماء الإصلاح في المجتمعات البشرية. فأهمّ وأقوم وظيفة للإنسان هي التربية والتعليم، ولو كان الإنسان في ذاته قد خلق شرّيراً وشيطاناً لكان سعي العلماء باطلاً، ولكانت المساعي التربويّة تذهب سُدىً وتكون بلا ثمر... ثمّ كيف يمكن للنبيّ الأعظم محمّد ﷺ أن يحدث ثورة إصلاحية وأخلاقية في جزيرة العرب في تلك الأيّام أيام الجاهلية الجهلاء.

إنّ القرآن الكريم يرسم للإنسان مسار خطاه إلى التكامل بقوله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحاً فَمُلاقِيهِ ﴾[1].

و ﴿ أَنَّ إِلَى رَبِّكَ المُنْتَهَى ﴾[2].

وذلك في مدرسة الأنبياء الإلهيين ومن يحذو حذوهم من العلماء الصالحين. فإنّهم من أجل إصلاح الناس يحملون لهم من منبع الوحي والإلهام من برامج السعادة والكمال. فإنّه إن لم يكن الإنسان تحت برامج تربوية لضاع، ولتغلّبت عليه القوى الشهوانية الهالكة، وأعمال الإنسان إمّا صالحة أو طالحة، فإمّا أن يثاب عليها أو يعاقب:

﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ۞ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴾[3].

فللإنسان قوّة التمييز بين الخير والشرّ، وهي المعجون الأوّل واللبنة الأُولى

---

(١) الانشقاق: ٦.

(٢) النجم: ٤٢.

(٣) الشمس: ٩ ـ ١٠.

لصرح الأخلاق والحياة الطيّبة، فإنّه يتقبّل الإصلاح والإرشاد حتّى الجناة من الناس، فلا يوجد في البشر إنسان شرّير بالذات كما ذكرنا، بل يوجد أُناس مرضى النفوس من خلال التلوّث بالبيئة والمحيط، فأمل الإصلاح والنظرة الرحيمة لهؤلاء المرضى ممّا يساعد على هدايتهم وإرشادهم.

قال رسول الله ﷺ:

«كلّ مولود يولد على الفطرة حتّى يكون أبواه يهوّدانه أو ينصّرانه».

قال أمير المؤمنين عليه السلام في وصيّته لولده الحسن عليه السلام:

«وإنّما قلب الحدث كالأرض الخالية ما أُلقي فيها من شيء قبلته، فبادرتك بالأدب قبل أن يقسو قلبك ويشتغل لُبّك».

وحبّ الإيمان والأخلاق مستودع في ضمير الإنسان، كما أنّ كراهية الكفر والفسوق والعصيان كذلك، فإنّ الله لم يخلق طينة الإنسان مختمراً بالتوحيد وحسب، بل زيّن قلوب البشر بحبّ الخير والإصلاح، وكرّه إليهم الكفر مستودعاً ذلك في فطرتهم:

﴿ وَلَكِنَّ اللهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الكُفْرَ وَالفُسُوقَ وَالعِصْيَانَ ﴾[1].

فالطفل لا يولد شرّيراً، بل يحافظ على عصمته الأُولى إلى أيام المراهقة والشباب، إلّا أنّ الفساد الأُسروي أو الاجتماعي العارض يوقعه في الهاوية والهلاك.

فلا بدّ من التربية والإصلاح حتّى تكون الحياة الطيّبة، والفضيلة هي الحدّ

---

(١) الحجرات: ٧.

الوسط بين رذيلتين: إحداهما الإفراط، والآخر التفريط، فهي الحدّ الوسط في الأفعال والانفعالات، ولهذا لا يكون الإصلاح أمراً سهلاً، فإنّ معرفة الحدّ الوسط في كلّ شيء أمر صعب وشائك، كما أنّ معرفة مركز الدائرة كذلك، ودرك الحدّ الوسط إنّما يتمّ بالابتعاد عن الإفراط والتفريط، فابتعدوا بالسفينة عن المستنقعات ذات الزبد والوغف.

ثمّ لا بدّ للإنسان الكامل من قيود الإنسانية، وهي العقيدة الصحيحة والأخلاق الحسنة والمكارم والفضائل الطيّبة، وأمّا قيود الحيوان فهي الغرائز والشهوات غير المتناهية، فالإنسان بين قيدين أو حرّيتين: حرّية إنسانية وحرّية حيوانية.

وللعادات دور أساسي في تقدّم الإنسان وتكامله، أو انحرافه وانحطاطه، وكما يقال: الخير عادة، والشرّ عادة، والتفكير في مقابلة أيّة عادة هو جهاد مثمر وفعّال، يوسّع في دائرة بصيرة الإنسان وعامل مهمّ في تقوية الإرادة. وإنّ كثيراً ممّن تركوا طريق الهداية والرشاد إلى سُبل الضلال، إنّما هو لمسامحتهم في التفكير وعدم دقّتهم في ذلك، وبهذا يقال: تفكّر ساعة خيرٌ من عبادة سبعين سنة.

وعند بزوغ شمس الإسلام قد قُضي على العادات الجاهلية الضارّة التي كانت سبباً لضياع أُمّة وسقوطها في الهاوية، وأبدلها بالعقل والوجدان وتربية النفس وتهذيبها بالأخلاق الحميدة بالبرهان والشهود، فبنى مجتمعاً سعيداً يسوده العلم والمعرفة والتقدّم والازدهار، فأبدل العادات السيّئة إلى عادات حسنة.

قال أمير المؤمنين عليّ عليه السلام:

غالبوا أنفسكم على ترك المعاصي، يسهّل لكم مغادرتها إلى الطاعات[١].

وقال عليه السلام:

غالبوا أنفسكم على ترك العادات، وجاهدوا أهواءكم تملكوها.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

مروا صبيانكم بالصلاة إذا بلغوا سبعاً.

وكان الإمام السجّاد عليه السلام يقول وهو ينصح أبناءه:

اتّقوا الكذب الصغير منه والكبير في كلّ جدٍّ وهزل، فإنّ الرجل إذا كذب في الصغير اجترأ على الكبير[٢].

والإنسان بطبيعته قد زرع الله في وجوده بذور ميول مختلفة وهي غرائزه، وبها لا يمكن أن يصل إلى سعادته، بل بإمكانه أن يصل بها إلى كماله الحيواني بحسب الوديعة التكوينيّة، فلمّا شرف الإنسان على الحيوان ألهمه العقل، ليعرف سبيل سعادته فيخطو في طريقها بخطوات ثابتة وناجحة حتّى يصل إلى كماله اللائق به، وباعتبار غرائزه وعقله، دار نزاع في وجوده بين الأهواء والعقل، والسعيد من جعل زمام أهوائه بيد العقل، فالإنسان بين الميول الغريزية وطغيانها وانحرافاتها وإفراطها، وبين نورانية العقل وحكومته العادلة والمستقيمة.

فالعقل من أكبر النعم الإلهية التي وهبها الله سبحانه للإنسان، فجعله أشرف

---

(١) غرر الحكم: ٥٠٨.

(٢) وسائل الشيعة ٣: ٢٣٢.

مخلوق، ومرفوع الرأس.

قال أمير المؤمنين عليه السلام:

أفضل حظّ الرجل عقله، إنّ ذلّ أعزّه، وإن سقط رفعه، وإن ضلّ أرشده، وإن تكلّم سدّده.

وكان العقل هو الحجّة الباطنة كما ورد في الحديث الكاظمي عليه السلام:

إنّ لله على الناس حجّتين: حجّة ظاهرة وحجّة باطنة، فأمّا الظاهرة، فالرسل والأنبياء والأئمة، وأمّا الباطنة فالعقول.

ولمّا كانت العقول متفاوتة، فإنّ المسؤوليات متفاوتة، كما أنّ الثواب والعقاب يكون متفاوتاً، وكلّ يحاسب على قدر عقله، ويكلّف بمقدار طاقته، وهذا من العدل الإلهي.

قال الإمام الباقر عليه السلام:

إنّما يداق الله العباد في الحساب يوم القيامة على قدر ما آتاهم من العقول في الدنيا.

والإسلام له الإلمام التامّ بقيمة العقل وقدره وميدان عمله وحكومته، وبهذا اعتنى بتربية العقل غاية العناية، فلا يرضى له إلّا العلم واليقين، وينكر منه الظنّ والوهم والجهل.

وأسمى فضيلة للعقل هو معرفة الباري عزّ وجلّ، وذلك من خلال الفكر والتأمّل والتدبّر في آيات الله.

وربما العقل يكدّر صفوه ويقلّ نوره إذا غلبته الأهواء، فإنّ العقل مقصوده ضبط الأهواء والميول والغرائز الحيوانية، ولكن ربما تغلب الشهوة على العقل،

فتطفئ نوره فيتخبّط الإنسان ويتيه ويعيش في ظلام الجهل واتباع الملاذّ والشهوات والهوى، فيكون في أسفل السافلين، بعد أن قدّر له أن يكون في أعلى عليّين في عداد الملائكة. بل عند مليك مقتدر في مقعد صدقٍ، أحياءٌ عند ربّهم يرزقون، فرحين بما آتاهم الله من فضله.

﴿ فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدىً مِنَ اللهِ إِنَّ اللهَ لا يَهْدِي القَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾[1].

﴿ بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾[2].

﴿ وَلَوِ اتَّبَعَ الحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ ﴾[3].

﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللهُ عَلَى عِلْمٍ ﴾[4].

والاستيلاء على الأهواء من الأمور الصعبة جدّاً، فلا سبيل لنا إلّا المجاهدة، وهو الجهاد الأكبر:

﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾[5].

﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الهَوَى ۝ فَإِنَّ الجَنَّةَ هِيَ المَأْوَى ﴾[6].

---

(١) القصص: ٥٥.

(٢) الروم: ٢٩.

(٣) المؤمنون: ٧١.

(٤) الجاثية: ٢٣.

(٥) العنكبوت: ٦٩.

(٦) النازعات: ٤٠ ـ ٤١.

وخوف الله ثمرة العلم:

﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾[١].

والضمير الأخلاقي[٢] ليس الغرائز المكبوتة كما عند (فرويد)، بل عامل مهمّ في تعديل الغرائز النفسانية، وأرضية مستعدّة للتهذيب ولتنوير العقول. فليس الإنسان مجموعة من الغرائز والميول وحسب، بل هو جسم وروح وعقل، أو قل هو قلب وعقل، وبهما يصل إلى الكمال المطلق والجمال المطلق.

فهدف الإنسان هو الكمال، وأرضية الكمال هو الفطرة السليمة، وأسباب الكمال هو العقل والقلب، وطريق العقل هو الفكر، وطريق القلب هو الذكر، وتعليمهما وتربيتهما بالأخلاق الطيّبة والفضائل والمكارم والعلوم والفنون.

إنّ لإرادة الخير واجتناب السوء والشرّ في كيان الإنسان جذوراً فطريةً، وإنّها قد أودع الله في باطن كلّ إنسان كرأسمال لسعادته، وإنّها المعجون الأوّل لعلم الأخلاق وهو الإلهام الإلهي الذي ألقاه في النفس:

﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۝ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۝ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ۝ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴾[٣].

فكلّ واحد يجد في نفسه أنّ له مرشداً وهادياً إلى الحقّ وإلى الأخلاق الفاضلة، وأنّه يميّز بين الخير والشرّ، فلا يحتاج إلى كتب أخلاقية معقّدة أو فلسفية

---

(١) فاطر: ٢٨

(٢) أي الوجدان أو النفس اللوّامة.

(٣) الشمس: ٧ ـ ١٠.

غامضة، بل يكفي أن يرجع إلى فطرته وقلبه السليم.

والإنسان إنّما تعلّم التمييز بين الخير والشرّ، بين الفجور والتقوى في مدرسة الخلقة ومنذ البداية واليوم الأوّل، وذلك من خلال الوجدان والضمير الأخلاقي، فليس وليد التربية والتعليم. يكفيك شاهداً قوله تعالى:

﴿ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ ۝ وَلِسَاناً وَشَفَتَيْنِ ۝ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴾[١].

فالضمير الواعي هو معلّم القلب في الأخلاق، وهو يعلّم الإنسان السلوك الصحيح والحياة العفيفة:

﴿ لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ القِيَامَةِ ۝ وَلا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ﴾[٢].

فإنّها قيامة صغرى تضاهي القيامة الكبرى فقرن الله بينهما. فالضمير اليقظ والأخلاقي هو الصمّام أمام الذنوب والمعاصي والانحرافات وغلبة الأهواء والميول والغرائز.

والإسلام أولى عناية خاصّة بالضمير الأخلاقي ودوره في الفرد والمجتمع، وإنّ البون بين من له ضمير أخلاقي ومن ليس له ذلك كالبون بين السماء والأرض، والمجتمع إنّما ينال العدالة الاجتماعية فيما إذا كان الناس فيه يخضعون لعامل باطني فيهم، يُشرف على أعمالهم، ويقضي فيها بحكمه فيطيعونه. فالإنسان الفائز يحتاج إلى العقل والضمير، ورصيدهما إنّما هو الإيمان والتقوى، فالإيمان صديق العقل، والهوى عدوّه.

---

(١) البلد: ٨ ـ ١٠.

(٢) القيامة: ١ ـ ٢.

وقد خلق الله الإنسان مخيّراً، وهداه النجدين، فإمّا شاكراً وإمّا كفوراً، إلّا أنّ أكثر الناس تجدهم غير شاكرين، فقليل من عباد الله الشكور، وأكثرهم لا يعقلون، وإنّهم للحقّ كارهين. فيتّبعون أهواءهم:

﴿ لَهُمْ قُلُوبٌ لا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لا يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمُ الغَافِلُونَ ﴾[١].

زبدة الكلام:

إنّ الهدف وسرّ الخليقة وفلسفة الحياة هو تكامل الإنسان، وكماله إنّما يكون بوصوله إلى الله سبحانه، وأن يكون خليفته في الأرض، بأن يكون مظهراً لأسمائه وصفاته، وقد جعل الله لكماله أدوات تقف عليها من خلال التخطيط الآتي:

---

(١) الأعراف: ١٧٩.



وحياة العقل بالفكر وحياة القلب بالذكر. وبهما يصل الإنسان إلى كماله وجماله، وينال السعادة الأبدية، دخول الجنّة ونعيمها، ثمّ للإنسان أبعاد ثلاث لا بدّ من تربيتها سويةً، كلٌّ في عرض الآخر، وهي :

أبعاد الإنسان
الجسم
الروح
العقل

والإسلام دين الكمال والجمال :

﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإسْلامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾[1].

---

(١) آل عمران : ٨٥

أُنشودة الحياة

العشق أُنشودة الحياة، وسيبقى نشيد العشّاق خالداً بخلود الزمان، ويطرب الكلّ على نغمات الحبّ والعشق، تجذبهم نسمات الجوى إلى وادي الهيام والفناء في جمال المعشوق، ولا يمكن لأحد أن ينكر آثار الحبّ والهوى، فأجمل الأشعار والأناشيد، وأبدع الصور والتماثيل، وأروع الحوادث والقصص، وحتّى الوقائع السياسية والفتوحات العسكرية إنّما هي نتائج الحبّ والعشق.

ثمّ للعشق وجوه متفاوتة ومختلفة، بدايتها العشق الجنسي بين الأُنثى والمذكّر، فهناك جذبة باطنية تنتهي بمعانقتهما ومغازلتهما، ليبقى النوع بتوالدهما، وهذا العشق سارٍ في النباتات والحيوانات والإنسان، وفي عالم الحيوان ربما ينتهي العشق الجنسي إلى سفك الدم والقتل من أجل الوصول إلى المعشوقة، وربما البلابل تصدح وتغرّد يعشق الزهور والورود في أيام الربيع.

ثمّ يتقدّس العشق الجنسي بعشق الأُمّ لأولادها، ويزداد طهارةً ونزاهة عندما يكون المعشوق نزيهاً وجميلاً، فينتهي العشق إلى العشق الحقيقي وهو حبّ الله جلّ جلاله، ويكون الإنسان الكريم خليل الله وحبيبه، كشيخ الأُنبياء إبراهيم وخاتمهم محمّد ﷺ، فكان إبراهيم الخليل عليه السلام حنيفاً طالباً للحقّ مسلماً لله سبحانه، وفي مقام الحبّ والعشق والعبادة لم يشرك بالله أحداً، فإنّ العاشق يكون موحّداً لا يرى إلّا وجه المعشوق وخياله وجماله.

وفي القرآن الكريم وإن لم يرد كلمة العشق، وذلك ربما لعدم أُنس العرب

آنذاك بهذه الكلمة، إلّا أنّه ورد كلمة الحبّ والشوق والشغف، وهي مرادفات العشق فيحبّون الله، والذين آمنوا أشدّ حبّاً لله، يبتغون وجه الله، فهم أولياء الله، والولاية تعني نهاية الحبّ والفناء في المحبوب، والإيمان عمل القلب وإنّه يعني الحبّ لله، وأنّ الله يغفر الذنوب جميعاً إلّا ما أُشرك به، فإنّه لا يرضى لنفسه أن يكون له شريكاً، بل يريد أن يكون هو المعشوق الأوّل والأخير للإنسان الذي جعله خليفته في الأرض، وعلّمه الأسماء كلّها، فمن يرجو لقاء ربّه فليعمل عملاً صالحاً، ولا يشرك بعبادة ربّه أحداً، وقد ثبت أنّ شرط قبول الأعمال ولاية أهل البيت عليهم السلام وهل الولاية إلّا الحبّ، وهل الدين إلّا الحبّ والبغض، الحبّ لله وأوليائه والبغض لأعدائه وأعدائهم، وما أكثر المناجاة والأدعية التي تشير إلى الحبّ والعشق:

«اللهمّ إنّي أسألك أن تملأ قلبي حبّاً لك».

«وحبّب إليّ لقاءك».

«يا غايتي في رغبتي».

«واجعل قلبي بحبّك متيّماً».

وسرّ العشق في المخلوقات هو الفقر الذاتي والاحتياج المكمون في حقيقتهم، فالعشق سير من الفقر إلى الغنى، ومن العدم إلى الوجود، ومن النقص إلى الكمال، ومن القبيح إلى الجميل. والعشق بحر موّاج متلاطم، بعيد الأطراف عميق الغور، لا ساحل له.

وما دام الفقر والاحتياج فإنّه تكون الحركة والحياة، ورأس المال في الحركة هو الرجاء والأمل في الحياة، فيبذل الإنسان ما بوسعه، ويسلك الطريق

الوعر وذات الأشواك بكلّ شوق وعشق حتّى يصل إلى محبوبه ومعشوقه، فالعشق يعني الحرارة والعمل، ونتيجتهما الحركة نحو المعشوق، وهذه الحركة في كلّ الخلق من ذرّاته وحركة الألكترون حول البروتون، وإلى المجرّات والمنظومة الشمسية، وحركة الكواكب السيّارة حول الشمس، وإلى حركة الإنسان من عشقه الجنسي، وإلى عشقه العرفاني.

وكلّ ما يقال في العشق من الوصف، فإنّما هو نسيم من حدائقه الناظرة، وبساتينه الفيّاحة.

وقبلة العشّاق جمال المعشوق، وصلاتهم نحو الجمال، فيفنى العاشق في إرادة المعشوق، لا أن يحلّ فيه أو يتّحد معه، وما يقال في هذا الباب إنّما هو تسامحٌ في التعبير، ومن ضيق العبارات، بل بمعنى أنّ العاشق يكون وجهاً للمعشوق، ومرآةً لجماله، فيمكن أن نرى المعشوق من خلال عاشقه، لما يحمل العاشق من أوصاف معشوقه، وبهذا كان الأنبياء والأوصياء هم وجه الله سبحانه وتعالى.

منازل العشق

ثمّ ممّا يلوح في الأدب العالمي كثيراً، ولا سيّما في الأدب الفارسي، حديثهم عن العشق وجذباته وسكره وجذواته، وأنّ للعشق مدائن سبعة: أوّلها الطلب، ثمّ العشق، ثمّ المعرفة، ثمّ الاستغناء، ثمّ التوحيد، ثمّ الحيرة، ثمّ الفناء. وبه يصل العاشق إلى مقام الجذبة والاطمئنان والتوحّد، وأنّ العبوديّة جوهرة كنهها الربوبيّة.

والعشق نار يحرق كلّ ما سوى المعشوق، وإنّه بحكم الماء، يُرى الألوان فيه ولا لون له، والعقل ما يدرك به الأشياء ويعرف به حدودها وماهيّاتها فيتقيّد، وإن تجاوز القيد فإنّه يدخل في اللامتناهي فيكون العقل عاشقاً، والعاشق عقلاً، فالعقل قبل عشقه كالشمع يضيء أمام الأقدام، وبعد عشقه يكون كالشمس يضيء العالم، فالعشق هو الرتبة العالية والمرتبة السامية للعقل، بل هو قمّة العقل وذروته، وإذا قيل: الحب يعمي ويصمّ، فإنّه يعني يعمي عن رؤية غير المعشوق، ويصمّ عن كلام غير المعشوق، فلا يرى إلّا معشوقه، فيصل بالعشق إلى مقام التوحيد، ثمّ الفناء، فلا إله إلّا الله عزّ وجلّ، وحينئذٍ ينظر بنور الله، ويسمع بنور الله، ويكون سبحانه بصره الذي يبصر به، وسمعه الذي يسمع به، فكيف الحبّ يعمي ويصمّ؟! وبالعشق يصل الإنسان إلى بحار المعارف ومدائن المعرفة، ويدخل شوارعها وأزقّتها وبساتينها ودورها. باحثاً عن الحقّ والحقيقة:

﴿ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِي لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفاً وَمَا أَنَا مِنَ

المُشْرِكِينَ ﴾[١].

فيستغني العاشق بغنى معشوقه:

﴿ لِمَنِ المُلْكُ اليَوْمَ للهِ الوَاحِدِ القَهَّارِ ﴾[٢].

فيصل إلى مقام التوحيد، وأنّه ليس في الدير ديّار إلّا هو، وأنّه يستحقّ العشق والعبادة، فيصل من الكثرة إلى الوحدة:

﴿ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللهِ ﴾[٣].

فيصل إلى وادي الدهشة والحيرة، ومن عرف الله كَلّ لسانه، وعيّ بيانه، فيفنى في محبوبه، فيكون مرآة جماله، فيا ليت قومي يعلمون.

---

(١) الأنعام: ٧٩.

(٢) المؤمن: ١٦.

(٣) النساء: ٧٨.

الوحدة والتكثّر

كلّ ما في الوجود من الموجودات المتكثّرة قد تنتهي إلى الوحدة، وإنّ مقام الوحدة هو مقام الجمال، وذكره (الحمد لله)، كما أنّ مقام الكثرة مقام الجلال، وذكره (سبحان الله)، والأوّل هو الحقّ، والثاني هو الخلق، فمن الحقّ إلى الخلق، ومن الخلق إلى الحقّ، وكلّه بالحقّ.

ثمّ إنّ أصناف الموجودات مع تكثّرها تنقسم إلى قسمين: الروحاني والجسماني، ويعبّر عنهما بالدنيا والآخرة، والملك والملكوت، والغيب والشهود، والخلق والأمر، والصورة والمعنى، وغير ذلك.

والروحاني ما لا يدرك بالحواسّ الخمسة الظاهرية من السمع والبصر والذائقة والشامّة واللّامسة، كما لا حيّز له، ولا يقبل القسمة والتجزّي، بخلاف الجسماني.

وكلّ واحد منهما ينقسم إلى عوالم علويّة وعوالم سفليّة، والعِلويّات نورانية لطيفة، والسفليات ظلمانية كثيفة، فتركّبت المخلوقات بعضها من بعض:

﴿ سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الأَزْوَاجَ كُلَّهَا ﴾[١].

فظهرت المتكثّرات بما لا يعدّ ولا يحصى:

﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ﴾[٢].

---

(١) يس: ٣٦.

(٢) المدّثّر: ٣١

﴿ فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾(١).

ومن زواج العلوّ الروحاني والعلوّ الجسماني، تولّدت السماوات والملائكة، وعُبّر عن النوعين بيومين، كما قوله تعالى:

﴿ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ ﴾(٢).

ومن الزواج الأسفل الروحاني مع الأسفل الجسماني، تولّدت أنواع أربعة: مركّبات العناصر والنباتات والحيوانات والإنسان، وعُبِّر عنها بأربعة أيام في قوله تعالى:

﴿ فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ ﴾(٣).

فخلق كلّ ما في السماوات والأرضين وما بينهما في ستّة أنواع:

﴿ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ﴾(٤).

وما تعلّق بالأسفل الروحاني بمركّبات العناصر، سُمّي بالنفس النامية، وهي في النباتات، وما تعلّق من الروحاني في النباتات تولّد منه الحيوانات، وتولّد من النفس الحيوانية الإنسان، فالإنسان فيه روح نباتية، وهي الحياة النامية، وفيه الروح الحيوانية، وهي الحيوان الحسّاس المتحرّك بالإرادة، وفيه النفس الناطقة والروح الإنسانية، وإنّه يدرك الكلّيات بقوّة درّاكة وبعقله الذي امتاز به عن العجماوات، فكان الإنسان قاب قوسين أو أدنى في أعلى علّيين، ثمّ مرّ بكلّ

---

(١) يس ٨٣.

(٢) فصّلت: ١٢.

(٣) فصّلت: ١٠.

(٤) الفرقان: ٥٩.

العوالم المُلكية والملكوتية، حتّى وصل إلى أسفل السافلين، وجعل الله فيه الاختيار، فإمّا شاكراً بصعوده إلى كماله الأوّل قاب قوسين أو أدنى، عند مليكٍ مقتدر، في مقعد صدق، وإمّا في النار وفي أسفل السافلين كالأنعام بل أضلّ سبيلاً:

﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الإنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴾[1].

وذلك باختياره الكفر والضلال والعمى، فالإنسان حمل الأمانة الإلهية التي لم تحملها السماوات والأرض، فاختصّ بكمال ليس في خلق الله، إذ جعله خليفته في الأرض، لتتجلّى أسماء الله وصفاته فيه، فيكون مظهراً لجماله وجلاله سبحانه:

﴿ ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ ﴾[2].

﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾[3].

وإذا أراد الله بعبدٍ خيراً استعمله، بأن يوفّقه للعمل الصالح، والعمل الصالح يرفعه، ويرتفع العلّة الفاعلة برفعة المعلول، فيترفّع الإنسان بعمله الصالح إلى ربّه الكريم.

وقد خلق الله الأشياء من أجله، كما خلقه من أجله جلّ جلاله. فمن التكثّر يصل الإنسان إلى مقام الوحدة والفناء فيه، فلا يريد إلّا ما أراده الله سبحانه، فيكون رضاه في رضاه، وغضبه في غضبه.

---

(١) التين: ٤ ـ ٥.

(٢) المائده: ٥٤.

(٣) العنكبوت: ٦٩

متعلّقات الحبّ والعشق

الرغبة والحبّ، هو الميل القلبي والباطني نحو المحبوب والمرغوب، ويقابلهما البغض والكراهة.

والحبّ في الإنسان تابع للقوّة الدرّاكة فيه، وإدراكه باعتبار حواسّه الظاهرية والباطنية وقوّته العاقلة، فيكون محبوبه حينئذٍ باعتبار ما يتلاءم مع نفسه، وأنّه تارةً باعتبار جسده، فيتولّد منه الحبّ الحسّي والجسدي، كحبّ النساء في إشباع الغريزة الجنسية، وأُخرى باعتبار ملاءمته للروح، فيتولّد منه الحبّ الروحي كحبّ العلم والفن.

فمدركات الإنسان الملائمة له تكون في الواقع هي أنواع محبوبيّته، وإن أفرط في الحبّ وازداد حبّاً، فإنّه يصل إلى درجة العشق، فتكون المحبوبات معشوقاته، وأقوى المدركات هي مدركات العقل، فألذّ اللذائذ هي الإدراكات العقلية عند أهله، وكلّما ازداد العقل وذلك بالعلم ولقاح المعرفة، ازداد الحبّ، حتّى يصل إلى درجة العشق، وذلك عندما يدرك الإنسان جمال الشيء وحقيقته.

والجمال إمّا أن يكون باطنياً أو يكون ظاهرياً، فينقسم حينئذٍ إلى جمال ظاهري، وجمال باطني.

فمن الجمال الحسّي والظاهري الطيب والنساء، ومن الجمال الباطني والروحي الصلاة.

وقد ورد في الحديث النبويّ الشريف :

أُحبّ من دنياكم ثلاث : الطيب، والنساء، وقرّة عيني الصلاة.

وهذا يعني ما كان مقدّمة لقرّة العين وهي الصلاة، وهي الجمال الباطني، فإنّه يكون من الحبّ الممدوح، فينقسم الحبّ باعتبار متعلّقاته إلى الحبّ الممدوح والحبّ المذموم، كما ينقسم باعتبار مبادئه إلى أقسام، كحبّ النفس وحبّ الغير، وحبّ الإحسان والخير، ثمّ الحبّ كلّي تشكيكي قابل للشدّة والضعف، والزيادة والنقصان، فله مراتب طولية وعرضيّة.

ومن أجمل مصاديق الحبّ والعشق : هو حبّ الله، وحبّ رسوله وأنبيائه وأوليائه، وحبّ العقائد السليمة والصحيحة، والأخلاق الممدوحة.

ومن أقسام الحبّ ما يتمّ فيه المشاركة، كحبّ الصبي للصبي، والتاجر للتاجر، باعتبار المشاركة في الوصف الظاهري من الصباوة والتجارة وما شابه ذلك، وكلّما كان السبب أقوى كان الحبّ أشدّ وأقوى، حتّى يصل إلى درجة العشق، كما ذكرنا ذلك تكراراً لزيادة التقرير.

وللإنسان غرائز عديدة، من أهمّها (غريزة الحبّ)، وكلّ موجود في حركته الجوهرية ـ كما عند صدر المتألهين ـ فيه قوّة الحبّ، وإنّه عاشق لكماله المودوع في جبلته ووجوده، فكلّ شيء يَسبحُ ويُسَبِّح بحمد ربّه، ويتحرّك نحو كماله بدرك جمال المحبوب والمعشوق، وكمال المحبوب والمعشوق هو الله سبحانه.

ثمّ يتولّد من الحبّ الشوق، ومن الشوق الوصال، ومنه الأُنس، ثمّ الفناء في المحبوب والمعشوق، وهو كمال الحبّ والعشق.

وقيل : الغريزة الجنسية بين الزوجين هي العشق الحيواني ، وهي الشهوة الجنسية التي في الحيوانات أيضاً ، ولكن في منطق القرآن الكريم إنّما العشق بين الزوجين عبارة عن المودّة والرحمة الإلهيّة :

﴿ وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾[1].

وهو العشق الإنساني.

وأساس العشق هو حبّ الكمال ، وكلّ ممكن فيه الوجود ، فباعتبار وجوده ، يكون محبّاً وعاشقاً ليصل إلى كماله . وهو إمّا أن يكون طبيعياً ، كعشق الحجر الساقط ليصل إلى مكانه الطبيعي ، أو اختيارياً كعشق الإنسان لغيره .

مراتب الحبّ :

ثمّ للحبّ مراتب :

أوّلها : الهوى ، وهو الميل الباطني نحو المحبوب .

ثانيها : العلاقة ، وهو الحبّ الملازم للقلب ولا ينفكّ عنه .

ثالثها : الكلَف ، وهو شدّة الحبّ .

رابعها : العشق ، ما يزيد على الحبّ .

خامسها : الشعف (بعين مهملة) ، وهو إحراق القلب بزيادة الحبّ .

سادسها : الشغف (بغين معجمة) ، يصل الحبّ إلى غلاف القلب .

سابعها : الجوى ، وهو الحبّ الباطني .

---

(١) الروم : ٢١.

ثامنها: التيم، يطلب المعشوق الحقيقي: «واجعل قلبي بحبّك متيّماً»[١].

تاسعها: التَبْل (بفتح التاء وسكون الباء)، من شدّة الحبّ يتغلّب عليه الوجع والمرض.

عاشرها: التدلية (بفتح التاء وسكون الدال)، ينتهي إلى زوال العقل.

الحادي عشر: الهيوم (بضمّ الهاء والياء)، وهو الفناء في المعشوق، فلا يرى إلاّ المعشوق، كهيام قيس في حبّ ليلى.

---

(١) دعاء كميل.

جدال العقل والعشق

كان في قديم الزمان، في الأدب العالمي، لا سيّما في الأدب الفارسي والثقافة الفارسية، وكذلك الأدب الأوربي[١]، حكاية الجدال العنيف بين العقل والعشق، ولمّا كان مركز العشق هو القلب، فالجدال يرجع في الواقع بين العقل والقلب، والإنسان وإن كان ظاهره يتألّم بلسعة البقّة، وتقتله الشهقة، إلّا أنّه في باطنه ووجوده يحيط بالعالم الميتافيزيقي وما وراءه من الروح الإلهيّة، وإنّ فيه انطواء العالم الأكبر:

أتزعم أنّك جرمٌ صغير ... وفيك انطوى العالم الأكبر

﴿ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي ﴾[٢].

---

(١) اعلم أنّ الأدب الأوربي بفنونه وشُعبه يبتني على أصلين، أو بالأحرى ينتهي إلى مدرستين: المدرسة الكلاسيكية والمدرسة الرومانتيكية. ومحور الأُولى باعتبار العقل ورأس الإنسان، والثانية باعتبار العشق وقلب الإنسان، ومحتوى الأُولى الفكر، ومحتوى الثانية الإلهام، ونتيجة الأُولى الاستدلال، ونتيجة الثانية العشق، وينتمي إلى الأُولى الحكماء، كما ينتمي إلى الثاني: العرفاء، ومن غلب عليه أحكام قلبه يكون عاشقاً، ومن غلب عليه الاستدلال والنظر يعدّ عاقلاً، ويحاول أرباب العشق أن يتخلّصوا من القيود الكلاسيكية، كما أنّ أرباب العقل يسفّهون العشق ولوازمه، ولا يزال الجدال بين المدرستين.

(٢) الحجر: ٢٩

وإنّه ورد في الحديث القدسي عن الله سبحانه أنّ سمائي وأرضي لا تسعني ويسعني قلب عبدي المؤمن، فيكون قلبه حينئذٍ عرش الرحمن وحرم الله جلّ جلاله.

والعقل لغةً: من عقال البعير لضبط ركبتيه عند بركه، وليكون تحت تصرّف صاحبه، وللعقل معنى اسمي وآخر مصدري. والثاني بمعنى الإدراك للأشياء، والأوّل حقيقة يميّز بها الخير من الشرّ، والحقّ من الباطل.

والعقل اصطلاحاً: بمعنى ضبط الأهواء، ويقابله الجنون والسفه والحمق والجهل. ويأتي العقل بمعنى الفهم أيضاً، كما له تعاريف أُخرى في علوم شتّى، فهو جوهر مجرّد ذاتاً وفعلاً، أو وجود منبسط، فإذا كان العقل كانت الأشياء، أو القوّة الدرّاكة للكلّيات، أو القوّة الدرّاكة للخير والشرّ، أو ملكة تدعو إلى الخير، أو الملكة لتنظيم أُمور المعاش، أو القوّة المدركة المطلقة التي تنقسم إلى العقل النظري والعقل العملي، والأوّل ينقسم إلى العقل الهيولائي وبالملكة وبالعقل وبالمستفاد، والثاني إلى التخلية والتحلية والتجلية والفناء. أو العقل هو الروح القدسي الموجود بالفعل، وهو العقل الفعّال الذي يخرج ما بالقوّة إلى ما بالفعل، وهو العقل العاشر عند الفلاسفة المشّائين.

قال الإمام الصادق في تعريف العقل:

«هو ما عُبد به الرحمن واكتُسب به الجنان».

وهذا من التعريف باللازم، وأوّل ما خلق الله في عوالم الشرف هو العقل، وذلك من نور مخزون مكنون، في سابق علمه، الذي لم يطلع عليه، لا نبيّ مرسل، ولا ملك مقرّب.

وأمّا القلب فهو معروف عند الجميع، وهو مركز الإدراكات والأحاسيس والعواطف، وإنّه وراء القلب الصنوبري الذي في القفص الصدري لتصفية الدم، وما جاء في الآيات والروايات من ذكر القلب والقلوب وأوصافها وأقسامها إلى ممدوح ومذموم، إنّما هو المعنى الروحاني والمعنوي للقلب، وكذلك الصدر والفؤاد، وعند العامّة يطلق القلب على النفس أيضاً عندما يقال: قلبي يشتهي هذا، أي نفسه تشتهيه[1].

ويرجع تاريخ الجدال الموهوم بين العقل والعشق إلى القدماء من الفلاسفة، فإنّ أفلاطون تلميذ سقراط يقول بالمثل[2] وبالإشراق، وتلميذه أرسطوطاليس يذهب إلى البرهان العقلي ويفنّد المثل، وقد اشتهرت فلسفته بالمشائية، فالنزاع بين الإشراقيين والمشّائيين، ومن ثمّ بين أصالة الوجود وأصالة الماهيّة، وبين العرفاء القائلين بالشهود والذوق وصيقلة القلب حتّى يكون كالمرآة، ومن ثمّ تطبع فيها حقائق الأشياء إشراقاً، وبين الفلاسفة القائلين بالأدلّة العقليّة والصغرى والكبرى والنتيجة، وبالحجّة والبرهان العقلي، ثمّ موضوع الفلسفة هو: (الموجود بما هو موجود أو الموجود المطلق) وموضوع العرفان (وجود الحقّ سبحانه بين الارتباطين).

---

(١) لقد ذكرت أحوال القلب في كتاب (حقيقة القلوب في القرآن الكريم)، وهو مطبوع، فراجع.

(٢) يرى أفلاطون إنّ عالم المحسوسات عالم ظاهري ومجازي، وعالم المعقولات عالم واقعي وحقيقي، ويتعرّض للمثل في جمهوريّته في قصّة الغار، فراجع.

والواقع لا اختلاف بين الموضوعين في المآل والنتيجة، وهذا ما نعتقده ونقول به، فإنّ العقل نور من الله جلّ جلاله، وبه يعبد ويكتسب جنانه، كما أنّ القرآن نور، وكلام الأئمة الأطهار نور، والرسول الأعظم نور وسراج منير، وخلق الله آدم فتجلّى فيه مصباح، وخلقت الملائكة من النور، والله سبحانه نور السماوات والأرض، ومن نوره خلق النور.

والعشق نور ونار، فنورانية العشق مع نورانية العقل من باب (نورٌ على نور) يهدي الله لنوره من يشاء، فمن أصابه من ذلك النور كان من المهتدين.

ولا يكلّف الله نفساً إلّا وسعها، فكان من وسع الإنسان أن يحمل النورين: نور العقل ونور القلب، ومن الأوّل الفكر، ومن الثاني العشق والذكر، و (حملها الإنسان) إنّه حمل تلك الأمانة الإلهيّة، إلّا أنّ أكثر الناس غير شاكرين، فقصّروا في حملها، وكان الإنسان ظلوماً جهولاً.

وفي الدعاء:

«اللهمّ اجعل في قلبي نوراً، وفي سمعي نوراً، وفي بصري نوراً، وفي لساني نوراً، وعن يميني نوراً، وعن يساري نوراً، ومن فوقي نوراً، ومن تحتي نوراً، وأمامي نوراً، وخلفي نوراً، واجعلني نوراً، وأعظم لي نوراً».

وحينئذٍ يكون الإنسان نورانياً بنور الله سبحانه، فإنّه قد طلب في دعائه هذا النور من النور المطلق ومطلق النور، وبهذا النور يكون عاقلاً وعاشقاً، فلا جدال حينئذٍ بين عقله وقلبه، بل كلّ إلى ذاك الجمال والنور المطلق يسير ويُشير.

فالعقل والعشق بمنزلة الجناحين لمن أراد أن يحلّق في سماء الفضائل، ويصل إلى الجمال المطلق ومطلق الجمال.

فمعرفة الحقّ بالاستدلال والبرهان، كما أنّه بـالذوق والإلهـام والكشـف والشهود.

والطرق إلى الله سبحانه بعدد أنفاس الخـلائق، إلّا أنّ الصـراط المسـتقيم إنّما هو صراط واحد، فمن التكثّر إلى الوحدة، ومن الجلال إلى الجـمال، ومـن الخلق إلى الحقّ جلّ جلاله.

ونعتقد بحقيقة هذا العالم التكويني والذي نعيش فيه، كما نعتقد بما وراء هذا العالم وكلاهما عندنا من الحقيقة، وليس كما عند أفلاطون من القول بالمثل بأنّ هذا العالم ظاهر لعالم آخر واقعي وكلّي قائم بنفسه، بل كلا العالَمين من الواقع، والعقل يدرك ما في هذا العالم، كما أنّ القلب يدرك ما في ذلك العالم، وكلاهما من جنود الله سبحانه، ومن العوامل الموصلة إليه عزّ وجلّ.

إلّا أنّه جلّ جلاله لا يكتنفه العقول، ولكن يسعه قلب عبده المؤمن، وبهذا ربما يتوهّم من لم يقف على الحقيقة، أنّ بينهما جدال وصراع، وأحدهما يـنفي الآخر، ويُسفّه طريقه، فترى النزاع قائماً بين الفـلاسفة والعـرفاء، وكـلّ يـدّعي الوصل بليلى، والحال في الواقع كلّ إلى ذاك الجمال يشير.

نعم العشق يدلّ على الحياة الطيّبة أكثر ممّا يدلّ عليه العقل، ويعطي للحياة جمالاً خاصّاً، وروحانيّة فائقة، فإنّ القلب أوسع ظرفاً من العقل، كما أنّ حكومة العشق أوسع دائرة من حكم العقل.

ولا يخفى أنّ علماء النفس لا سيّما المعاصرين منهم يبحثون أيـضاً عـن العشق، إلّا أنّ محور دراساتهم حول العشق بـين الرجـل والمـرأة، أي العشـق الجنسي، فالكلّ حينئذٍ يحمل جوهرية العشق، إلّا أنّه ربما يخطئ في المصاديق

كما هو عند أكثر الناس، فيعشق ما لا يستحقّ العشق، والعقل هنا يظهر دوره وحكومته، فإنّه يدلّ على العشق الحقيقي وكيفية ذلك. فمن الناس من يعشق والده أو أُمّه، أو يعشق الفلسفة أو الفنّ، أو يكون عاشقاً لله سبحانه.

وفرويد العالم النفسي الغربي يذهب إلى أنّ العشق هو عبارة عن الغريزة الجنسية، ولكن هذا إنّما هو مظهر العشق الحيواني، فيلزمه أن يُحطّ من قيمة الإنسان، ويُنزّله إلى حضيض الحيوانية، بعد أن كان في مقام الإنسانية، وإنّه بإمكانه أن يصعد إلى قمّة الكمال والجمال. ويكون في عداد الملائكة، بل يتجاوزهم إلى قاب قوسين أو أدنى في مقعد صدقٍ عند مليكٍ مقتدر.

والناس كما في عقولهم وإدراكاتهم العقلائية يتفاوتون، وليس الكلّ على نمط واحد، كذلك في عشقهم، فإنّهم يختلفون في الشدّة والضعف، كما يختلفون في متعلّقات العشق.

ثمّ العشق الحقيقي من أوصافه أنّ له قوّة خلّاقة، توجب ترقّي الإنسان وتصعيده إلى قمّة السعادة وشموخ الكمال وصباحة الجمال.

ولأفلاطون الحكيم رسالة في العشق باسم (مائدة أفلاطون) يذهب إلى أنّ الحب والعشق في البداية ليس هو الميل نحو الجمال، بل الحبّ في الإنسان هو الميل نحو التوالد والتناسل في محلّ جميل، وذهب إلى هذه العقيدة من المتأخرين الكاتب الألماني (شوبنهاور) أيضاً، ثمّ أفلاطون (على لسان سقراط) يعتقد أنّ نتيجة المحبّة في التوالد هو حبّ البقاء والخلود، ثمّ يرى من قوى عنده الجانب العقلائي فإنّه يفكّر بخلوده من خلال فنونه وعلومه وإبداعاته الفكرية، ثمّ يعتقد بالعشق المجازي وأنّه قنطرة للعشق الحقيقي عندما يدرك الإنسان الجمال

المطلق، وأنّه هو الذي يستحقّ العبادة والتقرّب إليه لا غير.

وقد تعرّضنا من قبل إلى العشق المجازي ومذمّته في الإسلام[1]، كما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام عندما سئل عن العشق، فقال عليه السلام : «قلوب خلت عن ذكر الله فأذاقها الله حبّ غيره». فلا نعيد البحث طلباً للاختصار.

عودٌ على بدء :

ثمّ العقل البشري وإن كان المائز بينه وبين العجماوات، وبه تشرّف على المخلوقات، إلّا أنّه غير قادر على درك الله سبحانه : (لا تدركه الأبصار ولا يكتنفه العقول، وهو يدرك الأبصار ويكتنف العقول، ولا يحيطون بشيء من علمه إلّا بما شاء، وقد أحاط بكلّ شيء علماً).

وكلّ ما تصوّره الإنسان في معرفة ربّه فإنّما هو مخلوق له، وليس بخالقه. والعقل يدرك الماهيات في مثالها وصورها، لا في وجودها الحقيقي الخارجي.

والعقل نور وبه يستضاء في معرفة الأشياء، فيعلم بها، والقلب نور يرى به الأشياء، فالعقل علم والقلب رؤية، ومركز الحبّ والعشق هو القلب.

وبالعشق يكون الشرّ خيراً، والكريه جميلاً، والمرّ حلواً. فالعشق موهبة إلهية يعطيها الله من أحبّه، وكان أهلاً للعشق. وربما لا يمكن تعريف العشق ووصفه، فهو أعظم من الكلمات والألفاظ، فكلّ ما يقال في حدّه ورسمه، فإنّما هو من باب شرح الاسم، لا بيان ماهيّته وذاتياته، فيتحيّر العقل عن إدراكه

---

(١) رسالة في العشق، طبع في كتاب (الرافد) الجزء الأوّل، سنة ١٣٩٨ هـ، فراجع.

ويعجز القلب عن دركه وفهمه، فكلّ ما يقال في تعريف العشق إنّما هو بيان حالاته وأوصافه، وبيان أحوال العاشق والمعشوق، وربما يصل العشق بأهله إلى أن يقال باتّحاد العاشق والمعشوق والعشق.

أنا من أهوى ومن أهوى أنا نحن روحان حَلَلنا بدنا

فإذا أبصرتني أبصرته وإذا أبصرته أبصرتنا

وقال آخر:

روحه روحي وروحي روحه من رأى روحين عاشا في بشر

فما هو العشق؟ وكيف يفعل بأهله حتّى يصل إلى مقام الفناء؟! ويتجاوز الاثنينية والتكثّر إلى الوحدة والتوحّد.

ومرّ علينا أنّ لفظ العشق لم يستعمل في القرآن الكريم، إلّا أنّ هناك ألفاظ تدلّ على معنى العشق ومراتبه، كالحبّ والودّ والتبتّل، وفي اللغة العربية كلمات ترادف العشق في المفهوم والمعنى، كالغرام والصبابة والوله والودّ والبمقه والخلّة والكلف واللوعة والشغف والجوى واللعج والتدلية والهيم والتبتّل، ومنها ما هي بمنزلة المراحل والمراتب، كما مرّ.

وللحبّ علامات ودلالات، حتّى لا يختلط الحقّ بالباطل.

لا تُخدعنّ فللمحبّ دلائل ولديه من تُحف الحبيب وسائلُ

منها تنعّمه بمرّ بلائه وسروره في كلّ ما هوَ فاعلُ

فالمنع منه عطيّةٌ مبذولةٌ والفقرُ إكرامٌ ولطفٌ عاجلُ

ومن الدلائل أن يرى من عزمه طوعُ الحبيبِ وإن ألحّ العاذلُ

ومن الدلائل أن يُرى متبسّماً والقلب فيه من الحبيب بلابلُ

ومــن الدلائـل أن تـراه مشـعراً في خرقتين على شطوط الساحل
ومــن الدلائــل حـزنه ونـحيبه جوف الظلام فـما له مـن عـاذل
ومــن الدلائـل أن تـراه بـاكـياً أن قــد رآه عــلى قـبيح فـاعل
ومــن الدلائـل أن تـراه راضـياً بـمليكه فـي كـلّ حكـمٍ نـازل
ومن الدلائل زهـده فـيما تـرى مــن دار زلّ والنـعيم الزائــل
ومــن الدلائـل أن تـراه مسـلّماً كلّ الأُمـور إلى المـليك العـادل
ومـن الدلائـل أن تـراه مسـافراً نحو الجـهاد وكـلّ فـعل فـاضل

وكمال الإنسان بالعشق، والعشق الحقيقي هو عشـق الله سـبحانه، وهـذا ما يسمّى بعشق العرفاء والعشق العرفاني، وهو الذي ينتهي بـالعاشق إلى رؤيـة جمال المعشوق، فلا يرى شيئاً إلّا ويرى الله قبله ومعه وبعده، فليس في الديـر ديّار إلّا هو جلّ جلاله، وهذا العشق الإلهي يرى في كلّ الموجودات، فهو فـي حركتها الجوهرية عاشقة لله سبحانه.

وفي الصحيفة السجّادية:

«ابتدع بقدرته الخلق ابتداعاً، واخترعهم على مشيته اختراعاً، ثمّ سـلك بهم طريق إرادته، وبعثهم سبيل محبّته»[1].

والعاشق ذاكر لمعشوقه، فلا يغفل عنه، والذاكر له درجات: أوّلها المـيل الباطني نحو الذكر، فيذكر بلسانه دون قلبه، ثمّ يشتدّ الميل فيصل إلى مقام الإرادة القلبية فيذكر بلسانه وقلبه بتكلّف حضور القلب، ثمّ يشتدّ الحبّ فيستولي الذكر

---

(١) الصحيفة السجّادية: الدعاء الأوّل.

على قلبه، وهو مقام ذكر المحبّ، ثمّ في نهاية الذكر يصل إلى مقام العشق فيستولي المعشوق على القلب، فيهيم بحبّه ويتبتّل بذكره.

كما نشاهد هذه الحالات في عشّاق الله جلّ جلاله، وعاشقي الحسين عليه السلام، وما إقامة الشعائر الحسينية بكلّ مظاهرها، من البكاء واللطم وسفك الدم ومشي ألف كيلومتر على الأقدام في الصحاري والبراري، إلّا آيات الحبّ والعشق الحسيني الذي هو من عشق الله سبحانه وتعالى.

ومن المعلوم أنّ ما يفعله العاشق، لا يدركه العاقل.

وكيف للعقل الغربي المتوغّل بالمادّيات والرذائل، ولمن يدور في فلكه من أنصاره وأتباعه أن يدرك ما يفعله المشاة العاشقون؟ هيهات هيهات.

العشق العرفاني

العشق إنّما هو تابع لدرك جمال المعشوق، والإدراك إمّا أن يكون حسّياً أو خيالياً أو عقلياً أو عرفانياً، فالعشق يكون حسّياً أو خيالياً أو عقلائياً أو عرفانياً، وعشق الإنسان في مقام الروحانيّة إنّما هو العشق العقلائي والعرفاني، ويصل الإنسان إلى عشقه الإنساني بفطرته العاشقة، كما يصل إلى العلم بفطرته العالمة، والعشقان الأوّلان دنيويان ومن المادّيات، والآخران أُخرويّان وأنّهما أبديّان ويستوجبان معرفة الله وعبادته، فإنّه سبحانه هو المعبود والمعشوق الحقيقي للإنسان.

والعشق الحسّي إنّما هو للجمال الحسّي، كما أنّ العشق الباطني للجمال الباطني.

والإنسان في بداية الأمر يعشق نفسه، ويحبّ ذاته، وبهذا العشق يصل إلى معشوقه الحقيقي وهو الله سبحانه، أي يصل إلى الكمال المطلق والجمال المطلق الذي هو بلا نهاية، فهو الوجود الواحد الأحد، وهو الأوّل والآخر والظاهر والباطن، والفطرة العاشقة تطلب الجمال اللامتناهي، وهذا ما يحكم به العقل السليم والفطرة التوحيدية التي لا غبار عليها.

وأمّا العشق عند الغربيين، وعند دعاة التمدّن والتحضّر، فإنّما هو حبّ الشهوات والملاذ، كما عند فرويد وأتباعه، فعندهم العشق يعني إشباع الغريزة الجنسية بأيّ نحوٍ كان.

وقد وصف أمير المؤمنين هؤلاء بقوله عليه السلام :

«أقبلوا على جيفةٍ قد افتضحوا بأكلها واصطلحوا على حبّها، ومن عشق شيئاً أعشى بصره وأمرض قلبه، فهو ينظر بعين غير صحيحة، ويسمع بأُذن غير سميعة، قد خرقت الشهوات عقله، وأماتت الدنيا قلبه»[١].

وهذا نتيجة العشق الحسّي والخيالي إذا كان هدفاً ومحوراً في حياته الإنسانية، وفي الحديث الشريف :

«رأس الآفات الوله بالدنيا».

والعقل هو المخلوق الأوّل لله سبحانه، فهو العاشق الأوّل لله، وورد في الأحاديث الشريفة :

«بالعقل تنال الخيرات».

و «أعقل الناس أقربهم من الله».

و «أسعد الناس العاقل».

فالسعيد هو العاشق، وعشقه يدلّه على الخيرات، وبها يتقرّب إلى الله سبحانه، فالعقل يجذب الإنسان إلى ربّه فيعبده، ويتّقيه حقّاً.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله :

«أفضل الناس من عشق العبادة، فعانقها وأحبّها بقلبه، وباشرها بجسده، وتفرّغ لها، فهو لا يبالي على ما أصبح من الدنيا، على عسرٍ أم على يسر»[٢].

---

(١) نهج البلاغة : الخطبة ١٠٨.

(٢) الكافي ٢ : ٨٣، باب العبادة، الرواية ٣.

ومن رأى جمال الله اطمأنّت نفسه، ويأتيه الخطاب الإلهي:

﴿ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ۝ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً ۝ فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ۝ وَادْخُلِي جَنَّتِي ﴾[1].

وفي مناجاة الذاكرين لسيّد الساجدين:

«إلهي بك هامت القلوب الوالهة، وعلى معرفتك جمعت العقول المتباينة، فلا تطمئنّ القلوب إلّا بذكرك، ولا تسكن النفوس إلّا عند رؤياك».

والعاشق يرى في كلّ شيء وجه معشوقه، ويقول أمير المؤمنين عليّ عليه السلام:

«فما رأيت شيئاً إلّا ورأيت الله قبله ومعه وبعده».

فيخاف العاشق هجران معشوقه، فلا يغفل عنه ولا يعصيه، ونسمع الإمام الصادق عليه السلام يقول:

عجبت لمن يدّعي حبّ الله كيف يعصيه، فإنّ المحبّ لمن يحبّ مطيع.

وبالعشق العقلائي يصل الإنسان إلى العشق العرفاني، والأوّل يستلزمه معرفة جمال الصفات والأسماء، والثاني يستوجب شهود الجمال ونفي الأغيار ورفع الحجب، فيرى الجمال المطلق ومطلق الجمال، بحسب طاقته البشرية.

﴿ وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ الْحَقَّ ﴾[2].

---

(١) الفجر: ٢٧ ـ ٣٠.

(٢) سبأ: ٦.

من أحوال العاشقين

فـــراق الحـــبيب أليـــمٌ أليـــم وقـــلب المـــحبّ ســـقيمٌ سقيم
فـــمن كـــان فـــي حـــبّه صـــادقاً بـــباب الحـــبيب مـــقيمٌ مـــقيم

وفي الحديث الشريف:

ألا إنّ لله شراباً لأوليـائه، إذا شـربوا سكـروا، وإذا سكـروا طـربوا، وإذا طربوا طابوا، وإذا طابوا ذابوا، وإذا ذابوا خلصوا، وإذا خلصوا طلبوا، وإذا طلبوا وجدوا، وإذا وجدوا وصلوا، وإذا وصلوا اتّصلوا، وإذا اتّصلوا لا فرق بينهم وبين حبيبهم.

«لا فرق بينك وبينهم إلّا أنّهم عبادك، فتقها ورتقها بيدك».

وفي الحديث القدسي:

عبدي يتقرّب إليّ بالنوافل حتّى أُحبّه، فإذا أحببته كنت بصره الذي يبصر به، وسمعه الذي يسمع به، ويده التي يبطش بها.

ولله المثل الأعلى، ألا لله في أيام دهركم نفحات فتعرّضوا لها، إنّي لأشمّ نفس الرحمن من جانب اليمن، إنّي لأجد ريح يوسف، هو معكم أينما كنتم.

عباراتـنا شـتّى وحسـنكَ واحـدٌ كـلّ إلى ذاك الجـمال يشـيرُ

هذه شمّة من حالات العشق والعاشقين.

ويمرّ أمير المؤمنين عليّ عليه السلام في واقعة صفّين بأرض كـربلاء المـقدّسة، فتنهمر دموعه من عينيه على وجناته، ويعلو بكاؤه ونحيبه، فيسألونه عن السبب،

فيروي لهم قصّة الشهادة وواقعة الطف الأليمة التي أبكت من في السماء والأرض، ويقول في وصف أنصار الحسين عليه السلام:

«ها هنا محطّ رحال العاشقين».

إنّه عليه السلام قد وصف قافلة سيّد الشهداء ورحلهم بالعشق، ومنذ ذلك اليوم عرف العشّاق دربهم، ولا يزال يتجلّى العشق ويتبلور بمصادبق جديدة من شعوب وجماهير وأُمم عشقت الحسين عليه السلام.

وسيّد العاشقين ومولاهم أبو عبد الله الحسين عليه السلام يناغي معشوقه ويناجيه في ساحات الوغى، وهو على الرمضاء مقطّع بالسيوف والرماح، نبت السهم المثلّث بقلبه، وعلى وشك لقاء حبيبه، فيترنّم ويتمتم بلغة العاشقين قائلاً:

«رضىً بقضائك، وتسليماً لأمرك، لا معبود سواك».

ولسان حاله:

تركت الخلق طرّاً في هواكا	وأيتمتُ العيال لكي أراكا
فلو قطّعتني في الحبّ إرباً	لما حنّ الفؤاد إلى سواكا

وما أروع لغة العشّاق، فهذا عابس الشاكري ينزع لباس الحرب في أرض كربلاء، ويقتحم ساحة المعركة ، فيقال له: (أجُنِنْتَ يا عابس؟).

فيعلنها صرخةً مدويّةً لا زال صداها يدوّي في التاريخ ليقتدي به العاشقون: (إي والله، لقد أجَنّني حبّ الحسين).

فهل للعقل والعقلانية مجال بعد حكومة العشق؟!

وإليكم من مناجاة زين العابدين، يقول عليه السلام:

«من ذا الذي ذاق حلاوة محبّتك فرامَ منك بدلاً، ومن ذا الذي أنس بقربك

فابتغى عنك حِوَلاً»[١].

وعن رسول الله ﷺ:

«يقول الله عزّ وجلّ: إذا كان الغالب على العبد الاشتغال بي جعلت بغيته ولذّته في ذكري، فإذا جعلت بغيته ولذّته في ذكري عشقني وعشقته، فإذا عشقني وعشقته رفعت الحجاب فيما بيني وبينه، وصيّرت ذلك تغالباً عليه، ولا يسهو إذا سها الناس».

ولا يخفى أنّ ذكر النبيّ وآله الأطهار عليهم السلام إنّما هو من ذكر الله سبحانه، كما أنّ حبّهم من حبّه، وعشقهم من عشقه.

وإنّما يتبلور العشق العرفاني الإلهي لعشّاق الله وحزبه سبحانه، في عشق وليّه وحبيبه الحسين عليه السلام، ولا يرى عاشق الحسين إلّا وجه معشوقه، وإنّه ليقبّل الجدار والديار شوقاً وحبّاً، ويطوي المنازل مشياً حتّى يتفطّر من قدمه دماً، ولسان حاله:

وما حبّ الديار شغفن قلبي   ولكن حبّ من سكن الديارا

إنّه يطوي البيداء، غير مكترث بعذل عذول وبقيل قالٍ وشتم شاتم، بل ليعقد بيعته (بيعة العاشقين) مرّة أُخرى مع مواليه وأئمّته الأطهار، مع صاحب عصره مولاه المنتظر بن فاطمة الزهراء عليها السلام.

وما أروع المشي على الأقدام في أيام وليالٍ، حتّى أصبح موكب المشاة رمزاً للعشق الحسيني في أيام أربعينه، وما أصمد المشاة العشّاق، فلا يثني

---

(١) مناجاة المحبّين، من المناجات الخمس عشر في مفاتيح الجنان للشيخ القمّي رحمه الله.

عزيمتهم استهزاء المستهزئين ولوم اللائمين، بل يزدادون عزيمة وبصيرة وشوقاً واعتقاداً بصحّة المسير، وثواب العمل.

فما أجمل مظاهر العشق ومواكب المشاة على حافّة الطرق في كلّ بقاع العالم، فإنّ سُنّة المشي على الأقدام إلى وليّ الله من خير السنن، فإنّ أفضل الأعمال أحمزها، فأفواج العشق في كلّ بلدة تتوجّه في أربعين الحسين عليه السلام ـ إحياءً ونشراً للمذهب ـ من ديارها إلى وليّ من أولياء الله لتقول عملاً لكلّ العالم: «ها هنا محطّ رحال العاشقين»، وإنّهم ليشعرون في واقعهم قد سايروا الركب والظعن الحسيني مع الإمام زين العابدين عليه السلام والحوراء زينب سلام الله عليها وعقائل الرسالة ومخدّرات النبوّة ويتامى الحسين عليه السلام.

إنّه يشارك الموكب حاسراً باكياً ناعياً لاطماً صارخاً (أبد والله ما ننسى حسيناً).

ألا يا أيّها اللائمون في الحبّ، العاذلون في العشق، كفّوا عنّا اللّوم والعذل، لقد أجنّنا حبّ الحسين عليه السلام، فلكم عقلكم ودينكم، ولنا عشقنا وديننا. ويوم الحساب وعلى الصراط يتميّز الطيّب من غيره.

قسماً بمكّة والحطيم وزمزم، وإنّي على يقين أنّ عشّاق الحسين عليه السلام والحرارة الحسينية لن تنقطع ولن تبرد إلى يوم القيامة، وإنّ الشعائر الحسينية تزداد يوماً بعد يوم في ربوع الأرض، وإنّها لتستمرّ حتّى ظهور مولانا القائم من آل محمّد عليهم السلام وعجّل الله فرجه الشريف، ولو كره الحاقدون والمنافقون، فإنّ نور الله لا يُطفأ، ولو كره المشركون.

فهذه المظاهر ومنها المشاة إلى العتبات المقدّسة، سواء الأئمة الأطهار

عليها السلام أو أولادهم الكرام كزينب الكبرى والسيّدة رقيّة عليها السلام سوف تشقّ طريقها بجماهيرها الغفيرة الذين اصطفاهم الله لإحياء الإسلام بإحياء الأربعين الحسيني وواقعة الطف الحزينة، وديمومية الإعلام الزينبي عبر القرون والأحقاب، وما من قطرة دم تسقط في هذا الطريق إلّا ويشتدّ أغصان وأوراق هذه الشجرة المباركة، التي أصلها ثابت وفرعها في السماء، تؤتي أُكلها كلّ حين.

وختاماً:

لثمت أناملي الدائرة مخطوطة الجزء الثاني من كتاب (بيعة العاشقين) بقلم الأُستاذ الفاضل علي مجبل الساعدي دام مجده، فسرحت بريد النظر وأجلت فيه البصر، وطالعته في سويعات بعد منتصف الليل، فشممت من نسيم أزهاره عطر الولاء والعشق الحسيني، وأحبّ فضيلته أن أُشاركه في مقدّمة، فأجبت سؤله الكريم، ووددت أن أُضيف على كتابه القيّم، فصلاً جديداً سمّيته (مناجاة المشاة العاشقين)، يحتوي على الدعاء، والمناجاة اقتبستها من المناجات الخمس عشر لمولانا وجدّنا الإمام زين العابدين وسيّد الساجدين عليّ بن الحسين عليهما السلام، ومن أدعية أُخرى.

عسى أن يحضى برضا المشاة الكرام، فيقرأونه برجاء المطلوبيّة تقرّباً إلى الله سبحانه، لا سيّما في الصحارى والوديان بصوت حزين وأنين، وكم تمنّيت أن أكون ذلك الغبار الطاهر المعلّق على أرجل المشاة العشّاق المخلصين... وليتني كنت المنديل المتواضع لأُنشّف ندى جبين الساجدين، لا سيّما بعد زيارة عاشوراء المقدّسة، وأمسح دموع الباكين على سيّد الشهداء عليه السلام.

فما أسعدكم أيّها المشاة إلى الله وإلى وليّه، يا عشّاق الحسين وأُمّه الزهراء

البتول وأبيه أمير المؤمنين وجدّه وإخوته وأهل بيته عليهم السلام.

هينئاً لكم، هنيئاً لأرباب النعيم نعيمهم... أُحبّكم وأُحبّ الصالحين ولست منهم، لعلّ الله يرزقني الصلاح.

يا إخوان الصّفا وأخلّاء الوفا، أنا لا أنساكم من الدعاء، وثقتي بكم أن لا تنسوا المؤمنين والمؤمنات من الدعاء والشفاعة، وأملي فيكم أن لا تنسوا أيضاً خادمكم:

العبد

عادل العلوي

حوزة قم العلمية

٢٥ ذو الحجّة ١٤٢١ هـ ق

مصادر في الحبّ والعشق

هذه مجموعة من المصادر والمراجع ـ باللغة العربية والفارسية ـ في الحبّ والعشق، توجد في مكتبة سيّدنا الأُستاذ آية الله العظمى السيّد المرعشي النجفي بقم المقدّسة، أدرجناها لمن أراد المراجعة والتحقيق.

١	اسرار عشق	اسد الله ايزد
٢	أسرار العشق	محمّد الغزالي
٣	انسان و عشق	هيئت تحريريه در راه حق
٤	پسيک آناليز و عشق	تريدن آندره
٥	تاريخ عشق	مارسل فرانسوى .
٦	چهار باغ آتش عشق	مستر رينولد
٧	تساوى عشق	سيد فخر الدين طاهرى
٨	جدال تاريخى عقل و عشق	كاظم محمّدى
٩	جذوه‌اى از شراره عشق حسين	عباس رانحى
١٠	حديث عشق در شرق	ژان كلود
١١	حظائر القدس	محمّد حسينى
١٢	دو رساله عرفانى در عشق	احمد غزالى
١٣	رساله عشق و عقل	خضر نجم الدين

٣٤	عشق و عاشق و معشوق	كاظم محمّدى
٣٥	عشق و عرفان	صبور داريوش
٣٦	عقل و عشق	نجم الدين رازى
٣٧	عقل و عشق	تركه اصفهانى
٣٨	گزيده منطق الطير	الهى قمشه‌اى
٣٩	مظهر عشق	خواجه ارشد
٤٠	منطق عشق عرفانى	بياتى
٤١	نامه عشق	اندر جيت
٤٢	هفت چهره عشق	موروا آندره
٤٣	هنر عشق وزيدن	فروم آريک
٤٤	آية العشّاق	علي صفا
٤٥	ديوان نهضة العشّاق في أرض العراق	مرتضى ضيائي
٤٦	مجالس العشّاق	أمير سلطان حسين
٤٧	شهيدة العشق الإلهي رابعة العدوية	عبد الرحمن بدوي
٤٨	في حقيقة العشق	السهروردي
٤٩	رواية الدرياق في أحوال العشّاق	صالح أفندي
٥٠	مصادر العشّاق	جعفر السرّاج
٥١	تحفة العاشقين	ابن سينا
٥٢	عبير العاشقين	روزبهان البقلي
٥٣	مصباح العاشقين	وجيه الدين محمّد

٥٤	ابن الفارض والحبّ الإلهي	محمّد مصطفى حلمي
٥٥	بشرى الكئيب بلقاء الحبيب	السيوطي
٥٦	الحبّ	عمر رضا كحّالة
٥٧	الحبّ في التاريخ	سلامة موسى
٥٨	الحبّ في القرآن	محمود بن الشريف
٥٩	الحبّ وأخلاقيات الجنس في الإسلام	الجميلي
٦٠	الحبّ والجمال عند العرب	أحمد تيمور
٦١	الحبّ والجنس في منظور إسلامي	محمّد علي قطب
٦٢	الحبّ والغرب	دنيس
٦٣	الحبّ وما أدراك ما الحبّ	واصف الاستاني
٦٤	الحبّ والمحبّة الإلهية	محمود الغراب
٦٥	دراسة الحبّ في الأدب العربي	مصطفى عبد الواحد
٦٦	ذو الرمّة شاعر الحبّ والصحراء	يوسف خليف
٦٧	رسائل الأحزان	مصطفى صادق
٦٨	سبيل النجاة في الحبّ في الله	يوسف النبهاني
٦٩	في الحبّ والحياة	مصطفى محمود
٧٠	كؤوس الحبّ الإلهي	محمود شلبي
٧١	المأدبة	سامي النشّار
٧٢	المأدبة فلسفة الحبّ	أفلاطون
٧٣	نفح الطيب	سيّد محمّد نوّاب

٧٤	احاديث در واسطه فيض و محبت	در راه حق
٧٥	جذبات محب	محب حسين
٧٦	جذب القلوب إلى ديار المحبوب	السهروردي
٧٧	حديقة الأحباب	حسين أهري
٧٨	سلّم التوفيق إلى محبّة الله	عبد الله بن حسين
٧٩	سير الأولياء في محبّة الحقّ	علوي كرماني
٨٠	روضة المحبّين	الزرعي الدمشقي
٨١	القرب في محبّة العرب	زين الدين
٨٢	المحبّة والشوق	مولوي
٨٣	محبّة الله في القرآن الكريم	محمّد كامل المحامي
٨٤	محبت در اسلام	محمّد رحيمى
٨٥	المحبّة والشوق	محمّد الغزالي
٨٦	محبوب العارفين	
٨٧	معراج المحبّة	شيخ علي
٨٨	نتيجه محبّت	جالكى پرشاد
٨٩	كام دل	محمّد رضا شافعى
٩٠	المتحابّين في الله	المقدسي

مناجاة المشاة العاشقين

اللّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطّاهِرين، وَلَكَ الحَمدُ وَالشُّكرُ يا رَبَّ العالَمين.

إلهي، مَن ذا الَّذي ذاقَ حَلاوَةَ مَحَبَّتِكَ فَرامَ مِنكَ بَدَلاً، وَمَن ذا الَّذي أنِسَ بِقُربِكَ فَابتَغىٰ عَنكَ حِوَلاً.

إلهي، أُحِبُّكَ بِعَقلي وَقَلبي، وَجَوارِحي وَجَوانِحي، وَأُحِبُّ النَّبِيَّ المُختارَ وَآلَهُ الأطهارَ.

إلهي، فَاجعَلنا مِمَّن اصطَفَيتَهُ لِقُربِكَ وَوِلايَتِكَ وَوِلايَةِ أولِيائِكَ، وَأخلَصتَهُ لِوِدِّكَ وَمَحَبَّتِكَ وَعِشقِ أحِبّائِك، وَشَوَّقتَهُ إلىٰ لِقائِكَ، وَرَضَّيتَهُ بِقَضائِكَ وَأمرِك، وَمَنَحتَهُ بِالنَّظَرِ إلىٰ وَجهِكَ وَوَجهِ الأصفياءِ مِن عِبادِك، وَحَبَوتَهُ بِرِضاكَ وَرِضا الرِّضا مِن عِبادِك، وَأعَذتَهُ مِن هَجرِكَ وَقِلاكَ وَهَجرِ أولِيائِك، وَبَوَّأتَهُ مَقعَدَ الصِّدقِ في جِوارِكَ مَعَ الأنبياءِ وَالأوصياءِ وَالأولياءِ وَالشُّهَداء، وَخَصَصتَهُ بِمَعرِفَتِكَ وَمَعرِفَةِ الرَّسولِ وَفاطِمَةِ البَتولِ وَأهلِ البَيتِ المَأمول، وَأهَّلتَهُ لِعِبادَتِكَ وَطاعَةِ أولِيائِك، وَهَيَّمتَ قَلبَهُ لإرادَتِكَ وَمَحَبَّةِ أعِزّائِك، وَاجتَبَيتَهُ لِمُشاهَدَتِكَ وَمُشاهَدَةِ خُلَصائِك، وَأخلَيتَ وَجهَهُ لَكَ وَفَرَّغتَ فُؤادَهُ وَقَلبَهُ لِحُبِّكَ وَلِحُبِّ أحِبّائِكَ مُحَمَّدٍ

وَآلِه، وَرَغَّبتَهُ فيما عِندِك، وَألهَمتَهُ ذِكرَكَ وَأوزَعتَهُ شُكرَكَ وَشغَلتَهُ بِطاعَتِك، وَصَيَّرتَهُ مِن صالِحي بَرِيَّتِكَ وَاختَرتَهُ لِمُناجاتِكَ وَلِزيارَةِ أولِيائِكَ مَعَ المَشاةِ العارِفينِ وَالعُشّاقِ المُخلِصين، وَقَطَعتَ عَنهُ كُلَّ شَيْءٍ يَقطَعهُ عَنك.

إلهي، هؤلاءِ المَشاةُ مِن عِبادِكَ المُكرَمينَ وَعُشّاقِ وَجهِ الحُسَين، أتَراكَ بَعدَ الإيمانِ بِكَ تُعَذِّبُهُم، أم بَعدَ حُبِّهِم إيّاكَ وَحُبِّ الحُسَينِ تُبَعِّدُهُم، أم مَعَ رَجائِهِم بِرَحمَتِكَ وَصَفحِكَ تَحرِمُهُم، أم مَعَ استِجارَتِهِم بِعَفوِكَ وَلُطفِكَ تُسَلِّمُهُم، هَيهاتَ ما ذلِكَ الظَّنُّ بِكَ وَلا المَعروفُ مِن فَضلِك، حاشا لِوَجهِكَ الكَريمِ أن تُخَيِّبَهُم وَتَقطَعَ أمَلَهُم.

إلهي، هَل تُسَوِّدُ وُجوهاً خَرَّتْ بَعدَ زِيارَتِهِم عاشوراء في الشَّوارِعِ وَالبَيداءِ ساجِدَةً لِعَظَمَتِك، أو تُخرِسَ ألسِنَةً نَطَقَت بِالثَّناءِ عَلىٰ مَجدِك، وَهَتَفَت بِالعَزاءِ وَالبُكاءِ عَلىٰ أولِيائِك، أو تَطبَعُ عَلىٰ قُلوبٍ انطَوَت عَلىٰ مَحَبَّتِكَ وَعِشقِ حُسَينِك، أو تَصُمَّ أسماعاً تَلَذَّذَت بِسَماعِ ذِكرِكَ في إرادَتِكَ وَإرادَةِ أهلِ بَيتِ نَبِيِّك، أو تُغِلَّ أكُفّاً رَفَعَتها الآمالُ إلَيكَ رَجاءَ رَأفَتِكَ، وَلَطَمَتْ عَلىٰ صُدورِها حُبّاً وَعَزاءً لِوَلِيِّك، أو تُعاقِبُ أبداناً عَمِلَت بِطاعَتِكَ وَصَهَرَتها الشَّمسُ في مَرضاةِ أحِبّائِكَ، حَتّىٰ نَحَلَت في مُجاهَدَتِكَ وَالوُصولِ إلَيك، أو تُعَذِّب أرجُلاً سَعَت إلىٰ أوطانِ تَعَبُّدِكَ طائِعَةً وَمَشَت إلىٰ قَبرِ وَلِيِّكَ نائِحَةً.

إلهي، لا تُغلِق عَلىٰ مُوَحِّدِيكَ وَعُشّاقِ الحُسَينِ أبوابَ رَحمَتِك، وَلا تَحجُبْ مُشتاقيكَ وَالعاشِقينَ إلَيكَ عَنِ النَّظَرِ إلىٰ جَميلِ رُؤيَتِكَ وَجَمالِ رُؤيَةِ أوْلِيائِكَ.

إلهي، نَفسٌ أعزَزتَها بِتَوحيدِكَ وَبِحُبِّ رَسولِكَ وَأولِيائِك، كَيفَ تُذِلُّها بِمَهانَةِ هِجرانِكَ وَالبُعدِ عَن قُبورِ أوْلِيائِكَ وَحِرمانِ مَشاهِدِكَ، وَضَميرٌ انعَقَدَ عَلىٰ مَوَدَّتِكَ

وَمَوَدَّةِ أهلِ بَيتِ نَبيِّك، كَيفَ تُحرِقُهُ بِحَرارَةِ نيرانِكَ وَلَهيبِ سَعيرِك.

إلهي، أجِرِ المَشاةَ إلَيكَ وَإلىٰ وَليِّكَ مِن أليمِ غَضَبِكَ وَعَظيمِ سَخَطِكَ يا حَنَّانُ يا مَنَّان، يا رَحيمُ يا رَحمٰن، يا جَبَّارُ يا قَهَّار، يا غفَّارُ يا سَتَّار.

نَجِّنا وَإيَّاهُم مِن عَذابِ النَّار وَفَضيحَةِ العار، إذا امتازَ الأخيارُ مِنَ الأشرارِ وَحالَتِ الأحوال، وَهالَتِ الأهوالُ وَقَرُبَ المُحسِنونَ وَبَعُدَ المُسيئون، وَوُفِّيَت كُلُّ نَفسٍ بِما كَسَبَت وَهُم لا يُظلَمون.

إلهي، مَنِ الَّذي نَزَلَ بِكَ وَبِقَبرِ وَليِّكَ الرِّضا مُلتَمِساً قِراكَ فَما قَرَيتَه، وَطالِباً رِضاكَ فَما رَضَيتَه، وَمَنِ الَّذي أناخَ بِبابِكَ وَبابِ الرِّضا وَأجدادِهِ الأطهارِ وَأولادِهِ الأبرارِ مُرتَجِياً نِداكَ وَرَحمَتِكَ فَما أولَيتَه.

أيَحسُنُ أن يَرجِعَ المَشاةُ عَن بابِكَ بِالخَيبَةِ مَصروفينَ، وَعَن جَـنابِ وَليِّكَ مَحرومين، كَيفَ يَرجونَ غَيرَكَ وَالخَيرُ كُلُّهُ بِيَدِك، وَكَيفَ يُؤَمِّلونَ سِواكَ وَالخَـلقُ وَالأمرُ لَك، أيَقطَعونَ رَجاءَهُم مِنك، وَقَد أولَيتَهُمُ الفَضلَ وَالرَّحمَةَ بِتَوفيقِهِم لِزيارَةِ المَولىٰ مَشياً، فَكَيفَ يَنسونَكَ وَلَم تَزَل تَذكُرَهُم، وَكَيفَ يَلهونَ عَنكَ وَأنتَ مُراقِبُهُم، فَبِذيلِ كَرَمِكَ عَلَّقوا أيديَهُم، وَلِنَيلِ عَطائِكَ بَسَطوا آمالَهُم.

فَأخلِصني وَإيَّاهُم بِخالِصَةِ تَوحيدِك، وَاجعَلني وَإيَّاهُم مِن صَفوَةِ عَـبيدِك، وَأشرِكني وَجَميعِ المُؤمِنينَ وَالمُؤمِناتِ في ثَوابِهِم وَجَميلِ أعمالِهِم، يا خَيرَ مَرجُوٍّ وَيا أكرَمَ مَدعُوٍّ، وَيا مَن لا يُرَدُّ سائِلُه، وَلا يُخَيَّبُ آمِلُه، يا مَن بابُهُ مَفتوحٌ لِراجيه، وَرَحمَتُهُ واسِعَةٌ لِطالِبيه، أسألُكَ بِكَرَمِكَ وَحَنانِكَ أن تَمُنَّ عَلَيهِمْ وَعَلَينا مِن عَطائِكَ وَمَواهِبِكَ بِما تَقَرُّ بِهِ العُيون، وَتَطمَئِنُّ بِهِ النُّفوس، وَمِنَ اليَقينِ بِما تَهونُ بِهِ عَـلَيهِم مُصيباتُ الدُّنيا وَصِعابُها، وَتَجلوا بِهِ عَن بَصيرَتِهِم غَشَواتُ العَمىٰ، وَظُلُماتُ الجَهلِ

وَالهَوىٰ.

إلهي، إن كانَ قَلَّ زادُهُم في المَسيرِ إلَيكَ وَإلىٰ وَلِيِّك، فَلَقَد حَسُنَ ظَنُّهُم بِالتَّوَكُّلِ عَلَيك، وَإن كانَ جُرمُنا قَد أخافَنا مِن عُقوبَتِك، فَإنَّ رَجاءَنا قَد أشعَرَنا بِالأَمنِ مِن نِقمَتِك، وَإن كانَتِ الذُّنوبُ قَد عَرَّضَتنا لِعِقابِكَ فَقَد أذِنَنا حُسنُ ثِقَتِنا بِثَوابِكَ وَبِعِنايَةِ أوليائِك، وَإن أنامَتنا الغَفلَةُ عَنِ الاستِعدادِ لِلِقائِكَ وَلِقاءِ حَبيبِكَ وَأخِصّائِك، فَها نَحنُ اليَومَ في طَريقِ وَلِيِّكَ وَعَزيزِكَ مَشاةً تَحوطُنا لَومَةُ الأعداءِ وَسُخرِيَّةُ الجُهَلاءِ، نَرجو رَحمَتَكَ وَفَضلَك، قَد نَبَّهَتنا المَعرِفَةُ بِكَرَمِكَ وَآلائِك.

إلهي، إن أوحَشَ ما بَينَنا وَبَينَكَ فَرطُ العِصيانِ وَالطُّغيانِ فَقَد آنَسَنا بُشرىٰ الغُفرانِ وَالرِّضوان.

إلهي، هٰؤُلاءِ المَشاةُ الكِرامُ يَسألونَكَ بِسُبُحاتِ وَجهِك، وَبِأنوارِ قُدسِك، وَيَبتَهِلونَ إلَيكَ بِعَواطِفِ رَحمَتِك، وَلَطائِفِ بِرِّك، أن تُحَقِّقَ ظَنَّهُم بِما أمَّلوهُ، مِن جَزيلِ إكرامِكَ وَجَميلِ إنعامِك، في القُربىٰ مِنك وَالزُّلفىٰ لَدَيك، وَالتَمَتُّعِ بِالنَّظَرِ إلَيكَ وَإلىٰ أوليائِك، وَها هُم مُتَعَرِّضونَ بَينَ الجِبالِ وَالوِديانِ لِنَفَحاتِ رَوحِكَ وَعَطفِك، وَمُنتَجِعونَ غَيثَ جودِكَ وَلُطفِك، فارُّونَ مِن سَخَطِكَ إلىٰ رِضاكَ الَّذي يَتَجَلّىٰ في أوْليائِك، هارِبونَ مِنكَ إلَيك، راجونَ أحسَنَ ما لَدَيكَ وَلَدىٰ مَولانا الرِّضا، مُعَوِّلونَ عَلىٰ مَواهِبِكَ وَمَواهِبِه، مُفتَقِرونَ إلىٰ رِعايَتِكَ وَعَواطِفِه.

إلهي، ما بَدَأتَ بِهِم مِن فَضلِكَ فَتَمِّمهُ، وَما وَهَبتَ لَهُم مِن كَرَمِكَ فَلا تَسلِبهُ، وَما سَتَرتَ عَلَيهِم بِحِلمِكَ فَلا تَهتِكهُ، وما عَلِمتَهُ مِن قَبيحِ الفِعلِ وَشَينِ العَمَلِ فَاغفِرهُ.

إلهي، أتَوكَ مَشاةً باكينَ لاطِمينَ مُعَزِّينَ طامِعينَ في إحسانِك، راغِبينَ في

امتِنانِك، مُستَسقينَ وابِلَ طَولِكَ، مُستَمطِرينَ غَمامَ فَضلِك، طالِبينَ مَرضاتَك، قاصِدينَ جَنابَكَ، وارِدينَ شَريعَةَ رَفدِكَ، مُلتَمِسينَ سَنيَّ الخَيراتِ مِن عِندِك، وافِدينَ إلىٰ حَضرَةِ جَمالِكَ المُتَبَلوِرِ في حَضرَةِ الرِّضا مِنْ أحِبّائِكَ، مُريدينَ وَجهَك، طارِقينَ بابَك، فَافعَل بِهِم ما أنتَ أهلُهُ مِنَ المَغفِرَةِ وَالرَّحمَةِ الواسِعَة، وَقَضاءِ الحَوائِجِ وَقَبولِ الأعمالِ وَالزِّياراتِ وَاستِجابَةِ الدُّعاءِ وَحُسنِ العاقِبةِ وَسَعادَةِ الدّارَينِ لَهُم وَلِذَويهِم، وَاعتُق رِقابَهُم مِنَ النّار، وَأدخِلهُمُ الجَنَّةَ بِرَحمَتِك.

إلهي، أنتَ الرَّؤوفُ الرَّحيم، البَرُّ الكَريم، الَّذي لا يُخَيِّبُ قاصِديه، وَلا يطرُدُ عَن فَنائِه آمِليه، بِساحَتِكَ تَحُطُّ رِحالُ العاشِقينَ الرّاجين، وَبِعَرَصَتِكَ تَقِفُ آمالُ المُستَرفِدين المُستَضيفينَ، فَلا تُقابِل آمالَنا وَآمالَهُم بِالتَّخَيُّبِ وَالإياس، وَلا تُلبِسنا وَإيّاهُمْ بِسِربالِ القُنوطِ وَالإبلاس.

إلهي، أَلْهِمْ إخوانَنا المَشاةَ إلَيكَ وَإلىٰ وَلِيِّكَ الرِّضا طاعَتَكَ وَجَنِّبهُم مَعصيَتَك، وَيَسِّرْ لَهُم بُلوغَ ما يَتَمَنَّونَهُ مِنِ ابتِغاءِ رِضوانِك، وَأحلِلهُم بَحبوحَةَ جِنانِك، وَاقشَع عَن بَصائِرِهِم سَحابَ الارتيابِ وَالشَّكِّ فيكَ وَفي مَقاماتِ أوليائِك، وَاكشِف عَن قُلوبِهِم أغشيَةَ المِريَةِ وَالحِجابِ، وَازهَقِ الباطِلَ عَن ضَمائِرِهِم، وَأثبِتِ الحَقَّ وَعِشقَ الحُسَينِ وَأهلِهِ في سَرائِرِهِم.

إلهي، إلهي احمِلهُم في سُفُنِ نَجاتِك، وَمَتِّعهُم بِلَذيذِ مُناجاتِك، وَأورِدهُم حِياضَ مَحَبَّتِك، وَأذِقهُم حَلاوَةَ وُدِّكَ وَقُربِك، وَاجعَل جِهادَهُم فيك، وَهِمَّتَهُم في طاعَتِك، وَطاعَةِ نَبيِّكَ وَأولي الأمرِ مِن بَعدِه، وَأخلِص نِيّاتِهِم في مَشيِهِم وَقَصدِهِم، فَإنَّهُم بِكَ وَلَكَ وَلا وَسيلَةَ لَهُم إلَيكَ إلّا أنتَ وَمَن أمَرتَ بِالتَّوَسُّلِ بِهِم، فَتَوَسَّلوا بِفاطِمَةَ وَأبيها وَبَعلِها وَبَنيها وَبِوَلَدِها المَهديِّ المُنتَظَرِ الإمامِ الثّاني عَشَرِ، وَعَشَقوهُم

وَقَصَدُوهُم مَشياً لِزِيارَةِ مَراقِدِهِمُ الطَّاهِرَةِ لِزِيادَةِ فَضلِكَ وَإقامَةً لِشَعائِرِك، وَتَشَبُّهاً بِالسُّعاةِ بَينَ الصَّفا وَالمَروَةِ مِن حُجَّاجِكَ وَزُوَّارِك.

إلهي، فَاجعَلهُم مِنَ المُصطَفَينَ الأخيار، وَألحِقهُم بِالصَّالِحينَ الأبرار، السَّابِقينَ إلى المَكرُمات، المُسارِعينَ إلى الخَيرات، العامِلينَ لِلباقياتِ الصَّالِحات، السَّاعينَ إلى رَفيعِ الدَّرَجات.

إلهي، ما أضيَقَ الطُّرُقُ عَلىٰ مَن لَم تَكُن دَليلَهُ، وَما أوضَحَ الحَقَّ عِندَ مَن هَدَيتَهُ سَبيلَهُ. نَحمَدُكَ اللّهُمَّ عَلىٰ ما أنعَمتَ، وَنَشكُرُكَ عَلىٰ ما أولَيتَ، فاسلُك بِنا سُبُلَ الوصولِ إلَيك، وَسَيِّرنا في أقرَبِ الطُّرُقِ لِلوُفودِ عَلَيكَ وَعَلىٰ أوليائِكَ الطَّاهِرين.

قَرِّب عَلَينا البَعيدَ وَسَهِّل عَلَينا العَسيرَ الشَّديد، وَألحِقنا بِعِبادِكَ الَّذينَ هُم بِالبِدارِ إلَيكَ يُسارِعُون، وَبابَكَ عَلى الدَّوامِ يَطرُقُون، وَإيَّاكَ في اللَّيلِ وَالنَّهارِ يَعبُدون، وَهُم مِن هَيبَتِكَ مُشفِقُون، الَّذينَ صَفَّيتَ لَهُمُ المَشارِبَ، وَبَلَّغتَهُمُ الرَّغائِبَ، وَأنجَحتَ لَهُمُ المَطالِبَ، وَقَضَيتَ لَهُم مِن فَضلِكَ المَآرِبَ، وَمَلأتَ لَهُم ضَمائِرَهُم مِن حُبِّكَ وَحُبِّ وَلِيِّك، وَرَوَّيتَهُم مِن صافي شِربِكَ وَماءِ كَوثَرِ وَلِيِّكَ. فَبِكَ إلىٰ لَذيذِ مُناجاتِكَ وَصَلوا، وَمِنكَ أقصىٰ مَقاصِدِهِم حَصَّلوا، فَيا مَن هوَ عَلى المُقبِلينَ عَلَيهِ مُقبِل، وَبِالعَطفِ عَلَيهِم عائِدٌ مُفضِل، وَبِجَذبِهِم إلى بابِهِ وَدودٌ عَطوفٌ، أسألُكَ يا اللهُ يا اللهُ يا اللهُ أن تَجعَلَ المَشاةَ مِن عِبادِكَ المُخلِصين، مِن أوفَرِهِم مِنكَ حَظّاً وَأعلاهُم عِندَكَ مَنزِلاً، وَأجزَلِهِم مِن وُدِّكَ قِسماً، وَأفضَلِهِم في مَعرِفَتِكَ نَصيباً، فَقَدِ انقَطَعَتْ إلَيكَ هِمَّتُهُم، وَانصَرَفَتْ نَحوَكَ رَغبَتُهُم، فَأنتَ مُرادُهُم وَلَكَ سَهَرُهُم وَسُهادُهُم، وَلِقاؤُكَ قُرَّةُ أعيُنِهِم، وَوَصلُكَ مُنىٰ أنفُسِهِم، وَفي مَحَبَّتِكَ عِشقُهُم، وَإلىٰ

هَواكَ صَبابَتُهُم، وَرِضاكَ بُغيَتُهُم، وَرُؤيَتُكَ حاجَتُهُم، وَجِوارُكَ مَعَ نَبيِّكَ وَأوليائِكَ وَعَزيزِكَ الحُسَينَ طَلَبُهُم، وَقُربُكَ وَقُربُهُم غايَةُ سُؤلِهِم، وَفي مُناجاتِكَ وَإقامَةِ العَزاءِ عَلى أوْليائِكَ رَوحُهُم وَراحَتُهُم، وَعِندَكَ وَعِندَهُم عليهم السلام دَواءُ عِلَّتِهِم وَشِفاءُ غَلَّتِهِم وَبَردُ لَوعَتِهِم، وَكَشفُ كُربَتِهِم، فَاغفِرْ ذُنوبَهُم وَاقبَل تَوبَتَهُم وَاستُرْ عُيوبَهُم وَاحفَظهُم مِن جَميعِ الآفاتِ وَالبَليّات.

إلهي، هؤلاءِ المَشاةِ دَأبُهُمُ الارتِياحُ إلَيكَ وَالحَنين، وَدَهرُهُمُ الزَّفرَةُ وَالأنين، جِباهُهُم ساجِدَةٌ لِعَظَمَتِكَ، وَعُيونُهُم ساهِرَةٌ في خِدمَتِكَ، وَدُموعُهُم سائِلَةٌ مِن خَشيَتِكَ، وَقُلوبُهُم مُتَعَلِّقَةٌ بِمَحَبَّتِك، وَأفئِدَتُهُم مُنخَلِعَةٌ مِن مَهابَتِك، يا مُنىٰ قُلوبِ المُشتاقينَ وَيا غايَةَ آمالِ المُحِبّينَ، ارزُقهُم حُبَّكَ وَحُبَّ مَن يُحِبُّكَ وَحُبَّ كُلِّ عَمَلٍ يوصِلُهُم إلىٰ قُربِك، وَاجعَل حُبَّهُم إيّاكَ قائِداً إلىٰ رِضوانِكَ، وَشَوقَهُم إلَيكَ ذائِداً عَن عِصيانِك، وَامنُن بِالنَّظَرِ إلَيكَ عَلَيهِم وَانظُر بِعَينِ الوُدِّ وَالعَطفِ إلَيهِم، وَلا تَصرِف عَنهُم وَجهَكَ وَوَجهَ إمامِهِم المُنتَظَر، وَاجعَلهُم مِن أهلِ الإسعادِ وَالحَظوَةِ عِندَك. فَلَيسَ لَهُم وَسيلَةٌ إلَيكَ إلّا عَواطِفُ رَأفَتِك، وَلا لَهُم ذَريعَةٌ إلَيكَ إلّا عَوارِفُ رَحمَتِك، وَشَفاعَةُ نَبيِّكَ نَبيِّ الرَّحمَةِ وَمُنقِذِ الأُمَّة، فَاجعَلهُما لَهُم سَبَباً إلىٰ نَيلِ غُفرانِك، وَصَيِّرهُما لَهُم وُصلَةً إلى الفَوزِ بِرِضوانِك، فَقَد حَلَّ رَجاؤُهُم بِحَرَمِ كَرَمِكَ وَحَطَّ طَمَعُهُم بِفِناءِ جودِك، فَاختِمْ بِالخَيرِ عَمَلَهُم وَزيارَتَهُم، وَاجعَلهُم مِن صَفوَتِكَ الَّذينَ أحلَلتَهُم بَحبوحَةَ جَنَّتِك، وَبَوَّأتَهُم دارَ كَرامَتِك، وَأقرَرتَ أعيُنَهُم بِالنَّظَرِ إلَيكَ وَإلىٰ رَسولِكَ وَأوليائِكَ يَومَ لِقائِك، وَأورَثتَهُم مَنازِلَ الصِّدقِ في جِوارِكَ مَعَ أوليائِك، يا مَن لا يَفِدُ الوافِدونَ عَلىٰ أكرَمَ مِنه، وَلا يَجِدِ القاصِدونَ أرحَمَ مِنه.

إلهي، هؤلاءِ المَشاةُ المؤمِنونَ كَسرُ قُلوبِهِم لا يَجبُرُهُ إلّا لُطفُكَ وَحَنانُك،

وَفَقرُهم لا يُغنيهِ إلّا عَطفُكَ وَإحسانُك، وَرَوعَتُهُم وَعِشقُهُم لا يُسَكِّنُها إلّا أمانُك، وَذِلَّتُهُم لا يُعِزُّها إلّا سُلطانُك، وَحاجَتُهُم لا يَقضِيها غَيرُك، وَكَربُهُم وَهَمُّهُم لا يَكشِفُهُ وَلا يُفَرِّجُهُ سِوىٰ رَحمَتِك، وَغُلَّتُهُم لا يُبَرِّدُها إلّا وَصلُك، بِوِصالِ إمامِ زَمانِهِم، وَلَوعَتُهُم لا يُطفيها إلّا لِقاؤُك بِلِقاءِ وَليِّ أمرِهِم، وَشَوقُهُم إلَيكَ لا يَبُلُّهُ إلّا النَّظَرُ إلىٰ وَجهِكَ بِوَجهِ صاحِبِ عَصرِهِم، وَقَرارُهُم لا يَقَرُّ دونَ دُنُوِّهِم مِنكَ وَمِن أوليائِك، وَسُقمُهُم وَمَرَضُهُم لا يُشفيهِ إلّا طِبُّكَ وَطِبُّ مَقصودِهِمُ الرِّضا مِنْ آلِ مُحَمَّدٍ، وَغَمُّهُم لا يُزيلُهُ إلّا قُربُك، وَجُرحُهُم وجُرحُ قُلوبِهِم بِألسِنَةِ الحُسّادِ وَالأعداءِ لا يُبرِئُهُ إلّا صَفحُكَ وَحَنانُك، يا مُنتَهىٰ أمَلِ الآمِلينَ، وَيا غايَةَ سُؤلِ السّائِلين، وَيا وَليَّ الصّالِحين، وَيا مُجيبَ دَعوَةِ المُضطَرِّين، وَيا غِياثَ المُستَغيثين، وَيا قاضيَ حَوائِجِ الفُقَراءِ وَالمَساكين، وَيا أرحَمَ الرّاحِمين.

إلهي، هٰؤلاءِ المَشاةُ عِبادُكَ قَصَدوا وَليَّكَ في يَومِ الأربَعين، لاطِمينَ مُعَزِّين، يَرجونَ رَحمَتَكَ، وَيَأمَلونَ فَضلَك، فَاجعَلْهُم مِنَ الَّذينَ تَرَسَّخَتْ أشجارُ الشَّوقِ إلَيكَ وَإلىٰ رَسولِكَ وَأوليائِكَ في حَدائِقِ صُدورِهِم، وَأخَذَتْ لَوعَةُ مَحَبَّتِكَ وَمَحَبَّةِ الحُسَينِ وَعِترَتِهِ بِمَجامِعِ قُلوبِهِم، فَهُم إلىٰ أوكارِ الأفكارِ يَأوُونَ، وَفي رِياضِ القُربِ وَالمُكاشَفَةِ وَفَتحِ أبصارِهِم عَلى الحَقائِقِ يَرتَعونَ، وَمِن حِياضِ المَحَبَّةِ وَكَوثَرِ العِشقِ بِكَأسِ المُلاطَفَةِ يَكرَعونَ، وَشَرائِعِ المَصافاتِ يَرِدون، قَد كُشِفَ الغِطاءُ عَن أبصارِهِم، وَانجَلَتْ ظُلمَةُ الرَّيبِ عَن عَقائِدِهِم وَضَمائِرِهِم، وَانتَفَتْ مُخالَجَةُ الشَّكِّ عَن قُلوبِهِم وَسَرائِرِهِم، وَانشَرَحَت بِتَحقيقِ المَعرِفَةِ صُدورُهُم، وَعَلَت لِسَبقِ السَّعادَةِ في الزَّهادَةِ هِمَّتُهُم، وَعَذُبَ في مَعينِ المُعامَلَةِ شِربُهُم، وَطابَ في مَجلِسِ الاُنسِ وَالعِشقِ سِرُّهُم، وَأمِنَ في مَوطِنِ المَخافَةِ سِربُهُم، وَاطمَأنَّتْ

بِالرُّجوعِ إلىٰ رَبِّ الأربابِ أنفُسُهُم، وَتَيَقَّنَت بِالفَوزِ وَالفَلاحِ أرواحُـهُم، وَقَـرَّتْ بِالنَّظَرِ إلىٰ مَحبوبِهِم صاحِبَ الزَّمانِ أعيُنُهُم، وَاستَقَرَّ بِإدراكِ السُّؤلِ وَنَيلِ المَأمولِ قَرارُهُم، وَرَبِحَتْ في بَيعِ الدُّنيا بِالآخِرَةِ تِجارَتُهُم.

إلهي، ما أحْلَىٰ المَسيرُ إلَيكَ وَإلىٰ وَليِّكَ الإمامُ الرِّضا، وَما أَلَـذُّ خَـواطِـرَ الإلهامِ بِذِكرِكَ وَبِإقامَةِ العَزاءِ عَلىٰ وَليِّكَ الحُسَين، وَما أطيَبَ طَـعمَ حُـبِّكَ وَحُبِّ العَبَّاسِ وَالحَوراءِ زَينَبُ وَالعِترةِ الطَّاهِرَةِ، وَما أعذَبَ شِربُ قُربِكَ وَقُـربِ نَـبيِّكَ وَأهلُ بَيتِه، فَأعِذنا وَالمَشاةَ إلَيْكَ مِن طَرِدِكَ وَإبعادِك، وَاجـعَلنا مِـنَ العـاشِقينَ وَالمُخلِصينَ في دَربِ الحُسَينِ وَأهلِهِ، وَمِن أخَصِّ عارِفيكَ وَعارِفيه.

إلهي، فَاجعَل هٰؤلاءِ المَشاةِ الطَّيِّبين، مِن أصلَحِ عِبادِك، وَأصدَقِ طائِعيك، وَأخلَصِ عُبَّادِك، يا عَظيمُ يا جَليلُ يا كَريمُ يا جَميلُ.

إلهي، ألهِمْهُم ذِكـرَكَ فـي الخَـلاءِ وَالمَـلاء، وَاللَّـيلِ وَالنَّـهارِ، وَالإعـلانِ وَالإسرارِ، وَفي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ، وَآنِسنا وَآنِسهُم بِذِكرِكَ الخَفي، وَاستَعمِلنا وَإيَّاهُم بِالعَمَلِ الزَّكيِّ وَالسَّعي الرَّضيّ، وَجازِنا وَهُم بِالميزانِ الوَفي.

إلهي، بِكَ هامَتِ القُلوبُ الوالِهَةُ، وَعَلىٰ مَعرِفَتِكَ جُمِعَتِ العُقولُ المُـتَبايِنَةُ، فَلا تَطمَئِنُّ القُلوبُ إلّا بِذِكراك، وَلا تَسكُنُ النُّفوسُ إلّا عِندَ رُؤياك، أنتَ المُسَبَّحُ في كُلِّ مَكانٍ، وَالمَعبودُ في كُلِّ زَمانٍ، وَالمَوجودُ في كُلِّ أوانٍ، وَالمَدعُوُّ بِكُلِّ لِسانٍ، أستَغفِرُكَ مِن كُلِّ لَذَّةٍ بِغَيرِ ذِكرِك، وَمِن كُلِّ راحَةٍ بِغَيرِ اُنسِك، وَمِن كُلِّ سُرورٍ بِغَيرِ قُربِك، وَمِن كُلِّ شُغلٍ بِغَيرِ طاعَتِك.

إلهي، ها نَحنُ ذاكِروك، وَلإحسانِكَ رَاجُوكَ، فَأنجِزْ لَنا ما وَعَدتَنا، وَاغفِر لَنا ذُنوبَنا، وَاستُر عَلَينا عُيوبَنا، وَهَب لَنا كَمالَ الانقِطاعِ إلَيك، وَأنِر أبصارَ قُلوبِنا بِضياءِ

نَظَرِها إلَيك، حَتَّىٰ تَخرِقَ أبصارُ القُلوبِ حُجُبَ النُّورِ، فَتَصِلَ إلىٰ مَعدَنِ العَظَمَةِ، وَتَصيرُ أرواحُنا مَعَلَّقَةً بِعِزِّ قُدسِك.

إلهي، فَاجعَلنا وَالمَشاةُ إلىٰ وَلِيِّكَ مِمَّن نادَيتَهُم فَأجابُوكَ، وَلاحَظتَهُم فَصَعِقوا لِجَلالِك، فَناجَيتَهُم سِرّاً، وَعَمِلوا لَكَ جَهْراً، إلهي لَم يَنقَطِع مِن جَميلِ كَرَمِكَ رَجاءَنا، وَلَم نُسَلِّطْ قُنوطَ الإياسِ عَلىٰ حُسنِ ظَنِّنا، فَاصفَح عَنَّا بُحسنِ تَوَكُّلِنا عَلَيك.

إلهي، إن حَطَّتنا الذُّنوبُ مِن مَكارِمِ لُطفِك، فَقَد نَبَّهَنا اليَقينُ إلىٰ كَرَمِ عَطفِك، وَإن دَعانا إلى النَّارِ عَظيمُ عِقابِكَ، فَقَد دَعانا إلى الجَنَّةِ جَزيلُ ثَوابِك.

إلهي، فَاعتُق رِقابَنا وَرِقابَ والدَينا مِنَ النَّار، وَأدخِلنا وَأهلينا الجَنَّةَ بِرَحمَتِكَ يا غَفَّار.

إلهي، نَحنُ وَالمَشاةُ إلىٰ وَلِيِّكَ عَبيدُك، نَزَلنا بِفِنائِك ضَيفاً، وَقَصَدنا لِوَلِيِّكَ زائِراً، يا مَلاذَ اللّائِذين، وَيا مَعاذَ العائِذين، وَيا راحِمَ المَساكين وَيا مُجيبَ المُضطَرِّين، وَيا جابِرَ المُنكَسِرينَ وَيا نَاصِرَ المُستَضعَفين وَيا حِصنَ اللّاجِئين، إن لَم نَعُذ بِعِزَّتِكَ فَبِمَن نَعوذ، وَإن لَم نَلُذ بِقُدرَتِكَ وَبِقَبرِ وَلِيِّكَ فَبِمَن نَلوذ، وَقَد ألجَأتْنا الذُّنوبُ إلى التَّشَبُّثِ بِأذيالِ عَفوِكَ وَشَفاعَةِ أولِيائِك، وَأحوَجَتنا الخَطايا إلى استِفتاحِ أبوابِ صَفحِكَ وَغُفرانِك، وَدَعَتنا الإساءَةُ إلى الإناخَةِ بِفِناءِ عِزِّك، وَحَمَلَتنا المَخافَةُ مِن نِقمَتِكَ عَلى التَّمَسُّكِ بِعُروَةِ عَطفِكَ مُحَمَّدٍ وَآلِه، وَما حَقُّ مَنِ اعتَصَمَ بِحَبلِكَ أن يُخذَلَ، وَلا يَليقُ بِمَن استَجارَ بِعِزِّكَ أن يُسلَمَ أو يُهمَلَ، هَيهاتَ هَيهات.

إلهي، فَلا تُخلِنا مِن حِمايَتِك، وَلا تُعرِنا مِن رِعايَتِك وَرِعايَةِ إمامِنا المُنتَظَر

وَآبائِهِ الطَّاهِرينَ وَأُمِّهِ فاطِمَةَ الزَّهراءِ سَيِّدَةِ نِساءِ العالَمين، فَإنَّا بِعَينِكَ وَعَينِهِم وَفي كَنَفِكَ وَكَنَفِهِم، فَلَكَ أسأَلُكَ بِأهلِ خاصَّتِكَ مِن مَلائِكَتِكَ وَالصَّالِحينَ مِن بَرِيَّتِكَ مِنَ الأنبياءِ وَالأولياءِ وَشيعَتِهِم، أنْ تَجعَلَ عَلَينا وَعَلىٰ هؤلاءِ المَشاةِ واقيَةً تُنجيَنا مِنَ الهَلَكاتِ، وَتُجَنِّبُنا مِنَ الآفات، وَتَحفَظُنا مِن دَواهي المُصيبات، وَأن تُنَزِّلَ عَلَينا مِن سَكينَتِك، وَأن تُغَشِّي وُجوهَنا بِأنوارِ مَحَبَّتِكَ وَلُطفِك، وَأن تُؤوِيَنا إلىٰ شَديدِ رُكنِك، وَأن تَحوِيَنا في أكنافِ عِصمَتِك، بِرَأفَتِكَ وَرَحمَتِك.

إلهي، فَسَلِّمنا في سَيرِنا وَسُلوكِنا إلَيكَ وَإلىٰ وَلِيِّكَ بِتَوفيقِكَ وَعِصمَتِك، وَانزَعْ عَنَّا جَلابيبَ مُخالَفَتِك، وَتَوَلَّ أُمورَنا بِحُسنِ كِفايَتِك، وَأوفِر مَزيدَنا مِن سِعَةِ رَحمَتِك، وَأجمِل صِلاتِنا مِن فَيضِ مَواهِبِك، وَاغرُس في قُلوبِنا وَأفئِدَتِنا أشجارَ مَحَبَّتِكَ وَعِشقِك، وَأتمِم لَنا أنوارَ مَعرِفَتِك، وَأذِقنا حَلاوَةَ عَفوِكَ وَعَفوِ وَلِيِّك، وَلَذَّةِ مَغفِرَتِكَ وَقُربِ حَبيبِك، وَأقرِر أعيُنَنا يَومَ لِقائِكَ بِرُؤيَتِكَ وَرُؤيَةِ أحِبَّائِك، وَأخرِج حُبَّ الدُّنيا مِن قُلوبِنا كَما فَعَلتَ بِالصَّالِحينَ مِن صَفوَتِكَ وَالأبرارِ مِن خاصَّتِك.

إلهي، أسأَلُكَ أن تَهَبَ لي وَلِعِبادِكَ المَشاةِ إلىٰ حَبيبِكَ موجِباتِ رَحمَتِكَ وَعَزائِمَ مَغفِرَتِك، وَالغَنيمَةَ مِن كُلِّ بِرٍّ، وَالسَّلامَةَ مِن كُلِّ إثمٍ، اللَّهُمَّ لا تَدَع لَنا ذَنباً إلَّا غَفَرتَهُ، وَلا هَمَّاً إلَّا فَرَّجتَه، وَلا سُقماً إلَّا شَفَيتَهُ، وَلا عَيباً إلَّا سَتَرتَه، وَلا رِزقاً إلَّا بَسَطتَهُ، وَلا خَوفاً إلَّا آمَنتَهُ، وَلا سوءاً إلَّا صَرَفتَهُ، وَلا حاجَةً هيَ لَكَ رِضىً وَلَنا فيها صَلاحٌ إلَّا قَضَيتَها يا أرحَمَ الرَّاحِمين.

إلهي، أرِنا الطَّلعَةَ الرَّشيدَةَ وَالغُرَّةَ الحَميدَةَ، وَأكحِل ناظِرِنا بِنَظرَةٍ مِنَّا إلَيهِ، وَعَجِّل فَرَجَهُ وَسَهِّل مَخرَجَهُ وَأوسِع مَنهَجَه، وَاعمُرِ اللَّهُمَّ بِهِ بِلادَكَ وَأحيِ بِهِ عِبادَك، وَاجعَل صَلاتَنا بِهِ مَقبولَةً، وَذُنوبَنا بِهِ مَغفورَةً، وَأعمالَنا بِهِ مَرضيَّةً،

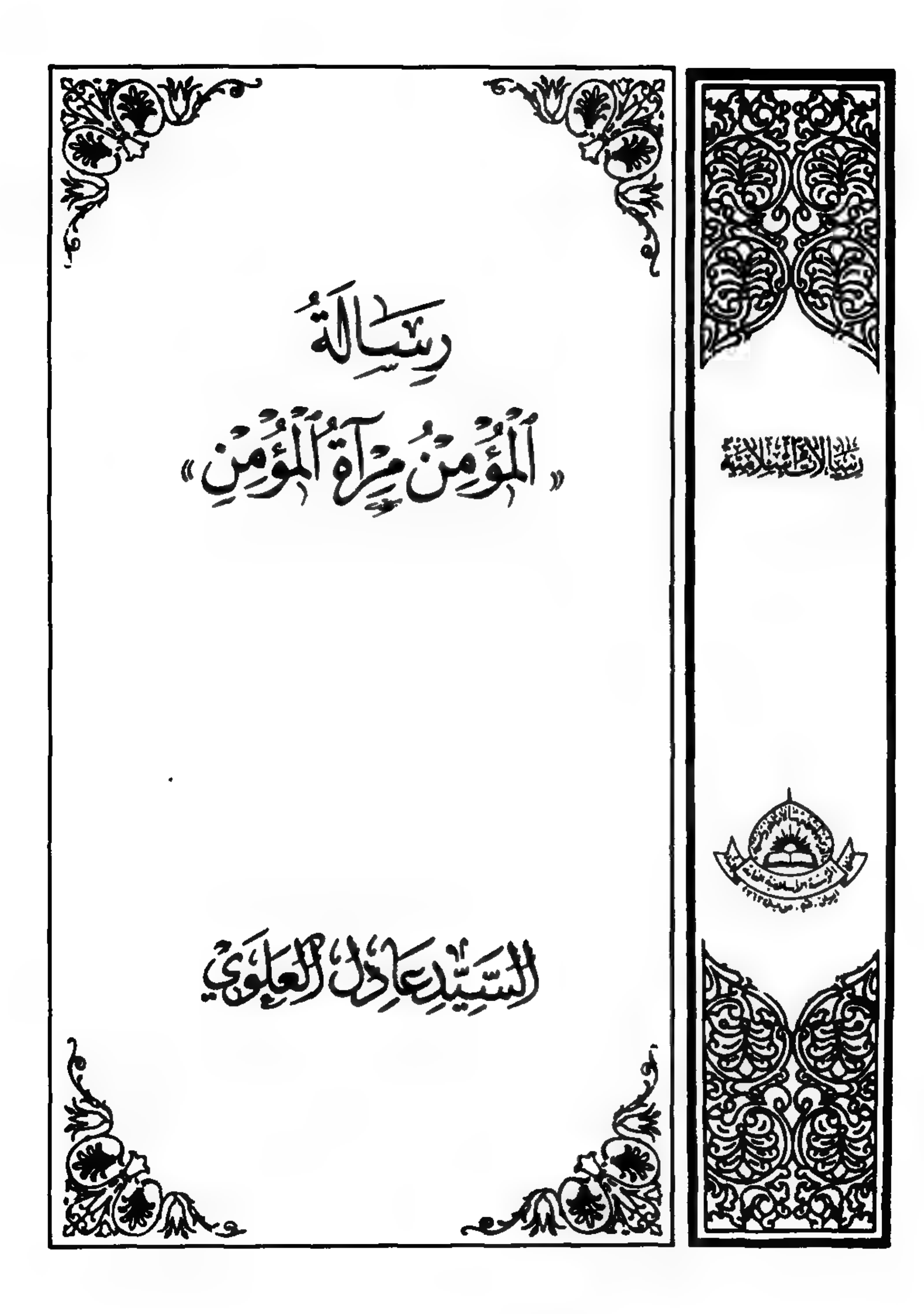
وَأرزاقَنا بِهِ مَبسوطَةً، وَأمراضَنا بِهِ مَشفيَّةً، وَحَوائِجَنا بِـهِ مَـقضيَّةً، وَهُـمومَنا بِـهِ مكفيَّةً، وَدُعاءَنا بِهِ مُستَجاباً، وَهَب لَنا رَأفَتَهُ وَرَحمَتَهُ وَدُعاءَهُ وَخَيرَهُ ما نَنالُ بِـهِ سِعَةً مِن رَحمَتِكَ وَفَوزاً عِندَك، وَأقبِل إلَينا بِوَجهِكَ الكَريمِ وَاقبَل تَـقَرُّبَنا بِـمَشيِنا إلَيكَ وَإلىٰ وَليِّك، وَانظُر إلَينا نَظرَةً رَحيمةً نَستَكمِلُ بِـها الكَـرامَـةَ عِـندَك، اللّـهُمَّ لا تَسلُب مِنّا ما نَحنُ فيهِ مِنَ الرَّحمَةِ وَلَذَّةِ الأرواحِ وَاطمِئنانِ القُلوب.

اللّهُمَّ بَلِّغ مَولانا الإمامَ الهاديَ المَهديَّ القائِمَ بِأمرِكَ صَلَواتُ اللهِ عَلَيهِ وَعَلىٰ آبائِهِ الطّاهِرينَ عَن جَميعِ المُؤمِنينَ وَالمُؤمِناتِ وَعَـنِ المَشـاةِ المُـخلِصينَ فـي مَشارِقِ الأرضِ وَمَغارِبِها سَهلِها وَجَبَلِها وَبَرِّها وَبَحرِها، وَعَنّي وَعَن والِدَيَّ مِـنَ الصَّلَواتِ زِنَةَ عَرشِ اللهِ وَمِدادَ كَلِماتِه، وَما أحصاهُ عَلمُهُ، وَأحاطَ بِهِ كِتابُهُ.

اللّهُمَّ إنّي وَإخوَتي المَشاةِ في اللهِ جَلَّ جَلالُه، في لَيلِنا وَنَهارِنا، وَما عِشنا مِن أيّامِ حَياتِنا، نُجَدِّدُ لَهُ ـ عَجَّلَ اللهُ فَرَجَه ـ عَهداً وَعَقداً وَبَيعَةً لَنا في أعـناقِنا، لا نَحولُ عَنها وَلا نَزولُ أبداً.

اللّهُمَّ فَاجعَلْنا مِن أنصارِهِ وَأعوانِهِ وَالذّابّينَ عَنهُ وَعَن اُمِّـهِ الزَّهـراء عليها السلام، وَالمُسارِعينَ إلَيهِ في قَضاءِ حَوائِجِه، وَالمُمتَثِلينَ لأوامِرِه، وَالمُحامينَ عَنهُ وَعَـن آبائِهِ وَأجدادِهِ وَجَدِّهِ الحُسَين عليه السلام، وَالسّابِقينَ إلىٰ إرادَتِه، وَالمُستَشهَدينَ بَـينَ يَدَيه، آمينَ يا رَبَّ العالَمين، بِرَحمَتِكَ يا أرحَمَ الرّاحِمين، وَصَلَّى اللهُ عَلىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطّاهِرين.

الفهرست


رسالة
«المؤمن مرآة المؤمن»
السيد عادل العلوي

علوی، عادل، ۱۹۵۵ ـ
رسالة المؤمن مرآة المؤمن / تأليف السيّد عادل العلوي. ـ قم: المؤسسة الإسلامية العامة للتبليغ والإرشاد، ۱٤۲۱ ق. = ۱۳۷۹.
٤٨ ص. ـ (موسوعة رسالات إسلامية)
ISBN 964 - 5915 - 18 - X (دوره). - ISBN 964 - 5915 - 34 - 1
فهرستنويسى بر اساس اطلاعات فيپا.
عربى.
كتابنامه به صورت زيرنويس.
۱. ايمان (اسلام). الف. عنوان.
۵ ر ۷٦ ع / ۲ / ۲۲۵ BP
۲۹۷ / ٤٦٤
كتابخانهٔ ملى ايران
۴۹۰۱ ـ ۷۹ م

موسوعة

رسالات إسلامية

***
***

رسالة

المؤمن مرآة المؤمن

تأليف ـ السيّد عادل العلوي

نشر ـ المؤسسة الإسلامية العامة للتبليغ والإرشاد
إيران، قم، ص. ب ٣٦٣٤
الطبعة الأُولى ـ ١٤٢٣ هجري قمري
التنضيد والإخراج الكومبيوتري ـ حكمت، قم
المطبعة ـ النهضة، قم

شابك ١ ـ ٣٤ ـ ٥٩١٥ ـ ٩٦٤ ISBN 964 - 5915 - 34 - 1
اى. اى. ان. ٩٧٨٩٦٤٥٩١٥٣٤٤ EAN 9789645915344
شابك X ـ ١٨ ـ ٥٩١٥ ـ ٩٦٤ (دورة ١٠٠ جلد) 964 - 5915 - 18 - X (100 - Vol. Set)

بسم الله الرحمن الرحيم

المؤمن مرآة المؤمن[1]

الحمد لله الذي جعل ما سواه مرآة لأسمائه وصفاته، والصلاة والسلام على أشرف خلقه ومرآة كمالاته محمّد وآله الطاهرين مرايا الفضائل والمحامد والعلوم.

أمّا بعد :

فقد جاء في كتاب بحار الأنوار[2] للعلاّمة المجلسي ﵀، تحت عنوان : إنّ حديث أهل بيت رسول الله ﷺ صعب مستصعب، وإنّ كلامهم نور يجلي القلوب ويزيل عنها الرين، ويفتح أقفالها، وإنّه ذو وجوه كثيرة، ويحمل بطوناً عديدة، كالقرآن الكريم، وفضل التدبّر في أخبارهم، وفي الباب ١١٦ حديثاً فراجع.

وبسنده عن أبي عبد الله مولانا الإمام الناطق جعفر بن محمّد الصادق ﵇ أنّه قال :

---

(١) رسالة طبعت في مجلة (نور الإسلام) الصادرة في بيروت العدد ١١ و ١٢ سنة ١٤٠٩ بـ(٣٥) معنى، وفي مجلة (الكوثر) الصادرة في إيران العدد الثاني لسنة ١٤١٦ بـ(٥٥) معنى، وطبعت في الموسوعة مع تنقيح وإضافات بـ(٩٩) معنى.

(٢) بحار الأنوار ٢ : ١٨٤، باب ٢٦.

حديث تدريه خيرٌ من ألف حديث ترويه، ولا يكون الرجل منكم فـقيهاً حتى يعرف معاريض كلامنا، وإنّ الكلمة من كلامنا لتنصرف على سبعين وجهاً، لنا من جميعها المخرج.

فكلام الرسول الأكرم محمّد ﷺ وكلام أهل بيته الأبرار الأئمة الأخيار عليهم السلام، كالقرآن الكريم، بل من القرآن وإنّه يُحمل على وجوه كثيرة ـ وربما من باب المبالغة يُقال: سبعون وجهاً ـ ولكلّ بطنٍ ووجهٍ بطون أُخرى، وينفتح من كل بـاب ألف باب، لا يعلمها إلّا الراسخون في العلم، ولا يلّقاها إلّا ذو حظٍّ عظيم، وفوق كـلّ ذي علمٍ عليم.

ومن هذا المنطلق الكريم الذي يُعدّ كـالبحر المـوّاج الزاخـر، وكـالسحاب المعطاة المليئة بالرحمة والشآبيب، أُقدّم إلى القرّاء الكرام هـذه الروايـة المـعروفة، وبعض الوجوه والمعاني التي تبادرت إلى ذهني بعد تفكّر ساعة، عسى أن يكون هذا مفتاحاً جديداً في تلقّي الآيات القرآنية الكريمة، وأُفـقاً مشـعّاً في تـفهّم الأخـبار الشريفة، ويكون هذا المتاع القليل والزاد الضئيل، الخطوة الأُولى لمسيرة ألف ميل، وما يدريك فإنّ فوق كلّ ذي علمٍ عليم، فتنفع هذه البضاعة المزجاة في الرشحات الفكرية والتأمّلات العقلية، فأعتذر مقدمةً من هفوة القلم وزلّة القدم والعذر عـند كرام الناس مقبول.

قال معلّم الإنسانية النبي الأعظم ﷺ: «المؤمن مرآة المؤمن»[1].

يمكن أن نستلهم من هذه المقولة التي تُعدّ من جوامع الكلم ـ بمـعنى: قـليلة الحروف والكلمات، كثيرة المغزى والمعاني ـ وجوهاً عديدة وهي كالآتي:

---

(١) بحار الأنوار ٧١: ٢٧٠.

في رحاب معاني حديث المرآة

١ ـ جلاء المرآة :

لقد ذكر علماء الأخلاق في تهذيب النفس وتربية الروح ثلاث مراحل : التخلية والتحلية والتجلية ، فلا بدّ أوّلاً للمرآة من جلاء وصفاء[1] وطهارة من

---

(١) جاء في بحار الأنوار (٧٠ : ٣٣٣) في تفسير القلب وسواده بالذنوب وأنّ القلب يُران ، كما في قوله تعالى : ﴿ بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ ، فقال العلاّمة المجلسي ﷺ : والمراد بما كانوا يكسبون الأعمال الظاهرة القبيحة والأخلاق الباطنة الخبيثة فإنّ ذلك سبب لرين القلب وصداه وموجب لظلمته وعماه ، فلا يقدر أن ينظر إلى وجوه الخيرات ، ولا يستطيع أن يشاهد صور المعقولات ، كما أنّ المرآة إذا اُلقيت في مواضع النّدى ركبها الصّدا ، وأذهب صفاءها وأبطل جلاءها ، فلا يتفتش فيها صور المحسوسات . وبالجملة يشبه القلب في قسوته وغلظته وذهاب نوره ، بما يعلوه من الذنوب والهوس ، وما يكسوه من الغفلة والردى ، بالمرآة المتكدرة من الندى ، وكما أنّ هذه المرآة يمكن إزالة ظلمتها بالعمل المعلوم ، كذلك هذا القلب يمكن تصفيته من ظلمات الذنوب وكدورات الأخلاق بدوام الذكر والتوبة الخالصة والأعمال الصالحة والأخلاق الفاضلة ، حتّى ينظر إلى عالم الغيب بنور الايمان ويشاهد مشاهدة العيان إلى أن يبلغ إلى أعلى درجات الإحسان ، فيعبد الله كأنّه يراه ، ويرى الجنّة وما أعدّ الله فيها =

الدرن والأوساخ، حتى يشاهد الإنسان نفسه من خلال انعكاس صورته فيها، فعلى المؤمن أن يطهّر نفسه وباطنه وظاهره من الأحداث والأخباث بطهارة ظاهرية وباطنية، ويهذّب قلبه، ويجلّي روحه، حتّى يكون مرآة أخيه المؤمن.

٢ ـ رؤية العيوب والمحاسن :

من مميّزات المرآة الصافية أنّها تبدي المعايب، كما تحكي المحاسن، وكذلك المؤمن لأخيه المؤمن فكما يذكّره بعيوبه للإصلاح ورفعها، فكذلك يذكّره بمحاسنه ومكارمه، لتقويتها في النفس وتجليتها وتثبيتها، فإنّ المرآة كما تذكر الرائي وتظهر النقطة القذرة على الوجه لإزالتها، فإنها تعكس العين الجميلة الشهلاء أيضاً. وجاء في الخبر : التفكّر مرآتك تُريك سيئاتك وحسناتك[1].

٣ ـ حكاية الواقع :

المرآة لا تكبّر العيب ولا تصغّره، بل تحكيه كما هو من دون زيادة ونقصان، فهي تحكي الواقع، فكذلك المؤمن إنّما يذكر العيب لأخيه بنفس المقدار، فلا يزيد حتّى يستوجب اليأس ويصعب عليه الأمر، ولا ينقصه حتّى يستصغر الأمر

= لأوليائه، ويرى النار وما أعدّ الله فيها لأعدائه. انتهى كلامه رفع الله مقامه.

البحار (٧١ : ٢٧٠) : قال العلّامة الراوندي في ضوء الشهاب : المرآة الآلة التي ترى فيها صورة الأشياء وهي مفعلة من الرؤية، والمعنى أنّ المؤمن يحكي لأخيه المؤمن جميع ما يراه فيه، فإن كان حسناً زيّنه له ليزداد منه، وإن كان قبيحاً نبّهه عليه لينتهي عنه. انتهى.

(١) بحار الأنوار ٦٨ : ٣٢٥.

ولا يبالي به ولا يهتمّ له، بل بنفس الحجم والمقدار.

٤ ـ المجابهة :

من خصائص المرآة أنّها تذكر العيب لناظرها وجهاً بوجه، فلا تحاكي العيوب من وراءه وخلفه، فكذلك المؤمن إنّما يذكر عيب أخيه المؤمن أمامه فإنّ المقصود إصلاحه بالخصوص لا ازدراءه وتحطيم شخصيته والاستهانة به، فلا يستغيبه، ولا يأكل لحم أخيه ميّتاً، ولا يحبّ أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا.

٥ ـ الهدوء :

إنّما تذكر المرآة العيوب لأصحابها بالخصوص بكلّ هدوء وصمت من دون تهريج وفضح صاحب العيب أمام الآخرين، فلا تريد الفضيحة لناظريها، فكذلك المؤمن لأخيه المؤمن، إنّما يذكّره بعيوبه، ويبيّنها من أجل الإصلاح بكلّ اتّزان وهدوء، ولا يذكر العيب للآخرين ليحطّم شخصيّته الاجتماعية، ويذهبْ بماء وجهه بين الناس.

٦ ـ ترك الحقد :

من محاسن المرآة أنّها لا تأخذ العيب بقلبها، فلا ينطبع في صدرها شيء، بل بمجرّد ذهاب الناظر إليها، يذهب معه ما عكسته من المعايب، وكذلك المؤمن فلا يحقد على أخيه المؤمن ولا يحمل في صدره غيضه وعداوته، ولا ينطبع في قلبه ودماغه عيب أخيه حيث لا ينساه أبداً، بل بمجرّد التذكّر الأخوي بكلّ هدوء وصفاء ومحبّة ومن ثمّ الافتراق ينتهي كلّ شيء، وكأنّه لم يكن شيئاً مذكوراً،

فالمؤمن في سلوكه يجسّد لأخيه المؤمن الحبّ والإخلاص والمصافاة والإخاء والصفاء القلبي.

٧ ـ النصح المتواصل :

المرآة لا تملّ ولا تتضجّر ولا تبدي التعب في بيان العيوب والمحاسن، بل في كلّ مرّة تذكّر الشخص بعيبه حتّى يُزيله ويصلح أمره، وكذلك المؤمن فإنّه دائماً يذكّر أخاه المؤمن وينصحه، فإنّ الذكرى تنفع المؤمنين وتسوق المجتمع الإنساني إلى ساحل السلامة والسعادة، فهدف المؤمن مع إخوته في الإيمان هو إصلاح الشخصية الإسلاميّة، ومن ثمّ إصلاح المجتمع الإسلامي، والأخذ بيد المؤمنين الذين تواصوا بالحق وتواصوا بالصبر لإيصالهم إلى وادي السعادة وقمّة الكمال المنشود.

٨ ـ العموميّة :

أليس المرآة في كلّ حال وفي كلّ زمان ومكان تقول كلمتها من أجل الصلاح والإصلاح، فكذلك المؤمن لأخيه المؤمن، فإنّه مرآته في كلّ الأحوال وفي كلّ مكان وزمان، فلا تأخذه في الله في مقام النصيحة لومة لائم، فهو يقول كلمته كلمة الحقّ والعدل والصدق.

٩ ـ الجمال والأفضليّة :

مَنْ يَبغي شراء المرآة فإنّه يبحث عن أجمل مرآة وأفضلها، وتناسبه وتتلاءم مع ما عنده، فكذلك المؤمن يبحث عن أفضل أخ مؤمن يناسبه ويتلائم مع روحيّاته، ويندمج مع نفسيّاته، فيصادقه ويصافيه ويستأنس به في الضرّاء والسّراء.

١٠ ـ المساواة بين الناس :

لو نظر شخصان في مرآة، وكان أحدهما يضحك والآخر يبكي، فإنّ المرآة تعكس حالهما في آن واحد، كلّ واحد على ما عليه من الحال. فكذلك المؤمن مع إخوته المؤمنين، فإنّه يحكي ويعكس حالهم وحقيقتهم في آن واحد، فلا يشتبه عليه الأمر فإنّه قليلٌ زَلَلَهُ كما ورد في الخبر، وإنّه يساوي بين إخوانه، كلٌّ بحسب حاله.

١١ ـ سرعة الرضا :

لو نظرت إلى المرآة في حالة الغضب وسرعان ما ضحكت وانقلب حالك فإنّ المرآة تضحك معك فهي سريعة الرضا، وكذلك المؤمن مرآة أخيه المؤمن فهو بطيء الغضب وسريع الرضا.

١٢ ـ العدالة :

إنّ المرآة عادلة تعدل بين الناس في مسؤوليتها، فتعطي كلّ واحد مَن ناظريها حقّه وما يستحقّه من دون إجحاف وتبذير، ومن دون تعسّف وتنكير، فكذلك المؤمن مع المؤمنين فهو عادل في سلوكه، يضع الأشياء في مواضعها من دون إفراط ولا تفريط.

١٣ ـ المثابرة :

لو انكسرت المرآة وتناثرت وتحطّمت، فإنّها تقول كلمتها، وكلّ قطعة منها تحكي الواقع وتذكّر الناظر، وكذلك المؤمن فإنّه لو تحطّم في المجتمع وحورب وجعلوه إرباً إرباً، فإنّه لا يزال يقول كلمته الحقّ ليزيل العيوب عن الفرد والمجتمع

فإنّه يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر لا بقلبه ولسانه، بل بكلّ جوانحه وجوارحه، فإنّه يثابر بكلّ ما يملك من أجل إعلاء كلمة الحقّ، فيكون تجسيداً للمعروف وتعكس الحال، كما هو الحال في قطعات المرآة.

١٤ ـ الفرد والجماعة :

المرآة كما هي مرآة للفرد فكذلك مرآة للجماعة، وكذلك المؤمن فهو مرآة أخيه المؤمن كما هو مرآة مجتمعه الإيماني، فإنّه يذكر العيوب والمحاسن على الصعيدين: الفردي والاجتماعي، كلّ على حسب حاله وشأنه.

١٥ ـ المحافظة :

من الخطأ كسر المرآة التي تحكي وتعكس العيب للإصلاح، وكذلك المؤمن المذكّر فإنّه يشكر على نقده البنّاء فإنّ من إيمانه الراسخ والخالص يريد الإصلاح في الأُمّة، فمن الجهل تخطئته وكسره في المجتمع ومحاربته ونصب عداوته، بل لا بدّ من الحفاظ عليه ورعايته.

١٦ ـ الصراحة :

من امتياز المرآة أنّها دائماً تعتمد على كلامها وتصرّح بذلك لناظريها، فلا تتراجع إلّا عند إزالة العيب، فكذلك المؤمن عندما يشاهد العيب فإنّه يذكّر صاحبه بذلك، ولا يتراجع قيد أنملة، ولا يساوم على ذلك قيد شعرة، فهو كالجبل الراسخ لا تحرّكه العواصف، فإنّه صبور وقور عند الهزاهز ثابت في القوّة والعقيدة كالمرآة.

١٧ ـ قول الحقّ :

إنّ المرآة قوّالة الحقيقة مع الجميع، فلا صداقة ولا قرابة عند مشاهدتها العيب، فإنّها تحكي ذلك على السواء، فكذلك المؤمن يقول الحقيقة من دون مراعاة الصداقة أو القرابة أو الشركة أو غير ذلك، فإنّ الحقيقة عنده فوق كلّ ذلك.

١٨ ـ التعليم :

المرآة مُعلّمة، تعلّمنا كيف نرفع عيوب الآخرين، وتعلّمنا أنّه كما أُعلّم الناس بمحاسنهم وعيوبهم كذلك أنت، والمؤمن عالم ربّاني أو متعلّم على سبيل النجاة فهو بين معلّم أو متعلّم، بين علم مفيد أو مستفيد.

١٩ ـ المواساة :

إنّ المرآة لتفرح بفرحك وتضحك بضحكك، كما إنّها تحزن وتبكي ببكائك، وكذلك المؤمن يفرح بفرح أخيه المؤمن ويحزن بحزنه، فيشاطره ويواسيه في همومه وأحزانه، كما يقاسمه في أفراحه وسروره.

٢٠ ـ الأُلفة :

إنّ المرآة لتألف الجميع فهي آلفة ومألوفة، فإنّها سرعان ما تأخذ أطباع وألوان مشاهديها، وكذلك المؤمن فإنّه إلفٌ مألوف هشّ بشّ، بشره في وجهه وحزنه في قلبه، يحسن المجالسة حتّى مع اليهودي كما ورد في الروايات الشريفة.

٢١ ـ الاعتزاز بالمرآة :

من العقل أن نعتزّ ونحافظ على المرآة وإن ذكرت معايبنا ومحاسننا، فكذلك

المؤمن نعتزّ بصحبته ومعاشرته ليكون صديقنا الغالي في الحياة.

٢٢ ـ الصداقة الدائمة :

لا بدّ من مصاحبة ومرافقة المرآة في حياتها في الحضر والسفر لنشاهد فيها جمالنا ونزيل بها عيوبنا ونحسّن مظاهرنا، وكذلك المؤمن فلا بدّ من مصادقته ومعاشرته ليكون في حياتنا الفردية والاجتماعية مرآة عيوبنا ومحاسننا، لنزيل نقاط الضعف فينا، كما نقوّي نقاط القوّة، فنسعد بصديق مؤمن صالح، وأخ عزيز في الله، ومن سعادة الإنسان الرفيق والصديق الموافق كما ورد في الأخبار[1].

٢٣ ـ ترك الغيبة :

إذا رأيت نفسك في المرآة فإنّها تحدّثك عن نفسك لا غير، فلا تذكر الآخرين أمامك بسوء، وكذلك المؤمن إنّما يذكّرك بنفسك، ولا يقرض الآخرين بمقاريض السوء والغيبة.

٢٤ ـ النظافة :

الإنسان بطبيعته يحبّ النظافة فإنّه يفارق المرآة الوسخة والقذرة التي لا يمكن

---

(١) بحار الأنوار (٧٣ : ٢٣٩) : ذكر صاحب عوارف المعارف حديثاً أسنده أنّ النبيّ ﷺ كان إذا سافر حمل معه خمسة أشياء : المرآة والمكحلة والمذري والسواك والمشط، وفي رواية أُخرى والمقراظ. وقد ذكرت أحاديث كثيرة حول الصديق والصداقة في (معالم الصديق والصداقة)، مطبوع في الموسوعة ـ المجلد ١١، فراجع.

إصلاحها وجلائها، فكن أيّها المؤمن جميلاً نظيفاً، فإنّ الله جميل ويحبّ الجمال، حتّى يرتاح إليك أخوك المؤمن، ويفضّل معاشرتك على غيرك، فإنّ المؤمن مرآة المؤمن.

٢٥ ـ ترك السوء :

إنّ المرآة السيّئة القذرة يبغضها الجميع، وعاقبتها الزبالة والكناسة وهجرانها، فكذلك المؤمن فإنّه لو ساء خُلقه وأساء في العمل، فإنّ المجتمع يبغضه ويقاطعه ويهجره رويداً رويداً ولا يودّ معاشرته، إلّا إذا تاب وأصلح أمره وعمل صالحاً، وتحلّى بالمكارم والفضائل.

٢٦ ـ حسن الخُلق :

أمّا المرآة الحسنة والنظيفة فهي محبّبة عند الجميع، ومكانها محترم ومرموق، وكذلك المؤمن حسن الخلق يحبّه الجميع، فله مكانته الاجتماعية المرموقة، فهو معزّز مكرّم بكرامة الله وعزّته، فإنّ العزّة لله ولرسوله وللمؤمنين ولكنّ المنافقين لا يعلمون شيئاً. ومن أراد عزّة بلا عشيرة وهيبة بلا سلطان، فليخرج من ذلّ معصية الله إلى عزّ طاعته.

٢٧ ـ رعاية الحقوق :

كلّ واحد يحافظ على مرآته كي لا تتوسّخ ويعلوها الغبار، وكذلك المؤمن فلا بدّ له من مراعاة حقوق الأُخوّة، والمحافظة عليها من غبار الأذى وانكسار الخاطر، ليبقى عُرى الأُخوّة سالماً، وحبل المودّة مستحكماً وقوياً. فإنّ

المؤمن مرآة المؤمن.

٢٨ ـ الصبر :

المرآة صبورة، فلا تملّ من مجالسة الآخرين، وتراعي حقوق المصاحبة وتتحمّل أيّ واحد كان، وكذلك المؤمن فإنّه لا يتضجّر من الآخرين في ظاهر معاشرته، ولا يظهر أمامهم الملل والكسل والانزعاج، بل بكلّ أدب يحاول أن يصلح أمرهم، ويهديهم إلى سواء السبيل، وما فيه الخير والصلاح والصواب كالمرآة.

٢٩ ـ ترك الصنميّة (التوحيد) :

إنّ المرآة لا تعبد ناظريها ولا تجعل منهم في قلبها صنماً، فكذلك المؤمن لا يجعل من هواه ومن الآخرين صنماً يعبده دون الله سبحانه وتعالى، فلا إله ولا معبود عنده سوى الله جلّ جلاله، فلا تعصّب عنده، ولا قوميّة، ولا قبليّة، ولا حزبية، ولا ما شابه ذلك، فإنّ كلّ ذلك يتنافى مع روح الإيمان، ويستلزمه الشرك الخفي أو الجليّ كما هو واضح، فلا صنميّة بين المؤمنين، إنّما المؤمن مرآة أخيه المؤمن. فنظرته إليه على نحو آلية لا الاستقلالية.

٣٠ ـ ترك الأنانيّة :

المرآة لا تدعو الناس إلى نفسها، بل تذكّرهم بالله خالقهم ومصوّرهم فتدعو إلى الله بكلّ إخلاص، ومن هذا المنطلق يستحبّ لمن ينظر نفسه في المرآة أن يدعو بهذا الدعاء كما جاء في المأثور: (الحمد لله خلقني فأحسن خلقتي، وصوّرني

فأحسن صورتي، وزان منّي ما شان به غيري، وأكرمني بالإسلام[١]، اللّهم حَسِّن خُلقي كما أحسنت خِلقتي)[٢] فالمرآة تذكّر الإنسان بربّه سبحانه، وكذلك المؤمن يذكّره أخاه المؤمن بالله جلّ جلاله.

٣١ ـ التفاعل :

إنّ المرآة تتفاعل مع ناظريها، فأيّ حركة تصدر منهم تحكي ذلك وتعكسه، وكذلك المؤمن يتفاعل مع أخيه ومع مجتمعه، فلا ينزوي عنهم ويتركهم، بل معهم في حلّهم وترحالهم.

٣٢ ـ التواضع :

من صفات المرآة أنّها متواضعة في حقيقتها، فإنّها تصوّر الآخرين وتجالس الغني والفقير والعالم والجاهل والوضيع والشريف، كذلك المؤمن فإنّه يتواضع لله سبحانه، ويتأسّى برسول الله ﷺ قائلاً : أنا مسكين وأُحبّ المساكين وأُجالس المساكين، ومن تواضع لله رفعه.

٣٣ ـ الحقيقة :

المرآة في ماهيتها ومفهومها ذات حقيقة واحدة، فإنّها تعكس الصور وتُري

---

(١) بحار الأنوار ١٠ : ٩١.

(٢) بحار الأنوار ٧٤ ، ٦٥. قال رسول الله ﷺ : يا عليّ إذا نظرت في مرآة فكبّر ثلاثاً وقُل : (اللّهم كما حسّنت خلقي فحسِّن خُلقي).

الأشياء، كما هي على حقايقها، فكذلك المؤمن فإنّه ذو حقيقة واحدة، وشخصية منفردة في مفهومها فقد يجسّد حقيقة الايمان في سلوكه وأفكاره وأعماله في المجتمع ومع إخوته المؤمنين فإنّ المؤمن مرآة المؤمن.

٣٤ ـ الغنى :

من حقيقة المرآة أنّها غنيّة في عطائها، فلا تبطل عملها بالمنّ والأذى ولا تجرح مشاعر مشاهديها، بل تهدي العيوب لأربابها، فكذلك المؤمن، فإنّه لا يبطل عمله بالمنّ وأذيّة الآخرين، ولا يجرح مشاعر أخيه المؤمن وأحاسيسه مهما بلغ الأمر، وعنده أحبّ الإخوان إليه من أهدى إليه عيوبه، كما ورد في المأثور، فهو غنيّ بغناء الله عزّ وجلّ.

٣٥ ـ الإخلاص :

الكلّ يدري بأنّ المرآة مخلصة في بيان العيوب والمحاسن، فكذلك المؤمن مع أخيه المؤمن يتعامل معه بكلّ إخلاص من دون غشٍّ ومكرٍ وحيلةٍ، فهو مخلصٌ في إيمانه وعمله وسلوكه.

٣٦ ـ الحبّ :

أليس المرآة تحبّ الجميع وتصافيهم، وحديثها حديث الحُبّ والمودّة والصفاء، كذلك المؤمن لإخوته في الايمان فإنّه يكنُّ في أعماق وجوده مودّتهم، ويملأ قلبه من محبّتهم، ويبذل النفس والنفيس من أجل حكومة الصفاء والإخاء في المجتمع الايماني.

٣٧ـ الأمانة :

المرآة أمينة، حقيقة لا تنكر فإنّها لا تخون أصحابها، فلا تفشي لهم سرّاً ولا تهرّج في معايبهم، كذلك المؤمن فإنّه أمين لا يخون، فإنّ للمؤمن ثلاث علامات : إذا حدّث لم يكذب وإذا ائتمن لم يَخُن، وإذا وعدَ لم يخلف، والجامع بين هذه الثلاثة هي حفظ الأمانة بالمعنى الأعم، وأمّا المنافق في العمل، فإنّ له ثلاث علامات وإن صلّى وصام ـ كما ورد في الخبر الشريف ـ : إذا حدّث كذب، وإذا ائتمن خان وإذا وعد أخلف.

٣٨ـ الخير :

المرآة تعكس الخيرات، كذلك المؤمن يعكس الخير لأخيه المؤمن، فهو منبع كلّ الخيرات والخير منه مأمول، والشرّ منه مأمون، فهو أصل الإحسان والفضل، وإنّه يرتجى منه الخير والمحاسن.

٣٩ـ الستار :

إنّما المرآة تذكّر العيوب الظاهرة، وأمّا المستورة فلا يظهر فيها ستّارة العيوب المخفيّة فلا تحدّث بالبواطن ولا تحكي الخفايا، كذلك المؤمن يستر على أخيه ما ستره الله عليه، ولا يحبّ أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا كما لا يحبّ الله ذلك، فربّه الله من صفاته الحسنى أنّه ستّار العيوب كذلك المؤمن يتجلّى فيه صفات الله وأسمائه الحسنى فيستر العيوب من أخيه المؤمن على الآخرين.

٤٠ـ الصفاء :

المرآة صافية من صفائها تروي الصفاء، كذلك المؤمن هو آية الصفاء

وحديثه حديث الأُخوّة والصفاء، يجسّد في سلوكه وأقواله وأحواله وآراءه حقيقة الصفاء. قال أمير المؤمنين علي عليه السلام : (العلم وراثة كريمة، والآداب حال حسان والفكرة مرآة صافية...)[١].

٤١ ـ ترك الغرور :

لا تتغيّر المرآة بنفسها، ولا تحتشم عن مصاحبة أيٍّ كان، فهي للجميع ومع الجماعة، كذلك المؤمن يتنزّه عن الغرور والحشمة والكبكبة، فلا يتطاول على الآخرين، بل مع الجماعة وللمجتمع من أجل الإصلاح والسعادة.

٤٢ ـ الإصلاح العام :

إنّ المرآة تذكر عيوب ومحاسن الأمير كما تذكر ذلك للفقير، كذلك المؤمن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويدعو إلى الإصلاح وسلامة المجتمع، فيذكّر الأمير والفقير، بلا تميز عنصري أو طائفي أو قبلي أو طبقاتي، فلا يسكت عن الأمير ليتهجّم على الفقير، بل المؤمن مرآة المؤمن مطلقاً.

٤٣ ـ عدم التوقّع :

المفروض أن لا ننتظر ونتأمّل من المرآة أكثر من حجمها، فلا ترتجِ وتنتظر من أخيك المؤمن أكثر ممّا عنده، فتحرجه أو تضايقه وربما ينتهي الأمر إلى مقاطعته ومعاداته، فلا تتوقّع منه أكثر ممّا هو عليه.

---

(١) بحار الأنوار ١ : ١٦٩ و ١٨٢.

٤٤ ـ النفع العامّ :

لو كسر واحد منّا مرآته متعمّداً، فإنّ العقلاء يذمّونه ويستقبحون عمله، فإنّ المرآة مهما تكن فهي تنفع الإنسان ولا تضرّه، كذلك المؤمن فإنّه ينفع الآخرين، فإنّ خير الناس من نفع الناس كما ورد في الأثر النبويّ الشريف، فيحفظ المؤمن في نفسه، كما يحفظ في ولده وأهله، ولا يقهر ولا يكسر عمداً، ورفع عن الأُمّة ما لم يكن فيه العمد، ومن دون تقصير وإهمال.

٤٥ ـ الإطار الإلهي :

زينة المرآة إطارها الخارجي، ولا بدّ من إطار لئلّا تجرح أيدي قابضيها ومتناوليها، والمؤمن يؤطّر بالأخلاق الحسنة والمبادئ السامية والمُثل القيّمة، ويتزيّن بالسُنن والآداب، ولا يجرح شعور الآخرين فإنّه ملجم في كلامه وحركاته وسكناته، وإنّه مرآة أخيه المؤمن، قد تأطّر بإطار إلهي، وتحلّى بصبغة الله، ومن أحسن من الله صبغة ؟

٤٦ ـ الوعاء الكبير :

إنّ المرآة الكبيرة تصوّر تماماً وجود الإنسان فإنّ وعاءها أكبر، كذلك المؤمن الكبير في همّته، الغزير في علمه، الينبوع في فضائله، المخلص في عمله، قلبه وسيع، وصدره فسيح، والقلوب أوعية، خيرها أوعاها.

٤٧ ـ البياض :

المرآة ذات اللون الأسود تعكس الأشياء وكأنّها سوداء، وإذا كانت بيضاء

فكذلك الأمر، والمؤمن لو اسودَّ قلبه بالذنوب والآثام، فإنّه يرى الأشياء كلّها سوداء مظلمة، فيسيء الظن بأخيه المؤمن، والقرآن الكريم يقول:

﴿ اَجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ﴾[1].

٤٨ ـ اللقاء الحسن:

إذا فقدتَ المرآة التي تعتزُّ بها فإنّك تتألّم وتتأثّر، فكن لأخيك المؤمن متأثراً وحزيناً بفقدانه وهجرانه.. فإنّ المؤمن مرآة المؤمن، يفرح بلقائه ويحزن بفقده.

٤٩ ـ فرحة الرؤية:

إذا وجدتَ المرآة فإنّك تفرح بها وتسرّ لا سيّما لو كانت ضائعة، وأنت مرآة أخيك المؤمن عليك أن تفرح بلقائه ويزيدك شغفاً رؤية محيّاه الباسم، فإنّ المؤمن بشره في وجهه، وحزنه في قلبه.

٥٠ ـ الإعانة:

المرآة معينة الإنسان فإنّ بإمكانه أن يستعين بها ليُشاهد من خِلالها الأشياء التي من حوله، كذلك المؤمن يستعين في حلّ قضاياه ومشاكله الفردية والاجتماعية بإخوته من المؤمنين، كما هو يعين الآخرين، فيتعاونون على البرّ والتقوى والإيمان الصادق كما أمرهم ربّهم بذلك في قوله تعالى:

---

(١) الحجرات: ١٢.

﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى البِرِّ وَالتَّقْوَى ﴾[1].

٥١ ـ التذكير :

المؤمن يذكّر أخاه المؤمن ربّه برؤيته ويذكّره بصفات الله وأسمائه، كما أنّ المرآة يُستدلّ بها على صفات الله سبحانه وتعالى، كما جاء ذلك في كتب الاحتجاج في قصّة الإمام الرضا عليه السلام مع عمران عندما كان يسأله عن الله وكيفية صفاته فقال عمران :

يا سيدي فإنّ الذي كان عندي أنّ الكائن قد تغيّر في فعله عن حاله بخلقه الخلق، قال عليه السلام : أحلتَ يا عمران في قولك : إنّ الكائن يتغيّر في وجه من الوجوه حتّى يصيب الذات منه ما يغيّره، يا عمران هل تجد النار يغيّرها تغيّر نفسها ؟ أو هل تجد الحرارة تحرق نفسها ؟ أو هل رأيت بصيراً قطّ رأى بصره ؟ قال عمران : لم أرَ هذا، ألا تخبرني يا سيدي أهو في الخلق أم الخلق فيه ؟ قال الرضا عليه السلام : جلّ يا عمران عن ذلك، ليس هو في الخلق ولا الخلق فيه، تعالى عن ذلك، وسأُعلمك ما تعرفه به، ولا قوّة إلّا بالله، أخبرني عن المرآة أنت فيها أم هي فيك ؟ فإن كان ليس واحد منكما في صاحبه، فبأيّ شيء استدللت بها على نفسك ؟ قال عمران : بضوء بيني وبينها، قال الرضا عليه السلام : فأرِناه، فلم يحر جواباً، قال عليه السلام : فلا أرى النور إلّا وقد دلّك، ودلّ المرآة على أنفسكما من غير أن يكون في واحد منكما، ولهذا أمثال كثيرة غير هذا، لا يجد الجاهل فيها مقالاً ولله المثل الأعلى[2].

---

(١) المائدة : ٢.

(٢) البحار ١٠ : ٣١٣.

يقول العلّامة المجلسي في بيان ذلك: قوله عليه السلام: (هل تجد النار يغيّرها نفسها؟) حاصله أنّ الشيء لا يؤثّر في نفسه بتغيير وإفناء وتأثير، بل إنّما يتأثّر من غيره، فالنار لا تتغيّر إلّا بتأثير غيرها فيها، والحرارة لا تحرق نفسها، والبصر لا ينطبع من نفسه، بل من صورة غيره، فالله سبحانه لا يمكن أن يتأثّر فليس من ذلك، لأنّ أحد العضوين مؤثّر والآخر متأثّر أو يقال: الإنسان أثّر في نفسه بتوسّط غيره وهو عضو منه، والله سبحانه لا يتأتّى فيه ذلك، لوحدته الحقيقيّة وبساطته المطلقة، فلا يعقل تغيّره بفعل نفسه بوجهٍ، ثمّ لمّا توهّم عمران أنّ الخلق والتأثير لا يكون إلّا بكون المؤثّر في الأثر، أو الأثر في المؤثّر، أجاب بذكر بعض الشرائط العلل الناقصة على التنظير، فمثّل بالمرآة حيث يشترط انطباع صورة البصر في المرآة وانطباع صورة المرآة في البصر، بوجود ضوء قائم بالهواء المتوسّط بينهما، فالضوء علّة ناقصة لتأثّر البصر والمرآة مع عدم حصوله في شيء منهما، وعدم حصول شيء منهما فيه، فلِمَ لا يجوز تأثير الصانع في العالم، مع عدم حصول العالم فيه، ولا حصوله في العالم؟[1]

٥٢ ـ الإضاءة:

المرآة مضيئة تنير عند انطباع شعاع النور فيها كذلك المؤمن سراجاً منيراً مضيئاً، لما ينطبع النور الإلهي في قلبه، فإنّ العلم نور يقذفه الله في قلب من يشاء كما ورد في الخبر الشريف، وآمنة بنت وهب لمّا حملت نور النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله كان يرى النور في وجهها، كما جاء في الخبر: (وكانت آمنة بعد ذلك يُرى النور

(١) البحار ١٠: ٣٢٤.

في وجهها كأنّه المرآة المضيئة)[1].

٥٣ ـ عداء الجهّال :

أكثر الناس يجهلون حقيقة المرآة وكيفية تركيبها وصنعها، إلّا من كان من أهل الصنعة والخبرة، وكذلك المؤمن فإنّ أغلب الناس يجهلونهم حتّى يعادونهم فإنّ الناس أعداء ما جهلوا، إلّا المؤمن فإنّه يعرف أخاه المؤمن، ويقيّم إيمانه، فإنّ المؤمن مرآة المؤمن.

٥٤ ـ ذكر الجميع :

من خصائص المرآة أنّها تذكر العيوب جميعاً كما تذكر المحاسن كلّها، فلا تغفل عن عيب وحسن، وكذلك المؤمن لأخيه المؤمن.

٥٥ ـ الاعتماد بالنفس :

إنّ المرآة تعتمد على ما تقول، ولم تتزلزل في بيان الحقائق من المحاسن والمعايب، وكذلك المؤمن يتوكّل على الله ويعتمد على نفسه في بيان ما يلزم بيانه بالنسبة إلى أخيه المؤمن، فإنّه مرآته كما ورد.

٥٦ ـ اليقين :

إنّ المرآة على يقين تامّ فيما تحكى من المعايب والمحاسن فلا تروي بشكّ

---

(١) بحار الأنوار ١٥ : ١٠٤.

وريب وظنّ، بل بكلّ علم وقطع ويقين، وكذلك المؤمن.

٥٧ ـ الأنس:

يأنس الناس بالمرآة في حضرهم وسفرهم، كما هي تأنس بالآخرين، فتحكي الأُنس والمؤانسة، وكذلك المؤمن مع المؤمنين.

٥٨ ـ البيان الواضح:

فإنّ المرآة لا تضرب ناظرها من الخلف بخنجر، بل حكايتها وجهاً لوجه، وليس لها في مقام الحكاية إلّا الإمام، فكذلك المؤمن مع أخيه المؤمن.

٥٩ ـ الوفاء بالعهد:

إنّ المرآة تفي بعهدها في إظهار الحقائق الإيجابيّة والسلبيّة على حدّ سواء، وكذلك المؤمن للمؤمن.

٦٠ ـ عدم مطالبة الأُجرة:

فإنّ المرآة في أداء وظيفتها الخاصّة من البيان والتبيان والتربية والتعليم لا تطالب الأُجرة، وكذلك المؤمن مع أخيه المؤمن في أداء الوظائف الواجبة من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يطالب بالأُجرة، فإنّ أجره على الله سبحانه، فلا يطالب بحطام الدنيا.

٦١ ـ ترك الحسد:

فإنّ المرآة مع مرآة أُخرى في بيان الحقائق لا تحسدها فلا حسد بينهما، بل كلّ

المرايا تعمل بهدف واحد، وكذلك المؤمن مع غيره من المؤمنين، فإنّ هدفهم هو الله الواحد الأحد، فلا يحسد بعضهم بعضاً.

٦٢ ـ الجهاد:

إنّ المرآة تبذل الجهد والنفس والنفيس في بيان الواقع والحقيقة، فهي دائماً في جهاد، وكذلك المؤمن لا تراه إلّا مجاهداً في سبيل الله ويبذل النفس والنفيس لأخيه المؤمن فإنّه مرآته، فيسعى مشكوراً من أجل إصلاحه وتطويره برفع المساوئ وزيادة الحسنات.

٦٣ ـ الاحتياج:

كلّ واحد من أجل رفع الشين وزيادة الزين يحتاج إلى المرآة، وكذلك المؤمن بحاجة ماسّة إلى أخيه المؤمن في الصلح والإصلاح والفلاح.

٦٤ ـ الشكر:

كلّ واحد يشكر المرآة في بيانها الحقائق، ولا يتألّم منها، بل يعتزّ بها ويعلّقها على الحائط، ويشاهدها كلّ يوم ويتعاهدها بالنظافة واللطافة، وكذلك المؤمن يتجلّى فيه الشكر، وإنّه من لم يشكر المخلوق لم يشكر الخالق، فالمؤمن يتعاهد المؤمن ويشكره على ما يجود عليه من الفضائل والمكارم، ومنها بيان المحاسن والمعايب.

٦٥ ـ النورانيّة:

المرآة إنّما تعكس الأشياء بعد أن ينعكس فيها النور فلا يرى الشيء

في الظلام، وكذلك المؤمن إنّما يكون مرآة لأخيه المؤمن لو كان نورانياً بنور الله سبحانه وبنور رسوله وولاية أهل البيت عليهم السلام، فالمؤمن المرآتي يكون نورانياً.

٦٦ ـ الحُسن :

إنّ المرآة في ماهيّتها لم تتّصف بالسوء والشين، بل في جوهرها وباطنها حسنة وجميلة، وكذلك المؤمن حسن الباطن.

٦٧ ـ التساوي بين الرجال والنساء :

إنّ المرآة لا تفرّق بين الرجال والنساء والكبار والصغار في بيان المحاسن والمعايب، كذلك المؤمن بالنسبة إلى المؤمنين والمؤمنات، فإنّه يساوي بينهما في مقام الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عند اجتماع شرائطهما.

٦٨ ـ التكتّم :

إنّ المرآة تظهر العيوب الظاهرة وتحكي ذلك لناظرها دون البواطن، فإنّها تكتم ذلك فيما كان مستوراً فلا تفضحه، فكذلك المؤمن لأخيه المؤمن.

٦٩ ـ النقصان :

لو كان في المرآة نقص فإنّه لا يمنع ذلك من أن تقول الحقيقة، وتحكي ما ينطبع فيها من المحاسن والمساوئ، كذلك المؤمن لأخيه المؤمن، فإنّ نقصه لا يمنعه من أن يأمره بالمعروف وينهاه عن المنكر.

٧٠ـ ظهور الحقّ :

لولا المرآة لما ظهرت العيوب والمحاسن للآخرين، وكذلك المؤمن فلولاه لما عرف الإيمان ولا المؤمن.

وقد قال رسول الله ﷺ لعليّ عليه السلام : لولاك لما عرف المؤمنون، فالحقّ يظهر بالمؤمن الإنسان الكامل.

٧١ـ الصمود :

لا تبالي المرآة في قولها الحقّ والحقيقة فهي صامدة، وكذلك المؤمن مع المؤمنين يمتاز بصموده ونضاله الدؤوب.

٧٢ـ الثبات :

تمتاز المرآة بأنّها ثابتة في البيان والتبيان، فتقول ما تراه الحقّ بكلّ ثبات ومن دون شكّ وترديد، وكذلك المؤمن لأخيه.

٧٣ـ العمل المتواصل :

إنّ المرآة لا تتعب في بيان الحقائق وإنّما تحكي ذلك دائماً بلا كسل ولا تضجّر ولا تملّل، وكذلك المؤمن لإخوته.

٧٤ـ بلا مكان :

إنّ المرآة في حكايتها تقول الحقّ في كلّ مكان، فهي فوق المكان، وكذلك المؤمن لأخيه المؤمن، فإنّه لا ينحصر بمكان خاصّ في بيان الحقيقة والواقع.

٧٥ ـ بلا زمان :

المرآة تتجاوز الزمان في الحكاية والبيان، فلا تتقيّد بزمان دون زمان، وكذلك المؤمن، فهو يتعدّى الزمان في قوله الحقّ.

٧٦ ـ غير طامع :

المرآة في أداء وظيفتها ومسؤولياتها لا تطمع بناظرها، كذلك المؤمن مع أخيه المؤمن.

٧٧ ـ الشجاعة :

لا تخاف المرآة في بيان الحقائق، بل بكلّ شجاعة وبسالة تقول قولتها، ولا تبالي حتّى لو كسروها وحطّموها، كذلك المؤمن.

٧٨ ـ الإحساس المُرهَف :

إنّ المرآة ربما تنثلم أو تنكسر بحجر صغير، فتحمل الحسّاسية المرهفة، وكذلك المؤمن، فلا نجرح عواطف الآخرين بأفعالنا وكلامنا، فكلّ واحد منّا مرآة أخيه المؤمن.

٧٩ ـ الشفّافيّة :

تمتاز المرآة بشفّافيّة، والمشاهد إنّما يرى صفاءها وشفّافيتها، وإنّها لتخفي سوادها أو احمرارها المنطبع خلفها، وكذلك المؤمن شفّاف في سلوكه ومعاشرته مع إخوته المؤمنين.

٨٠ ـ السخاء :

إنّ المرآة تجود على مشاهديها فهي سخيّة في عطائها وفي بيان الحقائق، وكذلك المؤمن سخيّ وجواد في طبعه وفي أمواله ووجاهته، وإنّ الله سبحانه يحبّ السخاء ويحبّ الأسخياء، فالمؤمن ينتفع الناس بوجوده وحياته.

٨١ ـ الاطمئنان :

المرآة إنّما تحكي وتروي عن اطمئنان، كما أنّ الناس يطمئنّون بروايتها وبيانها، ولم يشكّ أحد في مقولتها، فهناك اطمئنان متقابل بين المرآة وناظرها، وكذلك المؤمنون، فإنّ قلوبهم اطمأنّت بذكر الله، وكان كلّ واحد للآخر مرآة، فساد بينهم الطمأنينة والأمن.

٨٢ ـ الجمع :

ربما من مجموعة مرايا يرى الإنسان نفسه كاملاً، فعند جمع المرايا الصغار تتمّ المشاهدة الكاملة، كذلك المؤمن فربما يرى نفسه ويقف على محاسنه ومعايبه من خلال مجموع أفكار جماعة من المؤمنين فحينئذٍ يصلح نفسه ببركة ذلك الجمع.

٨٣ ـ العمل الجبّار :

ربما من مجموع مرايا يصدر عمل لا يصدر من مرآة واحدة، كما في صنع المكرسكوب والتلسكوب، كذلك المؤمن مع إخوانه يصدر منهم عمل جبّار وعظيم لا يتحقّق بواحد منهم، وإنّ يد الله مع الجماعة، فالمؤمن مرآة المؤمن.

٨٤ـ الزهد :

إنّ المرآة بظاهرها تحكي السذاجة والزهد وعدم التكلّف في بيان الحقائق، وكذلك المؤمن مع الآخرين وفي حياته الفردية والاجتماعية يعيش الزهد وعدم التكلّف، ويدري أنّ شرّ الإخوان من تكلّف له.

٨٥ـ كتمان السرّ :

إنّ المرآة حافظة السرّ ولا تذيع أسرار الناظرين بين الناس، فما أن يتركها الناظر الذي كانت تحكي له الواقع من المعايب والمحاسن إلّا وتكتم سرّه، فعندما يأتي الناظر الثاني لا يفهم منها ما كان للأوّل، وكذلك المؤمن مرآة المؤمنين فيكتم أسرارهم، ولا يبيحها إلّا إلى صاحبها.

٨٦ـ الراحة :

كلّ شخص يحسّ بالارتياح عندما ينظر إلى المرآة ليرى نفسه، حتّى لو حكت المرآة عيوبه، فإنّه لا يزال يحسّ بالراحة والارتياح النفسي، فالمرآة مظهر الراحة، كذلك المؤمن في معاشرته وحديثه وسلوكه يرتاح الناس إليه، فلا يكون عليهم ثقيلاً فإنّه ذو دعابة وبشاشة وابتسام، فهو مرآة المؤمنين.

٨٧ـ عدم اليأس :

من الواضح أنّ المرآة لا تيأس في حكايتها وبيانها الواقعيات، فهي تحكي العيب لمن ينظر فيها ولو تكرّر ذلك بالمئات، فما دام الناظر لم يزل عيبه، فهي تروي له ذلك وتذكّره كلّما التقى بها حتّى يزيله، كذلك المؤمن لأخيه المؤمن، فإنّه لا ييأس

في أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر، في بيان المحاسن والعيوب، بل دائماً يذكّره حتّى يصلح نفسه، فإنّه يريد أن يعيش معه ويكون معه حتّى يوم القيامة وفي الجنّة، فإنّ الأخلّاء يومئذٍ بعضهم لبعض عدوّ إلّا المتّقون، فإنّ الذي يبني من اليوم الأوّل على التقوى أحقّ أن يقام ويخلّد إلى يوم القيامة، فالصداقة الإيمانية التي تبتنى على التقوى إنّما تكون إلى يوم القيامة، في مقعد صدقٍ عند مليكٍ مقتدر، فحينئذٍ كيف يرضى المؤمن أن يكون في أخيه المؤمن عيباً يحرمه من الجنّة، أو لا يزيد في حسناته حتّى يكون من جوار الرسول الأكرم ﷺ، فالمؤمن مرآة المؤمن.

٨٨ـ الاستقلال :

إنّ المرآة لا تتعلّق بزمان ومكان كما ذكرنا، فإنّها في بيانها مستقلّة لا تعتمد على الآخرين، فهدفها إيصال الحقّ، وكذلك المؤمن مع أخيه المؤمن.

٨٩ـ النور :

المرآة تعكس الأنوار، وكذلك المؤمن، فإنّ إيمانه منبع الأنوار فهو يعكس الأنوار الإلهيّة والنبويّة والولويّة ـ أي المنسوبة إلى أولياء الله وهم الأئمة الأطهار عليهم السلام ومن يحذو حذوهم من ورثة الأنبياء عليهم السلام ـ.

٩٠ـ الأدب :

إنّ المرآة لتحمل في جوهرها وقولها الأدب الرفيع، فلا تسيء في بيانها المعايب والمحاسن، بل بكلّ لطف وأدب تروي الحقائق، كذلك المؤمن، فإنّه آية في الأدب الإسلامي الناصع.

٩١ ـ نكران الذات :

المرآة لا تنظر إلى نفسها، فهي في واقعها تنكر ذاتها من أجل الآخرين، كذلك المؤمن يمتاز بنكران ذاته، فإنّ هدفه إصلاح المجتمع، لا إظهار نفسه ووجوده.

٩٢ ـ الطهارة :

إنّ المرآة في الأعراف تعدّ مظهراً للطهارة والقداسة، فمثلاً عند الفرس في عيد نوروز عيدهم الوطني، يضعون المرآة في مائدة العيد لتحكي لهم الطهارة، كذلك المؤمن فهو الطاهر المطهّر.

٩٣ ـ الشرف :

المرآة شريفة في حياتها المرآتية، فمن شرافتها أنّها لا تبيح السرّ لغير ناظرها، وكذلك المؤمن شريف في حياته مع الآخرين، ولا يرتكب ما يخلّ بشرفه وعفّته.

٩٤ ـ الكفاءة :

من خصائص المرآة أنّها تمتاز بالكفاءة الذاتية في بيان الحقائق، وهكذا تعلّم الناس بحسن الكفاءة والاستقلال الذاتي، وكذلك المؤمن لأخيه المؤمن.

٩٥ ـ القدوة :

كلّ واحد في حياته بحاجة إلى قدوة وأُسوة، لما في الحياة من الهيبة، وليطابق الإنسان سلوكه وأعماله لأنموذج يقتدى به ويسار على هداه، والقدوة الأُولى هو الله

سبحانه، كما ورد في الخبر الصادقي عليه السلام: «تخلّقوا بأخلاق الله»، فسبحانه قدوة الأنبياء ثمّ الأوصياء ثمّ العلماء الصلحاء الأمثل فالأمثل، فالناس يحتاجون إلى قدوة صالحة، لا سيّما المؤمن، والقدوة بمنزلة المرآة يرى الإنسان فيها نفسه ليصلحها برفع نقاط الضعف منه وتقوية نقاط القوّة فيه، فالمؤمن قدوة للآخرين ﴿ وَاْجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَاماً ﴾[1]، فالمؤمن قدوة أخيه المؤمن.

٩٦ـ العلم :

إنّ المرآة لتخبر عن المحاسن والمعايب عن علم وتحكي الكلّيات منها، فهي بمنزلة العالمة بما تحكي وتقول، فكذلك المؤمن إنّما يكلّم الناس عن علم ويخبر عن الكلّيات والعمومات.

٩٧ـ المعرفة :

المرآة تروي الجزئيات ودقائق الحسن والعيب، فعن معرفة تامّة تروي ما تعلم، فهي بمنزلة العارفة بما تقول، فكذلك المؤمن فإنّه عارف بالله وبمعرفته عن معرفة يذكر ما يعرفه لأخيه المؤمن. والفرق بين العلم والمعرفة أنّ الأوّل في الكلّيات والثاني في الجزئيات.

٩٨ـ الله والإنسان :

ربما يكون المراد من المؤمن الأوّل في قوله صلى الله عليه وآله: (المؤمن مرآة المؤمن) هو

---

(١) الفرقان : ٧٤.

الإنسان والمؤمن الثاني هو الله سبحانه وتعالى[١] فإنّ من أسمائه الحسنى كما في كتابه الكريم (المؤمن).

فالإنسان الذي هو أشرف المخلوقات، لو آمن بالله ورسوله واليوم الآخر، وكان مؤمناً حقّاً، فهو مرآة الله سبحانه وتعالى، تظهر وتتجلّى فيه أسماؤه الحسنى وصفاته العُليا، وإنّما يتجلّى أوّلاً في الإنسان الكامل الذي اشتقّ نوره من نور الله سبحانه، وهو النبيّ الأكرم ﷺ كما جاء في حديث المعراج: (يا أحمد لولاك لما خلقت الأفلاك) فهو المؤمن الكامل حقّاً، ثمّ يتلو في المقام وصيّه، ثمّ الأمثل فالأمثل من عباد الله الصالحين، وما به الاشتراك بين الأنبياء والأوصياء هو الحقيقة المحمّدية، وهي الولاية الإلهية العظمى. وإنّ قلب المؤمن حرم الله وعرش الرحمن، وجاء في الخبر الشريف: يتقرّب إليّ عبدي المؤمن بالنوافل حتّى أُحبّه فإذا أحببته، أكون سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها. وبإمكان الإنسان بلطف من الله أن يصل إلى كماله المطلق ومطلق الكمال، إلى قاب قوسين من القرب المعنوي الروحاني أو أدنى:

﴿ وَإِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحاً فَمُلاقِيه ﴾[٢].

---

(١) يقول العلّامة المجلسي في بحاره (٧١: ٢٧٠): قد ذهب بعض الصوفيّة إلى أنّ المؤمن الثاني هو الله تعالى، أي المؤمن مظهر لصفاته الكمالية تعالى شأنه، كما ينطبع في المرآة صورة الشخص والحديث يدلّ على أنّه ليس بمراد من الخبر النبوي ﷺ. وقيل: المراد أنّ كلاً من المؤمنين مظهر لصفات الآخر، لأنّ في كلّ منهما صفات الآخر، مثل الإيمان وأركانه ولواحقه وآثاره والأخلاق والآداب ولا يخفى بُعده.

(٢) الانشقاق: ٦.

وإلى الله المنتهى، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون، فيكون الإنسان المؤمن في قوسه النزولي والصعودي مرآة ربّه العليّ جلّ جلاله، واجب الوجود لذاته، المستجمع لجميع الصفات الكمالية والجلالية.

٩٩ ـ النبيّ والوصيّ عليهما السلام :

ويمكن أن يُراد من المؤمن الأوّل هو أمير المؤمنين عليّ عليه السلام والمؤمن الثاني هو رسول الله صلى الله عليه وآله فعليّ مرآة أخيه محمّد صلى الله عليه وآله، ومن أراد أن يُشاهد الرسول في أخلاقه وعلمه وكمالاته ويدخل مدينة حكمته، فعليه أن يأتي البيوت من أبوابها، وعليّ باب مدينة علم رسول الله، فهو مرآة حق وإيمان لأخيه محمّد صلى الله عليه وآله وهو القائل: (علّمني رسول الله ألف باب من العلم ينفتح لي من كلّ باب ألف باب)، فصراط عليّ حقّ نمسكه، ومن تمسّك بولاية علي عليه السلام فقد تمسّك بحبل الله جلّ جلاله، وأُولئك هم الفائزون المفلحون.

* * *

مرآتية المؤمن في الروايات الشريفة

بحار الأنوار[1] بسنده عن المعلّى بن خنيس قال:

قلت لأبي عبد الله عليه السلام: ما حقّ المؤمن على المؤمن؟

قال: سبع حقوق واجبات ما فيها حق إلّا وهو عليه واجب، إن خالفه خرج من ولاية الله وترك طاعته، ولم يكن لله عزّ وجلّ فيه نصيب.

قال: قلت: جُعلت فداك حدّثني ما هنّ؟

قال: يا معلّى إنّي شفيق عليك، أخشى أن تضيّع ولا تحفظ وتعلم ولا تعمل.

قلت: لا قوّة إلّا بالله.

قال: أيسر حقّ منها أن تحبّ له ما تحبّ لنفسك، وتكره له ما تكره لنفسك.

والحقّ الثاني: أن تمشي في حاجته وتبتغي رضاه ولا تخالف قوله.

والحقّ الثالث: أن تصله بنفسك ومالك ويدك ورجلك ولسانك.

والحقّ الرابع: أن تكون عينه ودليله ومرآته وقميصه.

والحقّ الخامس: أن لا تشبع ويجوع، ولا تلبس ويعرى، ولا تروى ويضمأ.

---

(١) بحار الأنوار ٧١: ٢٢٤.

والحقّ السادس : أن تكون لك امرأة وخادم، وليس لأخيك امرأة وخادم أن تبعث خادمك فيغسل ثيابه ويصنع طعامه ويمهّد فرشه، فإنّ ذلك كلّه إنّما جعل بينك وبينه.

والحقّ السابع : أن تبرّ قسمه، وتجيب دعوته، وتشهد جنازته، وتعوده في مرضه، وتشخص بدنك في قضاء حاجته، ولا تحوجه إلى أن يسألك، ولكن تبادر إلى قضاء حاجته، فإذا فعلت ذلك به، وصلت ولايتك بولايته، وولايته بولاية الله عزّ وجلّ.

وفي الصفحة ٢٣٨ : ما حقّ المسلم على المسلم.. ثمّ ينقل الرواية نفسها.

البحار[1] بسنده عن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام عن آبائه عليهم السلام قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وآله : المؤمن مرآة لأخيه المؤمن ينصحه إذا غاب عنه، ويميط عنه ما يكره إذا شهد، ويوسّع له في المجلس.

البحار[2] : قال الإمام الصادق عليه السلام :

لكلّ شيء شيء يستريح إليه، وإنّ المؤمن يستريح إلى أخيه المؤمن، كما يستريح الطير إلى شكله، أوَ ما رأيت ذلك ؟

وقال عليه السلام : المؤمن أخو المؤمن هو عينه ومرآته ودليله، لا يخونه، ولا يخدعه، ولا يظلمه، ولا يكذبه، ولا يغتابه.

---

(١) البحار ٧١ : ٢٣٣.

(٢) البحار ٧١ : ٣٣٧.

البحار[١] بسنده قال أبو عبد الله عليه السلام :

المسلم أخو المسلم، وهو عينه ومرآته ودليله، ولا يخونه ولا يظلمه ولا يخدعه ولا يكذبه ولا يغتابه.

تبيين : (مرآته) أي : يبيّن محاسنه ليركبها، ومساويه ليجتنبها، كما هو شأن المرآة، أو ينظر إلى ما فيه من المعايب فيتركها، فإنّ الإنسان في غفلة من عيوب نفسه، وكذا المحاسن.

رويِ عن رسول الله صلى الله عليه وآله : (المؤمن مرآة المؤمن)[٢].

قال رسول الله صلى الله عليه وآله : المؤمن مرآة لأخيه المؤمن ينصحه إذا غاب عنه، ويميط عنه ما يكره إذا شهد، ويوسّع له في المجلس[٣].

عن أمير المؤمنين عليّ عليه السلام : يا كميل المؤمن مرآة المؤمن، لأنّه يتأمّله، فيسدُّ فاقته، ويجمل حالته[٤].

---

(١) البحار ٧١ : ٢٧٠.

(٢) البحار ٧١ : ٢٧٠.

(٣) البحار ٧١ : ٢٣٣.

(٤) البحار ٧٤ : ٢٦٩ و ٤١٤

الخاتمة

يذكر ذلك العلّامة المجلسي في بحاره[1] بعد بيان تحقيق في حقيقة القوّة الباصرة وكيفية الإبصار والاختلاف فيها، فقال:

ومنها: رؤية المرئيات في المرايا والأجسام الصقيلة، واختلف في سببه، وتفرّق آراؤهم إلى مذاهب أربعة:

الأوّل: مذهب أصحاب الشعاع حيث ذهبوا إلى أنّه بانعكاس الخطوط الشعاعية، وتفصيله إنّا نعلم تجربة أنّ الشعاع ينعكس من الجسم الصقيل، كما ينعكس شعاع الشمس من الماء إلى الجدار، ومن المرآة إلى مقابلها، فإذا وقع شعاع البصر على المرآة مثلاً ينعكس منها إلى جسم آخر، وضعه من المرآة من البصر على وجه تتساوى زاويتا الشعاع والانعكاس، فإذا قابلت المرآة وجه المبصر وكان سهم المخروط الشعاعي عموداً على سطح المرآة، وجب انعكاس ذلك الخطّ العمود من سمته بعينه إلى مركز الجليديّة، إذ لو انعكس إلى غيره لزم تساوي زاوية قائمة مع زاوية حادّة، وانعكست الخطوط القريبة منه إلى باقي أجزاء الوجه فيرى الوجه.

(١) بحار الأنوار ٥٨ : ٢٦٥.

وإذا كانت المرآة غير مقابلة للبصر على الوجه المذكور، لم ينعكس الشعاع إليه، بل إلى جسم آخر، من شأنه أن تتساوى به الزاويتان المذكورتان. فالمرئي في المرآة إنّما هو الأمر الخارجي، لكن لمّا رؤي بالشعاع الذي رؤي به المرآة، يظن أنّه في المرآة وليس موجوداً في المرآة، وإذا كان الوجه قريباً من المرآة والخطوط المنعكسة قصيرة، يظنّ أن صورة المرئي قريبة من سطح المرآة، وإذا كان الوجه بعيداً عنها والخطوط المنعكسة طويلة يظنّ الصورة غائرة فيها. وأُورد عليه من الإيراد المذكور في محلّها.

الثاني: مذهب أصحاب الانطباع، وتوضيحه: أنّه كما أنّ القوّة الباصرة بحيث إذا قابلت جسماً ملوّناً مضيئاً ارتسمت صورته فيها، فكذلك هي بحيث إذا قابلت جسماً صقيلاً ارتسمت فيه صورة المرآة، وشرط الانعكاس عندهم أيضاً ما مرّ من كون الجسم المقابل من المرآة مثل مقابلة المرآة للمبصر، بحيث تتساوى زاويتا الشعاع والانعكاس من الخطوط الشعاعيّة الموهومة المفروضة المستقيمة.

الثالث: مذهب سخيف ضعيف، وهو أنّ الصورة ينطبع في المرآة.

الرابع: مذهب أفلاطون ومن سبقه وتبعه من الإشراقيين، حيث أثبتوا عالماً آخر سوى هذا العالم الجسماني الذي هو المحدّد للجهات، مع ما فيه من الأجرام الفلكية والأجسام العنصرية، وهو عالم متوسّط بينه وبين عالم المجرّدات العقلية الصرفة المنزّهة عن المقدار والحيّز والجهة والشكل. فإنّ أشخاص هذا العالم صور مثالية، وأشباح برزخية، مجرّدة عن الطبائع والموادّ، نورانيّة، يسمّى ذلك العالم عالم المثال، وقالوا: إنّ الصور المرئية في المرايا وغيرها من الأجسام الصقيلة والصور المتخيّلة وأمثالها صور موجودة قائمة بنفسها، إذ لو كانت الصور في المرآة

لما اختلف رؤية الشيء باختلاف مواضع نظرنا إليها، ولو كانت في الهواء لم يكن أن ترى، لأنّ الهواء شفّاف لم يكن أن يرى، وكذا ما حلّ فيه، وليست هي صورتك بعينها بأن ينعكس الشعاع من المرآة إليك، لبطلان القول بالشعاع لوجوه مذكورة في كتب القوم، ولا في القوّة الباصرة أو غيرها من القوى البدنية لوجوه ذكروها، فهي صور جسمانية موجودة في عالم آخر، متوسّط بين عالمي الحسّ والعقل يسمّى بعالم المثال (المثل الأفلاطونية)، وهي قائمة بذاتها معلّقة لا في محلّ ولا في مكان، لها مظاهر كالمرآة في الصور المرئية المرآتية والخيال في الصور الخيالية.

وجاء في (المناقب) لابن شهرآشوب: ممّا أجاب الرضا عليه السلام بحضرة المأمون لضباع بن نصر الهندي وعمران الصابيّ عن مسائلهما: قال عمران: العين نور مركّبة أم الروح تبصر الأشياء من منظرها؟ قال عليه السلام: العين شحمة، وهو البياض والسواد، والنظر للروح، دليله أنّك تنظر فيه فترى صورتك في وسطه، والإنسان لا يرى صورته إلّا في ماء أو مرآة وما أشبه ذلك...[1]

قال العلّامة المجلسي في بيان ذلك: قوله (دليله أنّك تنظر فيه) كأنّ الغرض التنبيه على أنّ هذا العضو بنفسه ليس شاعراً لشيء، لأنّه مثل سائر الأجسام الصقيلة التي يرى فيها الوجه كالماء والمرآة، فكما أنّها ليست مدركة لما ينطبع فيها فكذا العين وغيرها من المشاعر، أو دفع لتوهّم كون الانطباع دليلاً على كونها شاعرة، فيكون سنداً للمنع.

وجاء في (تحف العقول): سأل يحيى بن أكثم عن قول علي عليه السلام: (إنّ الخنثى

---

(١) البحار ٥٨: ٢٠٥.

يورث من المبال) وقال: فمن ينظر إذا بال إليه؟ مع أنّه عسى أن تكون امرأة وقد نظر إليها الرجال؟ أو عسى أن يكون رجلاً وقد نظرت إليه النساء؟ وهذا ممّا لا يحلّ. فأجاب أبو الحسن الثالث عليه السلام: إنّ قول علي عليه السلام: حقّ، وينظر قوم عدول يأخذ كلّ واحد منهم مرآة، وتقوم الخنثى خلفهم عريانة، فينظرون في المرايا فيرون الشبح، فيحكمون عليه.

قال العلّامة المجلسي: بيان: ظاهره أنّ الرؤية بالانطباع لا بخروج الشعاع، لقوله عليه السلام: (فيرون الشبح) ولأنّه إذا كان بخروج الشعاع فلا ينفع النظر في المرآة، لأنّ المرئي حينئذٍ هو الفرج أيضاً. ويمكن الجواب بوجهين:

الأوّل: إنّ مبنى الأحكام الشرعية الحقائق العرفية، لا الدقائق الحكمية، ومن رأى امرأة في الماء لا يُقال لغةً ولا عرفاً: إنّه رآها، وإنّما يقال: رأى صورتها وشبحها، والنصوص الدالّة على تحريم النظر إلى العورة إنّما تدلّ على تحريم الرؤية المتعارفة، وشمولها لهذا النوع من الرؤية غير معلوم. فيمكن أن يكون كلامه عليه السلام مبنيّاً على ذلك لا على كون الرؤية بالانطباع، ويكون قوله (فيرون الشبح) مبنيّاً على ما يحكم به أهل العرف، وذكره لبيان أنّ مثل تلك الرؤية لا تسمّى رؤية حقيقية، لا عرفاً ولا لغةً.

والثاني: أنّه يحتمل أن يكون الحكم مبنيّاً على الضرورة، ويجوز في حال الضرورة ما لا يجوز في غيرها ـ كلّما حرّمه الله أحلّه الاضطرار ـ فيجوز النظر إلى العورة كنظر الطبيب والقابلة وأمثالهما، ولمّا كان هذا النوع من الرؤية أخفّ شناعة وأقلّ مفسدة، اختاره عليه السلام لدفع الضرورة هناك بها، فلا يدلّ على الجواز عند فقد الضرورة، وعلى الانطباع. والأوّل أظهر. ومع ذلك لا يمكن دفع كون ظاهر الانطباع.

وسنتكلّم في أصل الحكم في موضعه إن شاء الله تعالى[1]. انتهى كلامه رفع الله مقامه.

أقول:

هذا غيض من فيض في حقيقة المرآة والحديث النبوي الشريف: (المؤمن مرآة المؤمن) وما تصوّرناه وتبادر إلى الذهن القاصر من المعاني التي بلغت (٩٩) معنىً، وفي ذلك فليتنافس المتنافسون، وما أُوتينا من العلم إلّا قليلاً، وفوق كلّ ذي علمٍ عليم، ولا يلقّاها إلّا ذو حظٍّ عظيم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

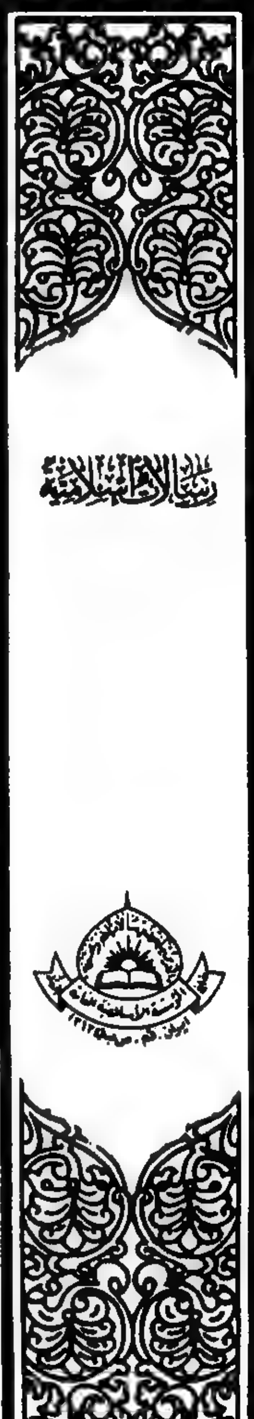
---

(١) البحار ٥٨ : ٢٥٥.

المحتويات

الإخلاص في الحج

السيد عادل العلوي



علوی، عادل، ۱۹۵۵ ـ
رسالة الإخلاص في الحجّ / تأليف السيّد عادل العلوي. ـ قم: المؤسسة الإسلامية العامة للتبليغ والإرشاد، ۱٤۲۱ ق. = ۱۳۷۹.
۲٤ ص. ـ (موسوعة رسالات إسلامية)
ISBN 964 - 5915 - 27 - 9 - .(دوره) ISBN 964 - 5915 - 18 - X
فهرستنويسى بر اساس اطلاعات فيپا.
عربى.
كتابنامه به صورت زيرنويس.
۱. اخلاص. ۲. ريا. ۳. حج. الف. عنوان.
BP ۲۵۰ / ٦ / ۸ ع ۸ ر ۵ — ۲۹۷ / ٦۳۲
كتابخانهٔ ملى ايران — ۲۰۹۰٤ ـ ۷۹ م

موسوعة

رسالات إسلامية

***
***

رسالة

الإخلاص في الحجّ

تأليف ـ السيّد عادل العلوي

نشر ـ المؤسسة الإسلامية العامة للتبليغ والإرشاد
إيران، قم، ص. ب ۳٦۳٤
الطبعة الثانية ـ ۱٤۲۳ هجري قمري
صفّ الحروف ـ حكمت، قم
المطبعة ـ النهضة، قم

شابك ۹ ـ ۲۷ ـ ۵۹۱۵ ـ ۹٦٤ — ISBN 964 - 5915 - 27 - 9
اى. اى. ان. ۹۷۸۹٦٤۵۹۱۵۲۷٦ — EAN 9789645915276
شابك X ـ ۱۸ ـ ۵۹۱۵ ـ ۹٦٤ (دورة ۱۰۰ جلد) — 964 - 5915 - 18 - X (100 - Vol. Set)

بسم الله الرحمن الرحيم

الإخلاص في الحجّ[1]

الحمد لله الذي يصعد إليه العمل الخالص، والصلاة والسلام على أشرف خلق الله المخلص، سيّد الأنبياء والمرسلين محمّد وآله المعصومين الطاهرين.

قال الله تعالى في كتابه الكريم:

﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾[2].

لقد خلق الله الإنسان في أحسن تقويم، وتمدّح بخلقه في قوله تعالى:

﴿ فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الخَالِقِينَ ﴾[3].

وركّبه من سرّ وعلن، وروح وبدن، وبدنه من تراب وروحه من أمر ربّه:

﴿ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي ﴾[4].

فأودعه أسرار خلقه. وجرمه وإن كان صغيراً ولكن انطوى فيه العالم

---

(١) طبعت الرسالة في مجلة (الميقات) العربية الصادرة من منظّمة الحجّ في إيران، العدد الثاني.

(٢) البيّنة: ٥.

(٣) المؤمنون: ١٤.

(٤) الحجر: ٢٩.

الأكبر. فدنا فتدلّى فكان قاب قوسين أو أدنى، فعلّمه الأسماء الحسنى، وفهّمه البيان الأتم، وأناله الله تعالى بخضوعه وعبوديته له المقام الشامخ، فإنّ العبودية جوهرة كنهها الربوبيّة، وأنطقه بأقواله سبحانه، ومَن أصدق من الله قيلاً، وأصبغه بصبغته، ومَن أحسن من الله صِبغة، وهداه النجدين: نجد الخير ونجد الشرّ، وجعله مختاراً في سلوك الطريقين، فإمّا شاكراً وإمّا كفوراً.

وخلق لروحه وبدنه منافيات وملائمات، وآلام ولذّات، ومنجيات ومهلكات، فمنافيات البدن الأمراض والأسقام الجسمانية، وملائماته الصحّة واللذات الجسمانية.

والمتكفّل ببيان تفاصيل هذه الأمراض، وكيفية علاجها هو (علم الطب)، ومنافيات الروح وآلامه هي رذائل الأخلاق وذمائمها التي تهلكه وتشقيه، وترديه وتهويه إلى أسفل السافلين، فيكون كالأنعام بل أضلّ سبيلاً، وقلبه كالحجارة بل أشدّ قسوة.

والمتكفّل ببيان هذه الرذائل الأخلاقية ومعالجاتها هو (علم الأخلاق).

أمّا صحّة الروح فتتمّ برجوعها إلى فضائل الأخلاق ومحامدها التي تُنجيه وتسعده في الدارين، وتأخذ بيديه إلى مجاورة أهل الحقّ، عند مليك مقتدر في مقعد صدق وصفاء.

وإنّما بعث الله رسوله خاتم النبيّين محمّد ﷺ ليتمّم مكارم الأخلاق، فقال ﷺ: «إنّما بُعثت لأُتمّم مكارم الأخلاق» وقد مدحه ربّه في قوله تعالى:

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[1].

---

(١) القلم: ٤.

وقد أقسم الله سبحانه في سورة الشمس بأحد عشر قسماً أنّه:

﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴾[١].

حتّى قيل: أوجب الواجبات الأخلاق الحسنة والمحمودة.

ثمّ البدن مادّي فانٍ، وكلّ من على الأرض فان، والروح مجرّد باقٍ، وإذا اتّصفت بشرائف الأخلاق كانت منعّمة في السعادة الأبدية، وإن اتّصفت برذائلها كانت في الشقوة والعذاب مخلّدةً.

فعلى المرء الواعي أن يهذّب نفسه، ويزكّي أخلاقه، ويعالج أمراضه، قبل فوات الأوان. كما أنّ المريض ينبغي له أن يعالج بدنه وصحّته.

وكلّ شيءٍ إنّما يعالج بضدّه، فإنّ علاج اليابس بالرطب، والرطب باليابس، والحارّ بالبارد والبارد بالحارّ.

وهكذا أمراض الأخلاق، فإنّ الجهل يُعالج بالعلم، والبخل بالسخاء، والكبر بالتواضع، والشره بالكفّ عن الشهوات، ومرض الرياء بالإخلاص.

وإن كان ذلك كلّه يستلزم التكلّف والمرارة، فإنّ مَن أراد أن يعالج مرض بدنه فعليه أن يتحمّل مرارة الدواء، وأن يصبر عن المشتهيات، وكذلك الروح حيث يُريد الإنسان علاجها فلا بدّ له من احتمال مرارة المجاهدة وشدّة الصبر الذي هو سيّد الأخلاق. فيصبر على فعل الطاعات والعبادات، وترك المعاصي والآثام، ليداوي بالصبر أمراض القلوب. وإنّ علاجها أولى من علاج الأبدان، فمرض البدن يخلّص الإنسان منه بالموت، ولكن مرض الروح ـ والعياذ بالله ـ يدوم حتّى بعد الموت.

---

(١) الشمس: ٩ ـ ١٠.

فالحريّ بمن يخاف على نفسه وقلبه وروحه، أن يباشر المعالجة قبل الموت، فإنّه سيندم، يوم لا ينفعه الندم.

ثمّ أصل تهذيب النفس وتزكيتها أن يقف الإنسان على حقيقة نفسه، ويرى عيوبها ومهلكاتها. فمن كملت بصيرته وتمّت حذاقته، لم تخف عليه عيوبه. ومن عرف الأمراض والعيوب يسهل عليه التداوي والتخلّص منها. ولكنّ أكثر الناس جهلوا عيوب أنفسهم، فيرون القذى في أعين الآخرين، ولا يرون الجذع في عيونهم.

ولا بدّ من الاعتدال والحكمة في الأخلاق، فهما الصحّة للقلب والنفس والروح. أمّا الميل والانحراف عن حدّ الاعتدال، فهما المرض والسقم الذي يخاف منه.

وعلاج النفس لمحو الرذائل والأخلاق الذميمة عنها، يكسبها الفضائل والأخلاق الحميدة، كما أنّ تخلية القلب من الأهواء والأمراض النفسيّة، وتحلّيه هو الآخر بالأخلاق الفاضلة، يجعل الروح أكثر جلاءً، ويصقلها حتّى تكون كالمرآة تنطبع فيها أسرار الله وكونه.

ثمّ الغالب على أصل المزاج البدني هو الاعتدال، وإنّما تعتريه العلل المغيّرة بعوارض الأغذية والأهوية والأحوال.

وكذلك الروح، فكلّ مولود يولد على الفطرة المعتدلة الصحيحة، وإنّما أبواه يهوّدانه أو ينصّرانه أو يمجّسانه، فالمحيط والتربية والتعلّم والتعوّد لها الأثر البالغ في اكتساب الإنسان الرذائل والآثام، أو الفضائل والمحامد.

ولمّا كان البدن في ابتداء خلقه لم يخلق كاملاً، وإنّما ينمو ويكمل وتقوى القوى فيه بالنشوء والتربية بالغذاء والماء، فكذلك النفس تخلق ناقصة، إلّا أنّها

قابلة للتكامل المنشود في جبلته، والذي خُلق الإنسان من أجله، يصل الإنسان بجهده وجهاده إلى كماله، وأن يكون مظهراً لأسماء الله وصفاته. وتكمل هذه النفس بالتزكية وتهذيب الأخلاق، وتغذيتها بالعلم النافع والعمل الصالح والإيمان الراسخ.

وإذا كان البدن صحيحاً، فشأن الطبيب حينئذٍ تمهيد القانون وبيانه للصحّة والمحافظة عليها، وإن كان البدن مريضاً، فشأن الطبيب أيضاً جلب الصحّة إليه.

فكذلك النفس، فإن كانت سليمة وزكيّة ومهذّبة الأخلاق، فينبغي السعي من أجل حفظها وسلامة صحّتها وبقائها، واكتساب زيادة صفائها وجلائها، وإن كانت عديمة الكمال، فاقدة للصفاء الروحي، فينبغي الجهد المتواصل لجلب الصحّة النفسيّة إليها.

الإخلاص والرياء

هذا ومن أمراض القلب الخطرة جداً هو الرياء في النـوايـا والعـمل، فـإنّه كدبيب نملة سوداء في ليلة ظلماء على صخرة صلداء، فمَن يحسّ بدبيبها ؟ ! وإنّ الرياء من عمل الشيطان الرجيم ليضلّ الناس ويغويهم :

﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴾[1].

ويقابل الرياء الإخلاص، « والأعمال بالنيّات » ـ كما ورد في الخبر ـ « ولكلّ امرئٍ ما نوى »، والنيّة من عمل الجوانح، وهو القصد القلبي نحو العمل المقصود إتيانه والمنشود فعله. ولو كانت النيّة خالصة لله سبحانه، فإنّها توجب قبول الأعمال، فإنّ الكلم الطيّب ـ وهو الذي فيه الإخلاص كما ورد في الأثر ـ يصعد إلى الله سبحانه، وإنّما يتقبّل الله من المتّقين، والإخلاص أساس التقوى.

والإخلاص من جنود العقل، كما أنّ الرياء من جنود الجهل، ولا يجتمعان في قلب واحد للتضادّ، كما في النور والظلام.

قال رسول الله ﷺ : طوبى للمخلصين أُولئك مصابيح الهدى، تنجلي عنهم

---

(١) ص : ٨٢ ـ ٨٣.

كلّ فتنة ظلماء[1].

وقال ﷺ: العلماء كلّهم هلكى إلّا العاملون، والعاملون كلّهم هلكى، إلّا المخلصون، والمخلصون على خطر.

وقال ﷺ: إذا عملت عملاً فاعمل لله خالصاً، لأنّه لا يقبل من عباده الأعمال إلّا ما كان خالصاً.

وقال ﷺ: ليست الصلاة قيامك وقعودك، إنّما الصلاة إخلاصك، وأن تريد بها وجه الله.

وقال أمير المؤمنين علي عليه السلام: العمل كلّه هباء إلّا ما أُخلص فيه.

وقال عليه السلام: ضاع من كان له مقصدٌ غير الله.

وقال الإمام الصادق عليه السلام: ولا بدّ للعبد من خالص النيّة في كلّ حركة وسكون؛ لأنّه إذا لم يكن ذلك منه يكن غافلاً، والغافلون قد وصفهم الله تعالى فقال:

﴿ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً ﴾[2].

وقال:

﴿ أُوْلَئِكَ هُمُ الغَافِلُونَ ﴾[3].

قال الله تعالى عن لسان نبيّه:

﴿ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ * وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ

---

(١) كنز العمّال: الحديث ٥٢٦٨، الدرّ المنثور ٢: ٢٣٧.

(٢) الفرقان: ٤٤.

(٣) الأعراف: ١٧٩.

الْمُسْلِمِينَ ﴾[1].

قال رسول الله ﷺ: إنّ لكلّ حقّ حقيقة، وما بلغ عبد حقيقة الإخـلاص حتّى لا يحبّ أن يحمد على شيء من عمل لله.

وقال ﷺ في حديث آخر: «أمّا علامة [علامات] المخلص فأربع: يسلم قلبه، وتسلم جوارحه، وبذل خيره، وكفّ شرّه.

وعن أمير المؤمنين علي عليه السلام قال: مَـن لم يخـتلف سرّه وعـلانيته، وفـعله ومقالته، فقد أدّ الأمانة وأخلص العبادة.

قال أبو حامد الغزالي في إحياء علوم الدين في بيان حقيقة الإخلاص ـ بعد أن ذكر أقوال الشيوخ فيها ـ:

الأقاويل في هذا كثيرة ولا فائدة في تكثير النقل بـعد انكشـاف الحـقيقة، وإنّما البيان الشافي بيان سيّد الأوّلين والآخرين، إذ سُئل عن الإخلاص فقال: «هو أن تقول ربّي الله ثمّ تستقيم كما أُمرت» أي لا تعبد هواك ونفسك ولا تعبد إلّا ربّك، وتستقيم في عبادته كما أمرك ـ إيّاك نعبد وإيّاك نستعين ـ وهذه إشارة إلى قطع كلّ ما سوى الله عزّ وجلّ من مجرى النظر، وهو الإخلاص حقّاً.

ثمّ من آثار الإخلاص في حياتنا الفردية والاجتماعية، وفي العلمية والعملية، هو تفجّر ينابيع الحكمة وجريانها من قلب المخلص على لسانه وفي كلماته، فيخرج من القلب ويدخل في القلوب.

وقال رسول الله ﷺ: قال الله عزّ وجلّ: لا أطّلع على قلب عبد فاعلم منه حبّ الإخلاص لطاعتي لوجهي وابتغاء مرضاتي إلّا تولّيت تقويمه وسياسته.

---

(١) الزمر: ١١ ـ ١٢.

وقال أمير المؤمنين علي عليه السلام : غاية الإخلاص الخلاص. والمخلص حـريّ بالإجابة، وعند تحقّق الإخلاص تستنير البصائر، وبالإخلاص ترفع الأعمال، وفي إخلاص النيّات نجاح الأمور، ومَن أخلص بلغ الآمال، أخلص تنل.

حريّ أن تكتب هذه الكلمات بأقلام من نور على وجنات الحور، فما أروع قوله عليه السلام : أخلص تنل، كلمتان فقط ولكن فيها ما فـيها مـن الأسرار والحِكـم والحقائق، فإنّ الإنسان إنّما ينال ما ينال بالإخلاص.

وقال الإمام الصادق عليه السلام : إنّ المؤمن ليخشع له كلّ شيء ويهابه كلّ شيء، ثمّ قال : إذا كان مخلصاً لله أخاف الله منه كلّ شيء حتّى هـوام الأرض وسـباعها وطير السماء.

ثمّ يا هذا هل بعد الإخلاص من مقصود ومنشود ؟

وقد قال الإمام الباقر عليه السلام : ما بين الحقّ والباطل إلّا قلّة العـقل ـ أي مـن يختار الباطل فهذا من قلّة عقله ـ قيل : وكيف ذلك يا بن رسول الله ؟ قال : إنّ العبد يعمل الذي هو لله رضىً فيريد به غير الله، فلو أنّه أخلص لله، لجاءه الذي يريد في أسرع من ذلك[1].

هذا في الإخلاص الذي هو من جنود العقل، ويقابله الرياء الذي هو مـن جنود الجهل، وقد قال الله تعالى في محكم كتابه :

﴿ وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَراً وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ ﴾[2].

---

(١) الروايات نقلناها من « ميزان الحكمة »، المجلّد الثالث، فراجع.

(٢) الأنفال : ٤٧.

قال رسول الله ﷺ لابن مسعود: يا بن مسعود، إيّاك أن تظهر من نفسك الخشوع والتواضع للآدميين، وأنت فيما بينك وبين ربّك مصرّ على المعاصي والذنوب. يقول الله تعالى:

﴿ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴾[١].

وقال: أشدّ الناس عذاباً يوم القيامة من يرى الناس أنّ فيه خيراً ولا خير فيه[٢].

قال أمير المؤمنين علي عليه السلام: المرائي ظاهره جميل وباطنه عليل.

وقال الإمام الصادق عليه السلام: إيّاك والرياء، فإنّه من عمل لغير الله وكله الله إلى من عمل له.

وعن رسول الله ﷺ: إنّ الملك ليصعد بعمل العبد مبتهجاً به، فإذا صعد بحسناته يقول الله ـ عزّ وجلّ ـ: اجعلوها في سجّين، إنّه ليس إيّاي أراد به.

وفي حديث آخر: تصعد الحفظة بعمل العبد مبتهجاً به فيطأون الحجب كلّها حتّى يقوموا بين يدي الله فيشهدوا له بعمل صالح ودعاء، فيقول الله تعالى: أنتم حفظة عمل عبدي وأنا رقيب على ما في نفسه، إنّه لم يردني بهذا العمل، عليه لعنتي.

وقال ﷺ: إنّ المرائي يُنادى يوم القيامة: يا فاجر! يا غادر! يا مرائي؟ ضلّ عملك وبطل أجرك، إذهب فخذ أجرك ممّن كنت تعمل له.

وقال الصادق عليه السلام: ما على العبد إذا عرفه الله ألّا يعرفه الناس؟ إنّه من

---

(١) المؤمن: ١٩.

(٢) كنز العمّال: الحديث ٧٤٨٥.

عمل للناس كان ثوابه على الناس، ومن عمل لله كان ثوابه على الله، وإنّ كلّ رياء شرك.

ولا يخفى أنّ الشرك على نحوين: شرك في العقيدة يوجب النجاسة، فإنّ المشرك نجس، وشرك في العمل كالرياء يوجب بطلان العمل وهلاك النفس.

قال الله عزّ وجلّ: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، فمن عمل عملاً أشرك فيه غيري فأنا منه بريءٌ فهو للذي أشرك.

وقال رسول الله ﷺ: إنّ الله تعالى لا يقبل عملاً فيه مثقال ذرّة من رياء.

وقال ﷺ: يا بن مسعود، إذا عملت عملاً من البرّ وأنت تريد بذلك غير الله، فلا ترجُ بذلك منه ثواباً، فإنّه يقول:

﴿ فَلا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْناً ﴾[1].

وعن شدّاد بن أوس قال: رأيت النبي ﷺ يبكي، فقلت: يا رسول الله! ما يبكيك؟ فقال: إنّي تخوّفت على أُمّتي الشرك أما إنّهم لا يعبدون صنماً ولا شمساً ولا قمراً، ولكنّهم يراؤون بأعمالهم.

وعن الإمام الصادق عليه السلام: يُجاء بعبد يوم القيامة قد صلّى فيقول: يا ربّ صلّيت ابتغاء وجهك فيقال له: بل صلّيت ليقال ما أحسن صلاة فلان، اذهبوا به إلى النار.

ولكلّ شيء علامة، وقد جاء في علامة المرائي عن رسول الله ﷺ: «أمّا علامة [علامات] المرائي فأربع: يحرص في العمل لله إذا كان عنده أحد، ويكسل إذا كان وحده، ويحرص في كلّ أمره على المحمدة، ويحسن سمته بجهده».

---

(١) الكهف: ١٠٥.

وقال الإمام الباقر عليه السلام : الابقاء على العمل أشدّ من العمل. قال الراوي : وما الابقاء على العمل ؟ قال : يصل الرجل بصلة، وينفق نفقة لله وحده لا شريك له فتكتب له سرّاً، ثمّ يذكرها فتمحى فتكتب له علانيةً، ثمّ يذكرها فتمحى وتكتب له رياءً.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله في وصف المؤمن : لا يعمل شيئاً من الخير رياءً، ولا يتركه حياءً، وفي غرر الحكم عن أمير المؤمنين عليه السلام : كلّ حسنة لا يراد بها وجه الله تعالى، فعليها قبح الرياء، وثمرها قبح الجزاء.

وقال الإمام الصادق عليه السلام : ما كان من الصدقة والصلاة والصوم وأعمال البرّ كلّها تطوّعاً فأفضلها ما كان سرّاً، وما كان من ذلك واجباً مفروضاً، فأفضله أن يعلن به[1]، فالرياء حرام، والمرائي عند الله سبحانه ممقوت ومغضوب عليه، وقد شهدت لذلك الآيات والأخبار والآثار كما ذكرنا.

هذا غيض من فيض في أخبار الإخلاص والرياء وبيان حدودهما وما يترتّب عليهما من الآثار في الدنيا والآخرة.

---

(١) نقلنا الروايات من ميزان الحكمة ٤ : ٢٢، فراجع.

الإخلاص في الحجّ

وبعد هذه الوقفة العاجلة عند عظمة الأخلاق الإسلاميّة، ودورها البالغ في حياة المسلم الرسالي، وبعد عرض موجز عن الإخلاص والرياء، وإنّ القلب منشؤهما ومحطّهما، فإنّه العالم بالله وهو العامل لله، والساعي والمخلص والمتقرّب إليه، وهو الكاشف بما عند الله ولديه، وإنّما الجوارح أتباع له، وخَدَم وآلات يستخدمها القلب كاستخدام الراعي للرعيّة، وهو المقبول عند الله إذا سلم من غير الله، وهو المحجوب عنه إذا صار مستغرقاً بغير الله، وهو المخاطب وهو المطالب، وهو المثاب والمعاقب، فيفلح الإنسان إذا زكّاه، ويشقى ويخيب إذا دنّسهُ ودسّاه، وهو المطيع لله بالحقيقة، وإنّما التي تظهر على الجوارح الظاهريّة من العبادات أنواره، فهو سلطان البدن، وهو العاصي المتمرّد على الله، وإنّما الساري على الأعضاء من الفواحش آثاره، وبظلمانيّته ونورانيّته تتجلّى المحاسن الظاهريّة ومساويها، فإنّ كلّ إناء بما فيه ينضح، وهو الذي إذا عرفه الإنسان فقد عرف نفسه، ومن عرف نفسه عرف ربّه، فتارةً يهوي إلى أسفل السافلين ويكون كالأنعام بل هو أضلّ سبيلاً، وقلبه كالحجارة أو أشدّ قسوة، وأُخرى يصعد إلى أعلى علّيين، ويرتقي إلى عالم الملائكة المقرّبين.

ومن لم يعرف قلبه ليراقبه ويراعيه ويترصّد ما يلوح من خزائن الملكوت عليه وفيه ومنه، فهو ممّن قال الله تعالى فيه:

﴿ وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُوْلَـئِكَ هُمُ الفَاسِقُونَ ﴾[1].

فمعرفة القلب وحقيقة أوصافه، أصل الدين، وأساس السالكين، فلا تغفل[2].

فلا بدّ للمؤمن من أن يخلص في نواياه وأعماله، وحركاته وسكناته، حتّى يلقى الله وليس في قلبه سواه وذلك هو القلب السليم، الذي ينفع في يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون.

والمؤمن الحاجّ، والمؤمنة الحاجّة لا بدّ لهما من الإخلاص في مناسكهما، وفي حجّهما وعمرتهما، فإنّ الحجّ من فروع الدين ومن العبادات، وشرطها الأوّل النيّة الخالصة، متقرّباً بها إلى الله سبحانه وتعالى.

والحجّ من العبادات الدينية والسياسية والاجتماعية ذات المفاهيم القيّمة، روحياً وبدنياً، فردياً واجتماعياً، في جميع جوانب الحياة من العبادة، والاقتصاد والسياسة، والثقافة والحضارة، والاخوّة الإسلامية وغير ذلك.

ويكفي في شرافة الحجّ، ومقامه الشامخ في الدين الإسلامي الحنيف، أنّه أحد الأركان التي بني عليها الإسلام، فهو من الأُسس الأُولى التي يعلو عليها الإسلام العظيم. وتتجلّى في الحجّ روح المحبّة والاخوّة والصفاء، وحكومة الروحانيّات على المادّيات. وكلّ مسلم متحمّس لدينه قد يرى في حجّه وعمرته، أنّ الإسلام

---

(١) الحشر: ١٩.

(٢) لقد ذكرت تفصيل حالات القلب في (حقيقة القلوب في القرآن الكريم)، فراجع.

يعلو ولا يعلى عليه، وأنّ هذا الدين القيّم لو تمسّك به أهله حقّ التمسّك، وطبّقوه في كلّ زوايا حياتهم لحكم العالم، ولرفرفت راياته على ربوع الأرض، ولو كره المشركون.

فإنّ الإنسان الضائع، والبشرية التائهة تجد أُنشودتها وسعادتها في هذا الدين، فهو يتكفّل سعادة الإنسان في داري الدنيا والآخرة.

فالحجّ يمثّل بوضوح عزّ الإسلام وبقاءه وسلطانه، وكرامة المسلمين وشرفهم، فليس لأُمّة وملّة من الأمم والملل مثل هذا المؤتمر العالمي العظيم، والمشهد السنوي الكبير، الحافل بالخيرات والبركات؛ ليشهدوا منافع لهم؛ ليجتمع فيه المسلمون من شرق الأرض وغربها على اختلاف جنسيّاتهم، وطوائفهم، وأشكالهم وألوانهم ولغاتهم، ولا يتميّز غنيّهم عن فقيرهم، ورئيسهم عن مرؤوسهم، وكلّ واحد منهم وقد اتّزر بأحد ثوبي الإحرام وارتدى بالآخر؛ ليلبّي دعوة الله، التي يدوّي صداها عبر الأحقاب والأجيال من شيخ الأنبياء إبراهيم الخليل عليه السلام في قوله تعالى:

﴿ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾[١].

فالحجّ فلاح وصلاح وقد أفلح من أقامه، ورفع بنيانه كما أمر الشارع به، وإنّما ركّز القرآن الكريم، ورسول الله الأعظم صلى الله عليه وآله، وأهل بيته الأطهار عليهم السلام على الحجّ لما فيه من المغزى والمعنى الملكوتي، ولأنّه يحتوي على كثير من العبادات، والفضائل الأخلاقية، والخير والإحسان الاجتماعي، والثواب الأُخروي، فإنّه من

---

(١) الحجّ: ٢٧.

بين أركان الإسلام ومبانيه، عبادة العمر وختام الأمر، وتمم الإسلام وكمال الدين فيه.

قال النبيّ ﷺ: «من مات ولم يحجّ فليمت إن شاء يهودياً وإن شاء نصرانياً»[١].

فهو نقلة اجتماعية، ورحلة جماهيرية يتّجه فيها الناس من كلّ صوب ومكان؛ لأداء فريضة إلهية واجبة، في مكان مقدّس واحد هو من أشرف بقاع الأرض: مكّة المكرّمة. وفي زمان واحد من الأشهر الحرم، ذي الحجّة المبارك؛ ليمارسوا شعائر موحّدة، ومناسك دينيّة، وطقوساً خاصة، تجرّد الإنسان عن عالم الماديات، وتحلّق بروحه إلى عالم ملكوتي وروحاني بلا نهاية، إلى الرفيق الأعلى فيكون قاب قوسين أو أدنى.

ولكن نوايا الناس مختلفة، والإنسان على نفسه بصيرة، ولو ألقى معاذيره وأستاره.

فقد روي في خبر من طريق أهل البيت عليهم السلام:

«إذا كان آخر الزمان خرج الناس للحجّ أربعة أصناف: سلاطينهم للنزهة، وأغنياؤهم للتجارة، وفقراؤهم للمسألة، وقرّاؤهم للسمعة»[٢].

فليس كلّ من أدّى فريضة الحجّ نال الكمال وبلغ العلى، بل بشرطها وشروطها، والإخلاص في النوايا والمناسك أوّل شروطها.

---

(١) تفسير ابن كثير ١ : ٣٨٦.

(٢) المحجّة البيضاء ٢ : ١٨٩، أخرجه الخطيب البغدادي في تأريخه، ورواه أبو عثمان الصابوني في كتاب المائتين بلفظ آخر كما في المغني.

قال الإمام الصادق عليه السلام :

الحجّ حجّان : حجّ لله وحجٌّ للناس، فمن حجّ لله كان ثوابه على الله الجـنّة، ومن حجّ للناس كان ثوابه على الناس يوم القيامة[١].

ولا يخفى أنّ من يدخل الجنّة فهو من السعداء لقوله تعالى :

﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا ﴾[٢].

فمن كان سعيداً في حجّه، إنّما يخلص لله في مناسكه وأفعاله، ويبتغي وجه الله في أعماله، ومن عمل للناس فقد خسر الدنيا والآخرة، فإنّ الدنيا الدنيّة دار ممرّ، وأهل الدنيا لا وفاء لهم، وفي الآخرة كلّ ينادي وا نفساه، وكلّ يـفرّ مـن أخـيه وصاحبته وبنيه وعشيرته التي كانت في الدنيا تؤويه.

فمن الحماقة وقلّة العقل أن يعمل الإنسان لغير الله سبحانه وتعالى، كما ورد في الخبر.

قال الإمام الصادق عليه السلام :

مَن حجّ يريد به الله، ولا يريد به ريـاءً وسمـعة، غـفر الله له البـتّة[٣] ـ أي قطعاً ـ.

فمن حجّ ليُنادى في المجتمعات والنوادي : يا حاج فلان، يا حـاجّة فـلانة، وليفخر على الآخرين ويتطاول عليهم، لم يصبه من حجّه إلّا التعب والنصب.

والأعمال العبادية تبطل بالرياء، فيجب إعادتها وقضاؤها حينئذٍ. فهل بعد

---

(١) كتاب ميزان الحكمة ٢ : ٢٧٦.

(٢) هود : ١٠٨.

(٣) ميزان الحكمة ٢ : ٢٧٦.

هذا إلّا الإخلاص في النوايا والعمل ؟!

وعن الإمام الصادق عليه السلام في حديث يذكر علامات ظهور المهدي عليه السلام :

... ورأيت طلب الحجّ والجهاد لغير الله... فكن على حذر واطلب من الله النجاة[١].

(١) ميزان الحكمة ٢ : ٢٧٦.

ختامه مسك

ولنختم الموضوع بما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام في أسرار الحجّ ودقائقه، وعلوّ معانيه وسموّ مفاهيمه:

روي في مصباح الشريعة عنه ـ صلوات الله وسلامه عليه وعلى آبائه وأولاده الطاهرين ـ أنّه قال:

«إذا أردت الحجّ فجرّد قلبك لله تعالى من كلّ شاغل وحجاب كلّ حاجب، وفوّض أُمورك كلّها إلى خالقك، وتوكّل عليه في جميع ما تظهر من حركاتك وسكناتك، وسلّم لقضائه وحكمه وقدره، ودع الدنيا والراحة والخلق، واخرج من حقوقٍ تلزمك من جهة المخلوقين، ولا تعتمد على زادك وراحلتك وأصحابك، وقوّتك وشبابك ومالك، مخافة أن يصير ذلك عدوّاً ووبالاً، فإنّ من ادّعى [ابتغى] رضا الله، واعتمد على ما سواه، صيّره عليه وبالاً وعدوّاً؛ ليعلم أنّه ليس له قوّة وحيلة، ولا لأحد إلّا بعصمة الله وتوفيقه.

فاستعد استعداد من لا يرجو الرجوع، وأحسن الصحبة، وراعِ أوقات فرائض الله وسنن نبيّه صلى الله عليه وآله، وما يجب عليك من الأدب، والاحتمال والصبر، والشكر والشفقة، والسخاوة وإيثار الزاد على دوام الأوقات، ثمّ اغسل بماء التوبة

الخالصة ذنوبك، والبس كسوة الصدق والصفا، والخضوع والخشوع، وأحرم من كلّ شيءٍ يمنعك عن ذكر الله، ويحجبك عن طاعته، ولبِّ تلبية صادقة صافية، خالصة زاكية لله تعالى في دعوتك، متمسّكاً بالعروة الوثق، وطف بقلبك مع الملائكة حول العرش، كطوافك مع المسلمين بنفسك حول البيت، وهرول هرولة من هواك، وتبرّأ من حولك وقوّتك، واخرج من غفلتك وزلّاتك بخروجك إلى منى، ولا تتمنّ ما لا يحلّ لك ولا تستحقّه، واعترف بالخطايا بعرفات، وجدّد عهدك عند الله تعالى بوحدانيّته وتقرّب إليه، واتّقه بمزدلفة، واصعد بروحك إلى الملأ الأعلى بصعودك على الجبل، واذبح حنجرة الهوى والطمع عند الذبيحة، وارمِ الشهوات والخساسة والدناءة والذميمة عند رمي الجمرات، واحلق العيوب الظاهرة والباطنة بحلق شعرك، وادخل في أمان الله، وكنفه، وستره وكلاءته، من متابعة مرادك بدخولك الحرم، ودُر حول البيت محقّقاً لتعظيم صاحبه، ومعرفة جلاله وسلطانه، واستلم الحجر رضا بقسمته وخضوعاً لعزّته، وودّع [ودع] ما سواه بطواف الوداع، واصف [وصفِّ] روحك وسرّك للقائه يوم تلقاه بوقوفك على الصفا، وكن بمرأىً من الله، نقيّاً [ونقِّ] أوصافك عند المَروة، واستقم على شرط حجّتك هذه، ووفاء عهدك الذي عاهدت به مع ربّك، وأوجبته له إلى يوم القيامة.

واعلم بأنّ الله ـ تعالى ـ لم يفرض الحجّ، ولم يخصّه من جميع الطاعات بالإضافة إلى نفسه بقوله تعالى:

﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً ﴾[1].

ولا شرع نبيّه سنّةً من خلال المناسك على ترتيب ما شرّعه، إلّا للاستعانة

---

(١) آل عمران: ٩٧.

والإشارة إلى الموت والقبر والبعث والقيامة، وفضل بيان السبق من الدخـول في الجنّة أهلها، ودخول النار أهلها بمشاهدة مناسك الحجّ من أوّلها إلى آخرها لأُولي الألباب وأُولي النُهى[1]. انتهى كلامه صلوات الله عليه وسلامه.

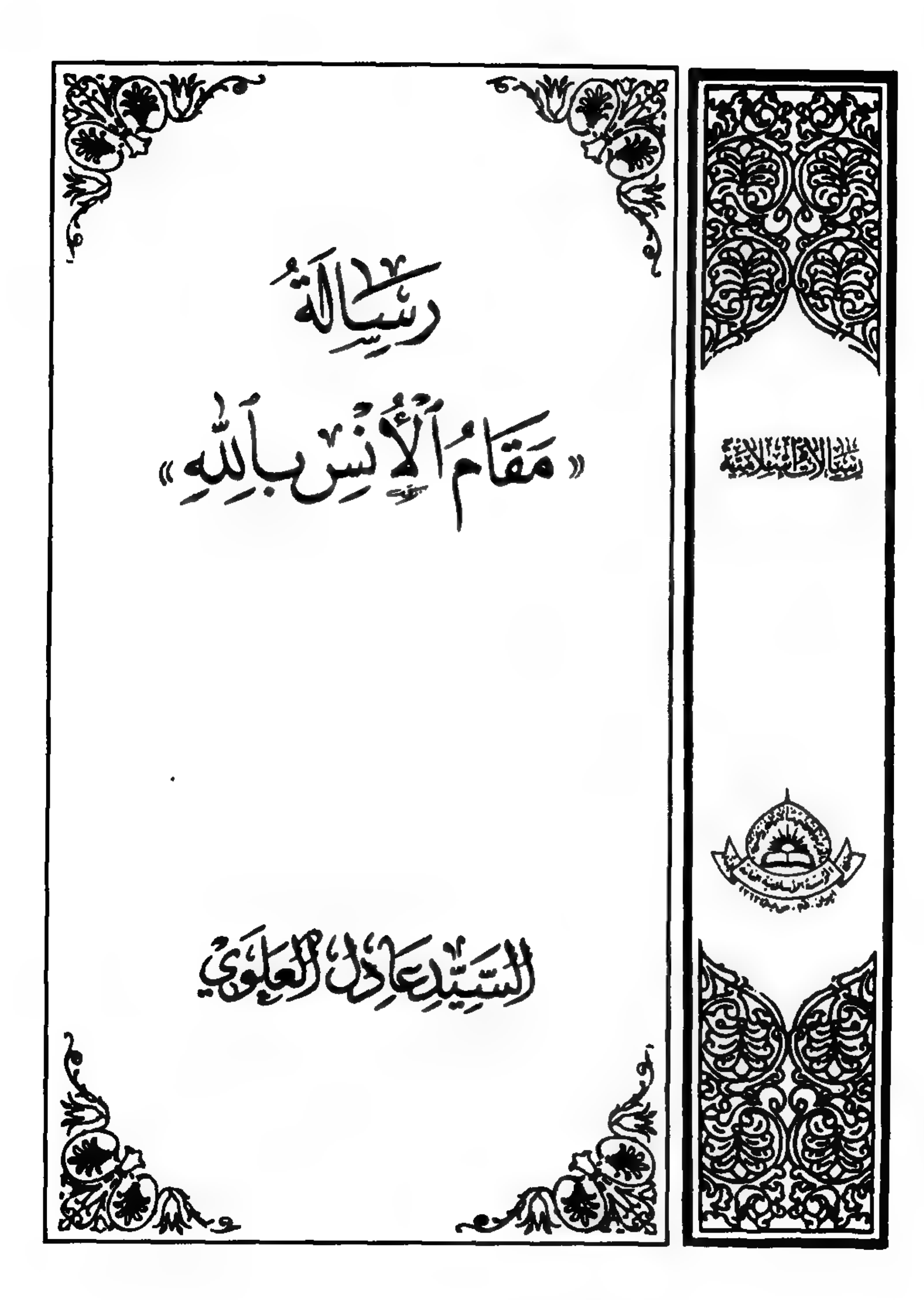
اغتنموا الفرص يا ضيوف الرحمن وعباد الله، ويا حجّاج بيت الله الحـرام، واعلموا إنّما يتقبّل الله من المتّقين المخلصين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

---

(١) المحجّة البيضاء ٢ : ٢٠٧.

المحتويات


رسالة
«مقام الأنس بالله»
السيد عادل العلوي
رسالات إسلامية

علوی، عادل، ۱۹۵۵ ــ
مقام الأنس بالله / تأليف السيّد عادل العلوي. ــ قم: المؤسسة الإسلامية العامة للتبليغ والإرشـاد، ۱۴۲۰ ق. = ۱۳۷۹.
۴۰ ص. ــ (موسوعة رسالات إسلامية)
ISBN 964 - 5915 - 21 - X . - ISBN 964 - 5915 - 18 - X (دوره).
فهرستنویسی بر اساس اطلاعات فیپا.
عربی.
کتابنامه به صورت زیرنویس.
۱. خدا شناسی. ۲. خدا و انسان. الف. عنوان. ب. عنوان: رسالة الأُنس بالله.
۸ الف ۸ ع / BP ۲۱۷ ۲۹۷ / ۴۲
کتابخانهٔ ملی ایران ۵۱۶۶ ــ ۷۹ م

موسوعة

رسالات إسلامية

***
***

رسالة

مقام الأُنس بالله

تأليف ـ السيّد عادل العلوي

نشر ـ المؤسسة الإسلامية العامة للتبليغ والإرشاد
إيران، قم، ص. ب ٣٦٣٤
الطبعة الثانية ـ ١٤٢٣ هجري قمري
التنضيد والإخراج الكومبيوتري ـ حكمت، قم
المطبعة ـ النهضة، قم

شابك X ـ ٢١ ـ ٥٩١٥ ـ ٩٦٤ ISBN 964 - 5915 - 21 - X
ای. ای. ان. ٩٧٨٩٦٤٥٩١٥٢١٤ EAN 9789645915214
شابك X ـ ١٨ ـ ٥٩١٥ ـ ٩٦٤ (دورة ١٠٠ جلد) 964 - 5915 - 18 - X (100 - Vol. Set)

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدّمة[1]

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على أشرف خلق الله محمّد وآله الطاهرين.

اللّهم أنطقني بالهدى وألهمني التقوى.

قال مولانا وإمامنا العسكري عليه السلام: «من استأنس بالله استوحش من الناس».

في رحاب ميلاد مولانا الإمام العسكري عليه السلام أُقدّم أحرّ التهاني وأزكى التبريكات إلى مولانا وإمامنا الثاني عشر صاحب الزمان الحجّة بن الحسن عليه السلام وأرواحنا فداه وعجّل الله فرجه الشريف وإلى الأُمّة الإسلامية، والإخوة الحضور

---

(١) ألقيت مضمون هذه الرسالة كمحاضرة في مجمع من أهل العلم في منتدى اللبنانيين في مدينة قم المقدسة، ليلة ذكرى ميلاد الإمام الحسن العسكري عليه السلام عام ١٤١٢ هجرية (٨ ربيع الثاني).

وأغلب مصادر الأحاديث عن موسوعة (ميزان الحكمة) وبعض الكلام إنّما هو مستلّ من الروايات الشريفة.

العلماء وأهل العلم الكرام بمناسبة ميلاد العسكري الأغر، ونستلهم في هذه الليلة المباركة من روحه الزكية ونفسه القدسية بيان ما جاء في كلمته القصيرة، الموجزة في الألفاظ، العظيمة في المغزى والمحتوى والمعنى، فإنّها وإن كانت مختصرة الحروف إلّا أنّها تحمل المعاني السامية والمفاهيم القيّمة، فإنّ كلام الإمام إمام الكلام، دون كلام الخالق وفوق كلام المخلوق. وكلام الأئمة الأطهار نور، له بواطن ووجوه كما للقرآن الكريم، كما ورد هذا المعنى في الأخبار الشريفة.

وأقصد من شرح الرواية التي تلوتها في مطلع الحديث، فتح آفاق جديدة أمام طلبة العلوم، ليفكّروا من بعد ويتعمّقوا وينظروا بكل دقّة في روايات أهل البيت عليهم السلام فكلّ كلمة منهم تحمل كتاباً قطوراً، فإنّها كالبحر المتلاطم الأمواج بالعلم والمعرفة، فيها الدرر الثمينة واللآلئ القيّمة، يقف عليها من غاص في بحارها، وأسبر في أعماقها.

بيان الحديث

أمّا شرح الرواية الشريفة فعلينا أن نبيّن أوّلاً كلماتها ومداليلها، ثمّ ما تحمل الكلمات من المعاني التي يمكن أن تكون مقصودة ومرادة.

فقوله عليه السلام : من أنس : (من) اسم موصول ويفيد العموم الشمولي وتكون القضية على نحو الموجبة والكلّيّة، فمن استأنس أي كلّ واحد من الناس سواء كان مسلماً أو غير مسلم من الموحّدين المؤمنين إذا استأنس بالله، كما أنّ الجملة، جملة شرطية مرتّبة من فعل الشرط (من أنس بالله) وجزاءه (استوحش من الناس).

ومفهوم الشرط المخالف : أنّه من لم يستأنس بالله لم يستوحش من الناس، وعكسه : من أنس بالناس استوحش من الله، ويجعلون أصابعهم في آذانهم، لكي لا يسمعوا ذكر الله وكتاب الله جلّ جلاله، ويقولون هذا سحرٌ مبين، فيأنسون بالملاهي ومجالس البطّالين، ويستوحشون من المساجد ومجالس العلماء ومجالس التوّابين والمؤمنين، ويتّهمونهم بالرجعيّة والتخلّف والانحطاط، وأنّه أراذل القوم اتّبعوا الأنبياء.

وأمّا هم فمن الأثرياء، يحملون الشهادات العليا، ومن المثقّفين المتحضّرين، فأنسوا بالناس واستوحشوا من الله، وأين المفرّ من حكومة الله وسطوته وقدرته

وسمعه وبصره، وهو العليم الخبير. واستأنس: مشتق من الأنس والأُنس غريزة من غرائز الإنسان، والغرائز حالات روحية، لها جذور ثابتة في نفس الإنسان وباطنه، تظهر في ضميره اللاشعوري، على نحو الحاجة وتطالب إشباعها، وهي التي تدفع الإنسان نحو حياة أفضل، ولا تفتقر في تعليمها إلى معلّم، إنّما هي إدراكات باطنية تختلف ضعفاً وقوّة طيلة مراحل حياة الإنسان، وتبقى أصالتها مغروزة في وجود الإنسان، ولا تختصّ بشعب دون شعب، وبقوم دون قوم، وبجغرافية وعصر خاص، إنّما هي مع الإنسان منذ نعومة أظفاره في كلّ عصر ومصر، تدرك أهدافها التي هي أهداف الحياة، ولكن لا تدري كيف ترضي حاجتها وتشبع رغبتها، ولا تدري ما هي مصاديقها إنّما البيئة والمحيط لما فيه من الجاذبيات، يهديها ويرشدها إلى الخير أو الشرّ، مثلاً غريزة الجوع، فالإنسان بهذه الغريزة يفهم ويدرك أنّ عليه أن يتغذّى ويأكل ويسدّ جوعه ويقوّي بدنه، ولكن لا يدري من أيّ غذاء يأكل وكيف يأكل وكم مرّة يأكل؟ فالمحيط يقدّم له الأكل ويعلّمه كيف يأكل وكم مرّة، فالإنسان قبل حاجته إلى معلّم يعلّمه العلوم والفنون ويشبع فكره، فإنّه يحتاج إلى مربٍّ ومعلّم يهدي غرائزه، فإنّ الغرائز جذور حركة الإنسان من أجل حياة أفضل.

وغريزة الأُنس هي من الغرائز، وهي جذر الحياة الاجتماعية، ويقال: الإنسان اشتقّ من الأُنس، إذ يألف بالآخرين ويأنس بمحيطه، ويبحث عن مجتمع يحكمه الأُنس الجماعي، فيطالب بحكومة العدل والعلم والفلاح والصلاح، يطالب من يحترم شخصيّته، ولا يقيسه بالقرد والفأرة كما في المذهب الرأسمالي، ولا بآلة ماكنة كما في المذهب الاشتراكي.

ويقابل الأُنس التوحّش والفرار، مقابلة الملكة وعدمها، فمن يأنس بشيء

يفرّ من ضدّه، والضدّان لا يجتمعان.

(من استأنس بالله): الله: اسم علم وضع للذات، واجب الوجود لذاته، مستجمع جميع الصفات الكمالية، من الجمال والجلال، فهو المطلق في العلم والقدرة والحياة وجميع صفات الكمال، كما ينزّه عن الجسم والحلول والإمكان وجميع القبائح والنقص، فهو الواحد الأحد الصمد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد، له الأسماء الحسنى والصفات العليا.

(استوحش): تعرف الأشياء بأضدادها فإذا عرفنا معنى الأُنس عرفنا ضدّه، وهو الوحشة، فمن يستأنس بشيء يستوحش من غيره، كما يستوحش من فقده، فالوحشة عبارة عن الاضطراب الباطني.

(من الناس): من بيانية، والناس جمع محلّى بألف واللام يفيد العموم فمن يستأنس بالله، فإنّ لازمه الطبيعي أن يستوحش من الناس، هذا ما قاله الإمام الحسن العسكري عليه السلام، وأمّا برهانه وأدلّته ولوازمه. فهذا ما سنذكره.

لوازم الأُنس الإلهي

للأُنس بالله عزّ وجلّ، لوازم تكون بمنزلة البرهان والدليل على ما جاء في الخبر الشريف، أهمّها على نحو الاجمال:

١ ـ المعرفة. ٢ ـ الحبّ. ٣ ـ الحضور. ٤ ـ المشاهدة. ٥ ـ صنع الجميل. ٦ ـ الأهليّة. ٧ ـ التكامل. ٨ ـ التقرّب والوصال. ٩ ـ علوّ المقام. ١٠ ـ الولاية. ١١ ـ التشابه. ١٢ ـ العصمة من الذنوب. ١٣ ـ الذكر. ١٤ ـ مقام الإخلاص.

وأمّا تفصيل ذلك:

١ ـ المعرفة:

لا يخفى على ذوي النُّهى أنّ الأُنس يستلزمه المعرفة، إذ السعي وراء أمر مجهول قبيح، بل مقدّمة الأُنس ولازمه ولاحقه المعرفة، فلولاها لما كان الأُنس، كما أنّ الأُنس بما هو معدوم ولا يعرف عنه شيء لا معنى له، فالإنسان إنّما يأنس بشيء بعد أن عرفه وأدركه، فمن يأنس بالله لا بدّ أن يكون من العرفاء أوّلاً حتى يصل إلى مقام الأُنس، وهو إحدى المقامات التي تذكر في السير والسلوك إلى الله سبحانه، وأوجب الواجبات كما في الروايات هي المعرفة. ومن يعرف الله يأنس به

وينشرح قلبه، كما في مناجاة العارفين لمولانا زين العابدين عليه السلام «وانتفت مخالجة الشكّ عن قلوبهم وسرائرهم وانشرحت بتحقيق المعرفة صدورهم».

ومن عرف دلّته معرفته على العمل، ومن عمل عرف، فالعمل والاُنس إنّما هما محاطان بالمعرفة، إلّا أنّه المعرفة الأُولى معرفة إجماليّة، والثانية معرفة تفصيليّة، فلا يلزم الدور حينئذٍ.

٢ ـ الحبّ :

الأُنس القلبي منشأه الحبّ، وإنّما يستأنس بشيء من كان محبّاً له، وهذا أمر بديهي ومن القضايا التي قياساتها معها، ومن أحبّ الله ﴿ والذين آمنوا أشدّ حُبّاً لله ﴾[1] لا شكّ يأنس بالله سبحانه ويذكره، ويظهر آثار الحبّ على جوارحه وجوانحه، كثمار الشجرة بعد انفلاقها من الحبّة، والحُبّ ـ بضمّ الحاء المهملة ـ والحبّ ـ بفتحها ـ من مصدرٍ واحد، وينبئ عن حقيقة واحدة. فالحبّةُ حينما تزرع بين التراب وفي باطن الأرض، وتجود الشمس بأشعّتها عليها، ويُسقيها الفلّاح الماء العذب، ويُباريها ويراعيها ويراقبها، فإنّ الحبّةُ ستنفلق وتشقّ الأرض وتفلحها ـ ولهذا سُمّي الفلّاح فلّاحاً ـ فتخرج السنبلة التي تحمل سبعمائة حبّة، والله سبحانه يضاعف لمن يشاء، وتصبح الحبّةُ يوماً شجرة ذات أغصان بهيّة، وأوراق طريّة، وأثمار شهيّة، فكذلك الحُبّ ـ سواء المجازي أو الحقيقي ـ فإنّه لو زرع في القلب وباطن الإنسان، ونمت واشتدّت وربت بعناية الله ورعاية الإنسان نفسه، ويصبح الحبّ يوماً أشجار الشوق في بساتين الصدور كما جاء ذلك في مناجاة العارفين :

---

(١) البقرة : ١٦٥.

(إلهي اجعلنا من الذين ترسّخت أشجار الشوق إليك في حدائق صدورهم وأخذت لوعة محبّتك بمجامع قلوبهم)[1].

ومن يصل إلى هذا المقام الشامخ مقام الحبّ والأُنس بالله فإنّه ينال آثاره، كما يقوله زين العابدين عليه السلام: «فهم إلى أوكار الأفكار يأوون، وفي رياض القرب والمكاشفة يرتعون، ومن حياض المحبّة بكأس الملاطفة ـ أي ربّما حيناً يسقيهم من الشراب الطهور من حياض المحبّة يلاطفهم وبكأس الملاطفة ـ يكرعون (يشربون) وشرايع المصافات يردون، فشريعتهم شريعة المحبّة والصفاء والمودّة ـ وقد كشف الغطاء عن أبصارهم وانجلت ظلمة الريب عن عقائدهم وضمائرهم.. وطاب في مجلس الأُنس سرّهم. ومن أحبّ شيئاً لهج بذكره، ودليل الحبّ إيثار المحبوب على من سواه. ولا يمحص رجل الإيمان بالله حتى يكون الله أحبّ إليه من نفسه وأبيه وأُمّه وولده وأهله وماله ومن الناس كلّهم».

وفي الدعاء: إلهي أنت الذي أزلت الأغيار عن قلوب أحبّائك حتّى لم يحبّوا سواك.. ماذا وجد من فقدك؟ وما الذي فقد من وجدك؟ لقد خاب من رضي دونك بدلاً.

ومن لم يحبّ الله ابتلاه الله بحبّ غيره، كما سئل الإمام الصادق عليه السلام عن العشق ـ كحبّ قيس ليلى ـ فقال عليه السلام: قلوب خلت عن ذكر الله فأذاقها الله حبّ غيره.

فيما أُوحي إلى داود عليه السلام:

يا داود! ذكري للذاكرين وجنّتي للمطيعين وحُبّي للمشتاقين، وأنا خاصّة

---

(١) مفاتيح الجنان، والصحيفة السجّادية.

للمحبّين. أحبّوا الله من كلّ قلوبكم.

ومن آثر محبّته على محبّة نفسه، كفاه الله مؤونة الناس، القلب حرم الله فلا تسكن حرم الله غير الله. اللّهم إنّي أسألك أن تملأ قلبي حبّاً لك، وخشيةً منك، وتصديقاً بك، وإيماناً بك، وفرقاً منك، وشوقاً إليك.

وهل الدين إلّا الحبّ؟ الدين هو الحبّ والحبّ هو الدين، طلبت حبّ الله عزّ وجلّ فوجدته في بغض أهل المعاصي، وإذا تخلّى المؤمن من الدنيا سما ووجد حلاوة حبّ الله، وكان عند أهل الدنيا كأنّه قد خولط، وإنّما خالط القوم حلاوة حبّ الله، فلم يشتغلوا بغيره.

إنّما يحبّ الله المحسنين التوّابين المتطهّرين المتّقين الصابرين المتوكّلين المقسطين، الذين يقاتلون في سبيله صفّاً كأنّهم بنيان مرصوص.

ثلاثة يحبّهم الله عزّ وجلّ: رجل قام من الليل يتلو كتاب الله، ورجل تصدّق بيمينه يخفيها عن شماله، ورجل كان في سرية فانهزم أصحابه فأستقبل العدوّ.

وإنّ الله لا يحبّ المعتدين الظالمين المفسدين المسرفين الخائنين المستكبرين الفرحين الكافرين، ومن كان مختالاً فخوراً، وخوّاناً أثيماً، وكلّ كفّار أثيم.

وأحبّ العباد إلى الله عزّ وجلّ رجل صدوق في حديثه، محافظ على صلواته، وما افترض الله عليه مع أدائه الأمانة.

الخلق عيال الله، فأحبّ الخلق إلى الله من نفع عيال الله، وأدخل على أهل بيت سروراً.

أحبّ المؤمنين إلى الله من نصب نفسه في طاعة الله، ونصح لأمّة نبيّه، وتفكّر في عيوبه، وأبصر وعقل وعمل.

ممّا في صحيفة إدريس : طوبى لقوم عبدوني حبّاً، واتخذوني إلهاً وربّاً، وسهروا الليل، ودأبوا النهار طلباً لوجهي، من غير رهبة ولا رغبة، ولا لنار ولا جنّة، بل للمحبّة الصحيحة، والإرادة الصريحة والانقطاع عن الكلّ إليّ...

فيما أوحى الله تعالى إلى داود :

يا داود ! أبلغ أهل أرضي أنّي حبيب من أحبّني، وجليس من جالسني، ومؤنس لمن آنس بذكري، وصاحب لمن صاحبني، ومختار لمن اختارني، ومطيع لمن أطاعني، وما أحبّني أحدٌ أعلم ذلك يقيناً من قلبه، إلّا قبلته لنفسي، وأحببته حبّاً لا يتقدّمه أحدٌ من خلقي، من طلبني بالحقّ وجدني، ومن طلب غيري لم يجدني.

فارفضوا يا أهل الأرض ما أنتم عليه من غرورها، وهلمّوا إلى كرامتي ومصاحبتي ومجالستي ومؤانستي، وآنسوني أؤنسكم، وأسارع إلى محبّتكم.

إذا أحبّ الله عبداً ألهمه الطاعة، وألزمه القناعة، وفقّهه في الدين، وقوّاه باليقين، فاكتفى بالكفاف، واكتسى بالعفاف، وإذا أبغض الله عبداً، حبّب إليه المال وبسطه له، وألهمه دنياه، ووكّله إلى هواه.

عن النبيّ ﷺ قال :

يا ربّ، وددت أن أعلم مَنْ تُحبّ من عبادك فأُحبّه ؟ فقال : إذا رأيت عبدي يكثر ذكري، فأنا أذنت له في ذلك وأنا أحبّه، وإذا رأيت عبدي لا يذكرني فأنا حجبتُه، وأنا أبغضته.

فمن يتوفّق إلى الأعمال الصالحة متقرّباً بذلك إلى الله، فإنّ هذا من علامة التوفيق الإلهي وحبّ الله لعبده.

فيما أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام : كذب من زعم أنّه يحبّني فإذا جنّه الليل

نام عنّي، أليس كلّ محبّ يحبّ خلوة حبيبه ؟ ! ها أنا ذا يا ابن عمران مطّلع على أحبّائي، إذا جنّهم الليل حُوّلت أبصارهم من قلوبهم، ومُثلت عقوبتي بين أعينهم، يخاطبوني عن المشاهدة، ويكلّموني عن الحضور.

حبّ الله إذا أضاء على سرّ عبدٍ أخلاه عن كلّ شاغل وكلّ ذكر سوى الله (عند) ظلمة، والمحبّ أخلص الناس سرّاً لله، وأصدقهم قولاً، وأوفاهم عهداً...

حبّ الله نار لا يمرّ على شيء إلّا احترق، ونور الله لا يطلع على شيء إلّا أضاء.

علامة حُبّ الله تعالى حُبّ ذكر الله، وعلامة بغض الله تعالى بغض ذكر الله عزّ وجلّ.

والحبّ من المقول التشكيكي، له مراتب طولية وعرضية.

سأل أعرابي أمير المؤمنين عليه السلام عن درجات المحبّين ما هي ؟ قال : أدنى درجاتهم من استصغر طاعته واستعظم ذنبه، وهو يظنّ أن ليس في الدارين مأخوذ غيره، فغشي على الأعرابي، فلمّا أفاق قال : هل درجة أعلى منها ؟ قال عليه السلام : نعم سبعون درجة.

إنّ أُولي الألباب الذين عملوا بالفكرة حتّى ورثوا منه حبّ الله... فإذا بلغ هذه المنزلة جعل شهوته ومحبته في خالقه. فإذا فعل ذلك نزل المنزلة الكبرى، فعاين ربّه في قلبه، وورث الحكمة بغير ما ورثه الحكماء، وورث العلم بغير ما ورثه العلماء، وورث الصدق بغير ما ورثه الصدّيقون، وإنّ الحكماء ورثوا الحكمة بالصمت، وإنّ العلماء ورثوا العلم بالطلب، وإنّ الصدّيقين ورثوا الصدق بالخشوع وطول العبادة.

في الأدعية : وأضئ وجهي بنورك وأحبّني بمحبّتك.. معرفتي يا مولاي دليلي

عليك وحبّي لك شفيعي إليك.. عليك يا واجدي عكفت همّتي، وفيما عندك انبسطت رغبتي، ولك خالص رجائي وخوفي، وبك أنست محبتي.. عميت عين لا تراك عليها رقيباً، وخسرت صفقة عبد لم تجعل له من حبك نصيباً...

هذا وقد اشتهر على الألسن أنّ الطريق إلى الله سبحانه بعدد أنفاس الخلائق، ولكن أهمّها عبارة عن طريقين: طريق لعامّة الناس، وهو: امتثال أوامر الله والاجتناب عن نواهيه، وطريق للخواصّ، وهو: إتيان النوافل والمستحبّات وترك المكروهات، فإنّ المستحبّ اشتقّ من الحبّ، وطريق الحبّ، وطريق الحبّ طريق الشوق والعشق والفناء في الله سبحانه.

ومن تقرّب إلى الله بالنوافل، فإنّه يصل إلى مقام ينظر بعين الله سبحانه، ويسمع بسمعه، كما جاء في الخبر الشريف:

قال الله: ما تحبّبَ إليّ عبدي بشيء أحبُّ إليَّ ممّا افترضته عليه، وإنّه ليتحبّبُ إليّ بالنوافل حتّى أُحبّه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ولسانه الذي ينطق به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، إذا دعاني أجبته، وإذا سألني أعطيته[1].

اللهمّ ارزقني حبّك وحبّ من يحبّك وحبّ كلّ عملٍ يوصلني إلى قربك.

٣ــ الحضور:

لازم الأُنس أن يكون المستأنس حاضراً في محضر من استأنس به،

---

(١) ذكرت مصادر الروايات وحديثاً مفصّلاً عن الحبّ الإلهي في رسالة (حبّ الله نماذج وصور)، فراجع.

فالذي يستأنس بالله يرى نفسه حاضراً بين يدي ربّه وأنيسه، وكما يرى ويحسّ أنّه بمنظر الله ومسمعه وأنّه حاضراً عند ربه، كذلك يدرك بأنّ الله حاضراً عنده، وأنّه أقرب إليه من حبل الوريد، وأينما يولّي وجهه، فثَمّ وجه الله، فهو معه أينما كان، ومتى ما كان، يخاطبون الله عن المشاهدة ويكلّمونه عن الحضور. وإنّ العالم هو محضر الله فلا يعصي الربّ من كان في حضرته، ولازم الحضور هو الشهود القلبي.

٤ ـ المشاهدة:

من عرف الله وأحبّه ووجد نفسه حاضراً بين يدي الله، وأنّ العالم محضر الله، فلا شكّ يصل إلى مقام الشهود، فلا غيب بعدئذٍ، ويأنس بالله عن مشاهدة، ويعبد ربّه عن رؤية. ولكن لا تراه الأبصار، إنّما تراه العيون والقلوب التي في الصدور، وكيف يعبد ربّاً لم يره، بل لا يرى شيئاً إلّا ويرى الله معه وقبله وبعده.

قال الله تعالى:

﴿ ولا تعملون من عملٍ إلّا كنّا عليكم شهوداً إذ تفيضون فيه ... ﴾[1].

عن رسول الله ﷺ:

اعبد الله كأنّك تراه، فإن كنت لا تراه فإنّه يراك. في قوله تعالى: ﴿ ولا تعملون من عمل إلّا كنّا عليكم شهوداً ﴾، كان رسول الله ﷺ إذا قرأ هذه الآية يبكي بكاءً شديداً.

---

(١) يونس: ٦١.

٥ ـ صنع الجميل :

من أنس بالله وعرف ربّه بأنّه العالم القادر الحيّ الكريم الرحيم الشفيق الرفيق الودود، له الأسماء الحسنى، وعلم أنّه حبيب من أحبّه، والحبيب لا يخطر على باله أن يؤذي حبيبه، ولا ينوي ذلك. فمن وصل إلى هذا المقام، فإنّه يرتاح في أعماق وجوده، ويحسّ بالاطمينان، ومن ثمّ بذكر الله يطمئن قلبه، ويرى صنع الله في حقّه جميلاً، فإنّه الجمال ويحبّ الجمال ولا يفعل إلّا الجميل.

زينب الكبرى بنت أمير المؤمنين عليه السلام العارفة بالله والمشتاقة إليه، وقد وصلت إلي مقام الأُنس بالله، تدخل في مجلس ابن زياد اللعين بعد شهادة إخوتها الكرام وشهادة سيّد الشهداء الحسين بن علي عليه السلام وشهادة أصحابه الأبرار، وسبي أهل بيته الأطهار، وابن زياد القذر الحقير يبغي أن يجرح عواطفها أكثر فأكثر، ويكلّ قلبها، كما يبرز موقفه المخزي بأنّ الذي حدث يوم عاشوراء إنّما هو صنع الله، وليقول بالجبر، فخاطبها قائلاً: كيف وجدت صنع الله ؟ فتقول بكل بسالة وبطولة ومعرفة وعشق: (ما رأيت إلّا جميلاً)، إذ رأت جمال الله فعشقته، وعشّاق يوسف يقطّعنّ أيديهن، فكيف بعشّاق الله وكيف بزينب الكبرى ؟ ترى قرابين آل محمّد مضرّجين بدمائهم الزكيّة، وتحمل جسد أخيها الحسين تنادي ربها: (اللّهم تقبّل هذا القربان من آل محمّد) فلا ترى ذلك إلّا جميلاً، فإنّ ربّها ومعبودها جميل، ولا يفعل إلّا الجميل، ولا يصدر منه القبيح، فإنّه منزّه عن القبائح والنقائص والاحتياج والإمكان، فهو واجب الوجود لذاته، مستجمعاً لجميع صفات الجمال والجلال.

ثمّ بعد ذلك تقول زينب إنّ أخاها الحسين وأصحابه قوم كرام برزوا إلى مضاجعهم للشهادة، إلّا أنّ يزيد السفّاك وأعوانه الظلمة قتلوهم، وستكون المحاكمة

يوم القيامة ويكون الحكم هو الله سبحانه، وسيعلم الذين ظلموا أيّ منقلبٍ ينقلبون.

أجل: من أنس بالله فإنّه وصل إلى مقام الرضا ومقام التسليم، وهما من أعلى المقامات في العرفان والسير والسلوك.

إنّ الله جميل ويحبّ الجمال، ويحبّ معالي الأخلاق، ويكره سفسافها.

٦ ـ الأهليّة:

المستأنس بالله يكون من أهل الله ومن حزب الله، فإنّ لازم الأُنس الأهليّة ويقابلها التوحّش، كما يقال: حيوان أهلي وحيوان وحشي.

فمن أنس بالله وكان من أهل الله، إنّما يستأنس كلّ ما عليه اسم الله، إذ حينما يأنس بالله في سرّه وباطنه، ويتجلّى هذا الأُنس الباطني على سلوكه وأفعاله وحركاته وسكناته، فإنّه يأنس بمجالس الله، ويأنس بمحبّي الله وعشّاقه، يأنس بالمؤمنين، ويستوحش في باطنه من الناس، كما يفرّ من معاشيقهم، فإنّهمْ إذا أحبّوا الدنيا والمال والبنون، ونسوا الله فأنساهم أنفسهم، فغفلوا عن ذكر الله، والمستأنس بالله يخاف على نفسه أن يغفل بغفلتهم، فيفرّ ويستوحش منهم، يستوحش من مجالس البطّالين، وإذا زال قدمه في سيره إلى الله، واذا أُحيل بينه وبين خدمته لله يعاتب نفسه، ويذكر نقاط الضعف في حياته، ويناجي ربّه في ظلم الليل ودياجي الأسحار والدموع تسيل على وجنتيه، رافعاً يده وناصباً وجهه إلى الله، صارخاً ناحباً:

ما لي كلّما أقول قد صلحت سريرتي وقرب من مجالس التوّابين مجلسي، عرضت لي بلية أزالت قدمي وحالت بيني وبين خدمتك؟

سيدي لعلّك عن بابك طردتني، وعن خدمتك نحّيتني، أو لعلّك رأيتني مستخفاً بحقّك فأقصيتني ـ أي أبعدتني عنك ـ أو لعلّك رأيتني معرضاً عنك فقليتني ـ أي أنكرتني ورفضتني ـ أو لعلّك وجدتني في مقام الكاذبين فرفضتني، أو لعلّك رأيتني غير شاكر لنعمائك فحرمتني، أو لعلّك فقدتني من مجالس العلماء فخذلتني ـ فمن لم يحضر مجالس العلم ليتعلّم وليعمل بعلمه، فإنّه يصاب بخذلان الله، وكيف للمخذول أن يسير إلى الله وأن يخدم ربّه ؟ ـ أو لعلّك رأيتني في الغافلين فمن رحمتك آيستني، أو لعلّك رأيتني آلف مجالس البطّالين ـ فإنّ الإنسان لما يحمل من النفس الأمّارة وعدم تهذيبها وتزكيتها فإنّه يألف ويأنس بمجالس البطّالين أي الباطل العاطل، ومن ثمّ يستوحش من مجالس العلم والذكر ومجالس المؤمنين المتّقين، فلعلّك يا إلهي وجدتني ورأيتني آلف مجالس البطّالين ـ فبيني وبينهم خلّيتني ـ وجعلت بيني وبينهم الصداقة والخلّة والأُنس بهم ـ وأمثالها توجب عروض البلايا والمصائب التي تحول بين الإنسان وبين ربّه، وتزيل القدم عن السير والسلوك، ويطرد عن باب الله، وينحّى عن الخدمة الإلهية.

فكيف لمن أنس بالله لم يستوحش من الناس ؟

المؤمن بالله يأنس ويألف بكل ما فيه اسم الله سبحانه، وذكر عليه اسم الله، وتصبّغ بصبغة الله، وتقوّل بقول الله، إذ من أصدق من الله قيلاً، ومن أحسن من الله صبغةً، فيأنس بمجالس العلماء والمحبّين وعشّاق الله، يأنس بكتاب الله وتلاوته، يأنس بسنن وآداب أنبياء الله وأوصيائهم، ويستوحش ممّا في أيدي الناس، فإنّ من أنس بالله، استوحش من الناس، كما قالها الإمام العسكري عليه السلام .

٧ ـ التكامل :

الإنسان منذ نعومة أظفاره يسعى وراء كماله، وكما يتكامل في طبيعته من عالم النطفة إلى العلقة وإلى المضغة، وحتّى الولادة ثمّ الصبا ثمّ المراهقة والشباب والكهولة، كذلك يتكامل في روحه ونفسه الناطقة وعقله ومعنوياته، والعالم كلّه في السير التكاملي، وفي حركة العشق الجوهري والحبّ إلى المبدأ الأوّل، والإنسان الذي انطوى فيه العالم الأكبر، في حركته الجوهرية يتكامل حتّى يصل إلى قاب قوسين أو أدنى، وإلى الله المنتهى، وإلى ربّك يومئذٍ المساق.

فمن أنس بالله فإنّه يتكامل في جميع أبعاد حياته، إذ ربّه وأنيسه هو الكمال المطلق، وهو مطلق الكمال، ولا يعلم ما هو إلّا هو جلّ جلاله، والمستأنس والمحبّ يحاول أن يتشبّه بمحبوبه في صفاته وأسمائه، ومن ثمّ يكون مرآة تتجلّى فيه صفات المحبوب والمعشوق، ويكون الإنسان مظهراً لأسماء الله وصفاته الحسنى، فيصل إلى غاية خلقته من طريق العبادة والإخلاص، فما خلق الله الجنّ والإنس إلّا ليعبدون، أي ليعرفون، فيحبّون ويأنسون بالله، وما عليه اسم الله ـ فإنّ ما عليه اسم الله يكون فيه الحياة ويوجب الحياة، وما لم يذكر عليه اسم الله يكون ميّتاً ويوجب الموت كما في الذبائح ـ ويستوحشون من الكفر ويكرهون المعاصي ويفرّون ممّا في أيدي الناس من معاشيق الجهل ومصاديق الظلم ومعنويات الفسق.

وفلسفة الحياة وسرّ الخلقة هو التكامل من طريق العبادة المتبلورة بالمعرفة والعلم والرحمة، وإنّما يكون تكامل الإنسان في حركات ثلاثة : التفقّه في الدين (الحركة العلمية) والصبر على النائبة (الحركة الأخلاقية) والتقدير في المعيشة

(الحركة الاقتصادية) كما ورد ذلك في كثير من الروايات الشريفة[1].

فالمستأنس بالله تراه في نهاره وليله يطلب كماله، وهو في حركات دؤوبة ومتواصلة، فيستوحش عن السكون حتّى لا يكون كالماء الراكد، فإنّه وإن كان عذباً وحلواً في بدايته، ولكن بعد ركوده يسنّ ويتنّن ويتبدّل إلى ماء عفن، فلا بدّ من الجريان حتّى الوصول إلى البحر الموّاج.

فالمؤمن المستأنس بحبّ الله في شغل مستمرّ بذكر الله وتكميل أبعاده الإنسانية، والوصول إلى ما هو المقصود من خلقته، ومثل هذا كيف لا يستوحش ممّن انهمك في الملاذّ والشهوات، وغرّته الحياة الدنيا، ونسي الله فنسي نفسه، ولا يدري لماذا خلق؟ وما المقصود من خلقته؟ وهو كحمار الطاحونة معصّب العين، ومن الصباح إلى الليل يدور حول نفسه، وما أن يفتح عينيه حتّى يرى نفسه، لا زال في موقفه الأوّل، فيقع كالخشبة الهامدة يغطّ في نومه حتّى اليوم الثاني، وهكذا تنقضي أيامه ولا زال حماراً لا يعقل.

وكثير من الناس كالأنعام بل هم أضلّ سبيلاً في عبادتهم الأصنام والحيوانات والأهواء والدنيا وانغمارهم في مظاهرها الدنيّة، والتكالب على جيفتها القذرة، فكيف المستأنس بالله الكمال المطلق، لا يستوحش من الناس مظاهر النقص والانحطاط والابتذال والاضمحلال الخلقي والإنساني؟!!

ثمّ رددناهم في أسفل السافلين، لهم قلوبٌ كالحجارة أو أشدّ قسوة فلا يعقلون بها، ولهم آذان لا يسمعون بها، خسروا الدنيا والآخرة، وذلك هو الخسران المبين.

---

(١) ذكرت تفصيل ذلك ومصدر الرواية في رسالة (سرّ الخليقة وفلسفة الحياة)، فراجع.

٨ ـ التقرّب والوصال :

من أنس بالله فإنّه يحسّ في كلّ وجوده إنّـه يـتقرّب إلى خـالقه وأنـيسه، ويدرك لذّة الوصال في حياته وبعد مماته، ويخاف على نفسه أن ينقطع منه حـبل الوصال، فيستوحش من أُولئك الذين يحجبونه عن مؤنسه، فيعاشر من يذكّره الله رؤيته، ويزيد في علمه منطقه، ويرغّب في الآخرة عمله، ويقطع مع الجاهل ومع من لم يحمل هذه الصفات، إذ قطيعة الجاهل تـعدل صـلة العـاقل، كـما ورد في الخـبر الشريف، فمن أنس بالله تعالى استوحش عن مثل هؤلاء الناس الغافلين الساهين الناسين.

إنّ موسى بن عمران عليه السلام لـمّـا ناجى ربّه عزّ وجـلّ، قـال : يـا ربّ أبـعيد أنت منّي فأُناديك، أم قريب فأُناجيك ؟ فأوحى الله جلّ جلاله : أنا جليس مـن ذكرني.

قال موسى : يا ربّ أقريب أنت فأُناجيك ؟ أم بعيد فـأُناديك فـإنّي أُحسّ صوتك ولا أراك، فأين أنت ؟ فقال الله : أنا خلفك وأمـامك وعـن يمـينك وعـن شمالك، يا موسى أنا جليس عبدي حين يذكرني، وأنا معه إذا دعـاني، ذاكـر الله مجالسه.

فالمستأنس همّه أن يتقرّب إلى ربّه ويصل إلى معبوده، فلا تراه إلّا مشتغلاً بذكره وعبادته، حتّى ينبهر بجماله، وينصهر في كماله، ويفنى في أسمائه، ويذوب في صفاته، وينزعج ويتألّم من كلّ ما يشغله عن ذكره وأُنسه بالله، فكيف لا يستوحش من الناس.

دخل تلميذ على شيخه العارف بالله فقال له : أراك وحيداً ؟ فقال العارف : بدخولك أصبحت وحيداً، إذ كنت أُناجي ربّي فقطعت مناجاتي...

٩ ـ علوّ المقام :

ربّنا الله سبحانه وتعالى عالي الشأن عظيم المقام، تعالى عمّا يصفون، فهو اللطيف بعباده، وهو القادر على كلّ شيء، وهو الجميل ويحبّ الجمال والعمل الجميل، فمن عشقه وأحبّه وأنس به، فإنّه يرفع مقامه ويعلّي شأنه، وعليّ اشتقّ من العليّ، ومحمّد من محامده، ويصل إلى مقام تصافحه الملائكة والأنبياء، ويتكلّم مع الشهداء، ويستغفر له كلّ شيء حتّى الحوت في البحر، ويكون مظهر أسمائه وصفاته، ويجدّ في خشوعه وعبادته، والعبادة جوهرة كنهها الربوبيّة، فمثل هؤلاء الأولياء المقرّبون، الذين يطيعون الله ورسوله، قد وعدهم الله في علوّ الدرجات، قاب قوسين أو أدنى :

قال تعالى :

﴿ ومن يطع الله والرسول فأُولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيّين والصدّيقين والشهداء والصالحين وحسن أُولئك رفيقاً ﴾[1].

﴿ يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أُوتوا العلم درجات ﴾[2].

و ﴿ فضّل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيماً ﴾[3].

فكيف المستأنس بالله المطيع لله ولرسوله المتّقي المؤمن العالم المجاهد لا يستوحش من الناس الجهلاء الفسقة الذين لا همّ لهم سوى بطونهم، وقيمتهم ما يخرج من بطونهم.

---

(١) النساء : ٦٩.

(٢) المجادلة : ١١.

(٣) النساء : ٩٥.

١٠ ـ الولاية :

المستأنس بالله إنّما الله سبحانه يتولّى أمره، ويدبّر حياته ومعيشته، فإن ﴿ اللهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾[١]، يتولاّهم في الدنيا والآخرة، ولكنّ الذين كفروا من الناس فإنّ أولياءهم ومدبّر أُمورهم الطواغيت، وعبّاد الشيطان وأوليائه، الذين يوحي إليهم الشيطان المكر والخديعة والظلم والجور والفسق والفجور.

فمن أنس بالله عزّ وجلّ، فإن الله يتولّى أمره، كما أنّه هو كذلك يوالي ربّه ويحبّه، ويعادي عدوّه، ولو كان من أقربائه، فيتبرّأ من الناس الذين يعادون الله في أفكارهم وعقائدهم وسلوكهم وأعمالهم، فمن أنس بالله ووصل إلى مقام الولاية، كيف لا يستوحش من الناس ؟

قال الله تعالى : ﴿ إنّما وليّكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون ﴾[٢].

﴿ أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأُولي الأمر منكم ﴾[٣].

﴿ ألا إنّ أولياء الله لا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون * الذين آمنوا وكانوا يتّقون ﴾[٤].

﴿ إنْ أولياؤه إلّا المتّقون ﴾[٥].

---

(١) البقرة : ٢٥٧.

(٢) المائدة : ٥٥.

(٣) النساء : ٥٩.

(٤) يونس : ٦٢ و ٦٣.

(٥) الأنفال : ٣٤.

قال الحواريون: يا عيسى مَن أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون؟

قال عيسى عليه السلام: الذين نظروا إلى باطن الدنيا حين نظر الناس إلى ظاهرها، والذين نظروا إلى آجل الدنيا حين نظر الناس إلى عاجلها، وأماتوا منها ما يخشون أن يميتهم، وتركوا ما علموا أنّه سيتركهم، فصار استكثارهم منها استقلالاً، وذكرهم إيّاها فواتاً، وفرحهم بما أصابوا منها حزناً.. يحبّون الله تعالى ويستضيئون بنوره، ويضيئون به، لهم خبر عجيب، وعندهم الخبر العجيب، بهم تمام الكتاب وبه قاموا، وبهم نطق الكتاب، وبه نطقوا، وبهم علم الكتاب وبه علموا، ليسوا يرون نائلاً مع ما نالوا، ولا أماني دون ما يرجون، ولا خوفاً دون ما يحذرون.

سئل النبيّ صلى الله عليه وآله عن قول الله تعالى: ﴿ ألا إنّ أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾[1]، قال: الذين يتحابّون في الله.

سُئِلَ أمير المؤمنين علي عليه السلام عن الآية الشريفة فقال: هم قوم أخلصوا لله تعالى في عبادته، ونظروا إلى باطن الدنيا حين نظر الناس إلى ظاهرها، فعرفوا آجلها حين غرّ الناس سواهم بعاجلها، فتركوا منها ما علموا أنّه سيتركهم، وأماتوا منها ما علموا أنّه سيميتهم.

إنّ أولياء الله تعالى كلّ مستقرب أجله، مكذّب أمله، كثير عمله، قليل زلله.

إنّ أولياء الله لأكثر الناس ذكراً وأدومهم له شكراً، وأعظمهم على بلائه صبراً.

---

(١) يونس: ٦٢.

إنّ أولياء الله لم يزالوا مستضعفين قليلين منذ خلق الله آدم عليه السلام.

إنّ أولياء الله سكتوا فكان سكوتهم ذكراً، ونظروا فكان نظرهم عبرة، ونطقوا فكان نطقهم حكمة، ومشوا فكان مشيهم بين الناس بركة، لولا الآجال التي قد كتبت عليهم لم تستقرّ أرواحهم في أجسادهم خوفاً من العذاب، وشوقاً إلى الثواب.

إنّ الله تعالى أخفى وليّه في عباده، فلا تستصغرّن عبداً من عبيد الله، فربّما يكون وليّه وأنت لا تعلم.

إذا استحقّت ولاية الله والسعادة جاء الأجل بين العينين، وذهب الأمل وراء الظهر، وإذا استحقت ولاية الشيطان والشقاوة جاء الأمل بين العينين، وذهب الأجل وراء الظهر.

إنّ الجهاد باب من أبواب الجنّة، فتحه الله لخاصّة أوليائه.

والدنيا مهبط وحي الله، ومتجر أولياء الله، اكتسبوا فيها الرحمة، وربحوا فيها الجنّة.

ثلاث خصال من صفة أولياء الله: الثقة بالله في كلّ شيء، والغناء به عن كلّ شيء، والافتقار إليه في كلّ شيء.

في الدعاء: اللّهم إنّك آنس الآنسين لأوليائك، وأحضرهم بالكفاية للمتوكلّين عليك، تشاهدهم في سرائرهم، وتطّلع عليهم في ضمائرهم، وتعلم مبلغ بصائرهم، فأسرارهم لك مكشوفة، وقلوبهم إليك ملهوفة، إن أوحشتهم الغربة آنسهم ذكرك، وإن صبّت عليهم المصائب لجأوا إلى الاستجارة بك، علماً بأنّ أزمّة الأمور بيدك، ومصادرها عن قضائك... فيا ترى مَن كان هذا حاله أما يستوحش من الناس؟ أما يعتزل الناس روحاً ويبقى معهم جسداً لهدايتهم وإرشادهم وأمرهم

بالمعروف ونهيهم عن المنكر، ولاحتياج بعض الناس إلى بعض في معاشهم وحياتهم اليوميّة.

١١ ـ التشابه :

ورد في الخبر الشريف : عبدي أطعني أجعلك مَثلي ـ بفتح الميم ـ أقول للشيء كن فيكون وتقول للشيء كن فيكون. فمن وصل إلى مقام الأُنس بالله بالطاعة والعبادة والإخلاص، وحاز شرف الحضور والمشاهدة ولذّة المناجاة. كيف لا تتجلّى فيه أسماء الله وصفاته، ويكون مظهراً لقدرة الله وعلمه وكمالاته، وينصبغ بصبغة الله سبحانه وتعالى، فيكون سبحانه سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها، اتّقِ من فراسة المؤمن فإنّه ينظر بنور الله.

١٢ ـ العصمة :

حريّ بمحبّ الله أن يعتصم من الذنوب، إذ كيف من يدّعي حبّ الله والأُنس به يعصيه سبحانه، فعجباً لمن ينتحل حبّ الله كيف يعصي الله، بل من وصل إلى مقام الأُنس بالله، فإنّه يعصم نفسه عن الذنوب ويصل إلى مقام العصمة الأفعالية، إذ العصمة الذاتية الكلّية مختصّة بالأنبياء والأوصياء الأئمة الأطهار عليهم السلام.

عن رسول الله صلى الله عليه وآله : قال الله سبحانه : إذا علمت أنّ الغالب على عبدي الاشتغال بي نقلت شهوته في مسألتي ومناجاتي، فإذا كان عبدي كذلك فأراد أن يسهو حلتُ بينه وبين أن يسهو ـ وهذا معنى العصمة ـ أُولئك أوليائي حقّاً، أُولئك الأبطال حقّاً.

يقول الله عزّ وجلّ : إذا كان الغالب على العبد الاشتغال بي جعلت بغيته

ولذّته في ذكري، فإذا جعلت بغيته ولذّته في ذكري عشقني وعشقته، فإذا عشقني وعشقته رفعت الحجاب فيما بيني وبينه، وصيّرت ذلك تغالباً عليه، لا يسهو إذا سها الناس، أُولئك كلامهم كلام الأنبياء، أُولئك الأبطال حقّاً.

عن أمير المؤمنين علي عليه السلام: من أُلهم العصمة أمِنَ الزلل، كيف يصبر عن الشهوة من لم تعنه العصمة، الناس مع الملوك والدنيا إلّا من عصم الله.

فالمستأنس بالله كيف لا يستوحش من هؤلاء الناس؟

﴿ ومن يعتصم بالله فقد هُدي إلى صراط مستقيم ﴾[1].

ومن هدي إلى الصراط المستقيم، فقد أنعم الله عليه، ومن أنعم عليه فهو مع النبيّين والصالحين والشهداء في مقعد صدقٍ عند مليكٍ مقتدر، وحسن أُلئك رفيقاً.

أمّا موجبات العصمة كما في الروايات فنها: الاعتبار والتصبّر على المكروه، وعن علي عليه السلام: إنّ التقوى عصمة لك في حياتك وزلفى لك بعد مماتك، وبالتقوى قرنت العصمة، والحكمة عصمة، والعصمة نعمة.

فعصم السعداء بالايمان، وخذل الأشقياء بالعصيان، من بعد اتّجاه الحجّة عليهم بالبيان.

وعن الإمام الباقر عليه السلام: إذا علم الله تعالى حُسن نيّة من أحدٍ اكتنفه بالعصمة.

قال نوف البكالي: رأيت أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) مُوليّاً مبادراً فقلت: أين تريد يا مولاي؟ فقال: دعني يا نوف إنّ آمالي تقدّمني في المحبوب.

---

(١) آل عمران: ١٠١.

فقلت : يا مولاي وما آمالك ؟ قال : قد علمها المأمول واستغنيت عن تبيينها لغيره، وكفى بالعبد أدباً، أن لا يشرك في نعمه وأربه غير ربّه. فقلت : يا أمير المؤمنين، إنّي خائف على نفسي من الشره، والتطلّع إلى طمع من أطماع الدنيا، فقال لي : وأين أنت عن عصمة الخائفين، وكهف العارفين ؟ فقلت : دُلّني عليه، قال : الله العليّ العظيم، تصل أملك بحسن تفضّله، وتقبل عليه بهمّك، واعرض عن النازلة في قلبك، فإن أجّلك بها فأنا الضامن من موردها، وانقطع إلى الله سبحانه فإنّه يقول : وعزّتي وجلالي لأقطعنّ أمل كلّ من يؤمّل غيري باليأس، ولأكسونّه ثوب المذلّة في الناس، ولأُبعدنّه من قربي، ولأقطعنّه عن وصلي...

في المناجاة : إلهي في هذه الدنيا هموم وأحزان وغموم وبلاء، وفي الآخرة حساب وعقاب، فأين الراحة والفرج ؟ إلهي خلقتني بغير أمري، وتميتني بغير أذني، ووكلت فيّ عدوّاً لي له عليَّ سلطان، يسلك بي البلايا مغروراً، وقلت لي استمسك، فكيف أستمسك إن لم تمسكني.

إلهي لا حول لي ولا قوّة إلّا بقدرتك، ولا نجاة لي من مكاره الدنيا إلّا بعصمتك، فأسألك ببلاغة حكمتك ونفاذ مشيئتك أن لا تجعلني لغير جودك متعرّضاً.

في مناجاة المعتصمين : إلهي أسكنتنا داراً حفرت لنا حُفر مكرها، بك نعتصم من الاغترار بزخارف زينتها... إلهي فزهدنا فيها وسلّمنا منها بتوفيقك وعصمتك... وطهّرني بالتوبة وأيّدني بالعصمة، واستصلحني بالعافية.

قال أمير المؤمنين علي عليه السلام : بالتقوى قرنت العصمة.

وهذا يعني أنّ العصمة لازمها التقوى أو بالعكس، فالمتّقي يكون معصوماً، والمستأنس بالله كيف لا يكون متّقياً متورّعاً عن كلّ ما فيه غير الله، وكيف لا يتّقي

الناس ويستوحش منهم، وإنّما يطلب الأتقياء في أطراف الأرض ـ كما ورد في الخبر الشريف ـ وهو مع الناس جسداً، ومع الله روحاً وقلباً، ناجاه الله في سرّه وعقله، فإنّه أقرب إليه من حبل الوريد، فيشاهده بقلبه وبصيرته، ويستأنس بذكره وجماله.

وجماع التقوى في قوله تعالى:

﴿ إنّ الله يأمر بالعدل والإحسان ﴾[1].

١٣ ـ الذكر[2]:

مقام الذاكرين لله مقام شامخ عظيم، وإنّ من يأنس بربّه يأنس بذكره، فإن اشتاق إلى كلامه تلى القرآن الكريم، وإن اشتاق أن يتكلّم معه ربّه، قام في المحراب مصلّياً، ويسأل الله أن يجعل قلبه بحبّه متيّماً، ولسانه بذكره لهجاً، ويستوحش من الغفلة عن ذكر الله، ويستوحش ممّن يغفله من الناس من ذكر الله، إذ أنس بالله تعالى، استوحش فاستوحش من الناس.

عن رسول الله ﷺ: عليك بمجالس الذكر.

ارتعوا في رياض الجنّة.

قالوا: يا رسول الله، وما رياض الجنّة؟

قال: مجالس الذكر.

---

(١) النحل: ٩٠.

(٢) لقد تحدّثت عن الذكر وأقسامه مفصّلاً في (الذكر الإلهي في المفهوم الإسلامي)، و (السؤال والذكر في رحاب القرآن والعترة)، فراجع.

ما قعد عدّة من أهل الأرض يذكرون الله إلّا قعد معهم من الملائكة.

في وصيّة لقمان: اختر المجالس على عينك، فإن رأيت قوماً يذكرون الله عزّ وجلّ فاجلس معهم، فإنّك إن تكُ عالماً ينفعك علمك ويزيدونك علماً، وإن كنت جاهلاً علّموك، ولعلّ الله يظلّهم برحمة فتعمّك معهم.

عن الإمام الصادق عليه السلام: ما اجتمع قوم في مجالس لم يذكروا الله ولم يذكرونا إلّا كان ذلك المجلس حسرة عليهم يوم القيامة.

وفي الدعاء: واجعلنا من الذين اشتغلوا بالذكر عن الشهوات... حتّى جالت في مجالس الذكر رطوبة ألسنة الذاكرين.

﴿ الذين آمنوا وتطمئنّ قلوبهم بذكر اللّه ألا بذكر اللّه تطمئنّ القلوب ﴾[1].

﴿ يا أيّها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأُولئك هم الخاسرون ﴾[2].

في الروايات: الذكر لذّة المحبّين (في الدعاء) وأستغفرك من كلّ لذّة بغير ذكرك، ومن كلّ راحة بغير أُنسك، ومن كلّ سرور بغير قربك، ومن كلّ شغل بغير طاعتك. إلهي ما ألذّ خواطر الإلهام بذكرك على القلوب، وما أحلى المسير إليك بالأوهام في مسالك الغيوب. اللّهم افتح مسامع قلبي لذكرك، وارزقني طاعتك وطاعة رسولك وعملاً بكتابك.

الذكر مجالسة المحبوب وهو أفضل الغنيمتين، وشيمة المتّقين، وسجية كلّ محسن، ولذّة كلّ موقن، وأحبّ الأعمال إلى الله:

---

(١) الرعد: ٢٨.

(٢) المنافقين: ٩.

﴿ اذكروا الله ذكراً كثيراً وسبّحوه بكرةً وأصيلاً ﴾[1].

عن رسول الله ﷺ : ألا أُخبركم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم، وخير لكم من الدينار والدرهم، وخيرٌ لكم من أن تلقوا عدوّكم فتقتلونهم ويقتلونكم؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: ذكر الله عزّ وجلّ كثيراً.

قال رجل للنبيّ: أُحبّ أن أكون أخصّ الناس إلى الله تعالى، قال ﷺ: أكثر ذكر الله تكن أخصّ العباد إلى الله تعالى.

عن الإمام الصادق عليه السلام : ما من شيء إلّا وله حدّ ينتهي إليه إلّا الذكر فليس له حدّ ينتهي إليه، فرض الله عزّ وجلّ الفرائض فمن أدّاهن فهو حدّهن... إلّا الذكر فإنّ الله عزّ وجلّ لم يرض منه بالقليل ولم يجعل له حدّاً ينتهي إليه، ثمّ تلا هذه الآية: ﴿ يا أيّها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً ﴾[2].

ومن ذكر الله في السرّ فقد ذكر الله كثيراً، فداومة الذكر خلصان الأولياء، ومن اشتغل بذكر الله طيّب الله ذكره.

ومن دعاء علّمه أمير المؤمنين عليه السلام لنوف البكالي: إلهي من لم يشغله الولوع بذكرك، ولم يزوِه السفر بقربك كانت حياته عليه ميتة، وميتته عليه حسرة.

إلهي وألهمني ولهاً بذكرك إلى ذكرك، وهمّتي إلى روح نجاح أسمائك ومحلّ قدسك.

أسألك بحقّك وقدسك وأعظم صفاتك وأسمائك أن تجعل أوقاتي من الليل

---

(١) الأحزاب: ٤١ و ٤٢.

(٢) الأحزاب: ٤١.

والنهار بذكرك معمورة وبخدمتك موصولة وأعمالي عندك مقبولة، حتّى تكون أعمالي وأورادي كلّها ورداً واحداً وحالي في خدمتك سرمداً.

عن الإمام الباقر عليه السلام : لا يزال المؤمن في صلاة ما كان في ذكر الله قائماً كان، أو جالساً، أو مضطجعاً، إن الله تعالى يقول : ﴿ الذين يذكرون اللّه قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكّرون في خلق السموات والأرض ربّنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك فقنا عذاب النار ... ﴾[1].

الذكر مفتاح الصلاح ومن عمر قلبه بدوام الذكر حسنت أفعاله في السرّ والجهر، ومداومة الذكر قوّة الأرواح ومفتاح الصلاح وحياة القلوب ونور العقول وجلاء الصدور تستنجح به الأمور، ويُستنار به اللبّ.

في الحديث القدسي : أيّما عبد اطّلعت على قلبه فرأيت الغالب عليه التمسّك بذكري، تولّيت سياسته وكنت جليسه ومحادثه وأنيسه.

ذكر الله ينير البصائر ويؤنس الضمائر فهو مفتاح الأُنس، وذاكر الله مؤانسه، وإذا رأيت الله يؤنسك بذكره فقد أحبّك، وإذا رأيت الله يؤنسك بخلقه ويوحشك من ذكره فقد أبغضك، فالذكر مطردة الشيطان ودعامة الايمان وأمان من النفاق، يثمر المحبّة والعصمة.

في الدعاء : وقلت وقولك الحق : ﴿ فاذكروني أذكركم ﴾[2]، فأمرتنا بذكرك ووعدتنا عليه أن تذكرنا تشريفاً لنا وتفخيماً وإعظاماً وها نحن ذاكروك كما أمرتنا فأنجز لنا ما وعدتنا يا ذاكر الذاكرين.

---

(١) آل عمران : ١٩١.

(٢) البقرة : ١٥٢.

١٤ ـ الإخلاص :

يقابله الرياء والعمل لغير الله، ومن أنس بالله كان مع الصادقين المخـلصين، وأدرك أنّ العمل الطيّب المخلص يصعد إلى ربّه، فإنّ الله خير الشريكين، فمن أشرك في ذكر ربّه وعبادته، فإنّ الله يدع تلك العبادة لغيره، إذ لا يقبل إلّا من المخلصين الذين لا يتسلّط عليهم الشيطان في غوايتهم وإضلالهم وانحرافهم، فهم أحبّاء الله، أنيسهم وحبيبهم الله سبحانه، عملوا لله بإخلاص وذكروا الله بإخلاص وأحبّوا الله بإخلاص وشاهدوا الله بإخلاص فبدأهم الإخلاص ومنتهاهم الإخلاص وحياتهم ومماتهم الإخلاص، ﴿ إنّ صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله ربّ العالمين ﴾[1]، اتّقوا الله حقّ تقاته وحازوا رتبة الإخلاص، فأخلصوا فخلصوا.

في القرآن الكريم في قصّة الشيطان ورجمه : ﴿ قال فبعزّتك لأغوينّهم أجمعين * إلّا عبادك منهم المُخلصين ﴾[2].

عن رسول الله ﷺ قال : قال الله تعالى : الإخلاص سرّ من أسراري استودعته قلب من أحببت من عبادي.

الإخلاص سرّ من سرّي أُودّعه في قلب من أحببتهُ.

وبالإخلاص تتفاضل مراتب المؤمنين.

واعمل لوجه واحد يكفيك الوجوه كلّها.

عن الإمام الصادق عليه السلام :

ولا بدّ للعبد من خالص النيّة في كلّ حركة وسكون لأنّه إذا لم يكن هذا المعنى

---

(١) الأنعام : ١٦٢.

(٢) سورة ص : ٨٢ و ٨٣.

يكون غافلاً، والغافلون قد وصفهم الله تعالى فقال: ﴿ أُولئك كالأنعام بل هم أضلّ ﴾[١].

وقال: ﴿ أُولئك هم الغافلون ﴾[٢].

ما أنعم الله عزّ وجلّ على عبد أجلّ من أن لا يكون في قلبه مع الله غيره.

وعن أمير المؤمنين عليّ عليه السلام: الإخلاص أشرف نهاية، غاية الدين، عبادة المقرّبين، ملاك العبادة، أعلى الإيمان، شيمة أفاضل الناس، وفي الإخلاص يكون الخلاص، طوبى لمن أخلص لله العبادة والدعاء ولم يشغل قلبه بما ترى عيناه، ولم ينس ذكر الله بما تسمع أُذناه، ولم يحزن صدره بما أعطى غيره.

وتصفية العمل خير من العمل، والإبقاء على العمل حتّى يخلص أشدّ من العمل. أخلص قلبك يكفيك القليل من العمل. العمل كلّه هباء إلّا ما أُخلص فيه. ضاع من كان له مقصد غير الله.

فيما ناجى الله تعالى موسى: يا موسى! ما أُريد به وجهي فكثير قليله، وما أُريد به غيري قليل كثيره.

طوبى للمخلصين، أُولئك مصابيح الهدى، تنجلي عنهم كلّ فتنة ظلماء.

أين الذين أخلصوا أعمالهم لله، وطهّروا قلوبهم لمواضع نظر الله؟

الناس كلّهم هلكى إلّا العاملون، والعاملون كلّهم هلكى إلّا المخلصون، والمخلصون على خطر.

عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله: إذا عملت عملاً فاعمل لله خالصاً؛ لأنّه لا يقبل من عباده الأعمال إلّا ما كان خالصاً.

---

(١) و (٢) الأعراف: ١٧٩.

ليست الصلاة قيامك وقعودك، إنّما الصلاة إخلاصك وأن تريد بها وجه الله.

﴿ قل إنّي أُمرت أن أعبد الله مخلصاً له الدين * وأُمرت لأن أكون أوّل المسلمين ﴾[1].

وتمام الإخلاص تجنّب المعاصي والمحارم، وإنّ لكل حقّ حقيقة، وما بلغ عبد حقيقة الإخلاص حتّى لا يحبّ أن يحمد على شيء من عمل لله، فالعمل الخالص الذي لا تريد أن يحمدك عليه أحد إلّا الله عزّ وجلّ.

أمّا علامة المخلص فأربعة: يسلم قلبه، وتسلم جوارحه، وبذل خيره، ويكفّ شرّه، ولا يكون العابد عابداً لله حقّ عبادته، حتّى ينقطع عن الخلق كلّه إليه فحينئذٍ يقول هذا خالص لي فيتقبّله بكرمه.

والزهد سجيّة المخلصين. قال أحد العلماء في بيان حقيقة الإخلاص ـ بعد ذكر أقاويل المشايخ ـ: الأقاويل في هذا كثيرة، ولا فائدة في تكثير النقل بعد انكشاف الحقيقة، وإنّما البيان الشافي بيان سيّد الأوّلين والآخرين، إذ سُئِلَ عن الإخلاص فقال: (هو أن تقول ربّي الله ثمّ تستقيم كما أُمرت)، أي: لا تعبد هواك ونفسك ولا تعبد إلّا ربّك وتستقيم في عبادته كما أمرك، وهذه إشارة إلى قطع كلّ ما سوى الله عزّ وجلّ من مجرى النظر وهو الإخلاص حقّاً.

الإخلاص ثمرة العبادة واليقين والعلم، وأوّله اليأس ممّا في أيدي الناس، ومن رغب فيما عند الله أخلص عمله، وكيف يستطيع الإخلاص من يغلبه هواه، وما أخلص عبد لله عزّ وجلّ أربعين صباحاً إلّا جرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه.

---

(١) الزمر: ١١ ـ ١٢.

في الحديث القدسي: قال الله عزّ وجلّ: لا أطّلع على قلب عبد فأعلم منه حبّ الإخلاص لطاعتي لوجهي، وابتغاء مرضاتي إلّا تولّيت تقويمه وسياسته. إنّ المؤمن ليخشع له كلّ شيء ويهابه كلّ شيء، ثمّ إذا كان مخلصاً لله أخاف الله منه كلّ شيء حتّى هوام الأرض وسباعها وطير السماء. والمخلص حريّ بالإجابة، وبالإخلاص ترفع الأعمال، وفي إخلاص النيّات نجاح الأمور، ومن أخلص بلغ الآمال.

وفي الدعاء: اللّهم صلِّ على محمّد وآل محمّد واجعلنا ممّن جاسوا خلال ديار الظالمين، واستوحشوا من مؤانسة الجاهلين، وسمو إلى العلوّ بنور الإخلاص...

خلاصة الكلام

من أنس بالله تعالى استوحش من الناس، ومن أنس بالواحد استوحش من الكثرة وما في أيدي الناس، ومن أنس بعلم الله استوحش من جهل الناس، فهم مع الناس لا معهم، أجسادهم مع الناس وأرواحهم تعلّقت بالملأ الأعلى، كبر الخالق في أعينهم، وصغر ما دونه في أنفسهم، عرفوا الله فأحبّوه، وحضروا حضيرة قدسه، وشاهدوا جمال جميله، في الكون وفي صنعه، فهم أهل الله وحزبه، وتسهّلت لهم سُبل تكاملهم، فتقرّبوا إلى ربّهم الكريم، وفازوا بلذّة الوصال، وعلوّ المقام، وتولّى الله أمرهم بخير وعافية، ومنحهم القدرة لمّا حملوا التشابه، فاعتصموا من الذنوب والمعاصي والآثام وما لا يرضى الربّ جلّ جلاله، فذكروا الله، وأخلصوا في أعمالهم ونواياهم وحبّب إليهم الايمان، وكرّه إليهم الكفر والطغيان.

هذا ولا تنحصر لوازم الأُنس بالله بأربعة عشر مقاماً، بل هناك لوازم أُخرى كما لكلّ مقام يمكن أن يتصوّر له لوازم ومقامات عديدة.

فمقام المعرفة يستلزمها الإطاعة لله ولرسوله ﷺ، ولمن كان في خط الأنبياء من الأولياء والعلماء، ولازم الإطاعة العلم والعمل بالأركان، وبجميع ما جاء في الشرع المقدّس من إتيان الواجبات وترك المحرّمات.

كما أنّ مقام الحبّ يستلزم إتيان المستحبّات وترك المكروهات، بل ترك الحلال فضلاً عن الشبهات والمكروهات.

ومقام الرضا وصنع الجميل يستلزم الصبر على البلايا.

كما أنّ مقام التكامل يستلزم ذلك كما يستلزم الحركة العلمية والحركة الاقتصادية، إذ كما ورد في الخبر الشريف: الكمال كلّ الكمال التفقّه في الدين والصبر على النائبة والتقدير في المعيشة.

وكذلك باقي المقامات العرفانية في السير والسلوك، يستلزمها مقامات أُخرى، وحالات عامّة وخاصّة.

والمقصود إقامة البرهان والدليل على قول مولانا الإمام العسكري عليه السلام كما تبيّن ذلك، بأنّ من أنس بالله الصمد استوحش من الناس الهمج، وأكثرهم لا يعقلون وإنّهم للحقّ كارهون، فلا يفر من خلق الله، ويعتزل المجتمع مطلقاً، بل قد أمر الله بهداية نفسه وتهذيبها أوّلاً، ثمّ هداية الناس وإمامتهم، كما أمره بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وترويج الدين، وإقامة حكومة العدل وإصلاح المجتمع.

في الروايات الشريفة: لا يؤنسك إلّا الحق ولا يوحشنّك إلّا الباطل.

اللّهم إنّك آنس الآنسين لأوليائك... إن أوحشتهم الغربة آنسهم ذكرك، وإن صبّت عليهم المصائب، لجئوا إلى الاستجارة بك...

قال أمير المؤمنين عليه السلام: ثمرة الأُنس بالله الاستيحاش من الناس، كيف يأنس بالله من لا يستوحش من الخلق، من انفرد عن الناس آنس بالله سبحانه، علامة الأُنس بالله الوحشة من الناس.

عن رسول الله صلى الله عليه وآله: من خرج من ذلّ المعصية إلى عزّ الطاعة، آنسه الله

عزّ وجلّ بغير أنيس، وأعانه بغير مال.

عن الإمام الصادق عليه السلام : ما من مؤمن إلّا وقد جعل الله له من إيمانه أُنساً يسكن إليه، حتّى لو كان على قلّةِ جبل لم يستوحش.

آه آه... !! على قلوب حُشيت نوراً، وإنّما كانت الدنيا عندهم بمنزلة الشجاع الأرقم، والعدوّ الأعجم، أنسوا بالله واستوحشوا ممّا به استأنس المترفون.

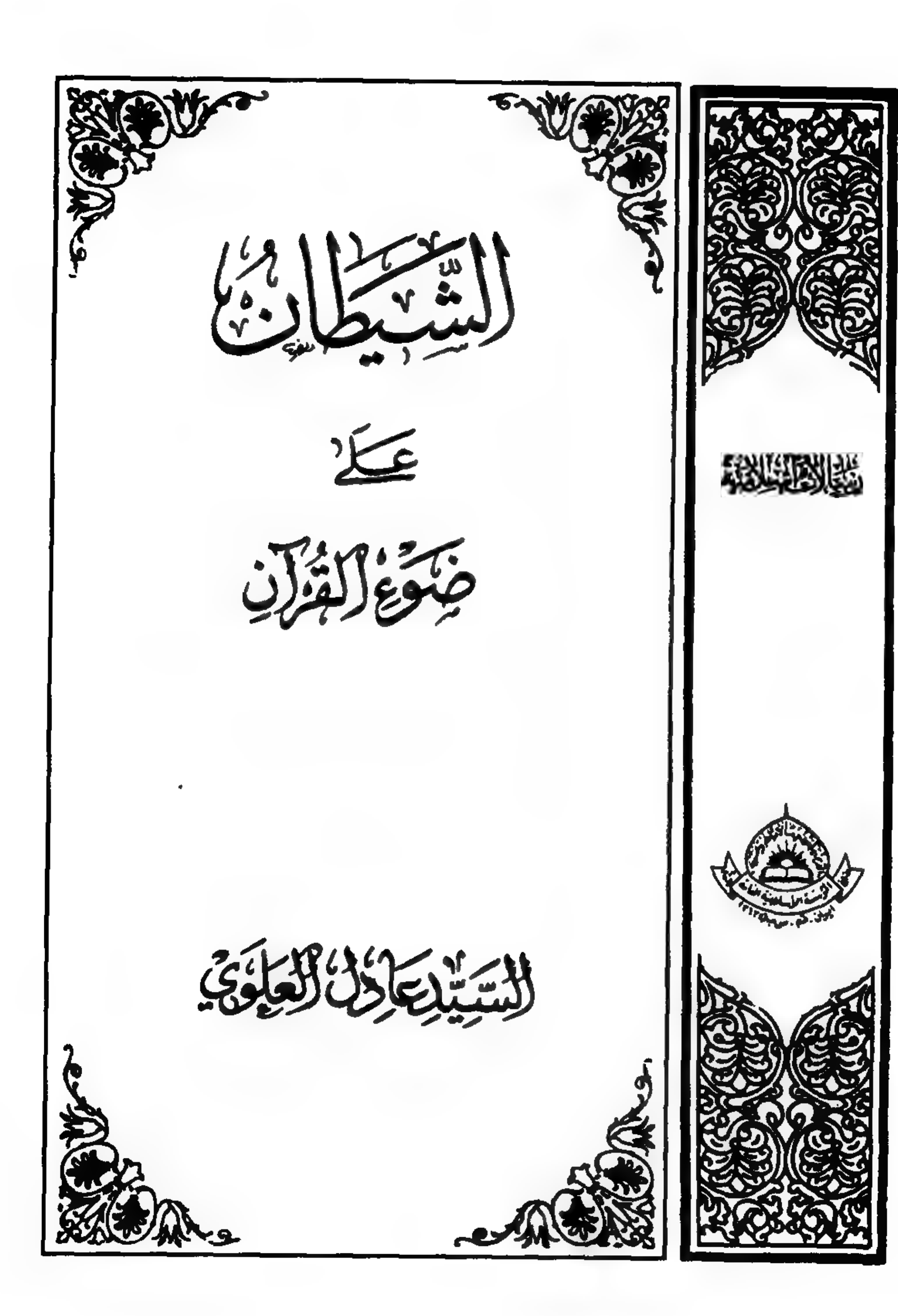
فهل أنست بالله ؟ وهل وصلت إلى هذه المقامات ؟

اسعَ سعيك، فأن ليس للإنسان إلّا ما سعى، والله وليّ التوفيق، وإنّه خير ناصرٍ ومعين.

فمنك الحركة ومن الله البركة.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

المحتويات


الشيطان
على
ضوء القرآن
السيد عادل العلوي

علوی، عادل، ١٩٥٥ ــ
كتاب الشيطان على ضوء القرآن / تأليف السيّد عادل العلوي. ــ قم : المؤسسة الإسلامية العامة للتبليغ والإرشاد، ١٤٢١ ق. = ١٣٧٩.
١٥٢ ص. ــ (موسوعة رسالات إسلامية)
ISBN 964 - 5915 - 18 - X (دوره) . - ISBN 964 - 5915 - 33 - 3
فهرستنويسى بر اساس اطلاعات فيپا.
عربى
كتابنامه به صورت زيرنويس.
١. شيطان ــ جنبه‌هاى قرآنى. الف. عنوان. ب. عنوان: الشيطان على ضوء القرآن.
٨ ع ٨٣ ش / BP ١٠٤ — ٢٩٧ / ١٥٩
كتابخانهٔ ملى ايران — ٤٩٩١ ــ ٧٩ م

موسوعة
رسالات إسلامية

***
***

كتاب
الشيطان على ضوء القرآن
تأليف ـ السيّد عادل العلوي

نشر ـ المؤسسة الإسلامية العامة للتبليغ والإرشاد
إيران، قم، ص. ب ٣٦٣٤
الطبعة الأُولى ـ ١٤٢٣ هجري قمري
التنضيد والإخراج الكومبيوتري ـ حكمت، قم
المطبعة ـ النهضة، قم

شابك ٣ ـ ٣٣ ـ ٥٩١٥ ـ ٩٦٤ — ISBN 964 - 5915 - 33 - 3
اى. اى. ان. ٩٧٨٩٦٤٥٩١٥٣٣٧ — EAN 9789645915337
شابك X ـ ١٨ ـ ٥٩١٥ ـ ٩٦٤ (دورة ١٠٠ جلد) — 964 - 5915 - 18 - X (100 - Vol. Set)

بسم الله الرحمن الرحيم

الشيطان على ضوء القرآن[1]

المقدّمة

الحمد لله الذي كرّم الإنسان وأمره أن يستعيذ من الشيطان، والصلاة والسلام على سيّد الإنس والجانّ، وأشرف الأكوان، خاتم الأنبياء والمرسلين، محمّد وآله المعصومين الطاهرين.

من هو العدوّ الأوّل ؟ !

قال الله تعالى في محكم كتابه ومبرم خطابه :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْها زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً ﴾[2].

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا

---

(١) وهي محاضرات إسلامية ألقاها الكاتب في مسجد الإمام الرضا عليه السلام (موكب النجف الأشرف) بقم المقدّسة سنة ١٤١٧ هـ ق.

(٢) النساء : ١.

تَعْلَمُونَ * وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى المَلائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمِاءِ هَؤُلاءِ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ * قَالُوا سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ العَلِيمُ الحَكِيمُ * قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمِائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمِائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ * وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنْ الكَافِرِينَ * وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الجَنَّةَ وَكُلا مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُما وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنْ الظَّالِمِينَ * فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ * فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ * قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعاً فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدىً فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ * وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾[1].

قال أمير المؤمنين علي عليه السلام في نهجه في صفة خلق آدم: «ثمّ جمع سبحانه من حزن الأرض وسهلها وعذبها وسبخها تربة سنّها بالماء حتّى خلصت، ولاطها بالبلّة حتّى لزبت، فجبل منها صورة ذات أحناء ووصول وأعضاء وفضول، أجمدها حتّى استمسكت وأصلدها حتّى صلصلت، لوقت معدود وأجل معلوم، ثمّ نفخ فيها من روحه فمثلت إنساناً ذا أذهان يجيلها، وفكر يتصرّف بها، وجوارح يختدمها، وأدوات يقلّبها، ومعرفة يفرّق بها بين الحقّ والباطل، والأذواق والمشام والألوان والأجناس، معجوناً بطينة الألوان المختلفة، والأشباه المؤتلفة، والأضداد المتعادية، والأخلاط المتباينة من الحرّ والبرد والبلّة والجمود والمساءة والسرور، واستأدى

---

(١) البقرة: ٣٠ ـ ٣٩.

الله سبحانه وتعالى الملائكة وديعته لديهم، وعهد وصيّته إليهم في الإذعان بالسجود له والخنوع لتكرمته، فقال سبحانه وتعالى: (اسجدوا لآدم) فسجدوا إلّا إبليس وقبيلته اعترتهم الحميّة، وغلبت عليهم الشقوة، وتعزّزوا بخلقة النار، واستوهنوا خلق الصلصال، فأعطاه الله النظرة استحقاقاً للسخطة، واستتماماً للبليّة، وإنجازاً للعدة، فقال: ﴿ فَإِنَّكَ مِنَ المُنْظَرِينَ * إِلَى يَوْمِ الوَقْتِ المَعْلُومِ ﴾[1]، ثمّ أسكن سبحانه آدم داراً أرغد فيها عيشه وآمن فيها محلّته، وحذّره إبليس وعداوته، فاغترّه عدوّه نفاسةً عليه بدار المقام ومرافقة الأبرار، فباع اليقين بشكّه، والعزيمة بوهنه، واستبدل بالجدل وجلاً وبالاغترار ندماً، ثمّ بسط الله سبحانه له في توبته، ولقّاه كلمة رحمته، ووعده المردّ إلى جنّته، فأهبطه إلى دار البليّة، وتناسل الذرّية ...»[2].

وقال سبحانه وتعالى:

﴿ إِنْ يُوحَى إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ * إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِنْ طِينٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ * فَسَجَدَ المَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ * إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الكَافِرِينَ * قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَاسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ العَالِينَ * قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ * قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ * وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ * قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ * قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ المُنظَرِينَ * إِلَى يَوْمِ الوَقْتِ المَعْلُومِ * قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ

---

(١) الحجر: ٣٧ ـ ٣٨.

(٢) نهج البلاغة ـ القسم الأوّل: ٢٢ ـ ٢٥.

مِنهُمُ الْمُخْلَصِينَ * قَالَ فَالحَقُّ وَالحَقَّ أَقُولُ * لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾[1].

وقد وردت الآيات الكريمة في بيان قصّة خلق آدم وحوّاء عليهما السلام، وكيف أمر الله ملائكته بالسجود، وكان الشيطان إبليس معهم فكفر وعصى ربّه، وتكرّرت هذه القصّة في القرآن الكريم في موارد وسور كثيرة منها:

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ * قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ * قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ * قَالَ أَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ * قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ * قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ * ثُمَّ لآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ * قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْؤُوماً مَدْحُوراً لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ * وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الجَنَّةَ فَكُلا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ * فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُرِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الخَالِدِينَ * وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ * فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ * قَالا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الخَاسِرِينَ * قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ

---

(١) ص: ٧٠ ـ ٨٥.

وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ * قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ * يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاساً يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشاً وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ * يَا بَنِي آدَمَ لا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ * وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللهَ لا يَأْمُرُ بِالفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللهِ مَا لا تَعْلَمُونَ * قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ * فَرِيقاً هَدَى وَفَرِيقاً حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلالَةُ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾[١].

ومنها: (الحجر: ٢٨ ـ ٤٣)، (النحل: ٩٩ ـ ١٠٠)، (الإسراء: ٦١ ـ ٧٠)، (الكهف: ٥٠)، (طه: ١١٦ ـ ١٢٧).

ويقول أمير المؤمنين علي عليه‌السلام في خطبته القاصعة:

«الحمد لله الذي لبس العزّ والكبرياء، واختارهما لنفسه دون خلقه، وجعلهما حِمىً وحرماً على غيره، وأصطفاهما لجلاله، وجعل اللعنة على من نازعه فيهما من عباده، ثمّ اختبر بذلك ملائكته المقرّبين، ليميز المتواضعين منهم من المستكبرين، فقال سبحانه وهو العالم بمضمرات القلوب، محجوبات الغيوب، إنّي خالق بشراً من طين، فإذا سوّيته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين، فسجد الملائكة كلّهم أجمعون إلّا إبليس اعترضته الحميّة، فافتخر على آدم بخلقه، وتعصّب عليه لأصله،

---

(١) الأعراف: ١١ ـ ٣٠.

فعدوّ الله إمام المتعصّبين وسلف المستكبرين، الذي وضع أساس العصبية، ونازع الله رداء الجبريّة، وادّرع لباس التعزّز، وخلع قناع التذلّل، ألا ترون كيف صغّره الله بتكبّره، ووضعه بترفّعه، فجعله في الدنيا مدحوراً، وأعدّ له في الآخرة سعيراً، ولو أراد الله سبحانه أن يخلق آدم من نور يختطف الأبصار ضياؤه، ويبهر العقول رواؤه ـ أي المنظر الحسن ـ وطيب يأخذ الإنسان عرفه لفعل، ولو فعل لظلّت له الأعناق خاضعة، ولخفّت البلوى فيه على الملائكة، ولكنّ الله سبحانه يبتلي خلقه ببعض ما يجهلون أصله تمييزاً بالاختبار لهم، ونفياً للاستكبار عنهم، وإبعاداً للخيلاء منهم، فاعتبروا بما كان من فعل الله بإبليس، إذ أحبط عمله الطويل وجهده الجهيد، وكان قد عبد الله ستّة آلاف سنة، لا يُدرى أمِن سنيّ الدنيا أم من سنيّ الآخرة عن كِبر ساعة واحدة، فمن ذا بعد إبليس يسلم على الله سبحانه بمثل معصيته، كلّا ما كان الله سبحانه ليدخل الجنّة بشراً بأمر أخرج منها ملكاً، إنّ حكمه في أهل السماء وأهل الأرض لواحد، وما بين الله وبين أحد من خلقه هوادة ـ أي الميل والصلح ـ في إباحته حِمى حرّمه الله على العالمين، فاحذروا عباد الله عدوّ الله أن يعديكم بدائه، وأن يستفزّكم بخيله ورجله، فلعمري لقد فوّق لكم سهم الوعيد، وأغرق لكم بالنزع الشديد، ورماكم من كلّ مكان قريب، وقال: ربّ بما أغويتني لأُزيننّ لهم في الأرض ولأغوينّهم أجمعين» الخطبة[1].

فالشيطان هو العدوّ الأوّل للإنسان، وإذا أردنا أن نقف على فلسفة خلقته وعدائه، فإنّه يمكن ذلك من خلال الرجوع إلى كتاب الله الكريم والروايات الشريفة المرويّة عن الرسول الأعظم محمّد ﷺ وأهل بيته عترته الطاهرين الأئمة

---

(١) سفينة البحار ١: ٣٧٩، عن البحار ١٤: ٤٦٥.

الهداة المهديّين، فإنّ أهل البيت أدرى بما في البيت، وفي هذا الكون الرحب الوسيع، فإنّ الله أوقفهم على أسرار خلقه، وحقائق الأشياء كما هي.

قال رسول الله ﷺ لابن مسعود وهو يعظه: يا بن مسعود، اتّخذ الشيطان عدوّاً، فإنّ الله تعالى يقول: ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوّاً ﴾[1].

قال أمير المؤمنين عليّ عليه السلام: احذروا عدوّاً نفذ في الصدور خفيّاً، ونفث في الآذان نجيّاً.

قال الإمام زين العابدين عليه السلام في مناجاته: إلهي أشكو إليك عدوّاً يضلّني، وشيطاناً يغويني، قد ملأ بالوسواس صدري، وأحاطت هواجسه بقلبي، يعاضد لي الهوى، ويزيّن لي حبّ الدنيا، ويحول بيني وبين الطاعة والزلفى.

قال الإمام الصادق عليه السلام: لقد نصب إبليس حبائله في دار الغرور، فما يقصد فيها إلّا أولياءنا.

وقال الإمام الكاظم عليه السلام لمّا سئل عن أوجب الأعداء مجاهدةً: أقربهم إليك وأعداهم لك... ومن يحرّض أعداءك عليك وهو إبليس.

فعن هشام بن الحكم قال: سأل الزنديق أبا عبد الله عليه السلام فقال: أفمن حكمته أن جعل لنفسه عدوّاً وقد كان ولا عدوّ له، فخلق كما زعمت إبليس فسلّطه على عبيده يدعوهم إلى خلاف طاعته ويأمرهم بمعصيته، وجعل له من القوّة كما زعمت يصل بلطف الحيلة إلى قلوبهم فيوسوس إليهم، فيشكّكهم في ربّهم، ويلبس عليهم دينهم، فيزيلهم عن معرفته، حتّى أنكر قوم لما وسوس إليهم ربوبيّته، وعبدوا سواه، فلِمَ سلّط عدوّه على عبيده، وجعل له السبيل إلى إغوائهم؟ قال: إنّ هذا

---

(١) فاطر: ٦

العدوّ الذي ذكرت لا يضرّه عداوته، ولا ينفعه ولايته، وعداوته لا تنقص من ملكه شيئاً، وولايته لا تزيد فيه شيئاً، وإنّما يتّقى العدوّ إذا كان في قوّة يضرّ وينفع، إن همّ بملك أخذه، أو بسلطان قهره، فأمّا إبليس فعبد خلقه ليعبده ويوحّده، وقد علم حين خلقه ما هو وإلى ما يصير إليه، فلم يزل يعبده مع ملائكته حتّى امتحنه بسجود آدم، فامتنع من ذلك حسداً وشقاوة غلبت عليه، فلعنه عند ذلك وأخرجه عن صفوف الملائكة، وأنزله إلى الأرض ملعوناً مدحوراً، فصار عدوّ آدم وولده بذلك السبب، وما له من السلطنة على ولده إلّا الوسوسة والدعاء إلى غير سبيل، وقد أقرّ مع معصيته لربّه بربوبيّته[1].

فأوّل عدوّ للإنسان هو الشيطان، وكلّما كثر إيمان الشخص كثرت عداوة الشيطان له.

يقول الإمام الصادق عليه السلام: «إنّ الشياطين أكثر على المؤمنين من الزنابير على اللحم».

ويقول عليه السلام: «لقد نصب إبليس حبائله في دار الغرور، فما يقصد فيها إلّا أولياءنا».

ويقول الإمام الباقر عليه السلام: «إذا مات المؤمن خلّي على جيرانه من الشياطين عدد ربيعة ومضر كانوا مشتغلين به».

فإنّ ربيعة ومضر من أكبر القبائل العربية، فذكرهما كناية عن الكثرة، أي الآلاف المؤلفة من الشياطين يحومون حول دار المؤمن من اليوم الأوّل من ولادته، وحتّى اليوم الأخير يوم رحلته من هذه الدنيا الدنيّة وزخرفها وزبرجها، فإنّ

---

(١) البحار ٦٠: ٢٣٥، عن الاحتجاج.

شغلهم هو غواية المؤمن وإضلاله، وإذا مات فإنّهم ينتقلون إلى مؤمن آخر، وهكذا حتّى اليوم المعلوم.

ثمّ ورد في الخبر النبوي الشريف: قال رسول الله ﷺ: إنّ الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم[١].

قال القمّي في سفينته: الشيطان فيعال من شطن إذا تباعد، فكأنّه يتباعد إذا ذكر الله تعالى، وقيل: إنّه فعلان من شاط يشيط إذا احترق غضباً، لأنّه يحترق ويغضب إذا أطاع العبد، فيقول ﷺ: إنّ الشيطان لا يزال يراقب العبد ويوسوس في نومه ويقظته، وهو جسم لطيف هوائي يمكنه أن يصل إلى ذلك، والإنسان غار غافل، فيوصل كلامه ووسواسه إلى باطن أُذنه فيصير إلى قلبه، والله تعالى هو العالم بكيفيّة ذلك، فأمّا وسواسه فلا شكّ فيه، والشيطان هنا اسم جنس ولا يريد به إبليس وحسب، وذلك لأنّه له أولاد وأحفاد.

قال المجلسي عليه الرحمة: لا خلاف بين الإمامية بل بين المسلمين في أنّ الجنّ والشياطين أجسام لطيفة يُرَون في بعض الأحيان، ولا يرون في بعضها، ولهم حركات سريعة وقدرة على أعمال قوية، ويجرون في أجساد بني آدم مجرى الدم، وقد يشكّلهم الله بحسب المصالح بأشكال مختلفة وصور متنوّعة، كما ذهب إلى هذا القول علم الهدى السيّد المرتضى عليه الرحمة، وجعل الله لهم القدرة على ذلك كما هو الأظهر من الأخبار.

والكافي بسنده عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ما من قلب إلّا وله أُذنان على أحدهما ملك مرشد وعلى الآخر شيطان مفتّن، هذا يأمره وهذا يزجره: الشيطان

---

(١) سفينة البحار ٤: ٤٣٠.

يأمره بالمعاصي والملك يزجره عنها، وهو قول الله عزّ وجلّ: ﴿ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ * مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾[١].

قلب الإنسان مثال بيت له أبواب تنصب إليها الأحوال من كلّ باب، وكالمرآة تمرّ عليها صور مختلفة، وهي التي تسمّى بالخواطر المحرّكة للرغبة، وإنّها تنقسم إلى خواطر خير، وهي ما تدعو إلى الخير ما ينفع في الآخرة وهي خواطر نوريّة، وخواطر شرّ وما يضرّ في العاقبة وهي خواطر ناريّة، والأوّل يسمّى بالخاطر المحمود، ويسمّى إلهاماً، والثاني بالخاطر المذموم ويسمّى وسواساً، ولكلّ حادث سبب، وسبب الأوّل يسمّى ملكاً، وسبب الثاني يسمّى شيطاناً، واللطف الذي به يتهيّأ القلب لقبول إلهام الملك يسمّى توفيقاً، والذي به يتهيّأ لقبول وسواس الشيطان يسمّى إغواء وخذلاناً، فإنّ المعاني المختلفة تفتقر إلى أسامي مختلفة.

والملك عبارة عن خلق خلقه الله شأنه إفاضة الخير، وإفادة العلم، وكشف الحقّ والوعد بالمعروف، وقد خلقه الله وسخّره لذلك، والشيطان عبارة عن خلق شأنه ضدّ ذلك، وهو الوعد بالشرّ والأمر بالفحشاء، والتخويف عند الهمّ بالخير بالفقر، والوسوسة في مقابلة الإلهام، والشيطان في مقابلة الملك، والتوفيق في مقابلة الخذلان، وإليه الإشارة بقوله تعالى:

﴿ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾[٢].

فإنّ الموجودات كلّها متقابلة مزدوجة إلّا الله تعالى فإنّه لا مقابل له، بل هو الواحد الحقّ الخالق للأزواج كلّها.

---

(١) بحار الأنوار ٦٧: ٣٤، والآية من سورة ق: ١٧ ـ ١٨.

(٢) الذاريات: ٤٩.

ثمّ هذا الصراع بين الحقّ والباطل، والنور والظلمة، والخير والشرّ، والفضائل والرذائل، كان من بدو الخلقة ولا يزال، وسيبق إلى اليوم المعلوم، وكان معسكر الحقّ والخير يتمثّل بآدم عليه السلام، ومعسكر الشرّ والباطل يتمثّل بإبليس، ولكلّ موسى فرعون.

والقلب الإنساني متجاذب بين الشيطان والملك، بين الحقّ والباطل، وقال النبيّ صلى الله عليه وآله: للقلب لمّتان، لمّة من الملك إيعاد بالخير وتصديق بالحقّ، فمن وجد ذلك فليعلم أنّه من الله فليحمد الله، ولمّة من العدوّ إيعاد بالشرّ وتكذيب الحقّ، ونهي عن الخير، فمن وجد ذلك فليتعوّذ من الشيطان، ثمّ تلا: ﴿ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ ﴾[1].

ثمّ من العدل الإلهي يكون القلب بأصل الخلقة والفطرة صالحاً لقبول آثار الملائكة والشياطين على حدّ سواء، وإنّما يترجّح أحدهما على الآخر باتّباع الهوى والشهوات والغضب، فإنّه باتباع الهوى وطول الأمل يظهر تسلّط الشيطان عليه، ويصير القلب عشّه ومعدنه، فإنّ الهوى مرعاه ومرتعه، وإن جاهد الشهوات وتشبّه بأخلاق الملائكة صار قلبه مستقرّ الملائكة ومهبطهم.

ولـمّا كان القلب لا يخلو من الصفات الرذيلة صار ميداناً لوسوسة الشيطان، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما منكم من أحد إلّا وله شيطان.

وإذا كان العقل هو الحاكم في وجود الإنسان فلا تكون الشهوة إلّا فيما ينبغي وإلى الحدّ الذي ينبغي، فلا تدعوه إلى الشرّ، فيكون مهبط الملائكة، وإذا غلب على القلب حبّ الدنيا وذكرها ومقتضيات الهوى، فإنّ الشيطان يجد مجالاً لوسوسته وإغوائه.

---

(١) البقرة: ٢٦٨.

فكلما انصرف القلب لذكر الله تباعد الشيطان ووسوسته، وأقبل الملك وإلهامه، فالعراك بين جنود الملائكة وجنود الشياطين، بين جنود العقل وجنود الجهل في ميادين القلب دائم إلى أن يتغلّب أحدهما على الآخر، وأكثر القلوب قد فتحها جنود الشيطان وملكوها فامتلأت بالوساوس الداعية إلى إيثار العاجلة على الآخرة، وتقديم الدنيا ونسيان ذكر الله، ومبدأ استيلائها اتباع الهوى، ولا يمكن فتح القلب بعدها إلّا بتخلية القلب من الرذائل، وجنود الشيطان بمخالفة الهوى وذكر الله وعبادته، حتّى لا يكون للشيطان سلطان:

﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ ﴾[1].

وكلّ من اتّبع الهوى فهو عبد الهوى فيتسلّط عليه الشيطان:

﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ ﴾[2].

ولا يمحو وسوسة الشيطان عن القلب إلّا ذكر الله سبحانه، ولا يعالج الشيطان إلّا بضدّه، وهو ذكر الله والاستعاذة من شرّ الوسواس الخنّاس:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ ﴾[3].

قال مجاهد في قوله: ﴿ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ﴾[4]، قال: هو منبسط على قلب الإنسان، فإذا ذكر الله سبحانه خنس وانقبض، وإذا غفل انبسط على

---

(١) الحجر: ٤٢.

(٢) الجاثية: ٢٣.

(٣) الأعراف: ٢٠١.

(٤) الناس: ٤.

قلبه، فالتطارد بين ذكر الله ووسوسة الشيطان كالتطارد بين النور والظلام، وبين الليل والنهار، ولتطاردهما قال الله تعالى: ﴿ ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللهِ ﴾[١].

وفي الحديث: إنّ الشيطان واضع خطمه على قلب ابن آدم، فإذا ذكر الله خنس، وإن نسي الله التقم قلبه.

ولأجل اكتناف الشهوات بالقلب من جوانبه الأربعة:

﴿ لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ * ثُمَّ لآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ ﴾[٢].

قال رسول الله ﷺ: إنّ الشيطان قعد لابن آدم في طرقه، فقعد له بطريق الإسلام، فقال له: أتسلم وتترك دينك ودين آبائك؟ فعصاه فأسلم.

ثمّ قعد له بطريق الهجرة فقال: أتهاجر وتدع أرضك ونساءك؟ فعصاه فهاجر.

ثمّ قعد له بطريق الجهاد فقال: أتجاهد وهو تلف النفس والمال؟ فتقاتل فتقتل فتنكح نساؤك وتقسم مالك؟ فعصاه فجاهد.

قال رسول الله ﷺ: فمن فعل ذلك فمات كان حقاً على الله أن يدخله الجنّة.

فالشيطان هو العدوّ الأوّل للإنسان، وقد عرّفه الله سبحانه وعرّف عداوته في مواضع كثيرة من كتابه الكريم ليؤمن به ويحترز عنه فقال تعالى:

﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوّاً إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ

---

(١) المجادلة: ١٩

(٢) الأعراف: ١٦ ـ ١٧.

أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾[١].

فينبغي للعبد أن يشتغل بدفع العدوّ عن نفسه وعياله :

﴿ قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً ﴾[٢].

وينبغي أن يسأل عن كيفية الخلاص من عدوّه المبين، وما هي الأسلحة التي تهلكه وتبعده عنه.

وهذا ما ستقف عليه في هذه العجالة إن شاء الله تعالى.

وعن الكافي بسنده عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: إنّ للقلب أُذنين، فإذا همّ العبد بذنب قال له روح الإيمان: لا تفعل، أو قال له الشيطان: افعل! وإذا كان على بطنها ـ أي المرأة المزني بها ـ نزع منه روح الإيمان[٣].

قال العلّامة المجلسي في بيان هذا الخبر الشريف: للنفس طريق إلى الخير وطريق إلى الشرّ، وللخير مشقّة حاضرة زائلة، ولذّة غائبة دائمة، وللشرّ بعكس ذلك لذّة حاضرة فانية، ومشقّة غائبة باقية، والنفس ـ لنزعتها المادية ـ تطلب اللذّة وتهرب عن المشقّة، فهي دائماً متردّدة بين الخير والشرّ، فروح الإيمان يأمره بالخير، وينهاه عن الشرّ، والشيطان بالعكس.

وبالنسبة إلى روح الإيمان ذكروا وجوهاً :

١ ـ أن يكون المراد به الملك، كما صرّح به في بعض الأخبار وسمّي بروح الإيمان لأنّه مؤيّد له، وسبب لبقائه، فكأنّه روحه وبه حياته.

---

(١) فاطر : ٦.

(٢) التحريم : ٦

(٣) البحار ٦٧ : ٤٤، عن الكافي ٢ : ٢٦٧.

٢ ـ أن يراد به العقل، فإنّه أيضاً كذلك، ومتى لم يغلب الهوى والشهوات النفسانية العقل، لم يرتكب الخطيئة، فكأنّ العقل يفارقه في تلك الحالة.

٣ ـ أن يراد به الروح الإنساني من حيث اتّصافه بالايمان، فإنّها من هذه الجهة روح الايمان، فإذا غلبها الهوى ولم يعمل بمقتضاها فكأنّها فارقته.

٤ ـ أن يراد به قوّة الايمان وكماله ونوره، فإنّ كمال الايمان باليقين، واليقين بالله واليوم الآخر لا يجتمع مع ارتكاب الكبائر والذنوب الموبقة، فمفارقته كناية عن ضعفه، فإذا ندم بعد انكسار الشهوة ممّا فعل وتفكّر في الآخرة وبقائها وشدّة عقوباتها وخلوص لذّاتها يقوى يقينه فكأنّه يعود إليه.

٥ ـ أن يراد به نفس الايمان وتكون الإضافة للبيان، فإنّ الايمان الحقيقي ينافي ارتكاب موبقات المعاصي، كما أُشير إليه بقولهم عليهم‌السلام: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن»، فإنّ من آمن وأيقن بوجود النار وإيعاد الله تعالى على الزنا أشدّ العذاب فيها، كيف يجترئ على الزنا وأمثالها، إذ لو أوعده بعض الملوك على فعل من الأفعال ضرباً شديداً أو قتلاً بل ضرباً خفيفاً أو إهانة وعلم أنّ الملك سيطّلع عليه لا يرتكب هذا الفعل، وكذا لو كان صبي من غلمانه أو ضعيف من بعض خدمه ـ فكيف الأجانب ـ حاضراً لا يفعل الأُمور القبيحة، فكيف يجتمع الايمان بأنّ الملك القادر القاهر الناهي الآمر المطّلع على السرائر ولا يخفى عليه الضمائر، مع ارتكاب الكبائر بحضرته، وهل هذا إلّا من ضعف الايمان، ولذا قيل: الفاسق إمّا كافر أو مجنون.

٦ ـ أن يقال: في الكافر ثلاثة أرواح هي موجودة في الحيوانات، وهي الروح الحيوانية والقوّة البدنية والقوّة الشهوانية، فإنّهم ضيّقوا الروح ـ الإيمانية ـ التي بها يمتاز الإنسان عن سائر الحيوان وجعلوها تابعة للشهوات النفسانية والقوى

البهيمية، فإمّا أن تفارقهم بالكلّية كما قيل، أو لمّا صارت باطلة معطّلة، فكأنّها فارقتهم، ولذا قال تعالى:

﴿ إنْ هُمْ إلّاَ كَالأنْعَامِ بَلْ هُمْ أضَلُّ سَبِيلاً ﴾[1].

وفي المؤمنين أربعة أرواح، فإنّه يتعلّق بهم روح يصيرون به أحياء بالحياة المعنوية الأبدية، فهي مع الأرواح البدنية تصير أربعاً، وفي الأنبياء والأوصياء عليهم السلام روح خامس: هو روح القدس، وهذا على بعض الوجوه قريب من الوجه الثالث.

والحاصل: أنّ الإنسان في بدو الأمر عند كونه نطفة جماد، ولها صورة جمادية ثمّ يترقّى إلى درجة النباتات، فتتعلّق به نفس نباتية، ثمّ يترقّى إلى أن تتعلّق به نفس حيوانية هي مبدأ للحسّ والحركة، ثمّ يترقّى إلى أن يتعلّق به روح آخر هو مبدأ الإيمان، ومنشأ سائر الكمالات، ثمّ يترقّى إلى أن يتعلّق به روح القدس فيحيط بجميع العوالم، ويصير محلاً للإلهامات الربانية والإفاضات السبحانية.

وقال بعضهم بناءً على القول بالحركة في الجوهر ـ كما عند صدر المتألهين الشيرازي ـ أنّ الصورة النوعية الجمادية المنويّة تترقّى وتتحرّك إلى أن تصير نفساً نباتية، ثمّ تترقّى إلى أن تصير نفساً حيوانية، وروحاً حيوانياً، ثمّ تترقّى إلى أن تصير نفساً مجرّداً على زعمه مدركة للكليات، ثمّ تترقّى إلى أن تصير نفساً قدسياً، وروح القدس على زعمه يتّحد بالعقل.

هذا ما حضر لي ممّا يمكن أن يقال في حلّ هذه الأخبار، باختلاف مسالك العلماء ومذاهبهم في تلك الأمور، والأوّل أظهر على قواعد متكلّمي الإمامية وظواهر الأخبار، والله المطّلع على غوامض الأسرار، وحججه صلوات الله عليهم

---

(١) الفرقان: ٤٤.

ما تعاقب الليل والنهار ـ انتهى كلامه رفع الله مقامه.

وعن الكافي بسنده عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: ما من مؤمن إلّا ولقلبه أُذنان في جوفه: أُذن ينفث فيها الوسواس الخنّاس، وأُذن ينفث فيها الملك، فيؤيّد الله المؤمن بالملك، وذلك قوله: ﴿ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ ﴾[1].

فالإنسان له قلب صنوبري في قفص صدره على الجانب الأيسر يضخّ منه الدم، ومن ورائه قلب معنوي، إمّا أن يكون حرم الله، أو يسرقه الشيطان فيعشّش فيه ويفرّخ، فيصير بيت الشيطان، فقلب الإنسان إمّا حرم الرحمان وعرشه أو بيت الشيطان وعشّه[2]، ثمّ له أُذنان، إحداهما للرحمن، فما يسمع بها يكون من الإلهام، والأُخرى للشيطان، وما يسمع بها يكون من الوسواس، فالإنسان دائماً بين جذبتين ودعوتين: جذبة ودعوة الرحمن، وجذبة ودعوة الشيطان، وأخيراً إمّا أن يكون رحمانياً إلهيّاً أو شيطانياً إبليسياً، وهذا الصراع مع الإنسان منذ اليوم الأوّل، فهو بين نزعتين: نزعة مثالية توحيدية، ونزعة مادّية كفريّة. فالحاكم في وجوده إمّا الحقّ والخير والنور فيسعد في الدارين، وإمّا الباطل والشرّ والظلام فيشقى في الدنيا والآخرة. شاءت حكمة الله ذلك، ولن تجد لسنّة الله تبديلاً ولا تحويلاً.

ثمّ هذا الكتاب الذي بين يديك يحتوي بعد المقدّمة على فصول وخاتمة، ومن الله التوفيق والتسديد، وهو خير ناصرٍ ومعين.

وعلى الإنسان أن يعتبر من كلّ شيء حيّ، ومن الشيطان وما جرى عليه، فقد ورد عن أمير المؤمنين عليّ عليه السلام: «فاعتبروا بما كان من فعل الله بإبليس، إذ

(١) البحار ٦٧: ٤٧، عن الكافي ٢: ٢٦٧، والآية من سورة المجادلة: ٢٢.

(٢) لقد ذكرت تفصيل ذلك في (حقيقة القلوب في القرآن الكريم)، فراجع.

أحبط عمله الطويل وجهده الجهيد (الجميل) وكان قد عبد الله ستّة آلاف سنة لا يدرى أمِن سنيّ الدنيا أم من سنيّ الآخرة عن كِبر ساعة واحدة».

وعلينا أن نعبد الله كما أراد سبحانه وكما أمر ونهى، لا كما تشتهي أنفسنا، وكما نرتأيه وكما يحلو لنا، فإنّ بعض الناس عندما يضرّه الصوم ويحرم عليه ذلك، يقول قلبي يريد الصوم، وكأنّما إرادته مقدّمة على إرادة الله سبحانه، وهذا من الشيطان أيضاً.

قال الإمام الصادق عليه السلام: أمر الله إبليس بالسجود لآدم فقال: يا ربّ، وعزّتك إن أعفيتني من السجود لآدم لأعبدنك عبادةً ما عبدك أحد قطّ مثلها، قال الله جلّ جلاله: إنّي أُحبّ أن أُطاع من حيث أُريد.

الفصل الأوّل

معالم الشيطان

إذا أردنا أن نعرف الأشياء، فإمّا أن نعرفها بنفسها وبالمباشرة، ونقف على العلّة ابتداءً ومن دون واسطة، أو نعرف الشيء من خلال آثاره ومعلولاته، فتارةً نرى الشمس، وأُخرى نحسّ بحرارتها وأشعّتها، وإنّما نعرف الأشياء بنفسها لو كانت في حوزتنا وفي حيّز حواسّنا الظاهريّة، كما لو كانت من الأجسام، أمّا لو كانت من المجرّدات كالعقل، فإنّما نعرفه ونعلم به من خلال آثاره ومعالمه ومعاليله، وهذا أمر واضح لا غبار عليه.

وحينئذٍ لـمّا لم نتمكّن من معرفة عدوّنا الأوّل وهو الشيطان مباشرةً ووجهاً لوجه، فلا بدّ أن نعرفه من خلال معالمه وآثاره، وإنّما نتغلّب على العدوّ لو عرفناه أوّلاً، وعرفنا ما عنده من السلاح، ومن العُدّة والعِدّة، وعرفنا مخطّطاته وجنوده وأعوانه من الجنّ والإنس.

وإنّما يعرف حقيقة الشيطان وواقعه، من كان صانعه وخالقه ومحيطاً به، وهو الله سبحانه وتعالى، فإذا أردنا أن نعرف الشيطان فإنّما نعرفه حقّاً بتعريف وتوصيف من الله عزّ وجلّ، ومن ثَمّ إنّما نقف على حقيقة عدوّنا الأوّل من خلال القرآن الكريم كتاب الله الحكيم أوّلاً، وثانياً من خلال أقوال النبيّ الأعظم محمّد ﷺ

وأهل بيته الطاهرين.

وإليك بعض المعالم لمعرفة الشيطان، فاعرف عدوّك حتّى تعرف كيف تحاربه وتنتصر عليه، والله المستعان.

﴿ الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً ﴾[1].

﴿ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ ﴾[2].

قال الإمام الكاظم عليه السلام في وصيّته لهشام:

فله ـ أي لإبليس ـ فلتشتدّ عداوتك، ولا يكوننّ أصبر على مجاهدته لك منك على صبرك لمجاهدته، فإنّه أضعف منك ركناً في قوّته، وأقلّ منك ضرراً في كثرة شرّه، إذ أنت اعتصمت بالله فقد هديتَ إلى صراطٍ مستقيم.

قال أمير المؤمنين عليّ عليه السلام:

قد أصبحتم في زمن لا يزداد الخير فيه إلّا إدباراً، ولا الشرّ فيه إلّا إقبالاً، ولا الشيطان في هلاك الناس إلّا طمعاً، فهذا أوان قويت عدّته، وعمّت مكيدته، وأمكنت فريسته[3].

﴿ لَعَنَهُ اللهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيباً مَفْرُوضاً * وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللهِ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ

---

(١) النساء: ٧٦.

(٢) إبراهيم: ٢٢.

(٣) نهج البلاغة: الخطبة ١٢٩ و ١٩٢.

وَلِيّاً مِنْ دُونِ اللهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَاناً مُبِيناً ﴾[١].

قال أمير المؤمنين عليّ عليه السلام :

يا كميل، إنّ إبليس لا يعِد عن نفسه وإنّما يعِد عن ربّه، ليحملهم على معصيته فيورّطهم.

قال الإمام الصادق عليه السلام :

لمّا نزلت هذه الآية : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً ﴾[٢]، صعد إبليس جبلاً بمكّة يقال له ثور، فصرخ بأعلى صوته بعفاريته فاجتمعوا إليه، فقالوا : يا سيّدنا لِمَ دعوتنا ؟ قال : نزلت هذه الآية فمن لها ؟ فقام عفريت من الشياطين فقال : أنا لها بكذا وكذا، فقال : لست لها، فقام آخر فقال مثل ذلك، فقال : لست لها، فقال الوسواس الخنّاس : أنا لها، قال : بماذا ؟ قال : أعدهم وأُمنّيهم حتّى يواقعوا الخطيئة، فإذا واقعوا الخطيئة أنسيتهم الاستغفار، فقال : أنت لها. فوكّله بها إلى يوم القيامة.

وقال عليه السلام : إنّ الشيطان يدير ابن آدم في كلّ شيء، فإذا أعياه جثم له عند المال فأخذ برقبته.

قال أمير المؤمنين عليه السلام :

إنّ الشيطان يُسنّي لكم طريقه، ويريد أن يحلّ دينكم عقدة عقدة، ويعطيكم بالجماعة الفُرقة.

وعنه عليه السلام : الشيطان موكّل به ـ أي العبد ـ يزيّن له المعصية ليركبها، ويمنّيه التوبة ليسوّفها.

---

(١) النساء : ١١٨ ـ ١١٩.

(٢) آل عمران : ١٣٥.

وأمّا معالم الشيطان وعوالمه فهي كثيرة، أهمّها:

١ ـ دعوة الشيطان ووعوده:

قال الله تعالى:

﴿ إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللهِ مَا لا تَعْلَمُونَ ﴾(١).

﴿ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالفَحْشَاءِ وَاللهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلاً ﴾(٢).

﴿ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُوراً ﴾(٣).

﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ العَدَاوَةَ وَالبَغْضَاءَ فِي الخَمْرِ وَالمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَعَنِ الصَّلاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴾(٤).

﴿ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِي مِنْ قَبْلُ ﴾(٥).

وعن جابر الأنصاري عن النبيّ ﷺ، قال: كان إبليس أوّل من ناح، وأوّل

---

(١) البقرة: ١٦٩.

(٢) البقرة: ٢٦٨.

(٣) النساء: ١٢٠.

(٤) المائدة: ٩١

(٥) إبراهيم: ٢٢.

من تغنّى، وأوّل من حدا، قال: لمّا أكل آدم من الشجرة تغنّى، فلمّا أُهبط حدا به، فلمّا استقرّ على الأرض ناح، فأذكره ما في الجنّة، فقال آدم: ربّ هذا الذي جعلت بيني وبينه العداوة لم أقوَ عليه وأنا في الجنّة، وإن لم تعنّي عليه لم أقوَ عليه، فقال الله: السيّئة بالسيّئة والحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة، قال: ربّ زد لي؟ قال: لا يولد لك ولد إلّا جعلت معه ملكاً أو ملكين يحفظانه، قال: ربّ زدني؟ قال: التوبة مفروضة في الجسد ما دام فيها الروح، قال: ربّ زدني؟ قال: أغفر الذنوب ولا أُبالي، قال: حسبي. قال: فقال إبليس: ربّ هذا الذي كرّمت عليّ وفضّلته وإن لم تفضّل عليّ لم أقوَ عليه، قال: لا يولد له ولد إلّا ولد لك ولدان، قال: ربّ زدني؟ قال: تجري منه مجرى الدم في العروق، قال: ربّ زدني؟ قال: تتّخذ أنت وذرّيتك في صدورهم مساكن، قال: ربّ زدني؟ قال: تعدهم وتمنّيهم وما يعدهم الشيطان إلّا غروراً[1].

وعن أبي عبد الرحمن، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: ربما حزنت فلا أعرف في أهل ولا مال ولا ولد، وربما فرحت فلا أعرف في أهل ولا مال ولا ولد، فقال: إنّه ليس من أحد إلّا ومعه ملك وشيطان، فإذا كان فرحه كان دنوّ الملك منه، وإذا كان حزنه كان دنوّ الشيطان منه، وذلك قول الله تبارك وتعالى: ﴿ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالفَحْشَاءِ وَاللهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلاً وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾[2].

قال العلّامة المجلسي في بيانه: كان المراد أنّ هذا الهمّ لأجل وساوس الشيطان، لكنّه لا يتفطّن به الإنسان فيظنّ أنّه بلا سبب. أو المراد: أنّه لمّا كان شأن

---

(١) البحار ٦٠: ٢١٩، عن تفسير العياشي ١: ٢٧٦.

(٢) البحار ٦٠: ٢١٥، عن علل الشرائع: ٤٢، والآية من سورة البقرة: ٢٦٨.

الشيطان يصير محض دنوّه سبباً للهمّ، أو أراد السائل عدم كونه لفوت تلك الأُمور في الماضي ويجري جميع الأمور في الملك أيضاً.

وقال عليه‌السلام: ما من قلب إلّا وله أُذنان على أحدهما ملك مرشد، وعلى الآخر شيطان مفتّن، هذا يأمره وهذا يزجره، الشيطان يأمره بالمعاصي، والملك يزجره عنها، وهو قول الله عزّ وجلّ: ﴿ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ * مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾[1].

وقال عليه‌السلام: إنّ للقلب أُذنين، فإذا همّ العبد بذنب قال له روح الإيمان: لا تفعل، وقال له الشيطان: افعل، وإذا كان على بطنها نزع منه روح الإيمان[2].

فكلّ واحد بالوجدان يحسّ في نفسه وقلبه أنّ هناك دعوتين: دعوة رحمانية إلى الخير والعمل الصالح، ودعوة شيطانية إلى الشرّ والعمل الطالح، فبين إلهام ووسواس، وصراع بين الحقّ والباطل، بين النور والظلام، بين الخير والشرّ، بين الوجود والعدم.

٢ ـ حزب الشيطان وجنوده:

إنّ للشيطان الرجيم حزب وأعوان وجنود من الجنّ والإنس كما قال سبحانه:

﴿ فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ * وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴾[3].

---

(١) المصدر، عن الكافي ٢: ٢٦٦، والآية من سورة ق: ١٧ ـ ١٨.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) الشعراء: ٩٤ ـ ٩٥.

وقد ورد في الخبر الشريف عن الإمام الصادق عليه السلام: ليس لإبليس جند أشدّ من النساء والغضب[١].

أي يتسلّط على الإنسان بعاملين أساسيين، أحدهما من الخارج وهم النساء، والآخر من الداخل وهو الغضب.

من كتاب لأمير المؤمنين عليّ عليه السلام إلى الحارث الهمداني: احذر الغضب فإنّه جند عظيم من جنود إبليس.

وقال عليه السلام: اتّخذوا التواضع مسلحةً بينكم وبين عدوّكم إبليس وجنوده، فإنّ له من كلّ أُمّة جنوداً وأعواناً ورجلاً وفرساناً.

وقال عليه السلام: ألا فالحذر الحذر من طاعة ساداتكم وكبرائكم، ولا تطيعوا الأدعياء، اتّخذهم إبليس مطايا ضلال وجنداً بهم يصول على الناس، وسراجمة ينطق على ألسنتهم[٢].

﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوّاً إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾[٣].

وحزب الشيطان من كان في خطّه كناكثي البيعة في صدر الإسلام، ففي الخبر الصادقي عليه السلام في قول النبيّ صلى الله عليه وآله في غدير خم: «من كنت مولاه فعليٌّ مولاه»: فجاءت الأبالسة إلى إبليس الأكبر، وحثّوا التراب على رؤوسهم، فقال لهم إبليس: ما لكم؟ قالوا: إنّ هذا الرجل قد عقد اليوم عقدة لا يحلّها شيء إلى يوم القيامة،

---

(١) تحف العقول: ٣٦٣.

(٢) ميزان الحكمة ٢: ١٤٥٩.

(٣) فاطر: ٦.

فقال لهم إبليس: كلّا، إنّ الذين حوله قد وعدوني فيه عدة لن يخلفوني، فأنزل الله على رسوله: ﴿ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ ﴾[1].

ثمّ المقصود من الحزب هو المعنى اللغوي، أي بمعنى الجماعة، فحزب الشيطان يعني جماعة الشيطان وأتباعه، وأمّا المعنى المصطلح، الذي كان أساسه من رجل يهودي في القرن الثامن عشر الميلادي فإنّه بمعنى الاخطبوطي أو الخيوط التي تمتدّ إلى رأس واحد، أو بمعنى الشكل الهرمي كالجبل الذي له قمّة وقاعدة، ومن ثمّ تكون هناك كوادر حزبية وحلقات حزبية بين القمّة والقاعدة، يضمّهم نظام حزبي خاصّ، لهم أهداف وبرامج خاصة للوصول إلى أهدافهم الحزبيّة، وهذا المعنى ينطبق على الحزب الشيطاني كما يلي:

تأريخ تأسيس الحزب:

يرجع تأريخه إلى بدء خلق آدم نبيّ الله أبي البشر عليه‌السلام، وقد هبط مع آدم وحوّاء على الأرض ليكون عدوّاً لهما ولذرّيتهما إلى اليوم المعلوم.

أمير سرّ الحزب:

الاسم واللقب: الاسم (إبليس) وقد ذكر في القرآن الكريم (١١) مرّة، واشتهر باسم (الشيطان)، وقد ذكر في القرآن (٨٨) مرّة بصيغة الجمع والمفرد، واللقب (الرجيم)، وقد ذكر في القرآن (٦) مرّات، وهو من طائفة الجنّ، ومقصوده إغواء الإنسان وهلاكه إلى يوم القيامة.

---

(١) سفينة البحار ١: ٣٦٨، عن تفسير القمّي، والآية من سورة سبأ: ٢٠.

ومن أخلاقياته أنّه :

١ ـ متكبّر :

﴿ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِيناً ﴾[١].

٢ ـ يخلف الوعد :

﴿ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللهَ رَبَّ العَالَمِينَ ﴾[٢].

﴿ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ ﴾[٣].

٣ ـ يوسوس إلّا أنّ كيده كان ضعيفاً :

﴿ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً ﴾[٤].

ومع الشياطين من صنفه :

أحدهم يوحي إلى الآخر :

﴿ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ ﴾[٥].

رموز توفيقاته الحزبية :

---

(١) الإسراء : ٦١.

(٢) الحشر : ١٦.

(٣) إبراهيم : ٢٢.

(٤) النساء : ٧٦.

(٥) الأنعام : ١٢١.

التسلّط على الإنسان من خلال نقاط ضعفه :

١ ـ يضلّ الناس :

﴿ قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾[١].

٢ ـ يزيّن لهم أعمالهم :

﴿ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾[٢].

٣ ـ يتسلّط عليهم من طريق البطن :

﴿ كُلُوا مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلالاً طَيِّباً وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ﴾[٣].

٤ ـ يخوّفهم بالفقر :

﴿ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالفَحْشَاءِ وَاللهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلاً وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾[٤].

٥ ـ يخوّفهم بالحرب ونتائجها :

﴿ إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾[٥].

٦ ـ الاستفادة من الوسائل الخطرة :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الخَمْرُ وَالمَيْسِرُ وَالأَنْصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِنْ

---

(١) الحجر : ٣٩.

(٢) الأنعام : ٤٣.

(٣) البقرة : ١٦٨.

(٤) البحار ٦٠ : ٢١٥، عن علل الشرائع : ٤٢، والآية من سورة البقرة : ٢٦٨.

(٥) آل عمران : ١٧٥.

عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[١].

﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ العَدَاوَةَ وَالبَغْضَاءَ فِي الخَمْرِ وَالمَيْسِرِ ﴾[٢].

٧ ـ الوسوسة في الصدور:

﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُرِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا ﴾[٣].

﴿ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ﴾[٤].

٨ ـ النجوى وإيذاء المؤمنين:

﴿ إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾[٥].

٩ ـ الأولاد والأموال:

﴿ وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُوراً ﴾[٦].

١٠ ـ رَصد طرق الهداية ليضلّ الناس:

﴿ لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ المُسْتَقِيمَ ﴾[٧].

---

(١) المائدة: ٩٠.

(٢) المائدة: ٩١.

(٣) الأعراف: ٢٠.

(٤) الناس: ٥.

(٥) المجادلة: ١٠.

(٦) الإسراء: ٦٤.

(٧) الأعراف: ١٦.

١١ ـ الهجوم المضاعف :

﴿ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴾[١].

١٢ ـ تخريب العلاقات :

﴿ وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلإِنسَانِ عَدُوّاً مُبِيناً ﴾[٢].

العلاقات الحزبية :

١ ـ مع الله سبحانه :

غير شاكر :

﴿ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُوراً ﴾[٣].

يعصي الله :

﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَانِ عَصِيّاً ﴾[٤].

٢ ـ مع عامة الناس :

لهم قرين :

﴿ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِيناً فَسَاءَ قَرِيناً ﴾[٥].

---

(١) الأعراف : ١٧.

(٢) الإسراء : ٥٣.

(٣) الإسراء : ٢٧.

(٤) مريم : ٤٤.

(٥) النساء : ٣٨.

الكادر والقيادة المركزية :

١ ـ المبذّرون :

﴿ إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ ﴾[١].

٢ ـ الكفّار :

﴿ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ ﴾[٢].

٣ ـ المرتدّون عن الحقّ :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ ﴾[٣].

٤ ـ المنافقون :

﴿ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللهِ أُوْلَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ ﴾[٤].

٥ ـ الناسون ذكر الله :

﴿ فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ ﴾[٥].

٦ ـ المكذّبون :

﴿ هَلْ أُنَبِّؤُكُمْ عَلَى مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ * تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴾[٦].

---

(١) الإسراء : ٢٧.

(٢) الأعراف : ٢٧.

(٣) محمّد ﷺ : ٢٥.

(٤) المجادلة : ١٩.

(٥) يوسف : ٤٢.

(٦) الشعراء : ٢٢١ ـ ٢٢٢.

٧ ـ لاعب القمار والسكّير :

﴿ إِنَّمَا الخَمْرُ وَالمَيْسِرُ وَالأَنْصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[1].

٨ ـ المذنبون :

﴿ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴾[2].

٩ ـ الذين يحاربون الحقّ :

﴿ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾[3].

وأمّا نظام الحزب :

١ ـ مع الله : عدم الإطاعة وعدم الشكر :

﴿ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُوراً ﴾[4].

﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَانِ عَصِيّاً ﴾[5].

٢ ـ مع الأنبياء : المحاربة.

٣ ـ مع الناس : الكذب والخدعة وزينة الدنيا ونسيان الله والقيامة.

---

(١) المائدة : ٩٠.

(٢) الشعراء : ٢٢٢.

(٣) الأنعام : ١٢١.

(٤) الإسراء : ٢٧.

(٥) مريم : ٤٤.

وأمّا الأهداف الحزبية :

١ ـ الخذلان :

﴿ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلإِنسَانِ خَذُولاً ﴾[1].

٢ ـ الفقر :

﴿ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الفَقْرَ ﴾[2].

٣ ـ الانحراف عن الحقّ :

﴿ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أنْ يُضِلَّهُمْ ضَلالاً بَعِيداً ﴾[3].

٤ ـ ترويج وإشاعة الفحشاء والمنكر :

﴿ وَيَأْمُرُكُمْ بِالفَحْشَاءِ ﴾[4].

٥ ـ محاربة الحقّ :

﴿ لَيُوحُونَ إلَى أوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ ﴾[5].

وأمّا الأوامر الحزبيّة والدساتير التي يمليها الشيطان على قاعدة حزبه ، ومن يدور في فلك الحزب ، فمنها :

١ ـ الأمر بالمنكرات والمعاصي :

---

(١) الفرقان : ٢٩

(٢) البقرة : ٢٦٨.

(٣) النساء : ٦٠

(٤) البقرة : ٢٦٨

(٥) الأنعام : ١٢١

﴿ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالفَحْشَاءِ ﴾[١].

٢ ـ نسيان الله :

﴿ فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ ﴾[٢].

٣ ـ الوساوس :

﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا ﴾[٣].

٤ ـ التفرقة والاختلاف :

﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ العَدَاوَةَ وَالبَغْضَاءَ ﴾[٤].

٥ ـ تزيين القبائح :

﴿ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾[٥].

٦ ـ الأماني والوعود الباطلة :

﴿ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُوراً ﴾[٦].

٧ ـ الإسراف والتبذير :

﴿ إِنَّ المُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ ﴾[٧].

---

(١) البقرة : ٢٦٨

(٢) يوسف : ٤٢.

(٣) الأعراف : ٢٠.

(٤) المائدة : ٩١

(٥) الأنعام : ٤٣

(٦) النساء : ١٢٠

(٧) الإسراء : ٢٧

وأمّا انطباع الناس واتجاههم بالنسبة إلى الحزب الشيطاني ومقدار تفاعلهم : فهم على طوائف ثلاثة :

١ ـ المخلصون : فإنّهم لا يدخلون في الحزب، بل يحاربونه، ولا يقدر الشيطان على إغوائهم وجذبهم إلى حزبه :

﴿ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴾[1].

٢ ـ المسلمون : إنّ الشيطان يحاول أن يجرّهم إلى الحزب، فيوسوس لهم، ويأتيهم بسياسة قدم بقدم وخطوة خطوة ـ كما سنذكر تفصيل ذلك ـ فمنهم من يسمع نجواه ويدخل في حزبه، ومنهم من ينكر عليه ذلك ويدخل في زمرة المخلصين، وهم حزب الله سبحانه وهم قليلون :

﴿ وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴾[2].

وإلّا فإنّ أكثر الناس من حزب الشيطان :

﴿ وَأَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ ﴾[3].

فالشيطان مع هؤلاء في جزر ومدّ :

﴿ يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ﴾[4].

٣ ـ المنافقون والكفّار : فإنّ الشيطان استحوذ عليهم وأدخلهم في حزبه فكانوا من أوليائه وأنصاره :

---

(١) الحجر : ٣٩ ـ ٤٠

(٢) سبأ : ١٣.

(٣) المائده : ١٠٣

(٤) الناس : ٥

﴿ إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللهِ ﴾[١].

﴿ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ ﴾[٢].

فهذا هو حزب الشيطان ومرامه ونظامه، ومثله الأحزاب الشيطانية المستوردة من الشرق أو الغرب، فاحذره كلّ الحذر، ولا تثني عزيمتك في خلافهم ونضالهم ومحاربتهم حتّى القضاء عليهم، ولا بدّ من نصرة الحقّ وخذلان الباطل، وهناك من لم ينصر الباطل إلّا أنّه يخذل الحقّ عندما يكون في حياد عنه كعبد الله بن الحرّ في قصّة كربلاء.

٣ ـ شرك الشيطان وحبائله :

إنّ الشيطان اللعين يشارك الإنسان في كلّ شيء حتّى في الأولاد والأموال كما قال سبحانه :

﴿ وَشَارِكْهُمْ فِي الأَمْوَالِ وَالأَولادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُوراً ﴾[٣].

وقال إبليس لنوح نبيّ الله : اذكرني في ثلاثة مواطن، فإنّي أقرب ما أكون إلى العبد إذا كان في إحداهن : اذكرني إذا غضبت، واذكرني إذا حكمت بين اثنين، واذكرني إذا كنت مع امرأة خالياً ليس معكما أحد[٤].

---

(١) الأعراف : ٣٠.

(٢) الأنعام : ١٢١.

(٣) الإسراء : ٦٤.

(٤) الخصال : ١٣٢.

ومن عوامل مشاركة الشيطان مع الإنسان هو ترك التسمية بالله سبحانه في مقدّمة أعماله، كما أنّه من ترك البسملة فإنّ عمله مبتور أي مقطوع البركة، فكلّ عمل لم يذكر فيه اسم الله فهو أبتر، كما ورد في الخبر.

٤ ـ صوت الشيطان وخيله :

إنّ للقلب أُذنان : أُذن يهمس فيه الشيطان وأعوانه ليرتكب الإنسان الأعمال القبيحة والمعاصي والذنوب ويفتر عن الواجبات والعبادات، وأُذن أُخرى تهمس فيها الملائكة لهداية الناس :

﴿ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴾[١].

فالإنسان بين دعوتين، وإنّه دائماً في صراع ملائكي وشيطاني حتّى يتغلّب أحدهما على الآخر باختيار الإنسان، فهديناه السبيل إمّا شاكراً وإمّا كفوراً، وليس للإنسان إلّا ما سعى، وإنّ سعيه سوف يُرى.

فالشيطان يأتي الإنسان بصوته، وربما بعض يسمع ذلك الصوت ويحسّ بوحي الشيطان، فإنّ الشياطين يوحون إلى أوليائهم، فيستفزّ أُولئك الذين يتبعونه.

والله سبحانه يقول :

﴿ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الأَمْوَالِ وَالأَولادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُوراً ﴾[٢].

---

(١) الشمس : ٨.

(٢) الإسراء : ٦٤.

٥ ـ سعة ميدان عمل الشيطان :

إنّ الشيطان أُعطي له بحكمة من الله سبحانه صلاحيات وسيعة، وميادين طوليّة وعرضيّة، من أجل إضلال بني آدم، فإنّه من اليوم الأوّل، وقبل الهبوط إلى الأرض قد دخل في عروق آدم، وتسلّط على بدنه إلّا القلب، فإنّ الله منعه عن ذلك، إذ جعل قلب المؤمن حرمه وعرشه سبحانه، فهو محلّ علمه وأنواره القدسيّة، وإنّه مرآة الحقائق ومهبط الألطاف الإلهيّة الخفيّة.

فالشيطان بسط يده في غيّ الإنسان وانحرافه عن الصراط المستقيم، فإنّه يأتيه من الجهات الأربعة : من خلفه ومن بين يديه، وعن يمينه وشماله، يوسوس له بكلّ شيء، حتّى بالدين ليخرجه عن الدين، ويقسم بالله كذباً إنّه لمن الناصحين، فميدان عمل الإنسان وسيع جدّاً. فقال لعنه الله أبد الآبدين في مقام المخاصمة مع ربّ العالمين :

﴿ لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ * ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ ﴾[1].

وقد ورد في الخبر الشريف عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال : الصراط الذي قال إبليس هو علي عليه السلام[2].

كما أنّ من ميدانية الشيطان الوسيعة أن يطمع في إضلال كلّ الخلق حتّى الأنبياء والأولياء.

---

(١) الأعراف : ١٦ ـ ١٧.

(٢) البحار ٦٠ : ٢٢٠، عن تفسير العياشي.

قال الصادق عليه السلام : جاء إبليس إلى موسى بن عمران عليه السلام وهو يناجي ربّه ، فقال له ملك من الملائكة : ما ترجو منه وهو في هذه الحال يناجي ربّه ؟ فقال : أرجو منه ما رجوت من أبيه آدم[1].

ومقصود الشيطان هو إغواء كلّ الناس ، إلّا أنّه قد فرغ عن الكثير فبقي القليل القليل ، وهم المؤمنون حقّاً أتباع مذهب أهل البيت عليهم السلام ، كما أخبر بذلك الإمام الباقر عليه السلام حيث قال زرارة : قلت لأبي جعفر عليه السلام : قوله : ﴿ لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ * ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴾[2] ؟ فقال أبو جعفر عليه السلام : يا زرارة ، إنّما صمد ـ عمد ـ لك ولأصحابك ، فأمّا الآخرين فقد فرغ منهم[3].

وإنّما يتسلّط على أبدانهم لا أديانهم وعقائدهم الحقّة ، فعن أبي بصير ، عن أبي عبد الله عليه السلام ، قال : سمعته يقول : ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ * إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ ﴾[4] ، قال : فقال : يا أبا محمّد ، يسلّط والله من المؤمنين على أبدانهم ولا يسلّط على أديانهم ، قد سلّط على أيوب فشوّه خلقه ، ولم يسلّط على دينه ، قلت له : قوله : ﴿ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ ﴾ ؟ قال : الذين هم بالله مشركون يسلّط على

---

(١) البحار ٦٠ : ٢٣٨ ، عن المجالس .

(٢) الأعراف : ١٦ ـ ١٧ .

(٣) البحار ٦٠ : ٢٥٣ ، عن المحاسن .

(٤) النحل : ٩٨ ـ ١٠٠ .

أبدانهم وعلى أديانهم[١].

وعن قتادة، قال: لمّا هبط إبليس قال آدم: أي ربّ قد لعنته فما علمه؟ قال: السحر. قال: فما قراءته؟ قال: الشعر. قال: فما كتابته؟ قال: الوشم. قال: فما طعامه؟ قال: كلّ ميتة وما لم يذكر اسم الله عليه. قال: فما شرابه؟ قال: كلّ مسكر. قال: فأين مسكنه؟ قال: الحمّام. قال: فأين مجلسه؟ قال: الأسواق. قال: فما صوته؟ قال: المزمار. قال: فما مصائده؟ قال: النساء[٢].

قال رسول الله: قال إبليس لربّه تعالى: يا ربّ قد أُهبط آدم وقد علمت أنّه سيكون كتب ورسل، فما كتبهم ورسلهم؟ قال: رسلهم الملائكة والنبيّون، وكتبهم التوراة والإنجيل والزبور والفرقان، قال: فما كتابي؟ قال: كتابك الوشم، وقراءتك السحر، ورسلك الكهنة، وطعامك ما لم يذكر اسم الله عليه، وشرابك كلّ مسكر، وصدقك الكذب، وبيتك الحمّام، ومصائدك النساء، ومؤذّنك المزمار، ومسجدك الأسواق[٣].

وروي أنّ الله تعالى قال لإبليس: لا أخلق لآدم ذرّية إلّا ذرأت لك مثلها، فليس أحد من ولد آدم إلّا وله شيطان قد قرن به[٤].

وقيل: إنّ الشياطين فيهم الذكور والإناث يتوالدون من ذلك، وأمّا إبليس فإنّ الله تعالى خلق له في فخذه اليمنى ذكراً وفي اليسرى فرجاً فهو ينكح هذه بهذا،

---

(١) البحار ٦٠: ٢٥٥، عن تفسير العياشي، والكافي مثله.

(٢) البحار ٦٠: ٢٨١، عن الدرّ المنثور.

(٣) المصدر.

(٤) البحار ٦٠: ٣٠٦.

فيخرج له كلّ يوم عشر بيضات، يخرج من كلّ بيضة سبعون شيطاناً وشيطانة.

في الخبر الصادقي عليه السلام: والذي بعث بالحقّ محمّداً صلى الله عليه وآله للعفاريت والأبالسة على المؤمن أكثر من الزنابير على اللحم، والمؤمن أشدّ من الجبل، والجبل تدنو إليه بالفأس فتنحت منه، والمؤمن لا يستقلّ من دينه[1].

عن أبي جعفر عليه السلام: إنّ إبليس عليه لعائن الله يبثّ جنود الليل من حين تغيب الشمس وتطلع، فأكثروا ذكر الله في هاتين الساعتين، وتعوّذوا بالله من شرّ إبليس وجنوده وعوّذوا صغاركم من هاتين الساعتين فإنّهما ساعتا غفلة.

هذا باعتبار الزمان والمكان وكذلك الأشخاص، ومن الروايات في ذلك ما جاء في تفسير العياشي: ما من مولود يولد إلّا وإبليس من الأبالسة بحضرته، فإن لم يكن من شيعة أهل البيت عليهم السلام أثبت سبّابته في دبره، فكان مأبوناً، أو في فرجها فكانت فاجرة، فعند ذلك يبكي الصبيّ والله بعد ذلك يمحو ما يشاء ويثبت[2].

وهذا يعني أنّ غير الموالي لأهل البيت عليهم السلام فيه أرضية الفساد وسرعان ما يقع في مثل الزنا ـ والعياذ بالله ـ فإنّ حبّ أهل البيت عليهم السلام صمّام أمان من مثل هذه الكبائر والموبقات، فتدبّر.

قال الله تعالى:

﴿ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقاً مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾[3].

---

(١) سفينة البحار ١ : ٣٧١، عن تفسير العياشي.

(٢) السفينة ١ : ٣٧٤، عن البحار ٤ : ١٢١.

(٣) سبأ : ٢٠.

﴿ وَلَوْلا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلاً ﴾[١].

قال أمير المؤمنين عليّ عليه السلام: فاحذروا ـ عباد الله ـ عدوّ الله أن يعدكم بدائه، وأن يستفزّكم بندائه، وأن يجلب عليكم بخيله ورجله، فلعمري لقد فوّق لكم سهم الوعيد، وأغرق إليكم بالنزع الشديد، ورماكم من مكان قريب، فقال: ﴿ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾[٢] قذفاً بغيب بعيد، ورجماً بظنّ غير مصيب، صدّقه به أبناء الحميّة، وإخوان العصبيّة، وفرسان الكبر والجاهلية.

قال الإمام الصادق عليه السلام في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ صَدَّقَ ﴾ فصرخ إبليس صرخةً فرجعت إليه العفاريت فقالوا: يا سيّدنا، ما هذه الصرخة الأُخرى؟ فقال: ويحكم حكى الله والله كلامي قرآناً وأنزل عليه: ﴿ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقاً مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ ثمّ رفع رأسه إلى السماء ثمّ قال: وعزّتك وجلالك لألحقنّ الفريق بالجميع. قال: فقال النبيّ صلى الله عليه وآله: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ ﴾[٣].

وإنّما سلّط الله الشيطان على الإنسان للابتلاء، حتّى يميّز الخبيث من الطيّب، ويعرف الحقّ من الباطل، والخير من الشرّ.

قال الله تعالى:

﴿ وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يُؤْمِنُ بِالآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا

---

(١) النساء: ٨٣.

(٢) الحجر: ٣٩.

(٣) الحجر: ٤٢.

فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴾[١].

قال الإمام الرضا عليه‌السلام في قوله تعالى: ﴿ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً ﴾[٢]، أنّه عزّ وجلّ خلق خلقه ليبلوهم بتكليف طاعته وعبادته، لا على سبيل الامتحان والتجربة، لأنّه لم يزل عليماً بكلّ شيء.

ثمّ الشيطان اللعين بحكمة من الله أُنظر إلى يوم معلوم، وإنّه يقتل على يد رسول الله وأمير المؤمنين عليهما‌السلام كما جاء في الخبر الصادق عليه‌السلام: ذكر فيه قتال بين أمير المؤمنين عليه‌السلام في أصحابه وبين إبليس في أصحابه في أرض من أراضي الفرات قتالاً لم يقتتل مثله، منذ خلق الله تعالى، فيرجع أصحاب علي عليه‌السلام إلى خلفهم مائة قدم، فتنزل الملائكة وقضي الأمر برسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله أمامه بيده حربة من نور، فإذا نظر إليه إبليس رجع القهقرى ناكصاً على عقبيه، فيقولون له أصحابه: أين تريد وقد ظفرت ؟ فيقول: ﴿ إِنِّي أَرَى مَا لا تَرَوْنَ ﴾[٣]، فيلحقه النبيّ صلى‌الله‌عليه‌وآله فيطعنه بين كتفيه فيكون هلاكه وهلاك جميع أشياعه، فعند ذلك يعبد الله عزّ وجلّ ولا يشرك به شيئاً[٤].

وفي رواية: يذبح رسول الله إبليس على الصخرة التي كانت في بيت المقدس[٥].

---

(١) سبأ: ٢١.

(٢) هود: ٧.

(٣) الأنفال: ٤٨.

(٤) البحار ٥٣: ٤٢.

(٥) المصدر ١٣: ٣٧٣.

وذكر مجاهد أنّ من ذرّية إبليس: لاقيس وولها وهو صاحب الطهارة والصلاة، والهفاف وهو صاحب الصحاري، ومرّة وبه يكنّى، وزلنبور وهو صاحب الأسواق ويزيّن اللغو والحلف الكاذب ومدح السلعة، وبثر وهو صاحب المصائب يزيّن خمش الوجوه ولطم الخدود وشقّ الجيوب، والأبيض وهو الذي يوسوس للأنبياء، والأعور وهو صاحب الزنا ينفخ في إحليل الرجل وعجز المرأة، وداسم وهو الذي إذا دخل الرجل بيته ولم يسلّم ولم يذكر اسم الله تعالى دخل معه، فإذا دخل الرجل بيته ولم يسلّم ولم يذكر الله ورأى شيئاً يكره فليقل: (داسم داسم أعوذ بالله منه)، ومطرش وهو صاحب الأخبار يأتي بها فيلقيها في أفواه الناس، ولا يكون لها أصل ولا حقيقة[1].

والعلّامة المجلسي له مباحث مفصّلة في بحاره عن الجنّ والملائكة والشياطين والفرق بينها وأحكامها وغير ذلك من الفوائد، فراجع[2].

---

(١) المصدر: ٣٠٧.

(٢) البحار ٦٠: ٢٨٣، إلى آخر الكتاب: ٣٤٧.

الفصل الثاني

تمثّل الشيطان وحكاياته

خلق الشيطان من النار، وإنّه من طائفة الجنّ، فهو عنصر ناري ليس فيه كثافة مادية ملموسة ومحسوسة، إلاّ أنّه بإمكانه أن يتمثّل بالأجسام وبالإنسان، إلّا الأنبياء والأوصياء.

قال العلّامة المجلسي في بحاره: لا خلاف بين الإمامية بل بين المسلمين في أنّ الجنّ والشياطين أجسام لطيفة يرون في بعض الأحيان ولا يرون في بعضها، ولهم حركات سريعة وقدرة على أعمال قويّة، ويجرون في أجساد بني آدم مجرى الدم، وقد يشكّلهم الله بحسب المصالح بأشكال مختلفة وصور متنوّعة كما ذهب إليه السيّد المرتضى رحمه الله أو جعل الله لهم القدرة على ذلك كما هو الأظهر من الأخبار والآثار.

قال صاحب المقاصد: ظاهر الكتاب والسنّة وهو قول أكثر الأُمة أنّ الملائكة أجسام لطيفة نورانية قادرة على التشكلات بأشكال مختلفة كاملة في العلم والقدرة على الأفعال الشاقة ـ وساق الكلام إلى قوله ـ: والجنّ أجسام لطيفة هوائية متشكّل بأشكال مختلفة ويظهر منها أفعال عجيبة، منهم المؤمن والكافر والمطيع والعاصي، والشياطين أجسام نارية شأنها إلقاء النفس في الفساد والغواية بتذكير أسباب المعاصي واللذّات، وإنساء منافع الطاعات وما أشبه ذلك، على ما قال تعالى

حكايةً عن الشيطان: ﴿ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ ﴾[١]، وقيل: تركيب الأنواع الثلاثة من امتزاج العناصر الأربعة إلّا أنّ الغالب على الشيطان عنصر النار، وعلى الآخرين عنصر الهواء...

ثمّ ذكر مذاهب الحكماء في ذلك فقال: والقائلون من الفلاسفة بالجنّ والشيطان زعموا أنّ الجنّ جواهر مجرّدة لها تصرّف وتأثير في الأجسام العنصرية من غير تعلّق بها تعلّق النفوس البشرية بأبدانها والشياطين هي القوى المتخيّلة في أفراد الإنسان من حيث استيلائها على القوى العقلية وصرفها عن جانب القدس واكتساب الكمالات العقلية إلى اتّباع الشهوات واللذات الحسيّة والوهمية.

ومنهم من زعم أنّ النفوس البشرية بعد مفارقتها عن الأبدان وقطع العلاقة عنها إن كانت خيّرة مطيعة للدواعي العقلية فهم الجنّ، وإن كانت شرّيرة باعثة على الشرور والقبائح معينة على الضلال والانهماك في الغواية فهم الشياطين[٢].

وعند الأكثر أنّ الشيطان ليس من الملائكة بل هو من الجنّ كما جاء ذلك في الأخبار وهو مذهب الإمامية وكثير من المعتزلة وأصحاب الحديث.

وأمّا بالنسبة إلى كيفية تكاثره وتوالده، فإنّ لسان الروايات في ذلك مختلفة، فعن أبي عبد الله عليه السلام، قال: الآباء ثلاثة: آدم ولد مؤمناً، والجان ولد كافراً، وإبليس ولد كافراً، وليس فيهم نتاج، إنّما يبيض ويفرخ، وولده ذكور ليس فيهم إناث[٣].

---

(١) إبراهيم: ٢٢.

(٢) البحار ٦٠: ٢٨٥.

(٣) البحار ٦٠: ٢٢٣، عن الخصال.

قال رسول الله ﷺ: إنّ الله عزّ وجلّ حين أمر آدم أن يهبط هبط آدم وزوجته، وهبط إبليس ولا زوجة له، وهبطت الحيّة ولا زوج لها، فكان أوّل من يلوط بنفسه إبليس فكانت ذرّيته من نفسه، وكذلك الحيّة، وكانت ذرّية آدم من زوجته، فأخبرهما أنّهما عدوّان لهما[1].

وسمّي إبليس لأنّه أبلس من الخير كلّه يوم آدم عليه السلام[2]، وعن الإمام الرضا عليه السلام: أنّ اسم إبليس الحارث، وإنّما قول الله عزّ وجلّ: يا إبليس يا عاصي، وسمّي إبليس لأنّه ابلس من رحمة الله. قال الراغب: الإبلاس: الحزن المعترض من شدّة اليأس، يقال: أبلس ومنه اشتقّ إبليس فيما يقال، قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ ﴾[3].

ويسمّى بالرجيم ومعناه ـ عن الإمام العسكري عليه السلام ـ أنّه مرجوم باللعن مطرود من مواضع الخير، لا يذكره المؤمن إلّا لعنه، وإنّ في علم الله السابق أنّه إذا خرج القائم عليه السلام لا يبق مؤمن في زمانه إلّا رجمه بالحجارة كما كان قبل ذلك مرجوماً باللعن[4].

وأمّا تمثّل الشيطان:

عن تفسير الفرات: بإسناده عن أبي جعفر عليه السلام، قال: رأى أمير المؤمنين عليه السلام على بابه شيخاً فعرفه أنّه الشيطان فصارعه وصرعه، قال: قم عنّي يا علي حتّى

---

(١) البحار ٦٠: ٢٤٦، عن علل الشرائع.

(٢) البحار ٦٠: ٢٤٢، عن معاني الأخبار.

(٣) الروم: ١٢.

(٤) البحار ٦٠: ٢٤٢، عن معاني الأخبار.

أُبشّرك، فقام عنه، فقال: بِمَ تبشّرني يا ملعون؟ قال: إذا كان يوم القيامة صار الحسن عن يمين العرش والحسين عن يسار العرش يعطيان شيعتهما الجواز من النار، قال: فقام إليه وقال: أُصارعك؟ قال: مرّة أُخرى، قال: نعم، فصرعه أمير المؤمنين قال: قم عنّي حتّى أُبشّرك، فقام عنه فقال: لمّا خلق الله آدم خرج ذرّيته من ظهره مثل الذرّ فأخذ ميثاقهم فقال: ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى ﴾[1]، قال: فأشهدهم على أنفسهم فأخذ ميثاق محمّد وميثاقك فعرف وجهك الوجوه وروحك الأرواح، فلا يقول لك أحد: أُحبّك، إلّا عرفته، ولا يقول لك أحد: أُبغضك، إلّا عرفته، قال: قم صارعني، قال: ثلاثة، قال: نعم، فصارعه وصرعه فقال: يا عليّ لا تبغضني وقم عنّي حتّى أُبشّرك، قال: بلى وأبرأ منك وألعنك، قال: والله يا بن أبي طالب ما أحد يبغضك إلّا شركت في رحم أُمّه وفي ولده فقال له: أما قرأت كتاب الله ﴿ وَشَارِكْهُمْ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ ﴾[2].

وفي تفسير علي بن إبراهيم القمّي بسنده عن أبي جعفر عليه‌السلام في قصّة طويلة في حجّ إبراهيم وذبحه ابنه إلى أن قال: وسلّما لأمر الله وأقبل شيخ فقال: يا إبراهيم ما تريد من هذا الغلام؟ قال: أُريد ذبحه، فقال: سبحان الله تذبح غلاماً لم يعصِ الله عزّ وجلّ طرفة عين؟ ـ يرجى الانتباه كيف الشيطان يريد إخراج نبيّ الله إبراهيم من الدين باسم الدين وباسم الوظيفة الدينية، وهكذا يفعل الشيطان بالمؤمنين، فإنّ وسوسته إيّاهم في بداية خطواته ليس بالخمر والزنا، بل بالصلاة والصوم بما يتلائم مع النفس، لا بما يريده الله، فتأمّل ـ فقال إبراهيم: إنّ الله أمرني بذلك، فقال: ربّك

---

(١) الأعراف: ١٧٢.

(٢) البحار ٦٠: ٢٠٨، والآية من سورة الإسراء: ٦٤.

ينهاك عن ذلك وإنّما أمرك بهذا الشيطان، فقال له إبراهيم: إنّ الذي بلغني هذا المبلغ هو الذي أمرني به، والكلام الذي وقع في أُذني، فقال: لا والله ما أمرك بهذا إلّا الشيطان، فقال إبراهيم: لا والله لا أُكلّمك.

ثمّ عزم إبراهيم على الذبح فقال: يا إبراهيم إنّك إمام يقتدى بك، وإنّك إذا ذبحته ذبح الناس أولادهم، فلم يكلّمه وأقبل على الغلام واستشاره في الذبح ـ وساق الحديث في الفداء إلى قوله: ـ ولحق إبليس بأُمّ الغلام حين نظرت إلى الكعبة في وسط الوادي بحذاء البيت فقال لها: ما شيخ رأيته؟ قال: إنّ ذلك بعلي، قال: فوصيف رأيته معه؟ قالت: ذلك ابني، قال: فإنّي رأيته وقد أضجعه وأخذ المدية ليذبحه، فقالت: كذبت إنّ إبراهيم أرحم الناس كيف يذبح ابنه؟ قال: فوَ ربّ السماء والأرض وربّ هذا البيت لقد رأيته أضجعه وأخذ المدية، فقالت: ولِمَ؟ قال: يزعم أنّ ربّه أمره بذلك، قالت: فحقّ له أن يطيع ربّه[1].

وعن أبي عبد الله عليه السلام، قال: ظهر إبليس ليحيى بن زكريا عليه السلام وإذا عليه معاليق من كلّ شيء، فقال له يحيى: ماهذه المعاليق يا إبليس؟ فقال: هذه الشهوات التي أصبتها من ابن آدم، قال: فهل لي منها شيء؟ قال: ربما شبعت فثقّلتك عن الصلاة والذكر، قال يحيى: لله عليّ أن لا أملأ بطني من طعام أبداً، فقال إبليس: لله عليّ أن لا أنصح مسلماً أبداً، ثمّ قال أبو عبد الله عليه السلام: يا حفص ولله على جعفر وآل جعفر أن لا يملؤوا بطونهم من طعام أبداً، ولله على جعفر وآل جعفر أن لا يعملوا للدنيا أبداً.

عن الإمام الرضا، عن آبائه عليهم السلام: أنّ إبليس كان يأتي الأنبياء عليهم السلام من

---

(١) البحار ٦٠: ٢٠٩.

لدن آدم عليه السلام إلى أن بعث الله المسيح عليه السلام يتحدّث عندهم ويسائلهم، ولم يكن بأحد منهم أشدّ أُنساً منه بيحيى بن زكريا عليه السلام، فقال له يحيى: يا أبا مرّة إنّ لي إليك حاجة، فقال له: أنت أعظم من أردّك بمسألة، فاسألني ما شئت فإنّي غير مخالفك في أمرٍ تريده.

فقال يحيى: يا أبا مرّة أُحبّ أن تعرض عليّ مصائدك وفخوخك التي تصطاد بها بني آدم، فقال له إبليس: حبّاً وكرامة، وواعده لغدٍ، فلمّا أصبح يحيى عليه السلام قعد في بيته ينتظر الموعد وأغلق عليه الباب إغلاقاً، فما شعر حتّى ساواه من خوخة ـ شباك ـ كانت في بيته، فإذا وجهه صورة وجه القرد، وجسده على صورة الخنزير، وإذا عيناه مشقوقتان طولاً، وإذا أسنانه وفمه مشقوقاً طولاً عظماً واحداً، بلا ذقن ولا لحية، وله أربعة أيد: يدان في صدره ويدان في منكبه، وإذا عراقيبه قوادمه، وأصابعه خلفه، وعليه قباء قد شدّ وسطه بمنطقة فيها خيوط معلّقة بين أحمر وأصفر وأخضر وجميع الألوان، وإذا بيده جرس عظيم، وعلى رأسه بيضة، وإذا في البيضة حديدة معلّقة شبيهة بالكلّاب.

فلمّا تأمّله يحيى عليه السلام قال له: ما هذه المنطقة التي في وسطك؟ فقال: هذه المجوسية أنا الذي سننتها وزيّنتها لهم، فقال له: ما هذه الخيوط والألوان؟ قال له: هذه جميع أصناع النساء لا تزال المرأة تصنع الصنيع حتّى يقع مع لونها، فأفتن الناس بها، فقال له: فما هذا الجرس الذي بيدك؟ قال: هذه مجمع كلّ لذّة من طنبور وبربط ومعزفة وطبل وناي وصرناي، ـ وهذه من الآلات الموسيقية، وما أكثرها في عصرنا الراهن، وما أكثر الناس الذين افتتنوا بها، وزيّن لهم الشيطان ذلك، باسم الفنّ والفنانين، حتّى في مثل البلاد الإسلامية وعند المسلمين، ولا حول ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم ـ وإنّ القوم ليجلسون على شرابهم فلا يستلذّونه فأُحرّك الجرس

فيما بينهم، فإذا سمعوه استخفّهم الطرب، فمن بين من يرقص، ومن بين من يفرقع أصبعه، ومن بين من يشقّ ثيابه، فقال له: وأيّ الأشياء أقرّ لعينك؟ قال: النساء هنّ فخوخي ومصائدي، فإنّي إذا اجتمعت عليّ دعوات الصالحين ولعناتهم، صرت إلى النساء فطابت نفسي بهنّ، فقال له يحيى عليه السلام: فما هذه البيضة - أي الدرع - التي على رأسك؟ قال: بها أتوقّى دعوة المؤمنين، قال: فما هذه الحديدة التي أرى فيها؟ قال: بهذه أقلب قلوب الصالحين، فقال يحيى عليه السلام: فهل ظفرت بي ساعة قطّ؟ قال: لا ولكن فيك خصلة تعجبني. قال يحيى: فما هي؟ قال: أنت رجل أكول فإذا أفطرت أكلت وبشمت - أي شبعت - فيمنعك ذلك من بعض صلاتك وقيامك بالليل، قال يحيى عليه السلام: فإنّي أُعطي الله عهداً أنّي لا أشبع من الطعام حتّى ألقاه، قال له إبليس: وأنا أُعطي الله عهداً أنّي لا أنصح مسلماً حتّى ألقاه، ثمّ خرج فما عاد إليه بعد ذلك[1].

عن عبد السلام، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: قال: يا عبد السلام احذر الناس ونفسك. فقلت: بأبي أنت وأُمّي أمّا الناس فقد أقدر على أن أحذرهم، وأمّا نفسي فكيف؟ قال: إنّ الخبيث يسترق السمع يجيئك فيسترق ثمّ يخرج في صورة آدمي فيقول: قال عبد السلام، فقلت: بأبي انت وأُمّي هذا ما لا حيلة له، قال: هو ذاك[2].

عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: كنّا بمنى مع رسول الله صلى الله عليه وآله إذ بصرنا برجل ساجد وراكع ومتضرّع، فقلنا: يا رسول الله ما أحسن صلاته؟ فقال صلى الله عليه وآله:

---

(١) البحار ٦٠. ٢٢٤.

(٢) البحار ٦٠: ٢٢١، عن تفسير العياشي.

هو الذي أخرج أباكم من الجنّة، فمضى إليه علي عليه السلام غير مكترث، فزّه هزّة أدخل أضلاعه اليمنى في اليسرى واليسرى في اليمنى، ثمّ قال: لأقتلنّك إن شاء الله تعالى، فقال: لن تقدر على ذلك إلى أجل معلوم من عند ربّي، ما لك تريد قتلي؟ فوالله ما أبغضك أحد إلّا سبقت نطفتي إلى رحم أمّه قبل نطفة أبيه، ولقد شاركت مبغضيك في الأموال والأولاد، قال النبيّ صلى الله عليه وآله: صدق يا علي، لا يبغضك من قريش إلّا سفاحي، ولا من الأنصار إلّا يهودي، ولا من العرب إلّا دعيّ، ولا من سائر الناس إلّا شقي، ولا من النساء إلّا سلقليقة وهي التي تحيض من دبرها، ثمّ أطرق مليّاً، ثمّ رفع رأسه فقال: معاشر الأنصار أعرضوا أولادكم على محبّة علي، قال جابر بن عبد الله: فكنّا نعرض حبّ عليّ على أولادنا، فمن أحبّ علياً عليه السلام علمنا أنّه من أولادنا، ومن أبغض علياً انتفينا منه[1].

وعن أمير المؤمنين علي عليه السلام، قال: كنت جالساً عند الكعبة فإذا شيخ محدودب قد سقط حاجباه على عينيه من شدّة الكبر وفي يده عكازة وعلى رأسه بُرنس أحمر، وعليه مدرعة من الشعر، فدنا إلى النبيّ صلى الله عليه وآله والنبيّ مسند ظهره على الكعبة، فقال: يا رسول الله ادعُ لي بالمغفرة، فقال النبيّ صلى الله عليه وآله: خاب سعيك يا شيخ وضلّ علمك، فلمّا تولّى الشيخ قال لي: يا أبا الحسن أتعرفه؟ قلت: لا، قال: ذلك اللعين إبليس، قال عليّ عليه السلام: فعدوت خلفه حتّى لحقته وصرعته إلى الأرض وجلست على صدره ووضعت يدي في حلقه لأخنقه فقال لي: لا تفعل يا أبا الحسن فإنّي من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم، والله يا عليّ إنّي لأحبّك جدّاً، وما أبغضك

---

(١) البحار ٦٠ : ٢٣٧، عن علل الشرائع.

أحد إلّا شركت أباه في أُمّه فصار ولد زنا، فضحكت وخلّيت سبيله[١].

قال أبو عبد الله عليه السلام: صعد عيسى عليه السلام على جبل بالشام يقال له: أريحا، فأتاه إبليس في صورة ملك فلسطين فقال له: يا روح الله أحييت الموتى وأبرأت الأكمه والأرص، فاطرح نفسك عن الجبل، فقال عليه السلام: إنّ ذلك أُذن لي، وإنّ هذا لم يؤذن لي فيه[٢].

وعنه عليه السلام قال: جاء إبليس إلى عيسى فقال: أليس تزعم أنّك تحيي الموتى؟ قال عيسى: بلى، قال إبليس: فاطرح نفسك من فوق الحائط، فقال عيسى عليه السلام: ويلك العبد لا يجرّب ربّه، وقال إبليس: يا عيسى، هل يقدر ربّك على أن يدخل الأرض في بيضة والبيضة كهيئتها؟ فقال: إنّ الله تعالى عزّ وعلا، لا يوصف بالعجز، والذي قلت لا يكون ـ أي هو مستحيل في نفسه كجمع الضدّين ـ.

وآخر يوم يتمثّل إبليس هو ما جاء في خبر إسحاق بن عمّار، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول إبليس: ﴿ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ * قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ * إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴾[٣]، قال له وهب: جعلت فداك أيّ يوم هو؟ قال: يا وهب، أتحسب أنّه يوم يبعث الله فيه الناس؟ إنّ الله أنظره إلى يوم يبعث فيه قائمنا، فإذا بعث الله قائمنا كان في مسجد الكوفة، وجاء إبليس حتّى يجثو بين يديه على ركبتيه فيقول: يا ويله من هذا اليوم، فيأخذ بناصيته فيضرب عنقه،

---

(١) المصدر، عن العيون.

(٢) البحار ٦٠: ٢٥٢.

(٣) ص: ٧٩ ـ ٨١.

فذلك يوم الوقت المعلوم[١].

والشيطان يتمثّل بصورة إنسان، فعن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: سمعته يقول: كان الحجّاج ابن شيطان يباضع ذي الردهة، ثمّ قال: إنّ يوسف دخل على أُمّ الحجّاج فأراد أن يصيبها فقالت: أليس إنّما عهدك بذلك الساعة؟ فأمسك عنها فولدت الحجّاج[٢].

قال أمير المؤمنين عليه السلام: لقد سمعت رنّة الشيطان حين أُنزل الوحي عليه صلى الله عليه وآله، فقلت: يا رسول الله ما هذه الرنّة؟ فقال: هذا الشيطان قد آيس من عبادته، إنّك تسمع ما أسمع وترى ما أرى، إلّا أنّك لست بنبيّ، ولكنّك وزير، وإنّك لعلى خير[٣].

عن أبي حمزة الثمالي، عن الإمام زين العابدين عليّ بن الحسين عليه السلام، قال: كان عابد من بني إسرائيل فقال إبليس لجنده: من له فإنّه قد غمّني، فقال واحد منهم: أنا له، فقال: في أيّ شيء؟ قال: أُزيّن له الدنيا، قال: لست بصاحبه، قال الآخر: فأنا له، قال: في أيّ شيء؟ قال: في النساء، قال: لست بصاحبه، قال الثالث: أنا له، قال: في أيّ شيء؟ قال: في عبادته، قال: أنت له، فلمّا جنّه الليل طرقه فقال: ضيف، فأدخله، فمكث ليلته يصلّي حتّى أصبح، فمكث ثلاثاً يصلّي ولا يأكل ولا يشرب، فقال له العابد: يا عبد الله ما رأيت مثلك، فقال له: إنّك لم تصب شيئاً من الذنوب وأنت ضعيف العبادة، قال: وما الذنوب التي أُصيبها؟ قال: خذ أربعة دراهم فتأتي فلانة البغيّة فتعطيها درهماً للحم ودرهماً للشراب

---

(١) البحار ٦٠: ٢٥٤، عن تفسير العياشي.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر، عن نهج البلاغة.

ودرهماً لطيبها ودرهماً لها فتقضي حاجتك منها ؟ قال : فنزل وأخذ أربعة دراهم فأتى بابها فقال : يا فلانة يا فلانة، فخرجت فلمّا رأته قالت : مفتون والله، مفتون والله، قالت له : ما تريد ؟ قال : خذي أربعة دراهم فهيّئي لي طعاماً وشراباً وطيباً وتعالي حتّى آتيك، فذهبت فدارت فإذا هي بقطعة من حمار ميّت فأخذته، ثمّ عمدت إلى بول عتيق فجعلته في كوز، ثمّ جاءت به إليه، فقال : هذا طعامكِ ؟ قالت : نعم، قال : لا حاجة لي فيه، وهذا شرابكِ ؟ فلا حاجة لي فيه، اذهبي فتهيّئي، فتقذّرت جهدها، ثمّ جاءته فلمّا شمّها قال : لا حاجة لي فيكِ، فلمّا أصبحت كتب على بابها : إنّ الله قد غفر لفلانة البغيّة بفلان العابد[1].

عن أبي عبد الله عليه السلام، قال : كان عابد في بني إسرائيل لم يقارف من أمر الدنيا شيئاً، فنخر إبليس نخرة فاجتمعت إليه جنوده، فقال : من لي بفلان ؟ فقال بعضهم : أنا، فقال : من أين تأتيه ؟ فقال : من ناحية النساء، قال : لست له لم يجرّب النساء، فقال له آخر : فأنا له، قال : من أين تأتيه ؟ قال : من ناحية الشراب واللذّات، قال : لست له، ليس هذا بهذا، قال آخر : فأنا له، قال : من أين تأتيه ؟ قال : من ناحية البرّ، قال : انطلق فأنت صاحبه، فانطلق إلى موضع الرجل فقام حذاءه يصلّي، قال : وكان الرجل ينام، والشيطان لا ينام، ويستريح والشيطان لا يستريح.

فتحوّل إليه الرجل وقد تقاصرت إليه نفسه واستصغر عمله، فقال : يا عبد الله بأي شيء قويت على هذه الصلاة ؟ فلم يجبه، ثمّ عاد عليه فلم يجبه، ثمّ عاد عليه فقال : يا عبد الله إنّي أذنبت ذنباً وأنا تائب منه، فإذا ذكرت الذنب قويت على الصلاة، قال : فأخبرني بذنبك حتّى أعمله وأتوب، فإذا فعلته قويت على

---

(١) البحار ٦٠ : ٢٧٠.

الصلاة، فقال: ادخل المدينة فسل عن فلانة البغيّة فأعطها درهمين ونل منها، قال: ومن أين لي درهمين؟ ما أدري ما الدرهمين؟ فتناول الشيطان من تحت قدمه درهمين فناوله إيّاهما، فقام فدخل المدينة بجلابيبه يسأل عن فلانة البغية، فأرشدوه الناس وظنّوا أنّه جاء يعظها، فأرشدوه فجاء إليها فرمى إليها بالدرهمين وقال: قومي، فقامت فدخلت منزلها وقالت: ادخل، وقالت: إنّك جئتني في هيئة ليس يؤتى مثلي في مثلها، فأخبرني بخبرك، فأخبرها، فقالت له: يا عبد الله إنّ ترك الذنب أهون من طلب التوبة، وليس كلّ من طلب التوبة وجدها، وإنّما ينبغي أن يكون هذا شيطاناً مثّل ذلك، فانصرف فإنّك لا ترى شيئاً، فانصرف، وماتت من ليلتها، فأصبحت فإذا على بابها مكتوب: احضروا فلانة فإنّها من أهل الجنّة، فارتاب الناس فمكثوا ثلاثاً لا يدفنونها ارتياباً في أمرها، فأوحى الله عزّ وجلّ إلى نبيّ من الأنبياء الا أعلمه إلّا موسى بن عمران عليه السلام أن ائتِ فلانة فصلّ عليها ومُر الناس أن يصلّوا عليها فإنّي قد غفرت لها، وأوجبت لها الجنّة، بتثبيطها عبدي فلاناً عن معصيتي[1].

وعن أبي جعفر عليه السلام، قال: كان قوم لوط من أفضل قوم خلقهم الله فطلبهم إبليس الطلب الشديد، وكان من فضلهم وخيرتهم أنّهم إذا خرجوا إلى العمل خرجوا بأجمعهم وتبق النساء خلفهم، لم يزل إبليس يعتادهم وكانوا إذا رجعوا خرّب إبليس ما يعملون، فقال بعضهم لبعض: تعالوا نرصد هذا الذي يخرّب متاعنا، فرصدوه، فإذا هو غلام أحسن ما يكون من الغلمان، فقالوا له: أنت الذي تخرب متاعنا مرّة بعد أُخرى، فأجمع رأيهم على أن يقتلوه، فبيّتوه عند رجل، فلمّا

---

(١) البحار ٦٠ : ٢٧٨، عن روضة الكافي

كان الليل صاح فقال له : ما لك ؟ فقال : كان أبي ينوّمني على بطنه، فقال له : تعال فنم على بطني، قال : فلم يزل يدلك الرجل حتّى علمه أن يفعل بنفسه، فأوّلاً علّمه إبليس والثانية علّمه هو، ثمّ انسلّ ففرّ منهم فأصبحوا فجعل الرجل يخبر بما فعل بالغلام ويعجبهم منه وهم لا يعرفونه، فوضعوا أيديهم فيه حتّى اكتفى الرجال بعضهم ببعض، ثمّ جعلوا يرصدون مارّة الطريق فيفعلون بهم حتّى تنكّب مدينتهم الناس، ثمّ صار الشيطان إلى النساء فصيّر نفسه امرأة، ثمّ قال : إنّ رجالكنّ يفعل بعضهم ببعض ؟ قالوا : نعم قد رأينا ذلك، وكلّ ذلك يعظهم لوط عليه السلام ويوصيهم، وإبليس يغويهم حتّى استغنى النساء بالنساء. الحديث طويل[1].

فكان الشيطان يتمثّل للأنبياء والأولياء وغيرهم فيما سبق، كحديثه مع نوح وما جرى بينهما في الكرم والنخل[2]، وما جرى على أيوب من إبليس لعنه الله[3]، وما جرى بينه وبين موسى[4]، وشكاية الشياطين الذين كانوا يعملون لسليمان بن داود عليه السلام إلى إبليس، وما قال في جوابهم الذي صار سبباً للتشديد عليهم[5]، وشركته في قتل زكريا عليه السلام[6]، وحديثه مع عيسى في إدخال البيضة في الأرض وجوابه، وعن أبي جعفر عليه السلام قال : لقي إبليس (لعنه الله) عيسى بن مريم فقال : هل

---

(١) البحار ٦٠ : ٢٧٨، عن الكافي ٥ : ٥٤٤.

(٢) البحار ١١ : ٢٩٢.

(٣) المصدر ١٢ : ٣٤٠.

(٤) المصدر ١٣ : ٣٢٣.

(٥) المصدر ١٤ : ٧٢.

(٦) المصدر ١٤ : ١٧٩.

نالني من حبائلك شيء؟ قال: جدّتك الني ﴿ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَى وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنْثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾[1]، يعني كيف ينالك من حبائلي وجدّتك دعت حين ولدت والدتك أن يعيذها الله وذرّيتها من شرّ الشيطان الرجيم وأنت من ذرّيتها[2].

وقصّته يوم بدر، فعن الإمام الباقر عليه‌السلام: كان إبليس يوم بدر يقلّل المؤمنين في أعين الكفّار ويكثّر الكفّار في أعين الناس، فشدّ عليه جبرئيل بالسيف فهرب منه وهو يقول: يا جبرئيل إنّي مؤجّل، حتّى وقع في البحر[3].

وكان صورته بصورة سُراقة بن مالك، وللشيخ المفيد في ذلك كلام[4].

وصيحته (لعنه الله) ليلة بيعة الأنصار: يا معشر قريش والعرب، هذا محمّد صلى‌الله‌عليه‌وآله والصباة من الأوس والخزرج على جمرة العقبة يبايعونه على حربكم[5].

واجتماعه مع كفّار قريش في دار الندوة للمشاورة في أمر النبيّ صلى‌الله‌عليه‌وآله[6].

وتمثّله في دار الندوة بصورة أعور ثقيف[7].

وصيحته يوم أُحد: قتل رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله[8].

---

(١) آل عمران: ٣٦.

(٢) السفينة ١: ٣٧٦.

(٣) البحار ١٩: ٣٠٤.

(٤) المصدر ١٩: ٢٥٥.

(٥) البحار ١٩: ٤٨ + ١٣.

(٦) المصدر ١٩: ٤٧ ـ ٥٧.

(٧) المصدر ٣٨: ١٦٩.

(٨) المصدر ٢٠: ٩٤.

ونداؤه (لعنه الله) حين وفاة النبيّ ﷺ: إنّ نبيّكم طـاهر مطهّر، فـادفنوه ولا تغسّلوه، وجواب أمير المؤمنين عليه السلام: إخسأ عدوّ الله، فإنّه أمرني بغسله وكفنه ودفنه وذاك سنّة[١].

وظهوره لسلمى بنت عمرو وقوله لها: إنّ هاشم بن عبد مناف رجل ملول للنساء كثير الطلاق جبان في الحروب، لئلّا ترغب في هاشم حين جاء خاطباً لها[٢]، وبكاء إبليس حين ذكر هاشم ما يمهره لسلمى وقوله لأبيها: اطلب الزيادة، فروي أنّه كلّما زاد هاشم أشار إبليس بالزيادة، وكان (لعنه الله) بصورة شيخ في جملة من حضر النكاح مع اليهود إلى أن صابح به أبو سلمى وقال: يا شيخ السوء اخرج[٣].

وهذا يدلّ على أنّ من يزيد في مهر النسـاء فإنّه مـن النـعرات الشـيطانية، فتدبّر.

وقول أمير المؤمنين عليه السلام له حين رآه بصورة شيخ وكان يصلّي فـهزّه هـزّة أدخل أضلاعه اليمنى في اليسرى واليسرى في اليمنى، فقال عليه السلام: لأقتلنّك إن شاء الله[٤].

وإغوائه مرحب اليهودي حين فرّ من مبارزة أمير المؤمنين عليه السلام خوفاً ممّـا حذّرته ظئره[٥].

---

(١) البحار ٢٢ : ٥٤١.

(٢) المصدر ١٥ : ٤٤.

(٣) المصدر ١٥ : ٤٧.

(٤) المصدر ١٨ : ٨٩.

(٥) المصدر ٢١ : ٩.

وبيعته في السقيفة لبعض أعداء الله على صورة شيخ كبير متوكّئاً على عصاه بين عينيه سجّادة شديد التشمير[١].

ووقوفه على باب فاطمة وعلي عليهما السلام وسؤاله أن يطعموه ممّا كانوا يأكلون من طعام الجنّة.

وقول رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّها لمحرمة على هذا السائل، وقول إبليس لرسول الله: اشتقت إلى رؤية علي عليه السلام فجئت آخذ منه الحظّ الأوفر، وأيم الله إنّي من أودّائه وإنّي لأواليه[٢].

وتمثّله بصورة الفيلة في المسجد الحرام، وبصورة شيخ محدودب قد سقط حاجباه على عينيه يسأل النبيّ صلى الله عليه وآله أن يدعو له بالمغفرة، وبصورة رجل راكع ساجد متضرّع بمنى، وبصورة راعٍ على جبل بقرب المدينة، وسؤال أمير المؤمنين عليه السلام إيّاه: هل مرّ بك رسول الله؟ وجوابه: ما لله من رسول، فأخذ علي عليه السلام جندله، وفي رواية أُخرى: فغضب علي عليه السلام وتناول حجراً ورماه فأصاب بين عينيه، فصرخ الراعي فإذا الجبل قد امتلأ بالخيل والرَّجِل، فما زالوا يرمونه بالجندل، واكتنف علياً طائران أبيضان، فما زال يمضي ويرمونه حتّى لقي رسول الله صلى الله عليه وآله، فأخبره: إنّ الراعي إبليس، والطائران: جبرئيل وميكائيل[٣].

وهناك حكايات كثيرة ومثيرة للإعجاب وللتأمّل، وللموعظة والتدبّر، لم نتعرّض لها طلباً للاختصار.

---

(١) البحار ٢٨: ٢٦٣.

(٢) المصدر ٣٧: ١٠٢ + ٤٣: ٧٨.

(٣) البحار ٣٩: ١٧١ + ١٨٠.

الفصل الثالث

خطوات الشيطان

سياسة خطوة خطوة وقدم بعد قدم :

من صفات العدوّ أنّه يخطّط لخصمه، وينتظر به الفرص، ليقع به بشتّى الطرق والحيل، وحتّى في ساحات الوغى وميادين القتال وفي الحروب والنضال، كلّ واحد من الطرفين في المنازعة والمخاصمة والحرب يحاول أن يستغلّ غفلة الطرف الآخر ونقاط ضعفه، فيخطّط له ويأتيه خطوات، حتّى يقضي عليه.

وكذلك الشيطان عدوّ الإنسان، فإنّه يتغلّب على بني آدم خطوةً خطوةً، فيبدأ بالمراحل الأوّلية، فإن استجاب الإنسان دعوته، فإنّه يأمره بشيء آخر أعظم من الأوّل، حتّى ينتهي به إلى الكفر، لأنّ الشيطان لا يرضى من الإنسان إلّا بكفره، ولكن لا يقول له في أوّل مرّة اكفر بالله، بل في أوّل الأمر يوسوس له بارتكابه المكروهات، فإن تسلّط عليه فإنّه يأمره بالمحرّمات الخفيفة، ثمّ المنكرات الثقيلة، وهكذا حتّى يصل به إلى الكفر وأن يسجد له، كما في قصّة العابد برسيسا.

والقرآن الكريم يشير إلى مقصود إبليس وحزبه الشيطاني أوّلاً، ثمّ يذكّر الإنسان أنّ هذا العدوّ اللدود يأتيك من كلّ الجوانب الأربعة، كما أنّه يستعمل كلّ الأساليب والمخطّطات التي ينفذ من خلالها في وجودك، ليضلّك عن سبيل الله

سبحانه، فاحذره غاية الحذر، ولا تخف منه فإنّ كيده مهما يكن في مقابل كيد الله ونصرته، كان ضعيفاً، فلا تستجب لدعوته من البداية، فإنّه ربما يأتيك في فكرك من طريق حلال، حتّى يوقعك في آخر الأمر في الحرام، وربما باسم الدين يخرجك من الدين، كما أخرج آدم وأغرّه بقوله:

﴿ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ ﴾[1].

فباسم النصيحة أخرجه من حضيرة القدس وجنّة الله.

في تفسير الميزان[2]: إنّ المراد من اتّباع خطوات الشيطان ليس اتباعه في جميع ما يدعو إليه من الباطل، بل اتّباعه فيما يدعو إليه من أمر الدين، بأن يزيّن شيئاً من طرق الباطل بزينة الحقّ، ويسمّي ما ليس من الدين باسم الدين، فيأخذ به الإنسان من غير علم.

عن الإمام الباقر عليه السلام لمّا قرأ ﴿ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ﴾[3]، قال: كلّ يمين بغير الله تعالى فهي من خطوات الشيطان[4].

وعن الإمام الباقر والإمام الصادق عليهما السلام: إنّ من خطوات الشيطان الحلف بالطلاق، والنذور في المعاصي، وكلّ يمين بغير الله.

عن ابن عبّاس، قال: ما خالف القرآن فهو من خطوات الشيطان[5].

---

(١) الأعراف: ٢١

(٢) الميزان ٢: ١٠١

(٣) البقرة: ١٦٨.

(٤) نور الثقلين ١: ١٥٢

(٥) الدرّ المنثور ١: ٤٠٣.

فإليك أيّها الإنسان الكريم ما يريده الشيطان منك في دعوته الجهنّمية، ثمّ كيف يخطّط لك في خطواته النارية، ثمّ بيان أهمّ الأساليب الشيطانية.

ولا يخفى على ذوي النهى أنّ الله في كتابه يخاطب الناس بنحوين تارةً بخطاب عام، وكأنّما يخاطب عامّة الناس، كما يقول بأنّ كتابه الكريم هو هداية للناس وهذا من الهداية العامة ومن الرحمة الرحمانية، وأُخرى يخاطب الخواصّ من الناس، ويقول بأنّ كتابه الحكيم إنّما هو هداية للمتقين ﴿ هُدىً لِلْمُتَّقِينَ ﴾[1]، فمن خطاب العامة حينما يريد أن يدعوهم إلى التوحيد ومعرفته سبحانه وتعالى يخاطبهم بقوله:

﴿ أفَلا يَـنْظُرُونَ إلَى الإبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴾[2].

﴿ أفَرَأيْتُمْ مَا تُمْنُونَ ﴾[3].

﴿ أفَرَأيْتُمُ المَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ﴾[4].

وأمّا خطاب الخاصّة فيقول:

﴿ ألَمْ تَرَ إلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ ﴾[5].

فإنّ المرئي في الأوّل هو مثل الإبل والمني والماء، ولكن في الثاني هو الله خالق الخلق سبحانه وتعالى.

---

(١) البقرة: ٢.

(٢) الغاشية: ١٧.

(٣) الواقعة: ٥٨.

(٤) الواقعة: ٦٨

(٥) الفرقان: ٤٥

والمثال الآخر في الخطاب الأوّل قوله تعالى :

﴿ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ﴾[١].

فيدعو الناس إلى عبادة الله من خلال التوجّه إلى الكعبة الشريفة في صلاتهم.

ولكن في الخطاب الثاني يختلف لسان الدعوة الإلهية في عبادته قائلاً عزّ وجلّ :

﴿ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ﴾[٢].

ففي الأوّل أشار سبحانه إلى البيت، وأمّا الثاني فإلى ربّ البيت.

فتدبّر في آيات الله لتقف على بعض أسرار وتأويل الآيات، فإنّ القرآن الكريم يصوّر لك الحقائق وكأنّك ترى وتسمع، فإنّ حواره الفنّي يمثّل لك الصوت والصورة.

وفي عداء الشيطان للإنسان يصوّر لنا القرآن تكتيكات الشيطان الحربيّة، وأنّه يستغلّ الموقف خطوة خطوة، فلا يهجم على الإنسان بكلّ ما عنده، ولا يطلب منه الكفر رأساً، فإنّه من الواضح لمن كان مؤمناً متمسّكاً بدين الله سبحانه من الصعب الصعاب أن يقال له اترك دينك واكفر بالله، أو اشرب الخمر، وافعل الزنا، بل يأتيه من ارتكاب المكروهات ثمّ ترك المستحبّات والنوافل، ثمّ ارتكاب المحرّمات وترك الواجبات.

ومن هذا المنطلق يحذّرنا الله اللطيف بعباده أن لا يتّبعوا آثار الشيطان ولا يقتفوا خطواته في قوله تعالى :

---

(١) البقرة : ١٤٤.

(٢) قريش : ٣.

﴿ وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾[1].

فإنّه نتيجة الاتباع هو الكفر، فإنّ الشيطان لا يرضى من الإنسان إلّا بذلك، وإن كان في نهاية الأمر يخذله، بل ويتبرّأ منه، محتجّاً عليه أنّه يخاف الله سبحانه، كما قال عزّ وجلّ:

﴿ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللهَ رَبَّ العَالَمِينَ ﴾[2].

فمتى يعقل الإنسان ويرى ما حوله، وما يفعله الشيطان.

﴿ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبلاً كَثِيراً أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ ﴾[3].

فإنّه:

﴿ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُوراً ﴾[4].

وهلّا حان الوقت لتخشع القلوب لذكر الله، ومتى نتّبع قوله تعالى:

﴿ وَأَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا البَلاغُ المُبِينُ ﴾[5].

فمن لم يدخل في ولاية الله ورسوله وأهل بيته أُولى الأمر وطاعتهم، فإنّه يدخل لا محالة في ولاية الشيطان.

---

(١) البقرة: ١٦٨.

(٢) الحشر: ١٦.

(٣) يس: ٦٢.

(٤) النساء: ١٢٠.

(٥) المائدة: ٩٢

﴿ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيّاً مِنْ دُونِ اللهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَاناً مُبِيناً ﴾[1].
﴿ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ ﴾[2].

فلا تتّبعوا خطوات الشيطان ولا تقتدوا به في اتباع الهوى فتحرّموا الحلال وتحلّلوا الحرام ﴿ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾[3] ظاهر العداوة عند ذوي البصيرة وأصحاب العقل السليم، وإن كان في بداية الأمر يظهر الموالاة لمن يغويه، ولذلك سمّاه ولياً في قوله تعالى: ﴿ أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ ﴾[4].

ومن خصائصه البارزة أنّه يخرجهم من النور إلى الظلمات، من الأخلاق الطيّبة إلى الرذائل والخسائس، كمن كان سخيّاً، فيخرجه من نور السخاء إلى ظلمة البخل بتخويفه الفقر، وكذلك الصفات الأُخرى:

﴿ إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ ﴾[5].

وهذا من التحذير لبيان عداوة الشيطان ووجوب التحرّز منه، واستعير الأمر (أي قوله تعالى: إنّما يأمركم) لتزيينه وبعثه لهم على الشرّ تسفيهاً لرأيهم وتحقيراً لشأنهم، والسوء والفحشاء ما أنكره العقل واستقبحه الشرع، والعطف لاختلاف الوصفين فإنّه سوء لاغتمام العاقل به وفحشاء باستقباحه إيّاه.

وقيل: السوء يعمّ القبائح، والفحشاء ما يجاوز الحدّ في القبح من الكبائر.

---

(١) النساء: ١١٩.

(٢) الأعراف: ٢٧.

(٣) البقرة: ١٦٨.

(٤) البقرة: ٢٥٧

(٥) البقرة: ١٦٩.

وقيل: الأوّل ما لا حدّ فيه، والثاني ما شرع فيه الحدّ ﴿ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللهِ مَا لا تَعْلَمُونَ ﴾[1]، كاتّخاذ الأنداد وتحليل المحرّمات وتحريم الطيّبات.

قال فخر الرازي: اعلم أنّ أمر الشيطان وسوسته عبارة عن هذه الخواطر التي نجدها في أنفسنا، وقد اختلف الناس في هذه الخواطر من وجوه:

أحدها: اختلفوا في ماهيّاتها، فقال بعض: إنّها حروف وأصوات خفيّة، قالت الفلاسفة: إنّها تصوّرات الحروف والأصوات وأشباهها وتخيّلاتها على مثال الصور المنطبعة في المرايا، فإنّ تلك الصور تشبه تلك الأشياء من بعض الوجوه وإن لم تكن متشابهة لها من كلّ الوجوه.

ثمّ هذه الخواطر الشيطانية إنّما هي بوسوسة الشيطان، كما هناك إلهامات ملائكيّة يشير إليها قوله تعالى: ﴿ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى المَلائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾[2]، أي ألهموهم بالثبات، كما جاء في الأخبار: «للشيطان لمّة بابن آدم، وللملك لمّة»، وفي الحديث: إذا ولد المولود لبني آدم قرن إبليس به شيطاناً وقرن الله به ملكاً، فالشيطان جاثم على أُذن قلبه الأيسر، والملك قائم على أُذن قلبه الأيمن، فهما يدعوانه.

ومن الفلاسفة من فسّر الملك الداعي إلى الخير بالقوّة العقليّة، والداعي إلى الشرّ هو الشيطان، وفسّر بالقوّة الشهوانية والغضبيّة.

ثمّ قوله تعالى: (إنّما يأمركم) دلّت الآية على الحصر، لمكان أنّ الشيطان لا يدعو ولا يأمر إلّا بالقبائح، وإذا دعا إلى الخير في بعض الموارد فإنّ غرضه أن

---

(١) البقرة: ١٦٩.

(٢) الأنفال: ١٢.

يجرّه منه إلى الشرّ، فإنّه ربما باسم الدين يخرج الإنسان من الدين، كما نجد ذلك من بعض أصحاب المذاهب الفاسدة، فربما باسم الخير يدعو في النهاية إلى الشرّ، وهذا أيضاً من خطوات الشيطان، فربما يجرّه من الأفضل إلى الفاضل السهل، ومن السهل إلى الأفضل الأشقّ ليصير ازدياد المشقّة سبباً لحصول النفرة عن الطاعة بالكلّية.

ومن خطواته: أنّه (يعدكم الفقر) فإبليس وسائر الشياطين من الجنّ والإنس، بل وحتّى النفس الأمّارة بالسوء تخوّف الإنسان بالفقر، فللشيطان لمّة وهي الإيعاد بالشرّ والفقر، كما للملك لمّة وهي الوعد بالخير والغنى، فمن وجد ذلك من نفسه فإنّه من الله وليشكر الله على ذلك، ومن وجد الأوّل فإنّه من الشيطان وليتعوّذ بالله منه ﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ ﴾[1] بالوسوسة، ولكن ليعلم كلّ واحد من المؤمنين ﴿ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً ﴾[2]، لأنّ الله ينصر أوليائه والشيطان ينصر أولياءه، ولا شكّ أن نصرة الشيطان لأوليائه أضعف من نصرة الله لأوليائه، ألا ترى أنّ أهل الخير والدين يبقى ذكرهم الحميد على مرّ الدهور والأحقاب، وإن كانوا حال حياتهم يعادوهم الناس، ويعيشون الفقر والانعزال، وأمّا الملوك والجبابرة فإنّهم إذا ماتوا انقرضوا ولا يبقى لهم ذكر إلّا بالسوء واللعنة.

﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ ﴾ بإنزال الكتب السماوية وإرسال الرسل

---

(١) آل عمران: ١٧٥.

(٢) النساء: ٧٦.

﴿ لاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ ﴾ في خطواته بالكفر والضلال ﴿ إِلَّا قَلِيلاً ﴾[1] منكم تفضّل الله عليه بعقل راجح وقلب سليم وفطرة طاهرة اهتدى بها إلى الحقّ والصواب والصراط المستقيم، وعصمه الله عن متابعة الشيطان.

فالشيطان ينتهي في الإنسان في مقام العداء والبغض إلى الكفر وعبادة الأصنام ﴿ إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنَاثاً ﴾ يعني اللات والعزّى ومناة ونحوها، فإنّه كان لكلّ حيّ صنم يعبدونه ويسمّونه أُنثى بني فلان، وذلك إمّا لتأنيث أسمائها، أو لأنّها كانت جمادات، والجمادات تؤنّث لشباهتها بالإناث لانفعالها، ولعلّه سبحانه وتعالى ذكر الأصنام بهذا الاسم تنبيهاً على أنّهم يعبدون ما يسمّونه إناثاً لأنّه ينفعل ولا يفعل، والحال من حقّ المعبود أن يكون فاعلاً غير منفعل، وقيل: المراد (الملائكة) لقولهم بنات الله ﴿ وإِنْ يَدْعُونَ ﴾ ويعبدون بعبادتها ﴿ إِلَّا شَيْطَاناً مَرِيداً ﴾[2] لأنّه الذي أمرهم بعبادتها وأغراهم عليها، فكان طاعته في ذلك عبادة له. والمارد والمريد: الذي لا يعلق بالخير وأصل التركيب للملابسة، ومنه صرح ممرّد وغلام أمرد.

والله يلعن الشيطان (لعنه الله) فإنّ من فرط عداوته للإنسان قال: ﴿ لأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيباً مَفْرُوضاً * وَلأُضِلَّنَّهُمْ ﴾[3] عن الحقّ ﴿ وَلأُمَنِّيَنَّهُمْ ﴾ الأماني الباطلة، لطول البقاء في الحياة الدنيوية، وأنّه لا بعث ولا عقاب ﴿ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الأَنْعَامِ ﴾ ويشقّونها لتحريم ما أحلّه الله وهذا إشارة

---

(١) النساء: ٨٣.

(٢) النساء: ١١٧.

(٣) النساء: ١١٨ ـ ١١٩.

إلى تحريم كلّ ما أحلّ الله، ونقص كلّ ما خلق كاملاً بالفعل أو بالقوّة ﴿ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللهِ ﴾ عن وجهه وصورته ووصفه، ويندرج فيه ما قبل: من فقوء عين الحامي وخصاء العبيد والوشر والوشم واللواط والسحق وغير ذلك، وعبادة الشمس والقمر، وتغيير فطرة الله التي هي الإسلام، واستعمال الجوارح والقوى في ما لا يعود على النفس كمالاً، ولا يوجب لها من الله زلفاً وقرباً، ﴿ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيّاً مِنْ دُونِ اللهِ ﴾ بتقديم قوله على قول الله فيتجاوز طاعة الله إلى طاعة الشيطان فإنّه ﴿ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَاناً مُبِيناً ﴾[1] فإنّه ضيّع رأس ماله وعمره الغالي بشيء بخس ورذيل، وبدّل مكانه من الجنّة بمكان من النار، وما ذلك من الشيطان في خطواته إلّا ﴿ يَعِدُهُمْ ﴾ ما لا ينجز لهم ﴿ وَيُمَنِّيهِمْ ﴾ ما لا ينالون ويصلون إليه، ﴿ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُوراً ﴾[2] بإظهار النفع فيما فيه الضرر، وإبراز الباطل بلباس الحقّ، وتلوين الكفر بلون الدين، وتزيين الجهل بتيجان العلم، كلّ ذلك بالوساوس والخواطر، ومن خلال لسان أوليائه المردة من شياطين الجنّ والإنس ﴿ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصاً ﴾[3] ومعدّلاً ومهرباً[4].

قال الطبرسي ﵀: في تفسير الكلبي عن ابن عباس: إنّ إبليس جعل جنده فريقين: فبعث فريقاً منهم إلى الإنس، وفريقاً إلى الجنّ، فشياطين الإنس والجنّ أعداء الرسل والمؤمنين فتلتقي شياطين الإنس وشياطين الجنّ في كلّ حين فيقول

---

(١) النساء: ١١٩.

(٢) النساء: ١٢٠

(٣) النساء: ١٢١

(٤) بحار الأنوار ٦٠: ١٤٧، عن أنوار التنزيل ١: ٣٠٣

بعضهم لبعض : أضللت صاحبي بكذا فأَضلّ صاحبك بمثلها، فكذلك يوحي بعضهم إلى بعض.

وروي عن أبي جعفر عليه‌السلام أنّه قال : إنّ الشياطين يلق بعضهم بعضاً فيلقي إليه ما يغوي به الخلق حتّى يتعلّم بعضهم من بعض فيوحي زخرف القول المموّه المزيّن الذي يستحسن ظاهره ولا حقيقة له ولا أصل فيغرونهم بذلك غروراً، وإنّ الشياطين علماء الكفر ورؤساءهم المتمرّدين في كفرهم، يوحون ويشيرون إلى أوليائهم الذين اتّبعوهم في الكفر، ليجادلوا المؤمنين في مثل استحلال الميتة، فشياطين من الجنّ ليوحون إلى أوليائهم من الإنس، والوحي هنا بمعنى إلقاء المعنى إلى النفس من وجه خفي، فيلقون الوسوسة إلى قلوب أهل الشرك والنفاق والفسوق والفجور.

وهذا كلّه من خطوات إبليس اللعين الذي توعّد بني آدم في إضلالهم ﴿ لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ ﴾ وأرصد لهم لأقطع سبيلهم ﴿ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾[1] ودين الحقّ القويم ﴿ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ ﴾[2] ومن جميع الجهات الأربعة وبأي وجه ممكن، ومن جهة دنياهم وآخرتهم ومن جهة حسناتهم وسيّئاتهم، فيزيّن لهم الدنيا ويخوّفهم الفقر ويقول لهم : لا جنّة ولا نار ولا بعث وحساب ويثبط عزيمتهم عن الحسنات ويشغلهم عنها ويحبّب لهم السيّئات والمعاصي ويحثّهم عليها، ولم يأت من فوقهم لأنّه جهة نزول الرحمة من السماء فلا سبيل له إلى ذلك، ولم يأتهم من تحت أرجلهم لأنّ الإتيان منه موحش، فيأتيهم من بين أيديهم وعن أيمانهم من حيث

---

(١) الأعراف : ١٦.

(٢) الأعراف : ١٧.

يبصرون ومن خلفهم وعن شمائلهم من حيث لا يبصرون، فيهوّن على الناس أمر آخرتهم ويأمرهم بجمع الأموال والبخل بها عن الحقوق لتبق لورثتهم ويفسد عليهم أمر دينهم بتزيين الضلالة وتحسين الشبهة وبتحبيب اللذات إليهم وتغليب الشهوات على قلوبهم، فلا تجد أكثر الناس شاكرين مطيعين كما ظنّ إبليس بذلك ﴿ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ ﴾[1].

وعن رسول الله ﷺ أنّه قال: إنّ الشيطان قعد لابن آدم بطريق الإسلام فقال له: تدع دين آبائك؟ فعصاه فأسلم.

ثمّ قعد له بطريق الهجرة فقال له: تدع ديارك وتتغرّب؟ فعصاه فهاجر.

ثمّ قعد له بطريق الجهاد فقال له: تقاتل فتقتل فيقسم مالك وتنكح امرأتك؟ فعصاه فقاتل.

وهذا الخبر يدلّ على أنّ الشيطان لا يترك جهة من جهاتِ الوسوسة إلّا ويلقيها في القلب.

فالحذار الحذار من وساوس الشياطين ومآربهم وخططهم... فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم.

ونقل عن شقيق أنّه قال: ما من صباح إلّا ويأتيني الشيطان من الجهات الأربع: من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي.

أمّا بين يدي فيقول: لا تخف فإنّ الله غفور رحيم، فاقرأ: ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً ﴾[2].

---

(١) سفينة البحار ١ : ٣٦٨، عن تفسير القمّي، والآية من سورة سبأ : ٢٠.

(٢) طه : ٨٢.

وأمّا من خلفي فيخوّفني من وقوع أولادي في الفقر فأقرأ: ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللهِ رِزْقُهَا ﴾[١].

وأمّا من قبل يميني فيأتيني من قبل النساء فأقرأ: ﴿ وَالعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾[٢].

وأمّا من قبل شمالي فيأتيني من قِبَل الشهوات فأقرأ: ﴿ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ ﴾[٣].

فالشيطان الملعون يبالغ في إلقاء الوسوسة، ولا يقصّر في وجه من الوجوه الممكنة، ويأتي الإنسان في خطوات، من دون أن يشعر به[٤].

ثمّ الملائكة ـ كما ورد في الخبر الشريف ـ رقّت قلوبها على البشر لمّا قال الشيطان ذلك فقالوا: يا إلهنا كيف يتخلّص الإنسان من الشيطان مع كونه مستولياً عليه من هذه الجهات الأربع؟ فأوحى الله إليهم أنّه بقي للإنسان جهتان: الفوق والتحت، فإذا رفع يديه إلى فوق في الدعاء على سبيل الخضوع، أو وضع جبهته على الأرض على سبيل الخشوع، غفرت له ذنب سبعين سنة[٥].

ثمّ في قول الشيطان ﴿ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ ﴾[٦]، أنّ التعدية بحرفي الجرّ (من وعن) في الأوّلين بمن وفي الآخرين

---

(١) هود: ٦.

(٢) الأعراف: ١٢٧.

(٣) سبأ: ٥٤.

(٤) البحار ٦٠: ١٥٤.

(٥) المصدر: ١٥٥

(٦) الأعراف: ١٧

بعن، ربما كان باعتبار أنّ المراد من قوله: ﴿ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ ﴾ الخيال والوهم والضرر الناشي منهما هو حصول العقائد الباطلة وهو الكفر، ومن قوله: ﴿ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ ﴾ الشهوة والغضب وذلك هو المعصية، ولا شكّ أنّ الضرر الحاصل من الكفر لازم لأنّ عقابه دائم، وأمّا الضرر الحاصل من المعصية فسهل، لأنّ عقابه منقطع، فلهذا خصّ هذين القسمين بكلمة (عن) تنبيهاً على أنّ هذين القسمين في اللزوم والاتصال دون القسم الأوّل.

ثمّ قول الشيطان ﴿ وَلا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴾[1] أنّه جعل للنفس تسع عشر قوّة، وكلّها تدعو النفس إلى اللذات الجسمانية والطيّبات الشهوانية، فعشرة منها الحواسّ الظاهرة والباطنة، وإثنان: الشهوة والغضب، وسبعة هي القوى الكامنة وهي الجاذبة والماسكة والهاضمة والدافعة والغاذية والنامية والمولّدة، فمجموعها تسعة عشر وهي بأسرها تدعو النفس إلى عالم الجسم وترغّبها في طلب اللذات الدنيوية والبدنية، وأمّا العقل فهو قوّة واحدة وهي التي تدعو النفس إلى عبادة الله تعالى والتقرّب منه والفوز بالسعادة الروحانية.

ومن المعلوم أنّ استيلاء تسع عشر قوّة أكمل من استيلاء القوّة الواحدة[2].

ولمثل هذا تجد أكثر الناس غير شاكرين، مع أنّ الله هداهم النجدين: نجد وطريق الخير، ونجد وسبيل الشرّ، وأيّد العقل بالشرع وبالأنبياء والكتب السماوية والعلماء الصلحاء والمؤمنين الأبرار، ووعد على من يؤمن ويعمل صالحاً جنّات

---

(١) الأعراف: ١٧

(٢) البحار ٦٠: ١٥٦، عن تفسير الرازي ١٤: ٤١ ـ ٤٣.

عدنٍ تجري من تحتها الأنهار، والشيطان يعد الإنسان إلّا أنّه يخلف في وعده، والله لا يخلف الميعاد.

﴿ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلا تَلُومُونِي ﴾[1].

وعن رسول الله ﷺ أنّه إذا جمع الله الخلق وقضي الأمر بينهم يقول الكافر: قد وجد المسلمون من شفع لهم، فمن يشفع لنا؟ ما هو إلّا إبليس هو الذي أضلّنا، فيأتونه ويسألونه فعند ذلك يقول هذا القول ﴿ إِنَّ اللهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الحَقِّ ﴾ وهو البعث والجزاء على الأعمال فوفّى لكم ﴿ وَوَعَدْتُكُمْ ﴾ خلاف ذلك ﴿ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ ﴾ من قدرة ومكنة وتسلّط وقهر فأقهركم على الكفر والمعاصي وأُلجئكم إليها ﴿ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ ﴾ بخطوات بوسوستي وتزييني ﴿ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي ﴾ مع أنّكم لم تروني وحذّركم الله من عداوتي وإنّي لكم عدوّ مبين ﴿ فَلا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ ﴾ فإنّه لم يكن منّي إلّا الوسوسة وكنتم سمعتم دلائل الله، وشاهدتم بصائره، ورأيتم أنبياءه، وقرأتم كتبه، فكان عليكم أن لا تغترّوا بقولي ولا تلتفتوا إليّ، فلمّا رجّحتم قولي على الدلائل الظاهرة والبراهين الواضحة، كان اللوم عليكم لا على غيركم، فما فعلتموه إنّما هو باختياركم فلوموا أنفسكم، ولا قدرة لي عليكم في إزالة عقولكم وتعويج أعضائكم وتصريعكم و ﴿ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ ﴾ ومغيثكم من العذاب ﴿ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِي مِنْ قَبْلُ ﴾[2] في دار الدنيا.

---

(١) و (٢) إبراهيم: ٢٢.

والشيطان من اليوم الأوّل قسم بعزّة الله أن يغوي الجميع إلّا القليل، بل وحتّى القليل يطمع في غوايتهم، فهذا بلعم بن باعوراء، كان من العلماء، وكان يعرف الاسم الأعظم فيدعو به فيستجاب له، فمال إلى فرعون، فلمّا مرّ فرعون في طلب موسى وأصحابه قال فرعون لبلعم: ادعُ الله على موسى وأصحابه ليحبسه علينا، فركب حمارته ليمرّ في طلب موسى... وانسلخ الاسم من لسانه وهو قوله:

﴿ فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ * وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ﴾[1].

وهو مثل ضربه ليكون عبرةً للناس ودرساً للمؤمنين.

ويقول الإمام العسكري عليه السلام: قيل لأمير المؤمنين عليه السلام: ومن شرّ خلق الله بعد إبليس وفرعون و...؟ قال: العلماء إذا فسدوا[2].

وفساد العلماء ليس كفساد عامة الناس، فإنّ الشيطان لا يأتيهم من طريق الزنا وشرب الخمر، إنّما يأتيهم من طريق الدين، وباسم الدين يخرجهم من الدين، يأتيهم من طريق العلم فيفسد عليهم علمهم حتّى يفسدوا، وإذا فسد العالِم فسد العالَم.

فغواية العلماء من طريق حبّ المقام والرئاسة والجاه والغرور والجدال والتطاول على الناس.

قال الإمام الصادق عليه السلام: إنّ من العلماء من يحبّ أن يخزن علمه ولا يؤخذ

---

(١) الأعراف: ١٧٥ ـ ١٧٦.

(٢) البحار ٢: ٨٩.

عنه، فذاك في الدرك الأوّل من النار، ومن العلماء من إذا وعظ أنف وإذا وعظ عَنُف، فذاك في الدرك الثاني من النار، ومن العلماء من يرى أن يضع العلم عند ذوي الثروة والشرف ولا يرى له في المساكين وضعاً فذاك في الدرك الثالث من النار، ومن العلماء من يذهب في علمه مذهب الجبابرة والسلاطين، فإن رُدَّ عليه شيء من قوله أو قصّر في شيء من أمره غضب، فذاك في الدرك الرابع من النار، ومن العلماء من يطلب أحاديث اليهود والنصارى ليغزُرَ به علمُه ويكثُرَ به حديثه، فذاك في الدرك الخامس من النار، ومن العلماء من يضع نفسه للفتيا ويقول: (سلوني) ولعلّه لا يصيب حرفاً واحداً، والله لا يحبّ المتكلّفين فذاك في الدرك السادس من النار، ومن العلماء من يتّخذ علمَه مروّة وعقلاً فذاك في الدرك السابع من النار[1].

هذا وإليك بيان خطوات الشيطان، كما يستفاد ذلك من كرائم القرآن المجيد:

١ ـ الوسوسة:

يبدو لي أنّ الوسوسة الشيطانية تعدّ من الخطوات الأُولى للشيطان، فإنّه في بداية الأمر يوسوس في صدره، فإن استجاب له فيأتيه بخطوة أُخرى، وإلّا فإنّه يبقى في دائرة الوساوس يصارع الإنسان حتّى يتغلّب عليه، أو إذا تذكّر المتّقي فيما إذا مسّه طائف من الشيطان وتبصّر فيرجع إلى تقاوته وتقواه، فإنّ الشيطان ينحدر عنه، وينكص ويتراجع أمامه:

(١) البحار ٢: ١٠٨، عن الخصال.

﴿ إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ ﴾[١].

فالخطوة الأُولى للشيطان هي الوسوسة:

﴿ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ﴾[٢].

قال العلّامة المجلسي: فإن قال قائل: بيّنوا لنا حقيقة الوسوسة؟

قلنا: الفعل إنّما يصدر عن الإنسان لحصول أُمور أربعة يترتّب بعضها على البعض ترتيباً لازماً طبيعياً.

بيانه: أنّ أعضاء الإنسان بحكم السلامة الأصليّة والصلاحية الطبيعية صالحة للفعل والترك والإقدام والإحجام، فلمّا لم يحصل في القلب ميل إلى ترجيح الفعل على الترك أو بالعكس فإنّه يمتنع صدور الفعل، وذلك الميل هو الإرادة الجازمة والقصد الجازم.

ثمّ إنّ تلك الإرادة الجازمة لا تحصل إلّا عند حصول علم واعتقاد أو ظنّ بأنّ ذلك الفعل سبب للنفع أو سبب للضرر، فإن لم يحصل فيه هذا الاعتقاد لم يحصل ميل، لا إلى الفعل ولا إلى الترك.

فالحاصل: أنّ الإنسان إذا أحسّ بشيء ترتّب عليه شعور بكونه ملائماً له أو بكونه منافراً له، أو بكونه غير ملائم ولا منافر، فإن حصل الشعور بكونه ملائماً له ترتّب عليه الميل الجازم إلى الفعل، وإن حصل الشعور بكونه منافراً له ترتّب عليه الميل الجازم إلى الترك، وإن لم يحصل لا هذا ولا ذاك لم يحصل ميل لا إلى الشيء ولا إلى ضدّه، بل بقي الإنسان كما كان، وعند حصول ذلك الميل الجازم يصير القدرة

---

(١) الأعراف: ٢٠١.

(٢) الناس: ٥

مع ذلك الميل موجباً للفعل.

إذا عرفت هذا فنقول: صدور الفعل عن مجموعي القدرة والداعي الخالص أمر واجب، فلا يكون للشيطان مدخل فيه، وحصول تصوّر كونه خيراً أو تصوّر كونه شرّاً غير مطلق الشعور بذاته أمر لازم فلا مدخل للشيطان فيه، فلم يبقَ للشيطان مدخل في هذه المقامات إلّا في أن يذكره شيئاً بأن يلقي إليه حديثه، مثل أن كان الإنسان غافلاً عن صورة امرأة فيلقي الشيطان حديثها في صدره وفي خاطره، والشيطان لا قدرة له إلّا في هذا المقام، وهو عين ما حكى الله تعالى عنه أنّه قال:

﴿ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي ﴾[1].

يعني ما كان منّي إلّا هجس ـ وخطور بالبال ـ هذه الدعوة، فأمّا بقية المراتب ما صدرت منّي وما كان لي أثر قطعاً.

ثمّ يتعرّض العلّامة إلى بيان كيف يتعقّل تمكّن الشيطان من النفوذ في داخل أعضاء الإنسان وإلقاء الوسوسة إليه، فراجع[2].

وخلاصة الكلام: إنّ الشيطان لا يكون جسماً يحتاج إلى الولوج في داخل البدن بل جوهر روحاني خبيث الفعل مجبول على الشرّ، والنفس الإنسانية كذلك، فلا يبعد على هذا التقدير أن يلقي شكّ من تلك الأرواح أنواعاً من الوساوس والأباطيل إلى جوهر النفس الإنسانية. ويذكر في المقام احتمالات أُخرى.

عن الإمام الصادق عليه السلام قال: لمّا نزلت هذه الآية: ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا

(١) إبراهيم: ٢٢.

(٢) بحار الأنوار ٦٠: ١٦٣.

فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ ﴾[١]، صعد إبليس جبلاً بمكّة يقال له : ثور، فصرخ بأعلى صوته بعفاريته فاجتمعوا إليه فقالوا : يا سيّدنا لِمَ دعوتنا ؟

قال : نزلت هذه الآية، فمن لها ؟

فقام عفريت من الشياطين فقال : أنا لها بكذا وكذا.

قال : لست لها.

فقام آخر فقال مثل ذلك، فقال : لست لها.

فقال الوسواس الخنّاس : أنا لها.

قال : بماذا ؟

قال : أعدهم وأُمنّيهم حتّى يواقعوا الخطيئة، فإذا واقعوا الخطيئة أنسيتهم الاستغفار.

فقال : أنت لها. فوكّله بها إلى يوم القيامة.[٢]

وجاء في تفسير ﴿ مِنْ شَرِّ الوَسْوَاسِ الخَنَّاسِ ﴾[٣]، اسم الشيطان في صدور الناس يوسوس فيها ويؤيّسهم من الخير ويعدهم الفقر ويحملهم على المعاصي والفواحش، وهو قول الله : ﴿ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالفَحْشَاءِ ﴾[٤].

---

(١) آل عمران : ١٣٥.

(٢) بحار الأنوار ٦٠ : ١٩٧، عن مجالس الصدوق : ٢٨٧.

(٣) الناس : ٤

(٤) البقرة : ٢٦٨.

وعن أبي عبد الله عليه السلام: إذا قرأت ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الفَلَقِ ﴾[1] فقل في نفسك: أعوذ بربّ الفلق، وإذا قرأت ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴾[2] فقل في نفسك: أعوذ بربّ الناس[3].

وعن ابن عباس في قوله ﴿ مِنْ شَرِّ الوَسْوَاسِ الخَنَّاسِ ﴾[4]: يريد الشيطان على قلب ابن آدم له خرطوم مثل خرطوم الخنزير، يوسوس ابن آدم إذا أقبل على الدنيا وما لا يحبّ الله، فإذا ذكر الله عزّ وجلّ انخنس، يريد رجع، قال الله: ﴿ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ﴾[5]، ثمّ أخبر أنّه من الجنّ والإنس، فقال عزّ وجلّ: ﴿ مِنَ الجِنَّةِ وَالنَّاسِ ﴾[6]، يريد من الجنّ والإنس[7].

قال الإمام السجّاد عليه السلام: فليس في غنى الدنيا راحة، ولكنّ الشيطان يوسوس إلى ابن آدم أنّ له في جمع ذلك راحة، وإنّما يسوقه إلى التعب في الدنيا والحساب عليه في الآخرة[8].

فجمع الأموال وتكديس الثروة وحرص الدنيا وحبّها، والاهتمام بفتح المعامل والحوانيت والدكاكين والمخازن وما شابه ذلك، إنّما هو من وساوس

---

(١) الفلق: ١.

(٢) الناس: ١.

(٣) بحار الأنوار ٦٠: ٢٤٦، عن مجمع البيان.

(٤) الناس: ٤.

(٥) الناس: ٥.

(٦) الناس: ٦.

(٧) المصدر، عن تفسير القمّي.

(٨) بحار الأنوار ٧٣: ٩٢

الشيطان، فإنّه يتعبك في الدنيا بجمعها، وفي الآخرة بجواب حسابها، فـفكّر قـليلاً ولا تغفل ولا تغترّ فإنّك تقف على حقيقة ما أقول، والله المستعان.

يقول أمير المؤمنين عليه السلام : آثروا عاجلاً وأخّروا آجلاً وتركوا صافياً وشربوا آجاناً، ازدحموا على الحطام وتشاحّوا على الحرام، ودعاهم الشيطان فـاستجابوا وأقبلوا[1].

٢ ـ الهمزة :

فإنّ الشيطان بعد وسوسته يلمز ويهمز في دعوته الشيطانية، وعلى المـؤمن بالله المعتصم به والمتوكّل عليه أن يتعوّذ بالله سـبحانه، ويـلجأ إليـه مـن همـزات الشياطين :

﴿ وَقُـلْ رَبِّ أَعُـوذُ بِكَ مِـنْ هَـمَزَاتِ الشَّـيَاطِينِ * وَأَعُـوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ ﴾[2].

وهذا يعني أنّ الهمزة مقدّمة الحضور، وأمّ مريم قبل ولادتها تدعو الله سبحانه قائلةً :

﴿ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾[3].

وهذا يدلّ على أن ندعو لأبنائنا بل وذرّيتنا جيلاً بعد جيل أن لا يـتسلّط عليهم الشيطان، فنوكل أمرهم وأمرنا إلى الله سبحانه، ونتعوّذ من همزاته ونفخاته

(١) نهج البلاغة : ٤٣٨.

(٢) المؤمنون : ٩٧ ـ ٩٨.

(٣) آل عمران : ٣٦

ونفثاته.

قال رسول الله ﷺ: تعوّذوا بالله من الشيطان الرجيم، فإنّ من تعوّذ بالله أعاذه الله، وتعوّذوا من همزاته ونفخاته ونفثاته، أتدرون ما هي؟ أمّا همزاته: فما يلقيه في قلوبكم من بغضنا أهل البيت.

قالوا: يا رسول الله، وكيف نبغضكم بعدما عرفنا محلّكم من الله ومنزلتكم؟

قال: أن تبغضوا أولياءنا وتحبّوا أعداءنا.

قيل: يا رسول الله، وما نفخاتهم؟

قال: هي ما ينفخون به عند الغضب في الإنسان الذي يحملونه على هلاكه في دينه ودنياه، وقد ينفخون في غير حال الغضب بما يهلكون به، أتدرون ما أشدّ ما ينفخون؟ وهو ما ينفخون بأن يوهموا أنّ أحداً من هذه الأُمّة فاضل علينا أو عدل لنا اهل البيت، وأمّا نفثاته: فإنّه يرى أحدكم أنّ شيئاً بعد القرآن أشفى له من ذكرنا أهل البيت ومن الصلاة علينا[1].

٣ـ النزغة:

فإنّ الشيطان بعد وسوسته وهمزه وحضوره يغمز الإنسان وينزغه، ويقرصه في إضلاله ليحسّ به، وعلى المؤمن أن يستعيذ بالله من نزغته:

﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[2].

﴿ وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ

---

(١) بحار الأنوار ٦٠: ٢٠٤

(٢) الأعراف: ٢٠٠

كَانَ لِلإِنسَانِ عَدُوّاً مُبِيناً ﴾[1].

فالنزغ وسوسة من الشيطان في القلب، وقيل: الإزعاج بالإغواء ونخسة في القلب، وأكثر ما يكون ذلك عند الغضب، وأصله الإزعاج بالحركة، وقيل: الفساد، ومنه:

﴿ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي ﴾[2].

وأصله من نخس الرائض الدابة وحملها على الجري، فتأتي النزغة بمعنى الطعنة والرمي.

وقال الزجّاج: النزغ أدنى حركة تكون، ومن الشيطان أدنى وسوسة ﴿ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ ﴾، أي سل الله عزّ اسمه أن يعيذك منه ﴿ إِنَّهُ سَمِيعٌ ﴾ للمسموعات ﴿ عَلِيمٌ ﴾ بالخفيّات، سميع لدعائك عليم بما عرض لك، وقيل: النزغ أوّل الوسوسة، والمسّ لا يكون إلّا بعد التمكّن، ولذلك فصّل الله سبحانه بين النبيّ وغيره، فقال للنبيّ: ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ ﴾، وقال للناس: ﴿ إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ ﴾ فوسوس إليهم الشيطان وأغراهم بمعاصيه ﴿ تَذَكَّرُوا ﴾ ما عليهم من العقاب بذلك فيجتنبونه ويتركونه ﴿ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴾ للرشد والصواب والصراط المستقيم.

وفي الدعاء والمناجاة: (إلهي أشكوا إليك عدوّاً يضلّني وشيطاناً يغويني قد ملأ بالوسواس صدري، وأحاطت هواجسه بقلبي، يعاضد لي الهوى ويزيّن لي حبّ الدنيا، ويحول بيني وبين الطاعة والزلفى).

---

(١) الإسراء: ٥٣.

(٢) يوسف: ١٠٠.

٤ ـ الزلّة :

إنّ الشيطان بعد أن يوسوس في الصدور ويهمز في النفوس وينزغ في الأرواح فيرتكب الإنسان المعاصي ويكتسب الذنوب، فيسترسله الشيطان ويستزلّه، ويوقعه في الزلّات واحدة بعد الأُخرى :

﴿ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا ﴾[1].

فيكون التفاعل بين دعوة الشيطان واستجابة الإنسان، ومن ثمّ يقع في الزلّات ثمّ الهلاك لولا التوبة والإنابة والرجوع إلى الله سبحانه بنيّةٍ صادقةٍ خالصة.

٥ ـ الغواية :

بعدما يوسوس الشيطان ويهمز للإنسان وينزغه فيتبعه ليغويه عن الصراط المستقيم، فإنّ الإنسان في بداية أمره، لما يحمل من الفطرة السليمة والعقل السليم يكون في صراط الله المستقيم، إلّا أنّه بوسوسة الشيطان ينحرف عن الصواب، ويدخل في غواية الشيطان :

﴿ قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ * ثُمَّ لآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ * قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْؤُوماً مَدْحُوراً لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾[2].

---

(١) آل عمران : ١٥٥.

(٢) الأعراف : ١٦ ـ ١٨.

وقال سبحانه:

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ * فَسَجَدَ المَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ * إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ * قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلاَّ تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ * قَالَ لَمْ أَكُنْ لأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ * قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ * وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ * قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ * قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ المُنْظَرِينَ * إِلَى يَوْمِ الوَقْتِ المَعْلُومِ * قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمخْلَصِينَ * قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ * إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الغَاوِينَ * وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾[1].

٦ ـ المقارنة:

إذا اتّبع الإنسان شيطانه، فإنّ الشيطان يفتح ذراعيه ليضمّه إلى صدره، فيصادقه في العداء والإغواء ويكون له خليلاً وقريناً، فعه في رحله وترحاله، في سكونه وحركاته، ويزيّن له أعماله السيّئة كما قال سبحانه:

﴿ وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُمْ ﴾[2].

﴿ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾[3].

---

(١) الحجر: ٢٨ ـ ٤٣.

(٢) فصّلت: ٢٥.

(٣) الزخرف: ٣٧.

﴿ حَتَّى إذَا جَاءَنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ المَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ القَرِينُ ﴾[١].

﴿ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِيناً فَسَاءَ قَرِيناً ﴾[٢].

٧ ـ الحزب :

فإنّ الشيطان بعد أن يكون قريناً للإنسان فإنّه يدخله في حزبه الخاسر :

﴿ ألا إنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الخَاسِرُونَ ﴾[٣].

وإذا أردت أن تعرف صفات الذين ينتمون إلى حزب الشيطان الذي أساسه الشرك والكفر فاقرأ معي هذه الآيات الكريمة :

﴿ ألَمْ تَرَ إلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْماً غَضِبَ اللهُ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ❁ أعَدَّ اللهُ لَهُمْ عَذَاباً شَدِيداً إنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ❁ اتَّخَذُوا أيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ❁ لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أمْوَالُهُمْ وَلا أوْلادُهُمْ مِنَ اللهِ شَيْئاً أُوْلَئِكَ أصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ❁ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللهُ جَمِيعاً فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ ألا إنَّهُمْ هُمُ الكَاذِبُونَ ❁ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأنسَاهُمْ ذِكْرَ اللهِ أُوْلَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ ألا إنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الخَاسِرُونَ ﴾[٤].

---

(١) الزخرف : ٣٨.

(٢) النساء : ٣٨.

(٣) المجادلة : ١٩.

(٤) المجادلة : ١٤ ـ ١٩.

وقد ذكرت تفصيل معالم الحزب الشيطاني كما مرّ، فراجع.

٨ ـ الأُخوّة :

بعد أن كان الشيطان قرين الإنسان ورفيقه في مسيرة الحياة ودخوله في التحزّب الشيطاني، فإنّه يؤاخيه في الضلال والكفر، فيأمره بالظلم والإسراف والتبذير :

﴿ إنَّ المُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُوراً ﴾[1].

ومن الواضح أنّ الأُخوّة تكون نتيجة كثرة المقارنة وقربها، وهي تكون نتيجة الزلّات الكثيرة والإغواء الشديد ومتابعة الوساوس والنزغات الشيطانية.

٩ ـ الاستحواذ :

بعد تلك المراحل والخطوات الشيطانية فإنّ الشيطان اللعين يستحوذ عليه، أي يستلبه بسرعة ويتغلّب عليه، وذلك عندما يرى نفسه، وتحكمه أنانيته، ويعجب بنفسه، كما قال رسول الله ﷺ :

بينما موسى عليه‌السلام جالس إذ أقبل إبليس وعليه برنس ذو ألوان، فلمّا دنا من موسى خلع البرنس وقام إلى موسى فسلّم عليه، فقال له موسى : من أنت ؟ قال : أنا إبليس، قال : أنت ؟ فلا قرّب الله دارك، قال : إنّي إنّما جئت لأُسلّم عليك لمكانك من الله، قال : فقال له موسى : فما هذا البرنس ؟ قال : به أختطف قلوب بني آدم، فقال له موسى : فأخبرني عن الذنب الذي إذا أذنبه ابن آدم استحوذت عليه ؟ قال :

---

(١) الإسراء : ٢٧.

إذا أعجبته نفسه واستكثر عمله وصغر في عينيه ذنبه[١].

ولمثل هذه الذنوب استحوذ الشيطان على جيش معاوية ويزيد في حرب أمير المؤمنين علي عليه السلام وولديه الإمامين الحسن والحسين عليهما السلام، كما قال سيّد الشهداء عليه السلام في وصف جيش عمر بن سعد: لقد استحوذ عليهم الشيطان.

١٠ ـ الولاية الشيطانية:

بعد أن يقارن الشيطان الإنسان ويكون له أخ وقرين، فإنّه لا يرضى بذلك، بل يكون عليه ولياً، وكأنّ الإنسان يكون طفلاً بيده فيتولّى أمره، كما يتولّى الوالد أمر ولده، فيخرج من ولاية الله ورسوله وأُولي الأمر ليدخل في ولاية الشيطان، وذلك حينما يصل إلى مرحلة الكفر وعدم الإيمان، كما قال سبحانه:

﴿ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ ﴾[٢].

﴿ وَقَالَ لأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيباً مَفْرُوضاً ﴾[٣].

﴿ وَلأُضِلَّنَّهُمْ وَلأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الأَنْعَامِ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللهِ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيّاً مِنْ دُونِ اللهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَاناً مُبِيناً ﴾[٤].

﴿ إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلا تَخَافُوهُمْ ﴾[٥].

---

(١) بحار الأنوار ٦٠ : ٢٥٩، عن الكافي ٢ : ٣١٤.

(٢) الأعراف : ٢٧.

(٣) النساء : ١١٨.

(٤) النساء : ١١٩

(٥) آل عمران : ١٧٥.

﴿ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ ﴾[١].

﴿ يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيّاً ﴾[٢].

﴿ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللهِ ﴾[٣].

قال رسول الله ﷺ : إذا استحقّت ولاية الله والسعادة جاء الأجل بين العينين وذهب الأمل وراء الظهر، وإذا استحقّت ولاية الشيطان والشقاوة جاء الأمل بين العينين وذهب الأجل وراء الظهر[٤].

١١ ـ الوحي الشيطاني والتنزّل :

بعد أن دخل الإنسان في ولاية الشيطان فإنّه يوحي إليه المنكرات والمعاصي وما فيه ضلاله وإضلال غيره، والله يخبرنا على من يتنزّل الشيطان في قوله تعالى :

﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَى مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ * تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ * يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ * وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الغَاوُونَ * أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ * وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لا يَفْعَلُونَ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللهَ كَثِيراً وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾[٥].

---

(١) النساء : ٧٦.

(٢) مريم : ٤٥.

(٣) الأعراف : ٣٠.

(٤) بحار الأنوار ٦٠ : ٢٧٢.

(٥) الشعراء : ٢٢١ ـ ٢٢٧.

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزّاً ﴾[١].

﴿ وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ ﴾[٢].

١٢ ـ الاستحمار :

لا تعجب من هذا العنوان، فإنّ الشيطان في نهاية المطاف يستحمر من يدخل في ولايته، وهذا ما قاله من بدو الخلقة بأن يجعل زمامه في حنك كثير من الناس فيمتطي ظهورهم ويسوقهم ويهديهم نحو جهنّم وعذاب السعير :

﴿ قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِي إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ لأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلاً ﴾[٣].

فإنّ الشيطان قال مقولته النكراء لله سبحانه، وكان يتوقّع ذلك إلى يوم القيامة، كما يتوقّع إضلال البشرية كلّها إلّا قليلاً :

﴿ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقاً مِنَ المُؤْمِنِينَ ﴾[٤].

﴿ وَلَوْلا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلاً ﴾[٥].

فلا تجد أكثرهم من الشاكرين، بل وقليل من عبادي الشكور ... كما يتجلّى هذا المعنى في قصّة كربلاء وواقعة الطفّ يوم عاشوراء، فإنّ في معسكر يزيد

---

(١) مريم : ٨٣.

(٢) البقرة : ١٤.

(٣) الإسراء : ٦٢.

(٤) سبأ : ٢٠.

(٥) النساء : ٨٣.

سارب الخمور ثلاثين ألفاً استحوذ عليهم الشيطان، وفي معسكر الإمام الحسين سيّد الشهداء عليه السلام اثنان وسبعون نفراً من الطيّبين الأبرار الأخيار عليهم رضوان الله أبد الآبدين، وكلّ واحد في كلّ زمان ومكان لا بدّ أن يرى نفسه في أيّ المعسكرين: معسكر الحقّ الحسيني أو الباطل اليزيدي، فإنّ كلّ أرضٍ كربلاء وكلّ يومٍ عاشوراء، وقفوهم إنّهم مسؤولون.

وجاء في الخبر الشريف: ... ثمّ رفع رأسه ـ الشيطان ـ ثمّ قال: وعزّتك وجلالك لألحقنّ الفريق بالجميع، قال: فقال النبيّ: بسم الله الرحمن الرحيم: إنّ عبادي ليس لك عليهم سلطان.

﴿ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾[١].

﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الغَاوِينَ ﴾[٢].

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: فإذا أردتم أن تديموا على إبليس سخنة عينه، وألم جراحاته فداوموا على طاعة الله وذكره والصلاة على محمّد وآله، وإن زلتم عن ذلك كنتم أُسراء، فيركب أقفيتكم بعض مردته[٣].

وركوب القفى يعني الاستحمار...

أجل، حبّ أمير المؤمنين علي عليه السلام، من أعظم العوامل لطرد الشيطان والخلاص من خطواته وأعوانه، وإنّ الكبريت الأحمر والأكسير الأعظم هو حبّ أمير المؤمنين عليٍ عليه السلام وأهل بيته وموالاتهم، فما أكثر الروايات في هذا المقام.

---

(١) النحل: ٩٩.

(٢) الحجر: ٤٢.

(٣) ميزان الحكمة ١٠: ٧٥٣

فقد جاء في المناقب في حديث طويل عن علي بن محمّد الصوفي، أنّه لقي إبليس وسأله فقال له: من أنت؟

قال: أنا من ولد آدم.

فقال: لا إله إلّا الله، أنت من قوم يزعمون أنّهم يحبّون الله ويعصونه ويبغضون إبليس ويطيعونه.

فقال: من أنت؟

فقال: أنا صاحب الميسم والاسم الكبير والطبل العظيم، وأنا قاتل هابيل، وأنا راكب مع نوح في الفلك، أنا عاقر ناقة صالح، أنا صاحب نار إبراهيم، أنا مدبّر قتل يحيى، أنا ممكّن قوم فرعون من النيل، أنا مخيّل السحر وقائده إلى موسى، أنا صانع العجل لبني إسرائيل، أنا صاحب منشار زكريا، أنا السائر مع أبرهة إلى الكعبة بالفيل، أنا المجمّع لقتال محمّد يوم أُحد وحنين، أنا ملقي الحسد يوم السقيفة في قلوب المنافقين، أنا صاحب الهودج يوم الخريبة (يوم البصرة) والبعير، أنا الواقف في عسكر صفّين، أنا الشامت يوم كربلاء بالمؤمنين، أنا إمام المنافقين، أنا مهلك الأوّلين، أنا مضلّ الآخرين، أنا شيخ الناكثين، أنا ركن القاسطين، أنا ظلّ المارقين، أنا أبو مرّة، مخلوق من نار لا من طين، أنا الذي غضب الله عليه ربّ العالمين.

فقال الصوفي: بحقّ الله عليك إلّا دللتني على عمل أتقرّب به إلى الله وأستعين به على نوائب دهري؟

فقال: اقنع من دنياك بالعفاف والكفاف، واستعن على الآخرة بحبّ عليّ بن أبي طالب عليه السلام وبغض أعدائه، فإنّي عبدت الله في سبع سماواته وعصيته في سبع أرضيه، فلا وجدت ملكاً مقرّباً ولا نبيّاً مرسلاً إلّا وهو يتقرّب بحبّه.

قال: ثمّ غاب عن بصري، فأتيت أبا جعفر فأخبرته بخبره فقال: آمن الملعون بلسانه وكفر بقلبه[١].

أجل، الغاوون أُولئك الذين اتّبعوا الشيطان وقد وصفهم أمير المؤمنين علي عليه السلام في ذمّهم:

«اتّخذوا الشيطان لأمرهم ملاكاً، واتّخذهم له أشراكاً، فباض وفرّخ في صدورهم، ودبّ ودرج في حجورهم، فنظر بأعينهم، ونطق بألسنتهم، فركب بهم الزلل، وزيّن لهم الخطل، فعل من قد شركه الشيطان في سلطانه، ونطق بالباطل على لسانه»[٢].

١٣ ـ الإضلال:

بعد أن يركب الشيطان ظهر الإنسان ويمتطيه ويكون زمامه بيده، فإنّه يسوقه إلى ما فيه الضلال والهلاك:

﴿ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلالاً بَعِيداً ﴾[٣].

فهذا من كيد الشيطان وإن كان ضعيفاً:

﴿ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً ﴾[٤].

---

(١) بحار الأنوار ٦٠: ٢٥٣، عن مناقب آل أبي طالب ٢: ٨٩. وقد ذكرت تفصيل معالم الولاية في (هذه هي الولاية)، المجلّد الخامس من الموسوعة، فراجع.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة ٧.

(٣) النساء: ٦٠.

(٤) النساء: ٧٦.

﴿ وَلَوْلا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إلَّا قَلِيلاً ﴾[١].

والعجب ولا العجب فإنّ الشيطان عدوّ الإنسان، فلا يرضى بالضلال القليل والقريب، بل ضلالاً بعيداً ينتهي إلى الكفر والهلاك واستحقاق النار والعقاب ـ اللهمّ أعذنا من شرور أنفسنا ومن شرّ الشيطان الرجيم ومن حزبه وأعوانه من الجنّ والإنس ـ.

١٤ ـ الكفر :

الشيطان عندما يستحمر أتباعه ليسوقهم إلى وادي الكفر والضلال :

﴿ إذْ قَالَ لِلإنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ ﴾[٢].

وعن أبي عبد الله عليه السلام : ما من أحد يحضره الموت إلّا وكّل به إبليس من شياطينه من يأمره بالكفر ويشكّكه في دينه حتّى تخرج نفسه، فمن كان مؤمناً لم يقدر عليه.

وما أكثر الشواهد على ذلك، فما يضمره الإنسان من حبّ الدنيا والملاذ يظهره عند الاحتضار وعند الموت، حتّى يصعب على المرء قول الشهادتين، وربما يموت كافراً ـ والعياذ بالله ـ.

﴿ فَرِيقاً هَدَى وَفَرِيقاً حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلالَةُ إنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللهِ وَيَحْسَبُونَ أنَّهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾[٣].

---

(١) النساء : ٨٣.

(٢) الحشر : ١٦.

(٣) الأعراف : ٣٠.

﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۞ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾[١].

قال أمير المؤمنين علي عليه السلام: ألا وإنّ شرائع الدين واحدة، وسبله قاصدة، من أخذ بها لُحق وغنم، ومن وقف عنها ضلّ وندم[٢].

وعنه عليه السلام: انظروا أهل بيت نبيّكم فالزموا سمتهم... لا تسبقوهم فتضلّوا ولا تتأخّروا عنهم فتهلكوا. ضلّ من اهتدى بغير هدى الله. ولمّا مرّ أمير المؤمنين علي عليه السلام بقتلى الخوارج يوم النهروان قال: بؤساً لكم، لقد ضرّكم من غرّكم، فقيل له: من غرّهم يا أمير المؤمنين؟ فقال: الشيطان المضلّ والأنفس الأمّارة بالسوء.

وفي كتاب إلى معاوية بن أبي سفيان قال عليه السلام: فقد سلكت مدارج أسلافك بادّعائك الأباطيل فراراً من الحقّ وجحوداً لما هو ألزم لك من لحمك ودمك، ممّا قد وعاه سمعك، وملئ به صدرك، فماذا بعد الحقّ إلّا الضلال المبين[٣].

١٥ ـ عبادة الشيطان:

يقولون: ليت الشيطان كان يكتفي بكفر الإنسان، إلّا أنّه لم يرضَ له، إلّا أن يعبده، وهذا نهاية خطواته الشرّيرة، والله سبحانه قد عهد على الإنسان من اليوم الأوّل في قوله تعالى:

---

(١) الفاتحة: ٦ ـ ٧.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة ١٢٠.

(٣) نهج البلاغة: الكتاب ١٦٠.

﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾[1].

فسبحانه كما يريد من الإنسان الرفض والإثبات بأن يرفض كلّ آلهة ومحبوب ومعبود، ويؤمن بالله الذي لا شريك له، كما في كلمة التوحيد ﴿ لا إِلَهَ إِلاّ اللهَ ﴾ كذلك الشيطان فإنّه لا يرضى بكفر الإنسان بالله، بل يريد أن يؤمن به ويعبدونه دون غيره، والعجب أنّ الشيطان كان كيده ضعيفاً، ولكن ما زال يتغلّب على الإنسان في خطواته، حتّى يصل الأمر إلى أن يترك عبادة الله الجميل الرحمن إلى عبادة القبيح الشيطان، والله بلطفه العميم يحذّر الإنسان من مغبّة الشيطان وعبادته.

يقول أمير المؤمنين علي عليه السلام في ذمّ أتباع الشيطان:

اتّخذوا الشيطان لأمرهم ملاكاً، واتّخذهم له أشراكاً، فباض وفرّخ في صدورهم، ودبّ ودرج في حجورهم، فنظر بأعينهم، ونطق بألسنتهم، فركب بهم الزلل، وزيّن لهم الخطل، فعل من قد شركه الشيطان في سلطانه، ونطق بالباطل على لسانه.

وهذا كلّه من آثار عبادة الشيطان، كما من آثار عبادة الله ـ كما ورد في الخبر الشريف ـ أنّ العبد يتقرّب إلى الله بالنوافل، حتّى يحبّه الله سبحانه، فإذا أحبّه كان سمعه الذي يسمع به ولسانه الذي ينطق به وعينه الذي يبصر به ويده التي يبطش بها، أي تكون يده يد الله سبحانه، ويد الله فوق أيديهم.

ومن كتاب لأمير المؤمنين عليّ عليه السلام إلى معاوية قال: فإنّك مترفٌ قد أخذ

---

(١) يس: ٦٠

الشيطان منك مأخذه، وبلغ فيك أمله، وجرى منك مجرى الروح والدم[١].

وعنه عليه‌السلام : إنّ رجلاً كان يتعبّد في الصومعة، وإنّ امرأة كان لها إخوة فعرض لها شيء، فأتوه بها، فزيّنت له نفسه فوقع عليها، فجاءه الشيطان فقال : اقتلها، فإنّهم إن ظهروا عليك افتضحت، فقتلها ودفعها، فجاؤوه فأخذروه فذهبوا به، فبينما هم يمشون إذ جاءه الشيطان فقال : إنّي أنا الذي زيّنت لك فاسجد لي سجدة أُنجيك، فسجد له، فذلك قوله : ﴿ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلإِنسَانِ اكْفُرْ ﴾[٢][٣].

وهناك صراع منذ البداية بين الرحمن والشيطان، ويجري هذا الصراع في الزمان والمكان وفي وجود الإنسان، كأن تكون الأُذن لله، حتّى يسمع الإنسان بها الموعظة والنصيحة فيتأثّر بها، وتكون العيون للشيطان حتّى يرى بها الملاذ والشهوات فيغويه ويرديه... وهكذا في المكان كأن تكون أمريكا للشيطان وإيران للرحمن، وإذا بإيران الإسلام تثور لتكون ثورتها انفجار نور، ومن غلبة الرحمن على الشيطان الأكبر : ﴿ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي ﴾[٤]. فتدبّر وقس عليه الموارد الأُخرى. واستعن بالله الكريم.

---

(١) نهج البلاغة : الخطبة ٧، والكتاب ١٠.

(٢) الحشر : ١٦.

(٣) الدرّ المنثور ٨ : ١١٦.

(٤) المجادلة : ٢١.

الفصل الرابع

أساليب الشيطان

لا شكّ أنّه في مقام الحرب والمخاصمة يستعمل كلّ واحد أُسلوبه الخاصّ للغلبة والانتصار، والشيطان في عداوته يتّخذ أساليب خاصّة ليتسلّط على الإنسان، ومن أهمّها:

١ ـ التسويل:

فإنّ الإنسان المؤمن والمهتدي والذي عرف الحقّ واهتدى له، ربما يصاب بالانحراف عن ذلك، وكم يذكر لنا التأريخ أنّ أُناساً كانوا في بداية أمرهم من أهل الورع والتقوى ومن أتباع الحقّ، ولكن في عاقبة الأمر غلبت عليهم شقوتهم، فكانوا من الفاسقين والملحدين.

فكم من شاب كان يصلّي ويصوم ولكن في وسط الطريق انقلب على عقبه، فصار شيوعياً أو بعثيّاً وما شابه ذلك، فترك دينه وابتلي بالفساد والظلم والجور وشرب الخمور وغير ذلك من المنكرات والمفاسد، ليس ذلك إلّا من تسويل الشيطان اللعين، كما قال سبحانه وتعالى:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الهُدَى الشَّيْطَانُ

سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ ﴾[1].

ومن تسويلات الشيطان تصوير الباطل وتزيينه، وتمويه الحقّ وتشويهه، فيحسب أنّه يحسن صنعاً، وإلى هذا المعنى يشير الإمام السجّاد عليه السلام في دعائه قائلاً: «فلولا أنّ الشيطان يخدعهم عن طاعتك ما عصاك عاصٍ، ولولا أنّه صوّر لهم الباطل في مثال الحقّ ما ضلّ عن طريقتك ضالّ»[2].

ويقول أمير المؤمنين علي عليه السلام: «إنّ الشيطان يسنّي لكم طرقه، ويريد أن يحلّ دينكم عقدة عقدة ويعطيكم بالجماعة الفرقة»[3].

٢ ـ الإفك والإثم:

الذنوب والمعاصي ومنها الكذب والإفك والآثام، إنّما هي من سنخ الشيطان، لأنّه مظهرها، والفلاسفة تقول: (السنخيّة علّة الانضمام)، والجنس مع الجنس يميل، فمن يرتكب الذنوب فإنّه يميل إلى شيطانه، والشيطان يستغلّه في مآربه وشيطنته، فيكون الفاسق والفاجر من أعوان الشيطان لإضلال الناس، فكلّ من فسق عن أمر ربّه، فقد شارك الشيطان في ذلك، فيدخل في حزبه، فهو القمّة والقيادة والأوّل لمثل تلك القاعدة والحزب، فيملي الشيطان على أعوانه، وينزل عليهم بسرق أخبار السماء ليضلّوا العباد ويخرّبوا البلاد، ويفسدوا فيها، فتكون حكومة البلاد بيد الأفّاكين الآثمين المفسدين الشياطين، فعلى نحو الموجبة الكلية إنّما ينزل الشيطان

---

(١) سورة محمّد صلى الله عليه وآله: ٢٥.

(٢) الصحيفة السجّادية: الدعاء ٣٧.

(٣) نهج البلاغة: الخطبة ١٢١.

ويوحي إليه هو كلّ أفّاك أثيم، كما قال سبحانه:

﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَى مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ * تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴾[1].

٣ـ الغفلة عن ذكر الله:

فمن أساليب الشيطان نسيان ذكر الله والغفلة عنه، فإنّ المتذكّر والمعتصم بالله لا يقدر الشيطان أن يستحوذه ويتسلّط عليه، فإنّه لا سلطان له على عباد الله المخلصين، ومن نسي الله ولم يذكره في مقام فعل الحرام، فإنّه يرتكب المعاصي والآثام بسهولة، وهذا من أهداف الشيطان، فإنّه أقسم بعزّة الله أن يغوي الناس ويضلّهم ويدخلهم جهنّم وذلك هو الخسران المبين، ليس ذلك إلّا كما قال سبحانه:

﴿ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللهِ أُوْلَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ ﴾[2].

فالمجتمع الذي لم يذكر الله سبحانه، فإنّه مجتمع شيطاني وإنّه من حزب الشيطان.

بينما موسى نبيّ الله جالساً إذ أقبل إبليس، قال موسى: أخبرني بالذنب الذي إذا أذنبه ابن آدم استحوذت عليه؟ قال: إذا أعجبته نفسه واستكثر عمله وصغر في عينه ذنبه[3].

وهذا يدلّ على أنّ هذه الأُمور إنّما هي مقدّمة نسيان ذكر الله بعد استيلاء الشيطان.

---

(١) الشعراء: ٢٢١ـ ٢٢٢.

(٢) المجادلة: ١٩.

(٣) الكافي ٢: ٣١٢.

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: مجالسة أهل الهوى منساة للإيمان ومحضرة للشيطان[1].

من شغل نفسه بغير نفسه تحيّر في الظلمات وارتبك في الهلكات ومدّت به شياطينه في طغيانه وزيّنت له سيّئ أعماله.

٤ ـ المجادلة بغير علم:

الجدال في نفسه غير ممدوح، وإنّما يمدح ويجوز لو كان يترتّب عليه ما يحسّنه كإثبات حقّ، والجدال بالتي هي أحسن:

﴿ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾[2].

وهذا الجدال الحسن إنّما يتمّ ويضفى عليه لباس الحسن لو كان عن علم ومن أجل العلم وإحقاق الحقّ، فإنّه من الله وإلى الله وفي سبيل الله، ولكن من يجادل بغير علم وبصيرة، إنّما اتباعاً للهوى والرذيلة كالتعصّب لشخص أو قبيلة، فإنّه بجداله اتبع الشيطان وتولّاه وربما هو لا يدري، فلا بدّ له أن يترك المراء والجدال حتّى ولو كان محقّاً، فإنّه سبحانه يقول:

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ * كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ ﴾[3].

فالجدال بغير العلم من فتن الشيطان في إضلال الإنسان وغوايته، لينتهي إلى

---

(١) نهج البلاغة: ٨٦.

(٢) النحل: ١٢٥.

(٣) الحجّ: ٣ ـ ٤.

عذاب السعير.

وقال الرسول الأكرم ﷺ: سيكون فتن يصبح الرجل فيها مؤمناً ويمسي كافراً، إلّا من أحياه الله بالعلم.

﴿ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ ﴾[1].

٥ ـ دخول الفتن :

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «كن في الفتنة كابن اللبون، لا ظهر فيركب، ولا ضرع فيحلب». وهذا يعني أنّ الإنسان يبتلى في حياته بالفتن والأُمور الملتبسة وغير واضحة السبيل، وليس عليها برهان ودليل، بل تكون كالليل المظلم والسواد المدلهم، وهذا من أساليب الشيطان وفتنه، والله سبحانه يحذّر الناس بقوله تعالى:

﴿ يَا بَنِي آدَمَ لا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ ﴾[2].

فإنّ الشيطان كثير الفتن والمخاطر والمهالك، فاحذروا كلّ الحذر فلا يفتننكم ـ بنون الثقيلة الدالّة على التأكيد ـ فيضلّكم عن الصراط المستقيم.

يقول أمير المؤمنين علي عليه السلام: «الفتن ثلاث: حبّ النساء وهو سيف الشيطان، وشرب الخمر وهو فخّ الشيطان، وحبّ الدينار والدرهم وهو سهم الشيطان».

الدنيا وإن كانت دار امتحان واختبار، وكلّ واحد يفتن فيها، فحنّه لم يخلق

---

(١) الأنعام: ١٢١.

(٢) الأعراف: ٢٧.

عبثاً وسدىً من دون حساب وكتاب، إلّا أنّه تارةً يبتلي الإنسان ببلاء حسن، ومن لطف الله سبحانه فإنّ البلاء للولاء، وكلّما كثر الإنسان قربه من الله كثر بلائه ومحنته في هذه الحياة، فإنّ الجنّة حفّت بالمكاره، والنار حفّت بالشهوات، وربما يبتلى ببلاء سيّئ بما كسبت يديه، والشيطان ربما يفتن الإنسان ويغرّه عن الصواب، وهذه هي الفتنة المذمومة في الآيات والروايات وإنّ المؤمن يكون فيها كابن اللبون لا ضرع فيحلب ولا ظهر فيركب، والله سبحانه يحذّر خلقه من فتنة الشيطان:

﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾[1].

﴿ لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ ﴾[2].

قال رسول الله ﷺ: إنّ لكلّ أُمّة فتنة، وفتنة أُمّتي المال.

قال أمير المؤمنين عليّ عليه السلام: إنّ أبغض الخلائق إلى الله رجلان: رجلٌ وكّله الله إليه نفسه فهو جائر عن قصد السبيل مشغوف بكلام بدعة ودعاء ضلالة، فهو فتنة لمن افتتن به.

وقال عليه السلام: أيّها الناس، شقّوا أمواج الفتن بسفن النجاة.

قال رسول الله ﷺ: ستكون فتن يصبح الرجل فيها مؤمناً ويُمسي كافراً إلّا من أحياه الله تعالى بالعلم.

وقال ﷺ: كفى بالمرء في دينه فتنةً أن يكثر خطؤه، وينقص عمله، وتقلّ حقيقته، جيفة بالليل بطّال بالنهار كسول هلوع رتوع.

وقال ﷺ: ليغشينّ أُمّتي من بعدي فتن كقطع الليل المظلم يصبح الرجل فيها

---

(١) يوسف: ٥.

(٢) الحجّ: ٥٣.

مؤمناً ويمسي كافراً، ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً، يبيع أقوام دينهم بعرض من الدنيا قليل.

وقال عليه السلام: كن في الفتنة كابن اللبون، لا ظهر فيركب، ولا ضرع فيحلب[1].

٦ ـ التزيّن:

فإنّ الشيطان يزيّن أعمال المفسدين والفاسقين، وهذا من أهمّ أساليب الشياطين من الجنّ والإنس بعضهم مع بعض، فكلّ واحد يزيّن للآخر عمله، حتّى يبقى في الضلال، كما لا يبقى وحده في وادي الجهل والضلال:

﴿ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ ﴾، أي اذكروا إذ زيّن الشيطان للمشركين أعمالهم فحسّنها في نفوسهم، فإنّ إبليس حسّن لقريش مسيرهم إلى بدر لقتال النبيّ: ﴿ وَقَالَ لا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ ﴾، أي لا يغلبكم أحد من الناس لكثرة عددكم وقوّتكم ﴿ وَإِنِّي ﴾ مع ذلك ﴿ جَارٌ لَكُمْ ﴾ وناصر لكم ودافع عنكم السوء، وإنّي عاقد لكم عقد الأمان من عدوّكم ﴿ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ ﴾ أي التقت الفرقتان ﴿ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ ﴾ أي رجع القهقرى منهزماً وراءه ﴿ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لا تَرَوْنَ ﴾ فكان يرى من الملائكة الذين جاؤوا لنصر المسلمين ﴿ إِنِّي أَخَافُ اللهَ ﴾ أي عذابه على أيدي من أراهم ﴿ وَاللهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾[2].

ونتيجة الذنوب قساوة القلوب، ونتيجة القساوة أنّ الشيطان يزيّن الأعمال لمن قسى قلبه:

---

(١) ميزان الحكمة ٣: ٢٣٦٦.

(٢) الأنفال: ٤٨.

﴿ وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾[١].

﴿ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ ﴾[٢].

﴿ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ ﴾[٣].

﴿ تَاللهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ ﴾[٤].

٧ ـ تغيّر خلق الله :

من أساليب الشيطان كما قال : ﴿ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللهِ ﴾[٥]، هو تغيّر خلق الله . .

وقد ورد في الخبر الشريف عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام ، في قول الله ﴿ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللهِ ﴾ ، قال : دين الله ، وفي خبر آخر قال : أمر الله بما أمر به .

وقال الطبرسي رحمه الله : قيل : يريد دين الله وأمره، عن ابن عباس وإبراهيم ومجاهد والحسن وقتادة ، وهو المروي عن أبي عبد الله عليه السلام ، ويؤيّده قوله سبحانه : ﴿ فِطْرَةَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ ﴾[٦]، وأراد بذلك تحريم

---

(١) الأنعام : ٤٣ .

(٢) العنكبوت : ٣٨ .

(٣) النمل : ٢٤ .

(٤) النحل : ٦٣ .

(٥) النساء : ١١٩ .

(٦) الروم : ٣٠ .

الحلال وتحليل الحرام، وقيل: أراد الخصاء، وقيل: إنّه الوشم، وقيل: إنّه أراد الشمس والقمر والحجارة عدلوا عن الانتفاع بها إلى عبادتها[١].

٨ ـ زخرف القول:

﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّاً شَيَاطِينَ الإنسِ وَالجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ القَوْلِ غُرُوراً وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴾[٢].

٩ ـ أكل الربا:

من الفواحش والأساليب الشيطانية في المجتمع السالم أكل الربا وترويجه، حتّى تنهار أُسس الاقتصاد السليم، فمن يأكل الربا إنّما هو من أتباع الشيطان:

﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ المَسِّ ﴾[٣].

والناس يقولون في الربا: ﴿ إِنَّمَا البَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا ﴾[٤]، ولكنّ الله سبحانه يراه حرباً معه جلّ جلاله: ﴿ فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ ﴾[٥].

قال رسول الله ﷺ: شرّ الكسب كسب الربا.

وقال: إنّ الله عزّ وجلّ لعن آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه.

---

(١) بحار الأنوار ٦٠: ٢١٩.

(٢) الأنعام: ١١٢.

(٣) و (٤) البقرة: ٢٧٥.

(٥) البقرة: ٢٧٩.

وقال: سيأتي زمان لا يبقى منهم أحد إلّا أكل الربا، فإن لم يأكله أصابه من غباره.

قال الإمام الرضا عليه السلام: اعلم يرحمك الله أنّ الربا حرام سحت من الكبائر ومّما وعد الله عليه النار فتعوّذ بالله منها، وهو محرّم على لسان كلّ نبيّ وفي كلّ كتاب.

عن الإمام الصادق عليه السلام:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لمّا أُسري بي إلى السماء رأيت قوماً يريد أحدهم أن يقوم فلا يقدر أن يقوم من عظم بطنه، فقلت: من هؤلاء يا جبرائيل؟

قال: هؤلاء الذين يأكلون الربا لا يقومون إلّا كما يقوم الذي يتخبّطه الشيطان من المسّ.

وقال صلى الله عليه وآله: أتيت ليلة أُسري بي على قوم بطونهم كالبيوت فيها حيّات ترى من خارج بطونهم، فقلت: من هؤلاء يا جبرئيل؟ قال: هؤلاء أكلة الربا.

قال الإمام الصادق عليه السلام: آكل الربا لا يخرج من الدنيا حتّى يتخبّطه الشيطان.

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: من أكل الربا ملأ الله عزّ وجلّ بطنه من نار جهنّم بقدر ما أكل وإن اكتسب منه مالاً لا يقبل الله تعالى منه شيئاً من عمله، ولم يزل في لعنة الله والملائكة ما كان عنده منه قيراط واحد.

قال الصادق عليه السلام: درهم ربا يأكله أعظم عند الله من ثلاثين زنية كلّها بذات محرم مثل خاله وعمّه.

وقال: درهم ربا أعظم عند الله من سبعين زنية بذات محرم في بيت الله الحرام.

وإنّما حرّم الربا لما فيه من فساد الأموال ومنع المعروف ولترك الناس

التجارات المحلّلة التي تنفع البلاد، ومن اتّجر بغير فقه ارتطم في الربا ثمّ ارتطم، فلا بدّ من الفقه والفهم في الدين وفي أحكام التجارة، وإذا كثر المال بالربا فإنّه يوجب محق الدين وزواله.

وما أكثر الروايات في ذمّ الربا والمرابي[1].

١٠ ـ الخمر والميسر :

من أعمال الشيطان ومنكراته التي تهدم صرح المجتمع وتفشي فيه الفساد هو الخمر والقمار :

﴿ إِنَّمَا الخَمْرُ وَالمَيْسِرُ وَالأَنْصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ ﴾[2].

﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ العَدَاوَةَ وَالبَغْضَاءَ فِي الخَمْرِ وَالمَيْسِرِ ﴾[3].

وعندنا المئات من الأخبار الشريفة عن النبيّ والعترة عليهم السلام في ذمّ الخمر والقمار، لم نتعرّض لها طلباً للاختصار.

١١ ـ النجوى :

﴿ إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾[4].

---

(١) راجع ميزان الحكمة ٢ : ١٠٣٠.

(٢) المائدة : ٩٠.

(٣) المائدة : ٩١.

(٤) المجادلة : ١٠.

النجوى يعني أن يتكلّم همساً أحد الجليسين مثلاً في أُذن الآخر مع حضور الآخرين.

ويقول الله سبحانه :

﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللهَ عَلاَّمُ الغُيُوبِ ﴾[١].

قال رسول الله ﷺ : إذا كانوا ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الثالث.

وقال ﷺ : إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى رجلان دون الآخر حتّى يختلطوا بالناس، فإنّ ذلك يحزنه[٢].

وترك النجوى من الأخلاق الإسلامية، كما أنّ النجوى من فعل الشيطان ليؤذي ويحزن المؤمنين.

١٢ ـ الأمر بالفحشاء والمنكر :

إنّ الله يأمر بالعدل والإحسان، والشيطان يأمر بالفحشاء والمنكر، وبالظلم والعداء والتجاوز وبالشرّ والشين والفجور :

﴿ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالفَحْشَاءِ وَالمُنْكَرِ ﴾[٣].

﴿ كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾[٤].

---

(١) التوبة : ٧٨.

(٢) ميزان الحكمة، الجزء الرابع، كلمة النجوى.

(٣) النور : ٢١.

(٤) الأنعام : ١٤٢.

١٣ ـ الرجز :

﴿ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ ﴾[١].

والآية الشريفة نزلت في قصّة بدر وهي أوّل غزوة في الإسلام، وتشير وغيرها من الآيات كيف نصر الله المؤمنين بالملائكة، وأنزل عليهم من السماء ماءً ليطهّرهم به ويذهب عنهم رجز الشيطان وليربط على قلوبهم ويثبّت به الأقدام[٢]، والرجز هو الرجس والقذارة والمراد برجز الشيطان القذارة التي يطرأ القلب من وسوسته وتسويله. ومعنى الآية : إنّ النصر والإمداد بالبشرى واطمئنان القلوب كان في وقت يأخذكم النعاس للأمن الذي أفاضه الله على قلوبكم، فنمتم ولو كنتم خائفين مرتاعين لم يأخذكم نعاسٌ ولا نوم، وينزل عليكم المطر ليطهّركم به ويذهب عنكم وسوسة الشيطان وليربط على قلوبكم ويشدّ عليها ـ وهو كناية عن التشجيع ـ وليثبّت بالمطر أقدامكم في الحرب بتلبّد الرمل أو بثبات القلوب.

١٤ ـ النسيان :

يقال إنّ الإنسان خلق من النسيان، فإنّه كثيراً ما يبتلى بالنسيان، ولكنّ المؤمن متذكّر يذكر الله سبحانه، فهو قليل النسيان، وربما يبتليه الشيطان بالنسيان كما قال من كان مع موسى بن عمران عليه السلام :

---

(١) الأنفال : ١١.

(٢) راجع تفسير الميزان ٩ : ١٨.

﴿ فَإِنِّي نَسِيتُ الحُوتَ وَمَا أَنسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ ﴾[١].

﴿ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ القَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾[٢].

﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا ﴾[٣].

﴿ فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴾[٤].

وهذا نتيجة النسيان لذكر الله ولو لحظة من اللحظات، إنّه مثل يوسف النبي عليه‌السلام يسجن سبع سنوات أو يزيد في تركه الأولى، فكيف بأُولئك الذين :

﴿ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللهِ ﴾[٥].

١٥ ـ الأماني :

من الأساليب الشيطانية التمنّي الفارغ في الحياة، حتّى المقرّبين ربما يبتلون بهذا الأُسلوب الذي يعدّ مقدّمة للضلال والهلاك :

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ ﴾[٦].

﴿ فَيَنْسَخُ اللهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللهُ آيَاتِهِ ﴾[٧].

---

(١) الكهف : ٦٣.

(٢) الأنعام : ٦٨.

(٣) الأعراف : ٢٠١.

(٤) يوسف : ٤٢.

(٥) المجادلة : ١٩.

(٦) و (٧) الحجّ : ٥٢.

﴿ لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ﴾[١].

١٦ ـ التجارة الشيطانية :

إنّ عيسى بن مريم عليه السلام لقي إبليس وهو يسوق خمسة أحمرة عليها أحمال، فسأله عن الأحمال فقال : تجارة أطلب لها مشتريهن.

فقال : وما هي التجارة ؟

قال : إحداها الجور.

قال : ومن يشتريه ؟

قال : السلاطين.

ثمّ ذكر الكبر ويشتريه الدهاقين، ثمّ الحسد ويشتريه العلماء، والخيانة ويشتريها عمّال التجّار، والكيد ويشتريه النساء[٢].

إنّ كيدهن لعظيم، فإنّه من تجارة الشيطان.

١٧ ـ الحسد والبغي :

إنّما دخل الشيطان النار بحسده وكِبره، وإنّه حسد آدم على علمه وتكبّر عليه بعدم التواضع له بالسجود، فبغى على نفسه ثمّ على ذرّية آدم، وألقى الحسد بين الناس لا سيّما بين العلماء، كما ورد في الخبر أنّه كان يحمل أمتعة على عشرة من الإبل، فسئل عنها، فأجاب : إنّه الحسد، تسعة منها للعلماء، وواحدة لجميع الناس،

---

(١) الحجّ : ٥٣.

(٢) سفينة البحار ١ : ٣٧٣.

واشترك العلماء فيه أيضاً.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: الله الله في عاجل البغي وآجله، وخامة الظلم وسوء عاقبة الكبر، فإنّها مصيدة إبليس العظمى ومكيدته الكبرى[1].

قال الإمام الصادق عليه السلام: يقول إبليس لجنوده: ألقوا بينهم الحسد والبغي، فإنّهما يعدلان عند الله الشرك.

وكلّ شيء نرجع علمه إلى الله ورسوله، إلى القرآن الكريم وعترة النبيّ عليهم السلام.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: انظر أيّها السائل، فما دلّك القرآن عليه من صفته فائتمّ به، واستضيء بنور هدايته، وما كلّفك الشيطان علمه ممّا ليس في الكتاب عليك فرضه ولا في سنّة النبيّ صلى الله عليه وآله وأئمة الهدى أثره فكِلْ علمه إلى الله سبحانه، فإنّ ذلك منتهى حقّ الله عليك[2].

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة ١٢٩ و ١٩٢.

(٢) نهج البلاغة: الخطبه ١٣٨ و ١٢١ و ٦٤ و ٩١

الفصل الخامس

كيف الخلاص من الشيطان ؟

إذا عرفت أنّ عدوّك اللدود الذي أعدّ نفسه وجنده لهلاكك وكفرك وتحطيم إنسانيتك وكيانك وشخصيّتك، وأنّه لك بالمرصاد ليل نهار، ولا يغفل عن غوايتك وضلالك أبداً، ما دمت لم تعتصم بالله سبحانه، فيأتيك بخطوات وسوسته وصوته، ثمّ بخيله ورجله، وهكذا حتّى يقول لك : اكفر بالله ثمّ يتبرّأ منك، إذا عرفت هذا الشيطان عدوّك، فإنّك ومن العقل السليم أن تجاهده وتحاربه وتتخلّص من شروره وفتنه وأحزابه وأعوانه وجنده، فتبحث عن أهمّ الوسائل الحربية للخلاص من كيده ومكره وحيله، فإنّه وكما ورد في الأمثال : الحديد بالحديد يُفلح، فتعال معي لنأخذ دروس وأسلحة الخلاص من شرّ الشياطين، وذلك من كلام الوحي وأهله، من الرسول الأكرم وعترته الطاهرين.

فمن أدوات الخلاص :

١ ـ التواضع :

فإنّ من تواضع لله رفعه، ومن يتسلّح بسلاح التواضع للحقّ، فإنّه يتخلّص من كيد الشياطين، فإنّ الشيطان إنّما حرّم من رحمة الله وجنّات عرضها السماوات

والأرض، ومن قرب الله ورضوانه بالتكبّر، فإنّه أخذته العزّة بالإثم، ولم يتواضع لآدم ولما عنده من العلم، فاستكبر وكان من الكافرين، فمن يحمل صفة التكبّر من دون الله، فإنّه من الشيطان، وما يقابل التكبّر التواضع، فخير سلاح للخلاص من شرّ الشيطان كما قال أمير المؤمنين علي عليه السلام: اتّخذوا التواضع مسلحة بينكم وبين عدوّكم إبليس وجنوده، فإنّ له من كلّ أُمّة جنوداً وأعواناً ورَجِلاً وفرساناً[1].

أتى إبليس نوح لمّا ركب السفينة فقال له نوح: من أنت؟ قال: أنا إبليس، قال: فما جاء بك؟ قال: جئت تسأل ربّك هل لي من توبة؟ فأوحى الله إليه: أنّ توبته أن يأتي قبر آدم فيسجد له، قال: أمّا أنا لم أسجد له حيّاً أسجد له ميّتاً؟ قال: فاستكبر وكان من الكافرين[2].

٢ ـ الصوم والصدقة والحبّ في الله:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ألا أُخبركم بشيء إن أنتم فعلتموه تباعد الشيطان منكم تباعد المشرق والمغرب؟ قالوا: بلى، قال: الصوم يسوّد وجهه، والصدقة تكسر ظهره، والحبّ في الله والمؤازرة على العمل الصالح يقطعان دابره، والاستغفار يقطع وتينه[3].

قال الإمام الباقر عليه السلام: عليكم بالصدقة، فبكّروا بها فإنّها تسوّد وجه إبليس[4].

---

(١) نهج البلاغة: الخطبه ٩٢

(٢) بحار الأنوار ٦٠: ٢٨١، عن الدرّ المنثور.

(٣) أمالي الصدوق: ٥٩.

(٤) تحف العقول: ٢٩٨.

قال إبليس لموسى نبيّ الله : إذا هممت بصدقة فامضها، وإذا همّ العبد بصدقة كنت صاحبه دون أصحابي حتّى أحول بينه وبينها[1].

وهذا يعني أنّ الشيطان الأكبر بنفسه يأتي ليضلّ هذا العبد الذي نوى أن يتصدّق في سبيل الله سبحانه، وبنظري إنّ النيّة الأُولى في الصدقة لله، فإنّ المرء في بداية الأمر ينوي أن يعطي مالاً في سبيل الله كتزويج فقير مثلاً ألف دينار، ولكن بعد لحظات يرى أنّ نيّته انقلبت من الألف إلى النصف، فهذه من الشيطان، فالشعلة الأُولى من الله، ولكن الثانية من الشيطان وهكذا حتّى يترك الإنسان صدقته وتطفي الشعلة، فيظلّم الإنسان بعدما كان نورانياً بنيّة الصدقة ودفعها، فلا بدّ من المبادرة، فإنّ خير البرّ عاجله.

٣ ـ الاعتصام بالله والاتكال عليه :

ما أكثر الآيات التي تقول بالاعتصام بالله وبحبله الكريم :

﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً ﴾[2].

والاتكال عليه :

﴿ وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾[3].

وما أكثر الروايات في مثل هذه الأُمور الإلهيّة والأخلاق الربانية، وإنّها من أهمّ الوسائل التي يتخلّص الإنسان من شرور الشيطان.

---

(١) قصص الأنبياء : للراوندي : ١٥٣.

(٢) آل عمران : ١٠٣. وقد ذكرت تفصيل ذلك في (السرّ في آية الاعتصام)، فراجع

(٣) آل عمران : ١٢٢.

يقول الإمام الصادق عليه السلام : قال إبليس : خمسة أشياء ليس لي فيهنّ حيلة، وسائر الناس في قبضتي : من اعتصم بالله عن نيّه صادقة، واتّكل عليه في جميع أموره، ومن كثر تسبيحه في ليله ونهاره، ومن رضي لأخيه المؤمن ما يرضاه لنفسه، ومن لم يجزع عن المصيبة حين تصيبه، ومن رضي بما قسم الله له ولم يهتمّ لرزقه[1].

٤ ـ الدعاء :

الدعاء مخّ العبادة وسلاح المؤمن، ولولاه لما اعتنى الله بالإنسان، وإنّ المتكبّر عن عبادة الله من لم يدعُ، فالدعاء من أمضى الأسلحة في وجه الشيطان وكيده.

يقول أمير المؤمنين علي عليه السلام : أكثر الدعاء تسلم من سورة الشيطان[2].

والدعاء يعني الانقطاع إلى الله سبحانه وتعالى.

٥ ـ الولاية الرحمانية[3] :

الله الله بالولاية، فما أدراك ما الولاية، تلك ولاية الله ورسوله وأهل بيته الأطهار عليهم السلام فإنّها حصن الله الحصين، ومن دخل حصن الله أمن من عذاب الله، وأمن من مكر الشيطان وكانت عاقبته على خير، وأنّه يتوفّق للتوبة ويرجع إلى ربّه منيباً تائباً مستغفراً، وهذا كلّه من بركات الولاية.

---

(١) الخصال ١ : ٢٨٥.

(٢) بحار الأنوار ٧٨ : ١٦٤

(٣) ذكرت تفصيل ذلك في (هذه هي الولايه) ، المجلّد الخامس من الرسالات ، فراجع

قال الإمام الصادق عليه السلام في قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ ﴾[1]، ليس له أن يزيلهم عن الولاية، فأمّا الذنوب وأشباه ذلك فإنّه ينال منهم كما ينال من غيرهم[2].

وقال الشيطان لمحمّد الصوفي لمّـا قال له : بحقّ الله عليك إلّا دللتني على عمل أتقرّب به إلى الله وأستعين به على نوائب دهري، فقال : اقنع من دنـياك العـفاف والكفاف واستعن على الآخرة بحبّ عليّ بن أبي طالب عليه السلام وبغض أعدائه، فإنّي عبدت الله في سبع سماواته وعصيته في سبع أرضيه، فلا وجدت ملكاً مقرّباً ولا نبيّاً مرسلاً إلّا وهو يتقرّب بحبّه. قال : ثمّ غاب عن بصري، فأتـيت أبـا جـعفر عليه السلام فأخبرته بخبره فقال : آمن الملعون بلسانه وكفر بقلبه[3].

٦ ـ ذكر الله والصلاة على محمّد وآله[4] :

فإنّ الشيطان يفرّ من الذاكر لله ومن يصلّي على محمّد وآله. أخبرنا بـذلك الرسول الأكرم في قوله صلى الله عليه وآله : ألا فاذكروا يا أُمّة محمّد محمّداً وآله عـند نـوائـبكم وشدائدكم لينصر الله بهم ملائكتكم على الشياطين الذين يقصدونكم، فـإنّ كـلّ واحد منكم معه ملك عن يمينه يكتب حسناته، وملك عن يساره يكتب سيّئاته،

---

(١) النحل : ١٠٠.

(٢) تفسير العياشي ٢ : ٢٧٠.

(٣) بحار الأنوار ٦٠ : ٢٥٤، عن مناقب آل أبي طالب.

(٤) ذكرت تفصيل ذلك في (آثار الصلوات في رحـاب الروايـات)، في المجـلّد السـادس من الرسالات، فراجع

ومعه شيطانان من عند إبليس يغويانه، فإذا وسوسا في قلبه ذكر الله وقال: (لا حول ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم وصلّى على محمّد وآله)، حبس الشيطانان، ثمّ سار إلى إبليس فشكواه وقالا له: قد أعيانا أمره فأمددنا بالمردة، فلا يزال يمدّهما حتّى يمدّهما بألف مارد فيأتونه، فكلّما راموه ذكر الله وصلّى على محمّد وآله الطيّبين لم يجدوا عليه طريقاً ولا منفذاً، قالوا لإبليس: ليس له غيرك تباشره بجنودك فتغلبه وتغويه، فيقصده إبليس بجنوده فيقول الله تعالى للملائكة: هذا إبليس قد قصد عبدي فلاناً، أو أمتي فلانة بجنوده، ألا فقاتلوه فيقاتلهم بإزاء كلّ شيطان رجيم منهم ألف ملك، وهم على أفراس من نار بأيديهم سيوف من نار ورماح من نار وقسيّ ونشاشيب وسكاكين وأسلحتهم من نار، فلا يزالون يخرجونهم ويقتلونهم بها ويأسرون إبليس فيضعفون عليه تلك الأسلحة فيقول: يا ربّ وعدك وعدك، قد أجّلتني إلى يوم الوقت المعلوم، فيقول الله تعالى للملائكة: وعدته أن لا أُميته، ولم أعده أن لا أُسلّط عليه السلاح والعذاب والآلام، اشتفوا منه ضرباً بأسلحتكم فإنّي لاأُميته، فيثخنونه بالجراحات، ثمّ يدعونه فلا يزال سخين العين على نفسه وأولاده المقتولين المقتّلين، ولا يندمل شيء من جراحاته إلّا بسماعه أصوات المشركين بكفرهم، فإن بقي هذا المؤمن على طاعة الله وذكره والصلاة على محمّد وآله بقي إبليس على تلك الجراحات، وإن زال العبد عن ذلك وانهمك في مخالفة الله عزّ وجلّ ومعاصيه اندملت جراحات إبليس، ثمّ قوي على هلاك العبد حتّى يلجمه ويسرّج على ظهره ويركبه، ثمّ ينزل عنه ويركب ظهره شيطاناً من شياطينه ويقول لأصحابه: أما تذكرون ما أصابنا من شأن هذا؟ ذلّ وانقاد لنا الآن حتّى صار يركبه هذا، ثمّ قال رسول الله ﷺ: فإن أردتم أن تديموا على إبليس سخنة عينه وألم جراحاته، فداوموا على طاعة الله وذكره والصلاة على

محمّد وآله، وإن زلتم عن ذلك كنتم أسراء فيركب أقفيتكم بعض مردنه[١].

٧ـ الاستغفار :

من أهمّ العوامل للخلاص من شرّ الشيطان الاستغفار والرجوع إلى الله فإنّه التوّاب الرحيم، أي يتوب على العبد كثيراً ـ بصيغة المبالغة ـ الدالّة على الكثرة وهي تستلزم كثرة الذنوب، فلا ييأس المذنب مهما فعل من الذنوب. فإنّ الله يغفرها جميعاً إلّا ما أُشرك به.

وكما ورد في الدعاء : (اللهمّ إنّي أطعتك في أحبّ الأشياء إليك وهو التوحيد، ولم أعصك في أبغض الأشياء إليك وهو الكفر، فاغفر لي ما بينهما)، أي ما دام كان موحّداً ولم يكن كافراً فإنّ الله يغفر جميع ذنوبه ما بين التوحيد والكفر)[٢].

فخير دواء للذنوب والآثام هو الاستغفار والتوبة والرجوع والإنابة إلى الله سبحانه، وإنّ إبليس وجنده ليعجزون عن التواب، كما ورد في الخبر الشريف : بلغنا أنّ إبليس تمثّل ليحيى بن زكريا عليه‌السلام فقال له : أنصحك ؟ فقال : لا أُريد ذلك، ولكن أخبرني عن بني آدم فقال : هم عندنا ثلاثة أصناف : صنف منهم أشدّ الأصناف عندنا، نقبل على أحدهم حتّى نفتنه في دينه ونستمكن منه، فيفزع إلى الاستغفار والتوبة فيفسد علينا كلّ شيء حاجتنا فنحن معه في عناء، وصنف هم في أيدينا بمنزلة الكرة في أيدي صبيانكم، نتلقّفهم كيف شئنا، قد كفينا مؤونة أنفسهم، وصنف

---

(١) بحار الأنوار ٦٠ : ٢٧١.

(٢) لقد ذكرت تفصيل ذلك في (التوبة والتائبون على ضوء القرآن والسنّة). المجلّد الرابع من الموسوعة، فراجع

منهم مثلك معصومون لا نقدر منهم على شيء[١].

عن النبيّ في حديث : الاستغفار يقطع وتين الشيطان (الوتين عرق في القلب إذا قطع مات صاحبه).

٨ ـ التسمية :

التسمية باسم الله سبحانه في كلّ شيء يوجب الحصانة من شرّ الشيطان، كما يوجب البركة الإلهية من الخير المستمرّ والمستقرّ، ولنا في هذا الباب نصوص كثيرة. وإنّه لا بدّ من مراعاة التسمية من أوّل الحياة قبل انعقاد النطفة، فإنّه حين المقاربة من لم يسمّ بالله ويذكر الله فإنّ الشيطان يلعب دوره، ويشارك الإنسان في نطفته، كما أخبرنا بذلك من اتّصل بالوحي والرسالة.

قال الإمام الصادق عليه السلام : إذا أتى أحدكم أهله فليذكر الله، فإنّ من لم يذكر الله عند الجماع فكان منه ولد، كان شرك الشيطان، ويعرف ذلك بحبّنا وبغضنا[٢].

وقال عليه السلام : إنّ الرجل إذا أتى المرأة وجلس مجلسه حضره الشيطان، فإن هو ذكر اسم الله تنحّى الشيطان عنه، وإن فعل ولم يسمّ أدخل الشيطان ذكره، فكان العمل منهما جميعاً، والنطفة واحدة، قلت : فبأيّ شيء يعرف هذا جعلت فداك ؟ قال : بحبّنا وبغضنا[٣].

عن أمير المؤمنين علي عليه السلام، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : إنّ الله حرّم الجنّة على

---

(١) بحار الأنوار ٦٠ : ٢٦٥، عن حياة الحيوان.

(٢) بحار الأنوار ٦٠ : ٢٠١، عن الفقيه ٣ : ٢٥٦.

(٣) المصدر، عن التهذيب ٧ : ٤٠٧.

كلّ فحّاش بذيء، قليل الحياء، لا يبالي ما قال ولا ما قيل له، فإنّك إن فتّشته لم تجده إلّا لغيّة ـ أي زنية ـ أو شرك شيطان، قيل : يا رسول الله، وفي الناس شرك شيطان ؟ فقال ﷺ : أما تقرأ قول الله عزّ وجلّ : ﴿ وَشَارِكْهُمْ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ ﴾[١].

الكافي بإسناده عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام حيث علّمه الدعاء إذا دخلت عليه امرأته، وقال فيه : ولا تجعل فيه شركاً للشيطان، قال : قلت : وبأيّ شيء يعرف ذلك ؟ قال : أما تقرأ كتاب الله عزّ وجلّ : ﴿ وَشَارِكْهُمْ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ ﴾ ؟ ثمّ قال : إنّ الشيطان ليجيء حتّى يقعد من المرأة كما يقعد الرجل منها، ويحدث كما يحدث، وينكح كما ينكح، قلت : بأيّ شيء يعرف ذلك ؟ قال : بحبّنا وبغضنا، فمن أحبّنا كان نطفة العبد، ومن أبغضنا كان نطفة الشيطان.

وقال في حديث آخر : وإنّ الشيطان يجيء فيقعد كما يقعد الرجل، وينزل كما ينزل الرجل.

وفي روايةٍ أُخرى عن هشام، عنه عليه السلام في النطفتين اللتين للآدمي والشيطان إذا اشتركا، فقال أبو عبد الله عليه السلام : ربما خلق من أحدهما، وربما خلق منهما جميعاً[٢].

هذا في الجماع الذي كثيراً ما ينسى الإنسان نفسه لغلبة الشهوة، فكيف لا ينسى الله، فلا بدّ أن يكون المؤمن دائم التذكّر والذِكر، حتّى يذكر ربّه في تلك اللحظات الحيوانية، ثمّ هناك حالات أُخرى تذكر على سبيل الأمثلة ﴿ وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[٣]، وإلّا فإنّ المؤمن يذكر الله في كلّ

---

(١) الإسراء : ٦٤.

(٢) المصدر، عن فروع الكافي ٥ : ٥٠٢.

(٣) الحشر : ٢١.

الحالات، بل إذا كان يذكره عند الجماع وعند التبوّل والتغوّط، فبطريق أولى يذكره في الأماكن والأزمنة الأُخرى.

قال أبو جعفر عليه السلام : إذا انكشف أحدكم لبول أو لغير ذلك فليقل : بسم الله، فإنّ الشيطان يغضّ بصره عنه حتّى يفرغ[1].

عن الرضا عليه السلام، قال : إذا خرجت من منزلك في سفر أو حضر فقل : بسم الله، آمنت بالله، توكّلت على الله، ما شاء الله، لا حول ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم، فتلقاه الشياطين فتضرب الملائكة وجوهها، وتقول : ما سبيلكم عليه وقد سمّى الله وآمن به وتوكّل على الله ؟ وقال : ما شاء الله لا حول ولا قوّة إلّا بالله.

قال أبو عبد الله عليه السلام : إنّ على ذروة كلّ جسر شيطاناً، فإذا انتهيت إليه فقل : (بسم الله)، يرحل عنك.

وقال عليه السلام : إذا أكلت الطعام فقل : بسم الله، في أوّله وآخره، فإنّ العبد إذا سمّى في طعامه قبل أن يأكل لم يأكل معه الشيطان، وإذا سمّى بعدما يأكل وأكل الشيطان منه، تقيّأ ما أكل.

وقال عليه السلام : إذا وضع الغداء والعشاء فقل : (بسم الله)، فإنّ الشيطان يقول لأصحابه : اخرجوا فليس هنا عشاء ولا مبيت، وإن هو نسي أن يسمّي قال لأصحابه : تعالوا فإنّ لكم هنا عشاءً ومبيتاً.

وقال عليه السلام في خبر آخر : إذا توضّأ أحدكم ولم يسمِّ كان للشيطان في وضوئه شرك، وإن أكل أو شرب أو لبس لباساً ينبغي أن يسمّي عليه، فإن لم يفعل كان للشيطان فيه شرك.

---

(١) المصدر، عن الفقيه.

عن أبي الحسن عليه السلام، قال: قال رسول الله: إذا ركب الرجل الدابّة فسمّى، ردفه ملك يحفظه حتّى ينزل، وإذا ركب ولم يسمّ ردفه شيطان فيقول له: تغنّ، فإنّ قال له: لا أُحسن، قال له: تمنّ، فلا يزال يتمنّى حتّى ينزل.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لا تؤووا منديل اللحم في البيت فإنّه مربض الشيطان، ولا تؤووا التراب خلف الباب فإنّه مأوى الشيطان، فإذا بلغ أحدكم باب حجرته فليسمّ، فإنّ يفرّ الشيطان، وإذا سمعتم نباح الكلاب ونهيق الحمير، فتعوّذوا بالله من الشيطان الرجيم، فإنّهم يرون ولا ترون فافعلوا ما تؤمرون[1].

قال عليّ بن الحسين عليهما السلام لأبي حمزة الثمالي: يا ثمالي، إنّ الصلاة إذا أُقيمت جاء الشيطان إلى قرين الإمام فيقول: هل ذكر ربّه ؟ فإن قال: نعم، ذهب، وإن قال: لا، ركب على كتفيه فكان إمام القوم حتّى ينصرفوا، قال: فقلت: جعلت فداك ليس يقرأون القرآن ؟ قال: بلى، ليس حيث تذهب يا ثمالي، إنّما هو الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم[2].

واذكر الله على كلّ حال وفي جميع الأحوال، ولا تنسَ اسم الله والبسملة في كلّ شيء.

٩ ـ إطالة السجود:

ومن المخلّصات من شرور الشياطين إطالة السجود، فعن أبي عبد الله الإمام الصادق عليه السلام، قال: إنّ العبد إذا سجد فأطال السجود، نادى إبليس: يا ويله،

---

(١) بحار الأنوار ٦٠ : ٢٠٠، عن فروع الكافي ٦ : ٢٩٩.

(٢) المصدر ٦٠ : ٢٠٢، عن تهذيب الأحكام ٢ : ٢٩٠.

أطاع وعصيت، وسجد وأبيت[١].

وإنّما تنفع السجدة الطويلة لو كان من أهل الحقّ مهتدياً إلى سبيل النجاة، وهم أهل البيت عليهم السلام سفن النجاة.

فقد قال أمير المؤمنين علي عليه السلام: الإيمان بالقلب هو التسليم للربّ، ومن يسلّم الأُمور لمالكها لم يستكبر عن أمره، كما استكبر إبليس عن السجود لآدم واستكبر أكثر الأمم عن طاعة أنبيائهم فلم ينفعهم التوحيد، كما لم ينفع إبليس ذلك السجود الطويل، فإنّه سجد سجدة واحدة أربعة آلاف عام، لم يرد بها غير زخرف الدنيا، والتمكين من النظرة، فكذلك لا تنفع الصلاة والصدقة إلّا مع الاهتداء إلى سبيل النجاة وطريق الحقّ[٢].

فروح العمل هو الولاية العظمى لله سبحانه ولرسوله صلى الله عليه وآله ولأُولي الأمر الأئمة المعصومين الهداة الميامين عليهم السلام[٣].

١٠ ـ التفقّه في الدين:

ومن المخلّصات التفقّه في الدين، فإنّ الشيطان يفرح لموت الفقيه، لأنّ الفقه يمنع من سلطنته ونفوذه وسبله، فعن أبي عبد الله عليه السلام، قال: ما من أحد يموت من المؤمنين أحبّ إلى إبليس من موت فقيه[٤].

---

(١) بحار الأنوار ٦٠: ٢٢١، عن الكافي.

(٢) بحار الأنوار ٦٠: ٢٣٥، عن الاحتجاج.

(٣) ذكرت تفصيل ذلك في (هذه هي الولاية)، المجلّد الخامس من الموسوعة، فراجع.

(٤) المصدر نفسه.

والفقه يعني فهم الدين في أُصوله وفروعه وأخلاقه، ومن ثمّ العمل، فإنّ المعرفة والعلم يدعو الإنسان إلى العمل الصالح.

١١ ـ ترك الحسد والحرص :

ومن المخلّصات ترك الحسد والحرص، فعن أبي عبد الله عليه السلام، قال : لمّا هبط نوح عليه السلام من السفينة أتاه إبليس فقال له : ما في الأرض رجل أعظم منّة عليّ منك، دعوت الله على هؤلاء الفسّاق فارحتني منهم، ألا أُعلّمك خصلتين ؟ إيّاك والحسد فهو الذي عمل بي ما عمل، وإيّاك والحرص فهو الذي عمل بآدم ما عمل[1].

وعن أبي عبد الله عليه السلام، قال : جاء نوح عليه السلام إلى الحمار ليدخله السفينة فامتنع عليه، وكان إبليس بين أرجل الحمار، فقال : يا شيطان ادخل، فدخل الحمار ودخل الشيطان، فقال إبليس : أُعلّمك خصلتين، فقال نوح عليه السلام : لا حاجة لي في كلامك، فقال إبليس : إيّاك والحرص فإنّه أخرج أبويك من الجنّة، وإيّاك والحسد فإنّه أخرجني من الجنّة. فأوحى الله : اقبلهما وإن كان ملعوناً[2].

عن الإمام عليّ بن محمّد العسكري عليه السلام، قال : جاء إبليس إلى نوح عليه السلام فقال : إنّ لك عندي يداً عظيمة فانتصحني، فإنّي لا أخونك، فتأثّم نوح بكلامه ومساءلته، فأوحى الله إليه أن كلّمه، فإنّي سأُنطقه بحجّة عليه، فقال نوح عليه السلام : تكلّم، فقال إبليس : إذا وجدنا ابن آدم شحيحاً ـ أي بخيلاً ـ أو حريصاً أو حسوداً أو جبّاراً أو عجولاً تلقّفناه تلقّف الكرة، فإن اجتمعت لنا هذه الأخلاق سمّيناه

---

(١) بحار الأنوار ٦٠ : ٢٢٢، عن الخصال.

(٢) بحار الأنوار ٦٠ : ٢٥٠، عن قصص الأنبياء.

شيطاناً مريداً، فقال نوح عليه السلام : ما اليد العظيمة التي صنعت ؟ قال : إنّك دعوت الله على أهل الأرض فألحقتهم في ساعة بالنار، فصرت فارغاً، ولولا دعوتك لشغلت بهم دهراً طويلاً[١].

وعن أبي عبد الله عليه السلام ، قال : يقول إبليس لجنوده : ألقوا بينهم الحسد والبغي فإنّهما يعدلان عند الله الشرك.

١٢ ـ ترك الغضب وعدم الخلوة بامرأة أجنبية :

ومنها : ترك الغضب وترك الخلوة مع النساء الأجنبيّات.

فعن أبي جعفر عليه السلام ، قال : لمّا دعا نوح عليه السلام ربّه عزّ وجلّ على قومه أتاه إبليس لعنه الله فقال : يا نوح، إنّ لك عندي يداً أُريد أن أُكافيك عليها، فقال نوح عليه السلام : إنّه ليبغض إليّ أن يكون لك عندي يد، فما هي ؟ قال : بلى، دعوت الله على قومك فأغرقتهم فلم يبقَ أحد أغويه، فأنا مستريح حتّى ينشأ قوم آخرون وأُغويهم، فقال له نوح عليه السلام : ما الذي تريد أن تكافئني به ؟ قال : اذكرني في ثلاث مواطن، فإنّي أقرب ما أكون إلى العبد إذا كان في إحداهن : اذكرني إذا غضبت، واذكرني إذا حكمت بين اثنين، واذكرني إذا كنت مع امرأة خالياً ليس معكما أحد[٢].

قال نوح للشيطان : متى تكون أقدر على ابن آدم ؟ قال : عند الغضب[٣].

---

(١) البحار ٦٠ : ٢٥٠.

(٢) المصدر.

(٣) بحار الأنوار ٦٠ : ٢٥١

وقال الشيطان لموسى : لا تخل بامرأة لا تحلّ لك، فإنّه لا يخلو رجل بامرأة لا تحلّ له، إلّا كنت صاحبه دون أصحابي.

عن أبي جعفر عليه السلام، قال : إنّ هذا الغضب جمرة من الشيطان، توقد في قلب ابن آدم، وإنّ أحدكم إذا غضب احمرّت عيناه، وانتفخت أوداجه، ودخل الشيطان فيه، فإذا خاف أحدكم ذلك من نفسه، فليلزم الأرض، فإنّ رجز الشيطان ليذهب عنه عند ذلك[1].

١٣ ـ صرف الأموال في محلّها :

فإنّ من عوامل إغواء الشيطان عدم صرف الأموال في مواضعها الشرعيّة والمعقولة، فإنّ الشيطان إذا عجز في إضلال بني آدم في أمر من الأُمور أو معصية من المعاصي، فلا يعجز عن إضلاله في أحد هذه الأُمور الثلاثة، فإنّه يغويه في واحدة منها غالباً، فعن أبي عبد الله عليه السلام، قال : يقول إبليس لعنه الله : ما أعياني في ابن آدم فلم يعييني منه واحدة من ثلاثة : أخذ مال من غير محلّه، أو منعه من حقّه، أو وضعه في غير وجهه[2].

وعنه عليه السلام : إنّ الشيطان يدبّر ابن آدم في كلّ شيء، فإذا أعياه جثم له عند المال فأخذ برقبته.

وما أكثر الناس الذين سقطوا في مثل هذا الامتحان والاختبار، بل من الزلّات التي تسقط العلماء والصلحاء، فاحذر عدوّك الشيطان في الأموال

---

(١) بحار الأنوار ٦٠ : ٢٦٥، عن الكافي

(٢) المصدر، عن الخصال.

والثرواب، وإنّه ليدخلك في المتاهات والمنهيّات يوسوس لك ويزيّن عملك و بوجّه ما تفعله بتوجيهات ربما تكون عليها صبغة دينية وشرعيّة، فلا تغفل وتبصّر واحذر عدوّك اللدود الشيطان الرجيم.

١٤ ـ ترك العجب :

قال الشيطان لموسى عليه السلام عندما سأله: أخبرني بالذنب الذي إذا أذنبه ابن آدم استحوذت عليه ؟ قال: ذلك إذا أعجبته نفسه، واستكثر عمله، وصغر في نفسه ذنبه... وإيّاك أن تعاهد الله عهداً، فإنّه ما عاهد الله أحد إلّا كنت صاحبه دون أصحابي، حتّى أحول بينه وبين الوفاء به[1].

١٥ ـ الاستعاذة :

عن أبي جعفر عليه السلام، قال: إنّ إبليس عليه لعائن الله يبثّ جنود الليل من حين تغيب الشمس وتطلع، فأكثروا ذكر الله عزّ وجلّ في هاتين الساعتين، وتعوّذوا بالله من شرّ إبليس وجنوده، وعوّذوا صغاركم في هاتين الساعتين، فإنّهما ساعتا غفلة[2].

وعن أبي عبد الله عليه السلام، قال: ما اجتمع ثلاثة من المؤمنين فصاعداً إلّا حضر من الملائكة مثلهم فإن دعوا بخير أمّنوا، وإن استعاذوا من شرّ دعوا الله ليصرفه عنهم، وإن سألوا حاجة تشفّعوا إلى الله وسألوه قضاها، وما اجتمع ثلاثة من

---

(١) بحار الأنوار ٦٠ : ٢٥٢.

(٢) المصدر، ٢٥٧، عن الكافي.

الجاحدين إلّا حضرهم عشرة أضعافهم من الشياطين، فإن تكلّموا تكلّم الشياطين بنحو كلامهم، وإذا ضحكوا ضحكوا معهم، وإذا نالوا من أولياء الله نالوا معهم، فمن ابتلى من المؤمنين بهم، فإذا خاضوا في ذلك فليقم ولا يكن شرك الشيطان ولا جليسه، فإنّ غضب الله عزّ وجلّ لا يقوم له شيء، ولعنته لا يردّها شيء، ثمّ قال: فإن لم يستطع فلينكر بقلبه وليقم، ولو حلب شاة أو فواق ناقة.

١٦ ـ التلقين عند الاحتضار:

يستحبّ تلقين المحتضر الشهادتين، والاعتراف بالأئمة الأطهار عليهم السلام، وكذلك الميّت حينما يوضع في قبره، وقبل دفنه.

فعن أبي عبد الله عليه السلام، قال: ما من أحد يحضره الموت إلّا وكل به إبليس من شياطينه من يأمره بالكفر ويشكّكه في دينه حتّى تخرج نفسه، فمن كان مؤمناً لم يقدر عليه، فإذا حضرتم موتاكم فلقّنوهم شهادة أن لا إله إلّا الله وأنّ محمّداً رسول الله حتّى يموت[1].

وفي روايةٍ أخرى قال: فلقّنه كلمات الفرج والشهادتين وتسمّى له الإقرار بالأئمة عليهم السلام واحداً بعد واحد حتّى ينقطع عنه الكلام[2].

ومن المستحبّات المؤكّدة تلقين المحتضر والميّت في لحده قبل دفنه.

١٧ ـ زيارة الإخوان:

عن أبي المغرا، قال: سمعت أبا الحسن عليه السلام يقول: ليس شيء أنكى لإبليس

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) المصدر.

وجنوده من زيارة الإخوان في الله بعضهم لبعض، وقال: إنّ المؤمنين يلتقيان فيذكران الله، ثمّ يذكران فضلنا أهل البيت، فلا يبق على وجه إبليس مضغة، إلّا تخدّد ـ أي جرح ـ حتّى أنّ روحه لتستغيث من شدّة ما تجد من الألم، فتحسّ ملائكة السماء وخزّان الجنان، فيلعنونه حتّى لا يبق ملك مقرّب إلّا لعنه فيقع خاسئاً حسيراً مدحوراً[1].

فعليك بزيارة إخوانك المؤمنين لله وفي الله، فإنّ من زار أخاه المؤمن كأنّما زار الله في عرشه، وإنّ الأئمة الأطهار عليهم السلام يحبّون تلك المجالس التي يذكر فيها مناقبهم ومصائبهم ومثالب أعدائهم (رحم الله عبداً أحيا أمرنا)، فزيارة الإخوان فيه ما فيه من المنافع الدنيوية والأُخروية، وممّا يوجب سعادة الدارين[2].

١٨ ـ طيّ الملابس في الليل:

عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: اطووا ثيابكم بالليل، فإنّها إذا كانت منشورة لبسها الشيطان.

يقال: المراد من الشيطان الشيء الخبيث والرجيم، وربما المقصود هنا ما يسمّى في العلم الحديث بالميكروبات والذرّات المضرّة، وذلك لتناسب الحكم والموضوع في أمثال المقام، فلا يراد من الشيطان المعنى المشهور، وربما يكون هو المقصود للظاهر.

---

(١) بحار الأنوار ٦٠: ٢٥٩، عن الكافي.

(٢) ذكرت تفصيل ذلك في (معالم الصديق والصداقة)، المجلّد الحادي عشر من الموسوعة، فراجع

١٩ ـ تخريب بيت العنكبوت :

قال أمير المؤمنين عليه‌السلام : قال رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله : بيت الشيطان من بيوتكم بيوت العنكبوت[1].

فيستحبّ قتل العنكبوت وإزالة بيته وتنظيف الدار من آثاره.

٢٠ ـ غلق الأبواب :

عن سماعة، قال : سألت أبا عبد الله عليه‌السلام عن إغلاق الأبواب والإيكاء الأواني وإطفاء السراج، فقال : اغلق بابك، فإنّ الشيطان لا يكشف مخمّراً، يعني مغطّى.

٢١ ـ ترك بعض الأحوال :

عن محمّد بن مسلم، عن أحدهما، قال : لا تشرب وأنت قائم، ولا تبل في ماء نقيع، ولا تطف بقبر، ولا تخل في بيت وحدك، ولا تمشِ بنعل واحدة، فإنّ الشيطان أسرع ما يكون إلى العبد إذا كان على بعض هذه الأحوال، وقال : إنّه ما أصاب أحداً شيء على هذه الحال فكاد أن يفارقه، إلّا أن يشاء الله عزّ وجلّ[2].
(لا تطف بقبر أي لا تتغوّط).

ففي مثل هذه الحالات يكون الشيطان قريباً من الإنسان، بمعنى أنّ هذه

---

(١) بحار الأنوار ٦٠ : ٢٦٠، عن الكافي.

(٢) بحار الأنوار ٦٠ : ٢٦١، عن الكافي، وفي الباب روايات أخرى.

الأُمور ممّا نساعد الشيطان على الحضور، وتمهّد له الطريق وتفسح له المجال. فلا بدّ من الوعي واليقظة والتحذّر.

٢٢ ـ ترك النوم في الليل :

فإنّ من يقوم الليل وقسماً منه في مناجاة ربّه بصلاة الليل وتلاوة القرآن وقراءة الأدعية سيّما في السحر، فإنّ الشيطان يبتعد عنه، وإلّا فمن تثاقل عن اليقظة، فإنّ الشيطان قريب منه.

عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال : ليس من عبد إلّا ويوقظ في كلّ ليلة مرّة أو مرّتين أو مراراً، فإن قام كان ذلك، وإلّا فحج الشيطان فبال في أُذنه، أو لا يرى أحدكم أنّه إذا قام ولم يكن ذلك منه، قام وهو متخثّر ثقيل كسلان[١].

توضيح : كان بول الشيطان كناية عن قوّة استيلائه وغلبته عليه، وإن احتمل الحقيقة أيضاً (فحج الشيطان) أي فرّق بين رجليه وباعد ما بينهما، والفحج تباعد ما بين الفخذين. ومعنى بال في أُذنه سخر منه وظهر عليه حتّى نام عن طاعة الله، وفيه تمثيل لتثاقل نومه وعدم تنبّهه بصوت المؤذّن بحال من بول في أُذنه وفسد حسّه.

وهكذا يفعل الشيطان بالإنسان، وما علينا إلّا الاستعاذة بالله من شرّ وساوسه وجنده وحبائله.

٢٣ ـ الاقتصاد :

الاقتصاد هو : الحدّ الوسط في المعيشة من دون تقتير ولا إسراف، فإنّ ذلك

---

(١) بحار الأنوار، عن تهذيب الأحكام

من علامات العاقل المؤمن، والإمام العسكري عليه السلام يقول: عليك بالاقتصاد، وإيّاك والإسراف، فإنّه من فعل الشيطنة[١].

قال الإمام الصادق عليه السلام: ويركبوا قصداً، أترى الله ائتمن رجلاً على مال خوّل له أن يشتري فرساً بعشرة آلاف درهم، ويجزيه فرس بعشرين درهماً، وقال: ﴿ وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾[٢].

وقال عليه السلام: المال مال الله جعله الله ودائع عند خلقه، وأمرهم أن يأكلوا منه قصداً ويركبوا قصداً، فمن تعدّى ذلك كلّه أكله حرام وما ركبه منه حرام[٣].

قال أبو طيفور المتطبّب: سألني أبو الحسن الإمام الهادي عليه السلام: أي شيء تركب؟ قلت: حماراً، قال: بكم ابتعته؟ قلت: بثلاثة عشر ديناراً، قال: إنّ هذا هو السرف، أن تشتري حماراً بثلاثة عشر ديناراً وتدع برذوناً[٤].

عن جابر بن عبد الله الأنصاري، قال: ذكر رسول الله الفرش، فقال: فراش للرجل وفراش للمرأة وفراش للضيف والرابع للشيطان[٥].

وقال صلى الله عليه وآله: من أكل ما يشتهي ولبس ما يشتهي وركب ما يشتهي، لم ينظر الله إليه حتّى ينزع أو يترك[٦].

---

(١) سفينة البحار ١ : ٦١٦.

(٢) تفسير العياشي ٢ : ١٣، والآية من سورة الأنعام : ١٤١.

(٣) المستدرك ٢ : ٤٢٣.

(٤) سفينة البحار ١ : ٦١٦.

(٥) الخصال : ١٢٠.

(٦) تحف العقول : ٣٢.

وقال الأمير: عليكم بالقصد في المطاعم، فإنّه أبعد من السرف وأصحّ للبدن وأعون على العبادة[١].

عن الإمام الرضا لمّا سأله السائل في النفقة على العيال فقال عليه السلام: بين المكروهين، فقلت: جعلت فداك، لا والله ماأعرف المكروهين، قال: فقال له: يرحمك الله أما تعرف أنّ الله عزّ وجلّ كره الإسراف وكره الاقتار فقال:

﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَاماً ﴾[٢].

وقال النبيّ: إيّاكم والسرف في المال والنفقة، وعليكم بالاقتصاد، فما افتقر قوم اقتصدوا[٣].

والأمير فيما وصف المتّقين، قال: وملبسهم الاقتصاد.

قال النبيّ: من بنى بنياناً رياءً وسمعة حمله يوم القيامة إلى سبع أرضين، ثمّ يطوّقه ناراً توقد في عنقه، ثمّ يرمى به في النار، فقلنا: يا رسول الله، كيف يبنى رياء وسمعة؟ قال: يبنى فضلاً على ما يكفيه، أو يبنى مباهاة[٤].

قال الأمير عليه السلام: ألا وإنّ إعطاء المال في غير حقّه تبذير وإسراف.

﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾[٥].

﴿ وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلا تُبَذِّرْ تَبْذِيراً ﴾[٦].

---

(١) غرر الحكم: ٢١٣.

(٢) سفينة البحار ١: ٦١٥، والآية من سورة الفرقان: ٦٧.

(٣) مجمع البيان ٨: ٣٩٤.

(٤) ثواب الأعمال: ٣٣١.

(٥) الأعراف: ٣١.

(٦) الإسراء: ٢٦.

يقول أمير المؤمنين عليه السلام : كلّ ما زاد على الاقتصاد إسراف[١].

قال الإمام الصادق عليه السلام : إنّ القصد أمر يحبّه الله عزّ وجلّ، وإنّ السرف أمر يبغضه الله عزّ وجلّ، حتّى طرحك النواة فإنّها تصلح لشيء، وحتّى صبّك فضل شرابك[٢].

قال الإمام الكاظم عليه السلام : من اقتصد وقنع بقيت عليه النعمة، ومن بذّر وأسرف زالت عنه النعمة[٣].

﴿ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ ﴾[٤].

﴿ إِنَّ اللهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴾[٥].

﴿ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ﴾[٦].

قال الإمام الصادق عليه السلام : أربعة لا يستجاب لهم : دعوة ...، ورجل كان له مال فأفسده، فيقول : يا ربّ ارزقني، فيقول : ألم آمرك بالاقتصاد[٧].

قال النبيّ : من اقتصد في معيشته رزقه الله، ومن بذّر حرمه الله.

وقال الإمام الصادق عليه السلام : لو أنّ الرجل أنفق ما في يديه في سبيل من سبيل

---

(١) المستدرك ٢ : ٦٤٥.

(٢) الوسائل ١٥ : ٢٥٧.

(٣) تحف العقول : ٢٩٧.

(٤) الأنبياء : ٩.

(٥) غافر : ٢٨.

(٦) غافر : ٤٣.

(٧) مجمع البيان ٧ : ١٧٩.

الله ما كان أحسن ولا وفّق، أليس يقول الله تعالى: ﴿ وَلا تُـلْقُوا بِأَيْـدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾[١]، يعني المقتصدين[٢].

قال الإمام الرضا عليه السلام: وليكن نفقتك على نفسك وعيالك قصداً، فإنّ الله تعالى يقول: ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ ﴾[٣]، العفو الوسط، وقال الله: ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا ﴾[٤].

٢٤ ـ التعوّذ بالله عند نباح الكلب ونهيق الحمار:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لا تؤووا منديل اللحم في البيت، فإنّه مربض الشيطان، ولا تؤووا التراب خلف الباب فإنّه مأوى الشيطان، وإذا بلغ أحدكم باب حجرته فليسمّ فإنّه يضرّ الشيطان، وإذا سمعتم بنباح الكلب ونهيق الحمير، فتعوّذوا بالله من الشيطان الرجيم، فإنّهم يرون ولا ترون، فافعلوا ما تؤمرون[٥].

٢٥ ـ ترك الكحل الشيطاني:

قال أمير المؤمنين عليه السلام: إنّ لإبليس لعنه الله كحلاً وسفوفاً ولعوقاً، فأمّا كحله فالنوم، وأمّا سفوفه فالغضب، وأمّا لعوقه فالكذب[٦].

---

(١) البقرة: ١٩٥.

(٢) الكافي ٤: ٥٣.

(٣) البقرة: ٢١٩.

(٤) المستدرك ٢: ٤٢٠، والآية من سورة الفرقان: ٦٧.

(٥) سفينة البحار ١: ٣٦٩، عن الكافي.

(٦) المصدر، عن المحاسن.

بيان : مناسبة الكحل للنوم ظاهر، وأمّا السفوف للغضب، فلأنّ أكثر السفوفات من المسهّلات التي توجب خروج الأمور الرديّة، والغضب أيضاً يوجب صدور ما لا ينبغي من الإنسان وبروز الأخلاق الذميمة منه، وأمّا اللعوق فلأنّه غالباً ممّا يتلذّذ به ويكثر منه، والكذب كذلك.

٢٦ ـ ترك اللين والراحة :

قال النبيّ ﷺ لعليّ عليه السلام : إيّاك أن تركب ميثرة حمراء فإنّها ميثرة إبليس[١].

بيان : الميثرة مفعلة من الوثارة، يقال : وثر وثارةً فهو وثير، أي وطيّ ليّن، وهي من مراكب العجم تعمل من حرير أو ديباج يُحشى بقطن أو صوف يجعلها الراكب تحته على الرحال.

وإذا كان مثل هذه المثيرة هي من إبليس فكذلك كلّ ما يكون فيه اللين والنعومة والرحة والدعة، وذلك بالأولوية كما لا يخفى، فإنّها تثير وساوس الشيطان وإغواءاته.

٢٧ ـ الإحسان إلى الأولياء :

قال الصادق عليه السلام لإسحاق بن عمّار : أحسن يا إسحاق إلى أوليائي ما استطعت، فما أحسن مؤمن إلى مؤمن، ولا أعانه إلّا خمش وجه إبليس، وقرح قلبه[٢].

---

(١) سفينة البحار ١ : ٣٧١، عن الكافي.

(٢) المصدر : ٣٧٣.

٢٨ ـ سدّ طريق إبليس وجنوده :

قال النبيّ ﷺ : وأمّا أعداءك من الجنّ فإبليس وجنوده، فإذا أتاك فقال : مات ابنك، فقل : إنّما خلق الأحياء ليموتوا، وتدخل بضعة منّي الجنّة إنّه ليسرّني، فإذا أتاك وقال : قد ذهب مالك، فقل : الحمد لله الذي أعطى وأخذ وأذهب عنّي الزكاة فلا زكاة عليّ، وإذا أتاك وقال لك : الناس يظلمونك وأنت لا تظلم، فقل : إنّما السبيل يوم القيامة على الذين يظلمون الناس، وما على المحسنين سبيل، وإذا أتاك وقال لك : ما أكثر إحسانك ! يريد أن يدخلك العجب فقل : إساءتي أكثر من إحساني، وإذا أتاك فقال لك : ما أكثر صلاتك ؟ فقل : غفلتي أكثر من صلاتي، وإذا قال لك : كم تعطي الناس ؟ فقل : ما آخذ أكثر ممّا أُعطي، وإذا قال لك : ما أكثر من ظلمك ؟ فقل : من ظلمته أكثر، وإذا أتاك فقال لك : كم تعمل ! فقل : طالما عصيت[1].

وهكذا أيّها الأخ المؤمن عليك أن تسدّ طرق الشيطان ومواضع نفوذه، وتحارب عدوّك اللعين بكلّ ما آتاك الله من قوّة ومن أسلحة الإيمان، ولا تيأس من روح الله، فإنّه من كان مع الله كان الله معه، وإن تنصروا الله ينصركم ويثبّت أقدامكم، وهو بكلّ شيء عليم وعلى كلّ شيء قدير، وما توفيقنا إلّا بالله العليّ العظيم.

---

(١) المصدر : ٣٧٤.

الخاتمة

أدعية الخلاص

الدعاء مخّ العبادة، وسلاح المؤمن وترسه، ولولاه ما يعبأ به ربّه، فهو القرآن الصاعد والعمل الصالح المرفوع، وحرز الله وحصنه.

وقد ورد عن الرسول وأهل بيته الأئمة الأطهار عليهم السلام الأدعية والأوراد والأذكار الكثيرة جداً للخلاص من شرور الشياطين وأعوانهم من الجنّ والإنس، نذكر جملة منها:

ممّا علّم جبرئيل رسول الله صلى الله عليه وآله للخلاص من شرّ عفريت من الجنّ في يده شعلة من نار فقل:

(أعُوذُ بِوَجْهِ اللهِ الكَرِيمِ وَكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ التي لا يُجَاوِزُهُنَّ بَرٌّ وَلا فَاجِرٌ مِنْ شَرِّ مَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ، وَمِنْ شَرِّ مَا يَعْرُجُ فِيهَا، وَمِنْ شَرِّ مَا ذَرَأَ فِي الأرْضِ، وَمِنْ شَرِّ مَا يَخْرُجُ مِنْهَا، وَمِنْ شَرِّ فِتَنِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَمِنْ شَرِّ طَوَارِقِ اللَّيْلِ، وَمِنْ شَرِّ كُلِّ طَارِقٍ إلاّ طَارِقاً يَطْرُقُ بِخَيْرٍ، يَا رَحْمَنُ)[1].

---

(١) بحار الأنوار ٦٠ : ٢٨٣.

عن عيسى بن مريم، لدفع وسوسة الشيطان:

(سُبْحَانَ اللهِ مِلْءَ سَمَاوَاتِهِ وَأَرْضِهِ، وَمِدَادَ كَلِمَاتِهِ، وَزِنَةَ عَرْشِهِ، وَرِضَا نَفْسِهِ).

وقد علّمني سيّدنا الأُستاذ آية الله العظمى السيّد النجفي المرعشي هذا الدعاء وأجازني به كما أجزت جميع المؤمنين والمؤمنات لا سيّما أنت القارئ الكريم ومن أراد أن يتخلّص من مرض الوساوس:

(أَعُوذُ بِاللهِ القَوِيِّ وَبِمُحَمَّدٍ الرَّضِيِّ مِنْ شَرِّ الشَّيْطَانِ الغَوِيِّ).

يديم على هذا الدعاء ويقرأه كلّ يوم ولمرّات عديدة.

وكذلك أجازني بهذا الدعاء بعد كلّ صلاة:

(اللَّهُمَّ سَرِّحْنِي مِنَ «عَنِ» الهُمُومِ وَالغُمُومِ وَوَحْشَةِ الصُّدُورِ وَوَسْوَسَةِ الشَّيْطَانِ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ).

والأدعية والأوراد كثيرة، كما في كتب الأدعية المفصّلات ككتب السيّد ابن طاووس تيُّنُّ وبحار الأنوار (المجلّد ١٠٠) ومفاتيح الجنان للشيخ عباس القمّي تيُّنُّ والصحيفة السجّادية للإمام السجّاد عليه السلام، ومنها هذا الدعاء الشريف:

(اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ نَزَغَاتِ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ وَكَيْدِهِ وَمَكَائِدِهِ، وَمِنَ الثِّقَةِ بِأَمَانِيِّهِ وَمَوَاعِيدِهِ وَغُرُورِهِ وَمَصَائِدِهِ، وَأَنْ يُطْمِعَ نَفْسَهُ فِي إِضْلالِنَا عَنْ طَاعَتِكَ وَامْتِهَانِنَا بِمَعْصِيَتِكَ أَوْ أَنْ يَحْسُنَ عِنْدَنَا مَا حَسَّنَ لَنَا أَوْ أَنْ يَثْقُلَ عَلَيْنَا مَا كَرَّهَ إِلَيْنَا.

اللَّهُمَّ اخْسَأْهُ عَنَّا بِعِبَادَتِكَ وَاكْبِتْهُ بِدُؤُوبِنَا فِي مَحَبَّتِكَ وَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ سِتْراً

لا يَهْتِكُهُ وَرَدْماً مُصْمِتاً لا يَفْتُقُهُ.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَاشْغَلْهُ عَنَّا بِبَعْضِ أَعْدَائِكَ وَاعْصِمْنَا مِنْهُ بِحُسْنِ رِعَايَتِكَ وَاكْفِنَا خَتْرَهُ وَوَلِّنَا ظَهْرَهُ وَاقْطَعْ عَنَّا إِثْرَهُ.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَأَمْتِعْنَا مِنَ الهُدَى بِمِثْلِ ضَلالَتِهِ وَزَوِّدْنَا مِنَ التَّقْوَى ضِدَّ غَوَايَتِهِ وَاسْلُكْ مِنَ التُّقَى خِلافَ سَبِيلِهِ مِنَّ الرَّدَى.

اللَّهُمَّ لا تَجْعَلْ لَهُ فِي قُلُوبِنَا مَدْخَلاً وَلا تُوطِنَنَّ لَهُ فِيمَا لَدَيْنَا مَنْزِلاً.

اللَّهُمَّ وَمَا سَوَّلَ لَنَا مِنْ بَاطِلٍ فَعَرِّفْنَاهُ وَإِذَا عَرَّفْتَنَاهُ فَقِنَاهُ وَبَصِّرْنَا مَا نُكَائِدُهُ بِهِ وَأَلْهِمْنَا مَا نُعِدُّهُ لَهُ وَأَيْقِظْنَا عَنْ سِنَةِ الغَفْلَةِ بِالرُّكُونِ إِلَيْهِ وَأَحْسِنْ بِتَوْفِيقِكَ عَوْنَنَا عَلَيْهِ.

اللَّهُمَّ وَأَشْرِبْ قُلُوبَنَا إِنْكَارَ عَمَلِهِ وَالْطُفْ لَنَا فِي نَقْضِ حِيَلِهِ.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَحَوِّلْ سُلْطَانَهُ عَنَّا وَاقْطَعْ رَجَاءَهُ مِنَّا وَادْرَأْهُ عَنِ الوُلُوعِ بِنَا.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَاجْعَلْ آبَاءَنَا وَأُمَّهَاتِنَا وَأَوْلادَنَا وَأَهَالِينَا وَذَوِي أَرْحَامِنَا وَقَرَابَاتِنَا وَجِيرَانِنَا مِنَ المُؤْمِنِينَ وَالمُؤْمِنَاتِ مِنْهُ فِي حِرْزٍ حَارِزٍ وَحِصْنٍ حَافِظٍ وَكَهْفٍ مَانِعٍ وَأَلْبِسْهُمْ مِنْهُ جُنَناً وَاقِيَةً وَأَعْطِهِمْ عَلَيْهِ أَسْلِحَةً مَاضِيَةً.

اللَّهُمَّ وَاعْمُمْ بِذَلِكَ مَنْ شَهِدَ لَكَ بِالرُّبُوبِيَّةِ وَأَخْلَصَ لَكَ بِالوِحْدَانِيَّةِ وَعَادَاهُ لَكَ بِحَقِيقَةِ العُبُودِيَّةِ وَاسْتَظْهَرَ بِكَ عَلَيْهِ فِي مَعْرِفَةِ العُلُومِ الرَّبَّانِيَّةِ.

اللَّهُمَّ احْلُلْ مَا عَقَدَ وَافْتُقْ مَا رَتَقَ وَافْسَخْ مَا دَبَّرَ وَثَبِّطْهُ إِذَا عَزَمَ وَانْقُضْ مَا أَبْرَمَ.

اللَّهُمَّ وَاهْزِمْ جُنْدَهُ وَأَبْطِلْ كَيْدَهُ وَاهْدِمْ كَهْفَهُ وَأَرْغِمْ أَنْفَهُ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا فِي نَظْمِ أَعْدَائِهِ وَاعْزِلْنَا عَنْ عِدَادِ أَوْلِيَائِهِ لا نُطِيعُ لَهُ إِذَا اسْتَهْوَانَا

وَلا نَسْتَجِيبُ لَهُ إِذَا دَعَانَا نَأْمُرُ بِمُنَاوَاتِهِ مَنْ أَطَاعَ أَمْرَنَا وَنَعِظُ عَنْ مُتَابَعَتِهِ مَنِ اتَّبَعَ زَجْرَنَا.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ وَسَيِّدِ المُرْسَلِينَ وَعَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ وَأَعِذْنَا وَأَهَالِينَا وَإِخْوَانَنَا وَجَمِيعَ المُؤْمِنِينَ وَالمُؤْمِنَاتِ مِمَّا اسْتَعَذْنَا مِنْهُ وَأَجِرْنَا مِمَّا اسْتَجَرْنَا بِكَ مِنْ خَوْفِهِ وَاسْمَعْ لَنَا مَا دَعَوْنَا بِهِ وَأَعْطِنَا مَا أَغْفَلْنَاهُ وَاحْفَظْ لَنَا مَا نَسِينَاهُ وَصَيِّرْنَا بِذَلِكَ فِي دَرَجَاتِ الصَّالِحِينَ وَمَرَاتِبِ المُؤْمِنِينَ.

آمِينَ رَبَّ العَالَمِينَ.

بعض المصادر العربية والفارسية

وقفت على بعض المصادر العربية والفارسية تنفع لمن اراد التحقيق والمراجعة، وهي في مكتبة سيّدنا الأُستاذ آية الله العظيم السيّد النجفي المرعشي بقم المقدّسة، وهي كالتالي:

المصادر العربية

١	الأُصول الأُولى لأفكار الشرّ والشيطان	أحمد سامي
٢	الأمان من مكائد الشيطان	خراساني مشهدي
٣	البيان في مداخل الشيطان	البلالي عبد الحميد
٤	تنبيه حملة القرآن إلى دسائس الشيطان	بديع الزمان
٥	الشيطان يحكم	مصطفى محمود
٦	الشيطان يسكن في بيتنا	مصطفى محمود
٧	صاروخ القرآن والسنّة على قرن الشيطان	الحسيني عبد الله
٨	عهد الشيطان	توفيق الحكيم
٩	مصائب الإنسان من مكائد الشيطان	ابن مفلح

١٠ معركة الشيطان مع بني الإنسان — بالي وحيد

١١ منهج القرآن في بيان مسالك الشيطان — متولّي أحمد

١٢ وقاية الإنسان من الجنّ والشيطان — بالي وحيد

١٣ اليزيدية أو عبدة الشيطان — حسني سيّد عبد الرزاق

المصادر الفارسية

١ ایدئولوژی شیطانی — سروش عبد الکریم

٢ بررسی پاره‌ای از ویژگیهای حزب الله و حزب الشیطان — فدائی غلامرضا

٣ چهره شیطان در قرآن — ناصری محمّد

٤ راه شیطان — خیر غلامحسین

٥ شیطان در ادبیات و ادیان — فرهنگ خواه

٦ شیطان دشمن دیرینه انسان — نصیری محمّد

٧ شیطان شش هزار سال عبادت او — معینی امیر

٨ شیطان کیست ؟ — زمردیان احمد

٩ شیطان نامه — طوطی همدانی

١٠ شیطان و خدا — سارتر ژان پل

١١ فراسوی تناقض راز شیطان — وینتر موریس

١٢ یزیدیها و شیطان پرستها — غضبان سید جعفر

١٣ شیطان شناسی — برزگر کریم

المحتويات

المؤلّف في سطور

سماحة العلّامة الأُستاذ الفقيه السيّد عادل العلوي دامت بركاته.

ولد في الكاظمية المقدّسة بين الطلوعين في السادس من شهر رمضان المبارك عام ١٣٧٥ هـ ـ ١٩٥٥ م، ويتّصل نسبه الشريف بالإمام السجّاد بـ ٣٨ واسطة من عبد الله الباهر ـ أخ الإمام الباقر عليه السلام وأُمّهما السيّدة فاطمة بنت الإمام الحسن المجتبى عليه السلام ـ ابن الإمام زين العابدين علي بن الحسين بن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليهم السلام.

والده العلّامة آية الله السيّد علي بن الحسين العلوي قدس سره، من علماء الكاظمية والنجف وبغداد وقم المقدّسة، دفن في المكتبة في (مسجد علوي) بقم، وله مؤلفات وخدمات اجتماعية.

تلقّى دروسه في العراق في النجف الأشرف وبغداد على يد والده المرحوم وعلى غيره، وفي قم المقدّسة على يد كبار المراجع العظام والعلماء الأعلام، أمثال السيّد المرعشي النجفي قدس سره والسيّد الگلپايگاني قدس سره والشيخ فاضل اللنكراني دام ظلّه والشيخ جواد التبريزي دام ظلّه وغيرهم.

يعدّ اليوم من المدرّسين في حوزة قم المقدّسة، يقوم بتدريس خارج الفقه والأُصول والفلسفة والكلام مضافاً إلى محاضرات في التفسير والأخلاق، شهد بعض الآيات العظام باجتهاده وفضيلته وكتب رسالته (زبدة الأفكار في نجاسة أو طهارة الكفّار) التي نال عليها درجة الدكتوراه في الشريعة الإسلامية من حوزة قم العلميّة.

وقد اشتهر بكثرة تأليفاته المتنوّعة والمفيدة، فهو يسعى إلى تأسيس موسوعة إسلامية كبرى بقلمه المبارك في شتّى الفنون والعلوم الإسلامية[1] في أكثر من ١٥٠ كتاب ورسالة، وقد

---

(١) طبع من هذه الموسوعة ٢٠ مجلّداً حتّى سنة ١٤٢٢، والمقصود من الرسالة ما تزيد عن عشر صفحات إلى مئة صفحة، والكتاب ما يزيد عن المئة.

طبع منها ١٠٥ ما بين كتاب ورسالة. فضلاً عن المقالات في الصحف والمجلّات.

وقد عُرف بخدماته الثقافية والاجتماعية، مثل: تأسيس مستوصف الإمام السجّاد عليه السلام الخيري، والمؤسسة الإسلامية العامة للتبليغ والإرشاد، وجماعة العلماء والخطباء في الكاظمية وبغداد، ودار المحقّقين ومكتبة الإمام الصادق عليه السلام بقم المقدّسة، ومكتبات عامّة، وتأسيس وتولية وإشراف على حسينيات كحسينية الإمامين الجوادين عليهما السلام في مشهد الإمام الرضا عليه السلام وحسينية الإمامين الكاظمين عليهما السلام، ومدرسة الإمامين الجوادين عليهما السلام العلمية بقم المقدّسة، وحسينية أهالي الكاظمية في طهران، وحسينية أمّ البنين في قرجك، وحسينية أهالي الكاظمية في إصفهان وأهواز وكاشان، وغير ذلك.

وقد أجازه في الرواية ما يقرب من العشرين من مشايخ الرواية كالآيات العظام: السيّد النجفي والسيّد الگلپايگاني والشيخ الأراكي والشيخ اللنكراني والسيّد عبد الله الشيرازي والسيّد محمّد الشاهرودي والسيّد مفتي الشيعة والسيّد محمّد حسن اللنگرودي وغيرهم[1].

وقد ورد في الحديث الشريف عن رسول الله صلى الله عليه وآله: (إنّما العلم ثلاث: آية محكمة، وسنّة قائمة، وفريضة عادلة، وما سواهن فضل)، وهذا يعني أنّ أُمّهات العلوم الإسلامية ثلاثة: العقائد (آية محكمة)، والأخلاق (سنّة قائمة)، والفقه (فريضة عادلة)، وما سواها فمن الفضيلة والزيادة.

فانطلاقاً من هذا الحديث الشريف تجد موسوعة (رسالات إسلامية) لسيّدنا الأُستاذ تنقسم إلى أربعة أقسام، فإنّه كتب في العقائد والأخلاق والفقه، والقسم الرابع في الثقافة العامّة، أمّا المطبوعات منها فهي كما يلي حسب الحروف الهجائيّة:

---

(١) اقتباس من كتاب (عظمة أمير المؤمنين علي عليه السلام) بقلم الأُستاذ فاضل الفراتي، فنشكره على ذلك، وكتاب (القصاص على ضوء القرآن والسنّة ـ المجلّد الثالث). وجاءت ترجمة المؤلف بالتفصيل بقلمه في كتاب (أوراق من العمر = من حياتي) الناشر.

موسوعة رسالات إسلامية

قسم العقائد

ت	الكتاب	صفحة	ط	السنة
١	آثار الصلوات في رحاب الروايات.	١٢٠	١	١٤٢٣
٢	الإمام الحسين في عرش الله.	٣٠٠	١	١٤٢١
٣	الإمام المهدي وطول العمر في نظرة جديدة.	١٢٨	١	١٤٢١
٤	الأنفاس القدسية في أسرار الزيارة الرضوية.	٥٨	٢	١٤٢١
٥	الأنوار القدسيّة.	٩٦	٢	١٤٢١
٦	أهل البيت سفينة النجاة.	٩٦	٢	١٤٢١
٧	البارقة الحيدرية في الأسرار العلويّة.	٣٢	٢	١٤٢١
٨	تحفة الزائرين.	٢٠٠	١	١٤١١
٩	جلوة من ولاية أهل البيت.	٣٢	٢	١٤١٩
١٠	الحقّ والحقيقة بين الجبر والتفويض.	١٣٠	١	١٣٩٨
١١	الدرّ الثمين في عظمة أمير المؤمنين.	١٦	٢	١٤٢١
١٢	دروس اليقين في معرفة أُصول الدين.	٤٥٤	١	١٤١٤
١٣	الدرّة البهيّة في الأسرار الفاطمية.	٢٠	٢	١٤٢١
١٤	زينب الكبرى زينة اللوح المحفوظ.	١٦	٢	١٤٢١
١٥	السرّ في آية الاعتصام.	٧٢	٢	١٤٢١

١٦	سهام في نحر الوهابيّة.	٣٢	٢	١٤٢٣
١٧	السيف الموعود في نحر اليهود.	٦١	٢	١٤١٨
١٨	شهد الأرواح.	١٦٠	١	١٤٢٣
١٩	عصمة الحوراء زينب.	٨٠	٢	١٤٢٣
٢٠	عقائد المؤمنين.	٢٧٢	١	١٤١١
٢١	عليّ المرتضى نقطة باء البسملة.	١٢٤	٢	١٤٢١
٢٢	فاطمة الزهراء سرّ الوجود.	٩٦	٢	١٤٢٣
٢٣	فاطمة الزهراء ليلة القدر.	٣٢	٢	١٤٢١
٢٤	في رحاب حديث الثقلين.	٤٥٠	١	١٤٢٣
٢٥	في رحاب وليد الكعبة.	٦٤	٢	١٤٢٣
٢٦	القرآن الكريم في ميزان الثقلين.	١٤٤	١	١٤٢٣
٢٧	لمعة من الأفكار في الجبر والاختيار.	١٦	١	١٤٢٣
٢٨	ماذا تعرف عن الغلوّ والغلاة.	٤٨	١	١٤٢٣
٢٩	المأمول في تكريم ذرّية الرسول.	١٢٨	١	١٤٢٣
٣٠	النجوم المتناثرة.	١٩٢	١	١٤٢٣
٣١	وميض من قبسات الحقّ.	١٦	٢	١٤٢١
٣٢	الهدى والضلال في ميزان الثقلين.	٨٠	١	١٤٢٣
٣٣	هذه هي البراءة.	١٨٤	١	١٤٢٣
٣٤	هذه هي الولاية.	٤٧٠	١	١٤١٩

موسوعة رسالات إسلامية

قسم الأخلاق

ت	الكتاب	صفحة	ط	السنة
١	الإخلاص في الحجّ.	٢٤	٢	١٤٢٣
٢	أخلاق الطبيب في الإسلام.	١٧٦	١	١٤١٨
٣	إشراقات نبويّة.	٣٠	١	١٤٢١
٤	بهجة المؤمنين في زيارات الطيّبات والطيّبين.	٨٨	٢	١٤٢٣
٥	بيان المحذوف في تتمّة كتاب الأمر بالمعروف.	٧٨	١	١٤١١
٦	تحفة فدوى يا نيايش مؤمنان (فارسي).	١١٢	٢	١٤١٠
٧	تربية الأُسرة على ضوء القرآن والعترة.	٣٦٠	١	١٤٢٣
٨	التوبة والتائبون على ضوء القرآن والسنّة.	٤٠٨	١	١٤١٤
٩	حبّ الله نماذج وصور.	٨٠	٢	١٤٢١
١٠	حقيقة الأدب على ضوء المذهب.	٤٠	١	١٤٢٣
١١	حقيقة القلوب في القرآن الكريم.	٢٥٥	٢	١٤٢٣
١٢	خصائص القائد الإسلامي في القرآن الكريم.	١٢٨	٢	١٤١٨
١٣	دروس في الأخلاق.	١٢٠	١	١٤٢٣
١٤	دور الأخلاق المحمّدية في تحكيم مباني الوحدة الإسلامية.	٣٠	٢	١٤١٨
١٥	الذكر الإلهي في المفهوم الإسلامي.	١١٢	٢	١٤٢١
١٦	رسالتنا.	٥٤	٢	١٤١٨
١٧	رسالة في العشق.	٣٢	١	١٣٩٨

١٨	سرّ الخليقة وفلسفة الحياة.	٣٢	٢	١٤٢٣
١٩	السعيد والسعادة بين القدماء والمتأخّرين.	١٦٨	١	١٤٠٥
٢٠	السؤال والذكر في رحاب القرآن والعترة.	٥٦	٢	١٤٢٣
٢١	السيرة النبوية في السطور العلوية.	٤٨	٢	١٤٢١
٢٢	شهر رمضان ربيع القرآن.	٢٢	٢	١٤٢١
٢٣	الشيطان على ضوء القرآن.	٥٦	١	١٤٢٣
٢٤	طالب العلم والسيرة الأخلاقية.	١٧٦	١	١٤١٨
٢٥	على أبواب شهر رمضان المبارك.	٣٨	٢	١٤٢١
٢٦	فضيلة العلم والعلماء.	٦٤	١	١٤٢٣
٢٧	قبس من أدب الأولاد.	١٢	١	١٤٢٣
٢٨	كلمة التقوى في القرآن الكريم.	٦٤	٢	١٤٢٣
٢٩	كيف أكون موفّقاً في الحياة ؟.	٨٨	٢	١٤٢١
٣٠	محاضرات في علم الأخلاق ـ القسم الأوّل ـ	١٢	١	١٤٢٠
٣١	معالم الصديق والصداقة.	١١٢	١	١٤٢١
٣٢	مقام الأُنس بالله.	٤٠	٢	١٤٢٣
٣٣	من لطائف مناسك الحجّ والزيارة.	٣٢	١	١٤٢٣
٣٤	من وحي التربية والتعليم.	٨٠	١	١٤٢١
٣٥	مواعظ ونصائح.	٣٢	١	١٤١٨
٣٦	المؤمن مرآة المؤمن.	٤٨	٢	١٤٢٣
٣٧	النبوغ وسرّ النجاح في الحياة.	٢٢	٢	١٤٢١
٣٨	الياقوت الثمين في بيعة العاشقين.	٦٤	٢	١٤٢٣
٣٩	اليقظة الإنسانية في المفاهيم الإسلامية.	١٦	١	١٤٢٣

موسوعة رسائل إسلامية

قسم الفقه

ت	الكتاب	صفحة	ط	السنة
١	احكام دين اسلام (فارسي).	١٢٨	٢	١٣٩٩
٢	التقيّة بين الأعلام.	٢١٨	٢	١٤١٧
٣	التقيّة في رحاب العلمين.	٣٧	٢	١٤١٧
٤	راهنماى قدم بقدم حجاج (فارسي).	٢٧١	٣	١٤٠١
٥	رسالة التكليف والمكلّف.	١٤٤	١	١٤٢٣
٦	زبدة الأفكار في طهارة أو نجاسة الكفّار.	٢٣٢	١	١٤١٧
٧	القصاص على ضوء القرآن والسنّة (٣ أجزاء).	١٤٩٣	١	١٤١٩
٨	القول الرشيد في الاجتهاد والتقليد (جزءان).	٨٩٦	١	١٤٢٢
٩	القول المحمود في القانون والحدود.	٣٢	٢	١٤٢٢
١٠	من آفاق أوّليات أُصول الفقه (القسم الأوّل).	٤٨	١	١٤٢٣
١١	منهاج المؤمنين (جزءان).	٦٢٠	١	١٤٠٦
١٢				
١٣				
١٤				
١٥				
١٦				
١٧				
١٨				

موسوعة رسالات إسلامية

قسم الثقافة العامّة

ت	الكتاب	صفحة	ط	السنة
١	امام و قيام (فارسي).	٣٢	١	١٤٠٠
٢	أسئلة وأجوبة عبر شبكة الانترنيت.	٣٢	١	١٤٢٣
٣	أيّام في الثابتيّة.	٧٢	١	١٤٢٣
٤	بيوتات الكاظمية.	٢٤	٢	١٤١٩
٥	حول دائرة المعارف والموسوعة الفقهيّة.	٢٤	٢	١٤٢٣
٦	دليل السائحين إلى سورية ودمشق.	١٢٨	١	١٤١٢
٧	رفض المساومة في نشيد المقاومة.	١٤	١	١٤٢٠
٨	الروضة البهيّة في شؤون حوزة قم العلميّة.	٤٠	٢	١٤٢٣
٩	الشاكري كما عرفته.	١٢	١	١٤١٨
١٠	طلوع البدرين في ترجمة العلمين.	٤٨	١	١٤١٥
١١	عبقات الأنوار في تراجم أعلام دمشق.	١٥٢	١	١٤١٢
١٢	فقهاء الكاظمية المقدّسة (طبع في صحيفة صوت الكاظمين).	١٠٠	١	١٤١٠
١٣	فنّ الخطابة في سطور.	١٦	٢	١٤٢٣
١٤	في رحاب الحسينيات ـ القسم الأوّل.	٤٠	١	١٤١٠
١٥	في رحاب الحسينيات ـ القسم الثاني.	٦٢	١	١٤١٠
١٦	في رحاب علم الرجال.	٣٢	١	١٤١٠

١٧	قبسات من حياة سيّدنا الأُستاذ.	١٦٢	٢	١٤١١
١٨	الكوكب الدرّي في حياة السيّد العلوي.	٣٢	١	١٤٠٢
١٩	الكوكب السماوي مقدّمة ترجمة الشيخ العوامي.	٢٥	١	١٤١٩
٢٠	لماذا الشهور القمريّة ؟	١٦	١	١٤٢٢
٢١	لمحات عن الشعر والشعراء.	١٢٠	٢	١٤٢٣
٢٢	لمحة من حياة الإمام القائد.	١٥٢	١	١٤٠٠
٢٣	ماذا تعرف عن العلوم الغريبة ؟	٦٤	١	١٤٢٣
٢٤	المعالم الأثرية في الرحلة الشامية.	٩٠	١	١٤١٢
٢٥	من حياتي (أوراق من العمر).	١٠٤	١	١٤٢٢
٢٦	منهل الفوائد ـ القسم الأوّل ـ.	٣٩٢	١	١٤٢٣
٢٧	النفحات القدسية في تراجم أعلام الكاظمية.	٤٦٤	١	١٤١٩
٢٨	نسيم الأسحار في ترجمة سليل الأطهار (من حياة السيّد الخوئي).	١٢	٢	١٤٢٠
٢٩				
٣٠				
٣١				
٣٢				
٣٣				
٣٤				
٣٥				
٣٦				

المخطوطات

ت	الكتاب
١	إعراب سورة الحمد.
٢	الإسلام وعلم النفس.
٣	الأصل حبّنا أهل البيت.
٤	الأقوال المختارة في أحكام الطهارة.
٥	الآمال في القرآن الكريم.
٦	الجرائم والانحرافات الجنسيّة.
٧	الخصائص الفاطمية في رحاب الروايات.
٨	الدروس الفقهية في شرح الروضة البهيّة.
٩	السياسة أُصولها ومنهاجها.
١٠	الشعب يسأل.
١١	العقل والعقلاء.
١٢	العمرة المفردة في سطور.
١٣	القول الحميد في شرح التجريد.
١٤	أحكام السرقة على ضوء القرآن والسنّة.
١٥	بداية الفكر في شرح الباب الحادي عشر.
١٦	تسهيل الوصول إلى شرح كفاية الأُصول.
١٧	تقريرات أُصول الجواد.
١٨	تقريرات أُصول الفاضل.
١٩	تقريرات كتاب الطهارة.
٢٠	تقريرات كتاب القضاء.

٢١	دروس الهداية في علم الدراية.
٢٢	روضة الطالب في شرح بيع المكاسب.
٢٣	زبدة الأسرار.
٢٤	سؤال وجواب (بداهة الأجوبة).
٢٥	الشهيد عقل التاريخ المفكّر.
٢٦	عزّة المسلمين في رحاب نهج البلاغة.
٢٧	غريزة الحبّ.
٢٨	فاطمة الزهراء مشكاة الأنوار.
٢٩	فنّ التأليف.
٣٠	كيف تكون مفسّراً للقرآن الكريم؟
٣١	لباب كفاية الأُصول.
٣٢	لحظات مع شهيد الإسلام السيّد الصدر.
٣٣	لمعات من حياة السيّد عبد الله الشيرازي.
٣٤	ماذا تعرف عن علم الفلك؟
٣٥	ما هي السياسة الإسلامية؟
٣٦	محاضرات في علم الأخلاق ـ القسم الثاني ـ.
٣٧	مختصر دليل الحاجّ.
٣٨	معالم الحرمين مكّة ومدينة.
٣٩	مقتطفات في علم الحساب.
٤٠	مقتل الإمام الحسين عليه السلام.
٤١	ملك الله وملكوته في القرآن الكريم.
٤٢	من آفاق الحجّ والمذاهب الخمسة.
٤٣	منهل الفوائد ـ القسم الثاني ـ.

صدر من الموسوعة الكبرى
(رسالات إسلاميّة)

٥٣ ــ لماذا الشهور القمريّة ؟
٥٤ ــ لمحات عن الشعر والشعراء
٥٥ ــ رفض المساومة في نشيد المقاومة
٥٦ ــ حول دائرة المعارف والموسوعة الفقهيّة

١٥ ــ المجلّد الخامس عشر (فقه استدلالي) (طبع مكتبة السيّد المرعشي النجفي)

٥٧ ــ القول الرشيد في الاجتهاد والتقليد (الجزء الأوّل)

١٦ ــ المجلّد السادس عشر (فقه استدلالي) (طبع مكتبة السيّد المرعشي النجفي)

٥٨ ــ القول الرشيد في الاجتهاد والتقليد (الجزء الثاني)

١٧ ــ المجلّد السابع عشر (أخلاق) (طبع المؤسسة المجلّد الثامن)

٥٩ ــ فضيلة العلم والعلماء
٦٠ ــ حقيقة القلوب في القرآن الكريم
٦١ ــ الياقوت الثمين في بيعة العاشقين
٦٢ ــ المؤمن مرآة المؤمن
٦٣ ــ الإخلاص في الحجّ
٦٤ ــ مقام الأنس بالله
٦٥ ــ الشيطان على ضوء القرآن

١٨ ــ المجلّد الثامن عشر (عقائد) (طبع المؤسسة المجلّد التاسع)

٦٦ ــ القرآن الكريم في ميزان الثقلين
٦٧ ــ في رحاب حديث الثقلين
٦٨ ــ الهدى والضلال على ضوء الثقلين

١٩ ــ المجلّد التاسع عشر (عقائد) (طبع المؤسسة المجلّد العاشر)

٦٩ ــ عقائد المؤمنين
٧٠ ــ سرّ الخليقة وفلسفة الحياة
٧١ ــ في رحاب وليد الكعبة
٧٢ ــ فاطمة الزهراء سرّ الوجود
٧٣ ــ عصمة الحوراء زينب
٧٤ ــ المأمول في تكريم ذرّية الرسول

٢٠ ــ المجلّد العشرون (عقائد) (طبع المؤسسة المجلّد الخامس عشر)

٧٥ ــ شهد الأرواح
٧٦ ــ النجوم المتناثرة
٧٧ ــ الروضة البهيّة في شؤون حوزة قم العلميّة
٧٨ ــ ماذا تعرف عن الغلوّ والغلاة ؟
٧٩ ــ لمعة من الأفكار في الجبر والاختيار
٨٠ ــ السيف الموعود في نحر اليهود
٨١ ــ سهام في نحر الوهابيّة (القسم الأوّل)